العدد ١٧
كانون الثاني ٢٠٢٣

CAMBRIDGE
RESEARCH AND CONFERENCES CENTER

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية

مجلة علمية محكمة تصدر عن
مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات في مملكة البحرين

CJSP
ISSN-2536-0027

مجلة كامبريدج

مجلة علمية محكمة

تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات

ISSN-2536-0027

www.camb-magazine.com

رئيس مجلس الإدارة والمشرف العام

الدكتورة حفصة مُحَمَّد الغريب

اللجنة العليا

أ.د. مُحَمَّد أبو زياد الأمير

أ.د. دينا المولى

أ.د. عبد الملك الدناني

أ.د. حسن فضاله موسى التميمي

نائب رئيس التحرير

أ.م.د عباس يوسف جابر

سكرتير التحرير

د.صباح جمعة الباوي

د. حفصة محمد الغريب
رئيسة مركز كامبريدج للبحوث
والمؤتمرات في مملكة البحرين

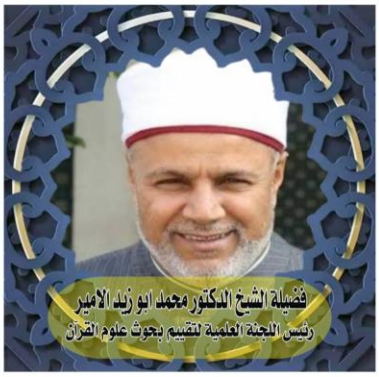
فضيلة الشيخ الدكتور محمد ابو زيد الامير
رئيس اللجنة العلمية لتقييم بحوث علوم القرآن

أ.د.دينا المولى
رئيسة الجامعة الاسلامية في لبنان
رئيسة اللجنة العلمية لتقييم البحوث القانونية

د. عبد الملك الدناني
رئيس اللجنة العلمية لتقييم بحوث الاعلام والاتصال

اللجان العلمية

ت	الاسم	مكان العمل	البلد
.1	أ.د ألفت إبراهم جاد الرب	جامعة الأزهر الشريف	مصر
.2	أ.د جهان عيسى أبو راشد العمران	جامعة البحرين	البحرين
.3	أ.د رقية أحمد العاني	الجامعة العراقية	العراق
.4	أ.د هلا العريس	الجامعة اللبنانية	لبنان
.5	أ.د. رشيد حميد زغير	جامعة البلدة	الجزائر
.6	أ.د. هاشمية حميد جعفر	جامعة الكوفة	العراق
.7	أ.د سهيلة طه محمد البياتي	جامعة تكريت	العراق
.8	أ.د فائزة عباس حميدي	أستاذة علم الدلالة في الجامعة المستنصرية	العراق
.9	أ.د رائف غنيمات	الكلية الجامعية العربية للتكنولوجيا	الأردن
.10	د عايد الظفيري	المعهد الأسترالي العربي للشؤون الاستراتيجية	أستراليا
.11	أ.د وفاء عمر السبيعي	جامعة الملك فيصل	السعودية
.12	د. هدى دياب أحمد الصالح	جامعة أم درمان الإسلامية	السودان
.13	د. فواز موفق ذنون	جامعة الموصل	العراق
.14	أ.دسلمى عبد الرزاق عبد لايذ الشبلاوي	جامعة كربلاء	العراق
.15	د. ترتيل تركي الدرويش	جامعة بيروت العربية	لبنان
.16	أ.د حازم جري الشمري	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	العراق
.17	أ.د عامر فياض	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	العراق
.18	أ.م.د محمد هاني فرحات	الجامعة الاسلامية – بيروت	لبنان
.19	د. أحمد دلول	مركز ابن العربي للبحوث	فلسطين
.20	أ.م.د مسار عربي جاسم	جامعة القادسية	العراق
.21	م.د.حوراء عبد صبر	جامعة الامام جعفر الصادق	العراق
.22	د.هديل عبد الجواد حسن	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	العراق
.23	أ.د.صادق جعفر عبد الحسين	كلية الاداب – جامعة ذي قار	العراق
.24	ا.م .د محمود كاظم الغزي	ذي قار	العراق
.25	د. نوفل رحمن الجبوري	القادسية	العراق
.26	أ. م د رحمن حسين حسين	ميسان	العراق

شروط النشر في المجلة:

1. أن يكون البحث أكاديمياً، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية.
2. أن يكون مطبوعاً على الحاسوب بنظام (office Word) على قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد، وتزود هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية.
3. أن لا تزيد صفحات البحث عن 25 صفحة، مطبوعة بحجم الخط 14، ونوع الخط Simplified Arabic للغة العربية وخط Times News Roman للانكليزية.
4. يكتب الاسم ومكان العمل باللغتين العربية والانكليزية.
5. يكتب ملخص للبحث باللغتين العربية والانكليزية، وتدرج الكلمات المفتاحية بعد كل ملخص.
6. يدخل البحث نظام كشف الاستدلال الإلكتروني على وفق برنامج (Turnitin).
7. يُفضل أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية الضرورية، ويُراعى ألا تتجاوز أبعاد الأشكال والجداول حجم الصفحة (11) سم.
8. أن يكون البحث ملتزماً بدقة التوثيق، وحسن استعمال المصادر والمراجع، وتثبيت هوامش البحث ومراجعه في نهاية البحث .
9. ألّا يكون البحث قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي جهة أخرى.
10. تحتفظ المجلة بحقها في إخراج البحث وإبراز عناوينه بما يتناسب وأسلوبها في النشر.
11. ترسل البحوث على الايميل: KKrz55@yahoo.com.
12. يلتزم الباحث بدفع أجور النشر المحددة .
13. يدفع الباحث دولاراً واحداً عن كل صفحة إضافية تزيد عن 25 صفحة.
14. لا يجوز الاعتراض على التقويم، ولا يجوز المطالبة بكشف اسم المقوم.
15. لا تلتزم المجلة بنشر البحوث التي تخل بشرط من هذه الشروط.

في هذا العدد		
كلمة العدد	بقلم رئيس التحرير	8
المقاصد القرآنية المرتبطة بأهل الإيمان والتَّوحيد في سورة آل عمران _دراسة موضوعية_	م.م أوس رعد مكي دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية	23-10
قَرِينَةُ الرُّتْبَةِ دِراسَةٌ فِي المَفْهُومِ وَالتَشْكِيلِ وَ الأَنْماطِ	م.د نغم أحمد حميد كريم/ديوان الوقف السني / دائرة التعليم الديني و الدراسات الاسلامية	38-24
عتبة العنوان الخارجي في شعر سيف الرحبي	أ.د وليد شاكر نعاس/ الباحثة حياة بعنون سواري جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانية	63-39
المفارقة في كتاب مصارع العشاق	الباحث بسام سهب عبدالنبي بإشراف أ.د علي عبدالامام مهلهل الاسدي جامعة ذي قار \كلية الاداب	81-64
الأثر الارتدادي للحكم القضائي	م.م. ليث حيدر عجة/م.م. زياد مجيد جبار وزارة التربية – المديرية العامة لتربية القادسية	92 -82
الاطار القانوني الدولي والداخلي لمكافحة الفساد المالي والاداري في العراق	الباحث: غانم صحن زعير/ طالب ماجستير في القانون الدولي/كليةالقانون/جامعة قم اشراف: د. غلام علي قاسمي/دكتوراه في القانون الدولي/كلية القانون/جامعة قم/د. اسعد كاظم وحيش الصالحي/ دكتوراه في القانون العام/كلية القانون/جامعة ذي قار	117- 93
حياد القاضي الدستوري في الإثبات إيجاباً وسلبا	ثامر مُحَمَّد اسماعيل/ باحث دكتوراه	126 -118
الرصد البيئي لتلوث تربة مدينة الناصرية وضواحيها/ العراق	ا.م.د عباس زغير محيسن المرياني/ جامعة ذي قار / كلية الاداب / قسم الجغرافية / العراق	151 -127
الدلالات التعبيرية للمشهد الثوري في الفن (غرض الرثاء أنموذجاً)	الباحثة :حنين مُحَمَّد عبيد سلطاني/ أ.د. فاطمة عمران راجي الخفاجي/ جامعة بابل/ كلية الفنون الجميلةالتربية للعلوم الانسانية	162 -152
العراق تحت حكم السلالة السيفيرية الرومانية	م م . مهدي نجم عبيد/دائرة التعليم الديني	167- 163

(192_235م)	والدراسات الاسلامية – الوقف السني	
الحماية الفرنسية على كمبوديا (1863– 1925) والموقف الوطني منها	الأستاذ المساعد الدكتور حيدر عبد العالي جبر كلية الآداب / جامعة ذي قار	168–190
العلاقة السببية بين الخطأ والضرر في انتاج و توزيع المواد الخطرة	برزان جياد جاسم ماجستير في القانون الخاص	191–219
دراسة طيف الفلوة بالحث بالليزر LIF للأوساط الفعالة الليزرية	الاستاذ المشرف د. لازم حسين عبود السيلاوي الباحثتان : رغد ستار كريم عبدالله / هدى كريم شوجان عبود دانه/ جامعة بابل/ كلية العلوم للبنات/ قسم فيزياء الليزر	220– 228
شكاوى أهالي ولاية الإحساء ضد تجاوز الولاة والإداريين العثمانيين/ (دراسة من خلال الوثائق العثمانية في البلاد العربية للفترة: 957–972هـ/ 1550–1565م)	الدكتورة / رابعة مزهر شاكر كلية القانون/ جامعة الفراهيدي	229– 241
نماذج من تاريخ المليشيات في الولايات المتحدة الأميركية 1775–1969	م. د. علاء عربي غانم الموسوي وزارة التربية – المديرية العامة لتربية محافظة البصرة	242– 250
نماذج من معالم بغداد العمرانية من خلال رحلة ابن جبير وابن بطوطة	م.م. عبد القدوس محمود شهاب ديوان الوقف السني/دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية	251– 256
منهج الوحي في الإعلام والمناظرة	م.د أسماء مُحَمَّد عباس دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية	257– 279
Protection Guarantees For Underage Marriage	Lecturer.Dr Hind Fayez Ahmed Al-Hassoun/ Ass.Lecturer . Ahmed Jabbar Makhzoumi	280– 286

كلـــمة العـــدد

بتوفيق من الباري عزّ وجلّ، وبإيمان كبير بما للعلم من فضائل على الأمة جمعاء؛ كونه المعيار الحقيقي لتقدم الأمم. وتطبيقا للأهداف التي وضعها مركزنا (مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات، إذ تضمن جملة من الأهداف، كان من بينها تشجيع روحية البحث العلمي بوسائل متاحة تتمثل بعقد مؤتمرات علمية تخدم الباحثين العرب عموماً، الأمر الذي جعلنا نفكر بتأسيس مجلة علمية محكمة تعني بالبحوث العلمية والإنسانية تحمل اسم (مجلة كامبريدج حيث خصصنا لها موقعاً إلكترونياً متوفراً على شبكة الأنترنيت، لكي يتمكن الباحثون من تصفحه ومراسلتنا عليه للاستفسار عن موعد نشر البحوث واستقبالها، فضلاً عن القيام بتطبيق برنامج الاستلال (Turintin) على جميع بحوث أعداد المجلة ... وقد تم تكليف لجان علمية رفيعة مختصة بهذا المجال.

نضع أمامكم هذا العدد 17 من المجلة الذي يضم باقة من البحوث العلمية والإنسانية المتنوعة واسمحوا لنا أن نخرج من محارتنا، فإن كنا لؤلؤة فخير على خير، وإن لم نكن كذلك، فالكل يعلم أن اللؤلؤة تكونت بفعل حبات الرمل، آملين أن ننال رضاكم، وأن يكون عملنا خالصاً لوجه الله والعلم وبمستوى طموح الخيرين بنا. نفتح قلوبنا قبل عقولنا ونحن نستقبل بحوثكم ونتاجاتكم وأفكاركم آملين منكم التعاون المثمر، والله الموفق.....

رئيسة مجلس الادارة

معتمدة في الترقيات العلمية حسب كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير الرقم ب ت ٤/ ١١١٧٦ في ٢٧/ ١١/ ٢٠١٩

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN–2536–0027

المقاصد القرآنية المرتبطة بأهل الإيمان والتَّوحيد في سورة آل عمران _دراسة موضوعية_

م.م أوس رعد مكي
دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية
Emil: owsmohmed4@gmail.com

الملخَّص

إن هذا بحث بعنوان: **"المقاصد القرآنيَّة المرتبطة بأهل الإيمان والتوحيد في سورة آل عمران- دراسة موضوعيَّة_**، دفعني إلى إعداده ارتباطُه الوثيق بكتاب الله تعالى وبيان معانيه وأحكامه، والمساهمة بحلقة من حلقات تَّفسير مقاصد القرآن الكريم, واخترت سورة آل عمران تحديدًا لجمعها على مباني التَّوحيد والقِيم والأخلاق, وقد نظمتُ البحث في مقدِّمة ومبحثين وخاتمة خلصتُ إلى أنَّ المقاصد القرآنيَّة في سورة آل عمران متنوِّعة لاشتمالها على توجيه المجتمع المؤمن بخصال الخير والإيمان والتَّشريع، إلى جانب تضمُّنها التَّحذير لهذا المجتمع من مكر اليهود والنَّصارى وكشف صفاتهم وبيان عقائدهم الباطلة وتزييفها, وأوصي بضرورة عقد مؤتمرات علميَّة تُلقي الضَّوء على المقاصد القرآنيَّة في القرآن عامَّة, ولا سيَّما في سورة آل عمران لما تحتويه من أخبار عن أهل الكتاب وكشف خباياهم ونقض مذاهبهم.

Abstract

This is a research entitled: “The Qur’anic Objectives Associated with the People of Faith and Unity in Surat Al Imran - An Objective Study.” It prompted me to prepare it, as it is closely related to the Book of God Almighty and to clarify its meanings and provisions, and to contribute to one of the episodes of interpreting the purposes of the Noble Qur’an, and I chose Surat Al Imran specifically to collect it on the premises of monotheism. I organized the research into an introduction, two chapters and a conclusion, and I concluded that the Qur’anic purposes in Surat Al Imran are diverse because they include guiding the believing society in the qualities of goodness, faith and legislation, in addition to including a warning to this community against the cunning of Jews and Christians, revealing their characteristics and clarifying their false beliefs, and recommending and falsifying them. Holding scientific conferences that shed light on the Qur’anic purposes in the Qur’an in general, especially in Surat Al Imran, because it contains news about the People of the Book, revealing their secrets and refuting their doctrines.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

المقدّمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۜ [1]، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن سلك طريقهم إلى يوم الدين وبعد:

إنَّ أشرف العلوم على الإطلاق هو علوم القرآن المجيد, الذي أنزله المولى ﷻ على نبينا محمد (ρ), فأنار به قلوباً من ظلمة الكفر قد اسودَّت, وأجساماً من لُجَج المعاصي قد غرِقت, وآذاناً من سماع الهوى قد أنصمت؛ فلذلك كان علم التفسير أولى العلوم بالاهتمام؛ لأنَّهُ أساسُ العلوم وألصقها بكتاب ربنا جل في علاه, وإنَّ القرآن الكريم بحرٌ زاخرٌ لا ساحلَ لهُ؛ لأنَّه مجمع العلوم والمعارف, وبغية الموافق والمخالف, وفي عصرنا تشتد الحاجة إليه؛ لأنَّه يجمع لنا الآيات القرآنية, ويبين ما يتعلق بها من حِكم وأسرار, وكلٌ يُدْلي بدلوه وقد أكرمني الله يوم أن اخترت بأن يكون دلوي في مسيرة التفسير بموضوع (**المقاصد القرآنية المرتبطة بأهل الإيمان والتَّوحيد في سوره (آل عمران) – دراسة موضوعية**), لكي أسهم في إثراء مكتبة التفسير, وفي تقويم قسم من المجتمعات والأفراد بهذا الموضوع لما به من حاجة ماسَّة في حياة الأمة الإسلامية عامة والفرد خاصة, وقد تتابعت الآيات في سورة آل عمران تحمل في مضامينها مقصدًا شرعيًّا عظيمًا.

أسباب اختيار الموضوع:

أما أسباب اختيار هذا الموضوع فيمكن تلخيصها بالآتي:-

1- ارتباطه الوثيق بكتاب الله تعالى، وبيان معانيه وأحكامه، وفضل تلاوته وفهمه.
2- المساهمة بحلقة من حلقات تَّفسير مقاصد القرآن الكريم.
3- استجماع سورة آل عمرانَ لمباني التَّوحيد والقِيم والأخلاق، محفِّزٌ مباشِرٌ لاختيارها والتَّطبيق عليها، والبحث عن حلول لمشكلاتنا الحياتيَّة في القرآن الكريم من خلال المنهج الرَّبَّانيّ.

أهمِّيَّة الموضوع:

تظهر أهمية هذا الموضوعَ كونه يتعلَّق بفهم مراد الله سبحانه وتعالى من الآيات الكريمة، وبيانه للنَّاس، بغيةَ السَّير على وَفق المنهج القرآنيّ الذي يكمن فيه التخلص من مشكلات الحياة المعاصرة، والذي إذا ما تمسَّكنا به سلمنا في الدَّارين، وأي فوز للمسلم أكبر من هذا, ويأتي البحثُ كاشفًا عن أغراض سورة آل عمران بهدفِ التَّيسير على تاليها أن يحيط بأبعادها ومراميها.

إن الهدف من هذا الموضوع هو تلخيص ما تضمَّنْته سورةُ آل عمرانَ من مقاصدَ عظيمةٍ، ترمي إلى إصلاح حالنا ومجتمعنا وأوطاننا، لكي نبقى على المَحجَّةِ لا نزيغ عنها, ويمكن إيجاز الأهداف فيما يأتي:

1- معرفة مقاصد الآيات والعمل بها سبيلاً إلى الالتزام بمضمون التفكُّر والتَّدبُّر المأمور به في الكتاب العظيم.
2- بيان إعجاز النَّظم القرآنيّ في وضعِه كلَّ آيةٍ مكانَها، ومناسبتها لهذا المكان.
3- ربط حياة المسلم بالقرآن الكريم، وتأكيد أنَّ القرآنَ الكريم صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكان.

الدِّراسات السَّابقة:

الدِّراسات القرآنيَّة لسورة آل عمران كثيره ومتنوِّعة، وشملت دراستها عقديًّا، ونحويًّا وبلاغيًّا، ومنها:

1- المرفوعات في القرآن الكريم دراسة دلالية بلاغية- سورة آل عمران نموذجًا، وصال وليد الهويمل، رسالة ماجستير، مقدمة إلى جامعة مؤتة، قسم اللغة العربية وآدابها، سنة 2013م.

2- القضايا العقدية في سورة آل عمران، لندا كمال محمود السوسي، رسالة ماجستير، مقدمة إلى كلية أصول الدين، بالجامعة الإسلامية في غزة، سنة 1439هـ/2017م.

هذا، ولئن وُجد بحثٌ في خصوص مقاصد سورة آل عمران، فإنّي لم أطَّلع عليه.

المنهج المعتمد:

إن المنهج الذي يعتمد عليه البحث هو المنهج الاستنباطي الاستقرائي التحليلي, وقد تم مراعاة الآتي:

1-الالتزام بأهداف التفسير الموضوعي لبيان موقف القرآن الكريم في هذا الموضوع من خلال سورة ال عمران.

2-دراسة آيات السورة دراسة موضوعية من أمات كتب التفسير.

3-الاستشهاد بالأحاديث النبوية الصحيحة وأقوال أهل العلم التي تدعم مقصود البحث.

4-الابتعاد عن الحشو و الاستطراد والاكتفاء بالمختصر المفيد الذي يؤدي الغرض.

الخطة المتبعة:

نظمتُ البحث في مقدّمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس علميَّة، على الوجه الآتي:

المقدّمة، وفيها: أسباب اختيار الموضوع، وأهمِّيّته، وإشكاليّته، وأهميته, والدِّراسات السَّابقة، والصُّعوبات التي واجهت الباحث, والمنهج المعتمَد, والخطَّة المتَّبعة.

المبحث الأوَّل: الدَّعوة إلى ثبات الأُمَّة وقول الحق.

المطلب الأوَّل: الدَّعوة إلى ثبات الأُمَّة.

المطلب الثَّاني: الدَّعوة إلى الثبات على قول الحقّ.

المبحث الثَّاني: التَّنديد بأهل الكتاب والتَّحذير من طاعتهم, وبيان حال المؤمنين مع ربهم.

المطلب الأوَّل: التَّنديد بأهل الكتاب والتَّحذير من طاعتهم.

المطلب الثَّاني: بيان حال المؤمنين مع ربِّهم.

الخاتمة، وفيها: أهمُّ النَّتائج، والتَّوصيات.

الفهارس العلميَّة، وتشتمل على أربعة فهارسَ، هي: فهرس الآيات القرآنيَّة، وفهرس الأحاديث النَّبويَّة، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات والمحتويات.

التَّمهيد

القرآن الكريم نبراس كل مسلم ونوره المضيء في حياته يستمد من معانيه العميقة ويتذوق حلاوة تلاوته وفهم معانيه التي بعث الله بها للإنسان ليهتدي بهديه ويقتدي بتعاليمهُ السامية في كل زمان ومكان.

تعد « سورة آل عمران هي السورة الثالثة في ترتيب المصحف إذ تسبقها في الترتيب سورتا الفاتحة والبقرة, وتبلغ آياتها مائتي آية, وهي مدنية باتفاق العلماء, وسميت بسورة آل عمران، لورود قصة (آل عمران) بها بصورة فيها شيء من التفصيل الذي لا يوجد في غيرها » [2].

« هي سُورة مدنية وهي مائتا آية وثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون كلمة وأربعة عشر ألفاً وخمسمائة وعشرون حرفاً» [3].« ذكر أهل التفسير أنها مدنيّة، وأن صدراً من أوّلها نزل في وفد نجران، قدموا على النبيّ ρ في ستّين راكباً، فيهم العاقب، والسّيّد، فخاصموه في عيسى، فقالوا: إن لم يكن ولد الله، فمن أبوه؟ فنزلت فيهم صدر آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها» [4], هذه السورة ورد في فضلها آثار وأخبار،

فمن ذلك ما جاء أنها أمان من الحيات، وكنز للصعلوك، وأنها تحاج عن قارئها في الآخرة، ويكتب لمن قرأ آخرها في ليلة كقيام ليلة، إلى غير ذلك[5]. قال رسول الله ρ « أقْرَءوا الزَّهْراوَيْنِ الْبَقَرَةَ, وسُورَةَ آلِ عِمْرانَ فإنَّهُما تأْتيانِ يومَ القِيامَةِ كأنَّهُما غَمامَتانِ أو كأنَّهُما غيايتان, أو كأنَّهُما فِرْقانِ مِن طَيْرٍ صَوافَّ تُحاجَّانِ عن اصْحابِهِما»[6]. حديثٌ صحيح

وقد ذكر العلماء أسماء أخرى لهذه السورة فهي تسمى بسورة الزهراء، لأنها كشفت عما التبس على أهل الكتاب من شأن عيسى(عليه السّلام), وتسمى بسورة الأمان، من تمسك بها أمن الغلط في شأنه, وتسمى بسورة الكنز لتضمنها الأسرار التي تتعلق بعيسى عليه السّلام, وتسمى بسورة المجادلة، لنزول أكثر من ثمانين آية منها في شأن مجادلة الرسول ρ لوفدي نصارى نجران, ونرى من الخير قبل أن نبدأ في تفسير هذه السورة الكريمة بالتفصيل أن نذكر على سبيل الإجمال ما اشتملت عليه من توجيهات سامية، وآداب عالية، وأحكام جليلة، وتشريعات قويمة, إنك عند ما تفتح كتاب الله تعالى, وتطالع سورة آل عمران تراها تثبت أن المستحق للعبادة إنما هو الله وحده، وتقيم البراهين الساطعة على ذلك, ثم بعد أن مدحت أصحاب العقول السليمة لقوة إيمانهم، وشدة إخلاصهم وكثرة تضرعهم إلى خالقهم سبحانه وبشرتهم بحسن العاقبة, بعد أن فعلت ذلك ذمت الكافرين وتوعدتهم بسوء المصير, ثم تحدثت عن الشهوات التي زينت للناس، وبينت ما هو خير منها، وصرحت بأن الدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده هو دين الإسلام، وأن أهل الكتاب ما تركوا الحق الذي جاءهم به محمد ρ إلا بسبب ما أستولى على قلوبهم من بغي وجحود[7].

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ρ قال:« ما مِن مَوْلُودٍ يُولَدُ إلَّا والشَّيْطانُ يمسه حِينَ يُولَدُ, فَيَسْتَهِلُّ صارِخاً مِن مَسِّ الشَّيْطانِ إيَّاهُ إلَّا مَرْيَمَ وابْنَها, ثُمَّ يقولُ أبو هُرَيْرَةَ: واقْرَءوا إنْ شِئْتُمْ: (وإنِّي أُعيذُها بكَ وذُرِّيتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ»[8].حديثٌ صحيح

المبحث الأول

الدَّعوة إلى ثبات الأُمَّة وقول الحق

يلحظ أن هنالك نصوصٌ كثيرة توالت في القرآن الكريم تبشِّر أهل الإيمان والتوحيد بالثبات وإعلاء كلمة الحق, حيث تمر الأمة بمراحل حرجة من حروب وفتن ربما لو فكر بها العاقل لشردَ ذهنهُ وأنخلع قلبهُ مما يرى, وإن الثبات على الحق والتمسك به من صفات المؤمنين، وقد صنف هذا المبحث إلى الآتي:

المطلب الأوَّل: الدعوة إلى ثبات الأُمَّة:

قال الله تعالى: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ [9]. **(لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا)** لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وأرشدتنا لدينك, ولا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا, **(مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً)** من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة [10]**(رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا)**, أي: لا تملها عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ، الذين يتبعون ما تشابه من القرآن ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم، ودينك القويم,**{وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ}**, أي: من عندك (**رَحْمَةً**) تثبت بها قلوبنا، وتجمع بها شملنا، وتزيدنا بها إيماناً وإيقاناً[11].

ويبدو أن من أسباب الثبات على الطاعة والخير هو ترك الذنوب والمعاصي صغيرها وكبيرها؛ لأنها سبب من أسباب زيغ القلوب.

قال رسول الله ρ: **«إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء» ثم قال رسول الله ρ: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»**[12].

وقوله تعالى: رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ [13].أي: أهنتهُ وأظهرت فضيحتهُ لأهل الموقف, وسر هذا الإتباع عظم موقع السؤال، لأن من سأل ربه حاجة، إذا شرح عظمها

وقوتها، كانت داعيته في ذلك الدعاء أكمل، وإخلاصه في طلبه أشد، والدعاء لا يتصل بالإجابة، إلا إذا كان مقرونا بالإخلاص، وهذا أيضا تعليم من الله تعالى فنّاً آخر من آداب الدعاء (**وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** تذييل لإظهار نهاية فظاعة حالهم، وبيان خلود عذابهم، بفقدان من ينصرهم، ويقوم بتخليصهم, وغرضهم تأكيد الاستدعاء[14].

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [15], أي: وليكن منكم أيها المؤمنون الذين مَنَّ الله عليهم بالإيمان والاعتصام بحبله (**أُمَّةٌ**) أي: جماعة (**يدعون إلى الخير**) وهو اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله ويبعد من سخطه (**ويأمرون بالمعروف**) وهو ما عرف بالعقل والشرع حسنه (**وينهون عن المنكر**) وهو ما عرف بالشرع والعقل قبحه، وهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، وأن الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به فكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به[16].

وقوله تعالى: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [17], إنها دعوة إلى كلمة مستوية لا التواء فيها (**أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ**) وهذا أمر لا جدال فيه، ثم (**وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا**) أي لا ندخل معه من لا يقدر على الارتفاع إلى جلال كماله، فالعقول السليمة ترفض كلمة الشرك؛ لأن الشرك يكون على ماذا هل الشرك على خلق الكون؟ إن كل مخلوق أشركوه في الألوهية إنما جاء من بعد أن خلق الله الكون, أو يكون الشرك على إدارة هذا الكون, إذا كان هذا هو السبب في الشرك فهو أتفه من أن يكون سبباً لأن الحق سبحانه قادر على إدارة هذا الكون، وأنزل منهجاً إذا ما اتبعه الإنسان صار الكون منسجماً، إذن فأي شرك لا لزوم له, وإن كان والعياذ بالله له شريك وتمتع إله ما بقدرات خاصة فهذه القدرات تنقص من قدرات الإله الثاني, وهذا عجز في قدرة هؤلاء الآلهة، ولهذا يحسم الحق هذا الأمر بقوله في هذه الآية[18].

وقوله تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33) [19]. يريد رؤساء اليهود والنصارى (**أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ**) يعني: يريد هؤلاء إبطال دين الله الذي جاء به محمد ρ بتكذيبهم إياه, وقيل المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته ﷺ وهي أمور أحدها المعجزات الباهرات الخارقة للعادة التي ظهرت على يد النبي ρ الدالة على صدقه وثانيها القرآن العظيم الذي نزل عليه من عند الله فهو معجزة له باقية على الأبد دالة على صدقه وثالثها أن دينه الذي أمر به هو دين الإسلام ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والثناء عليه والانقياد لأمره ونهيه واتباع طاعته والأمر بعبادته والتبريء من كل معبود سواه فهذه أمور نيرة ودلائل واضحة في صحة نبوة محمد ρ فمن أراد إبطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سعيهُ, وبطلَ عملهُ ثم إن الله سبحانهُ وتعالى وعد نبيهُ محمد عليه الصلاة والسلام بمزيد النصر وإعلاء الكلمة وإظهار الدين وكان ذلك واضحاً؛ إذ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ , يعني ويأبى الله إلا أن يعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسوله محمداً ρ ولو كره ذلك الكافرون[20], وإن قدوتنا في ذلك رسول الله ρ فقد لاقى ما لاقى, ومع ذلك كان أشَّد ثباتاً حتى بلّغَ رسالة ربه على أتم وجه.

المطلب الثاني: الدعوة إلى الثبات على قول الحقّ:

إن الثبات على الحق هو مطلب كل مؤمن لاسيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه الابتلاءات والفتن والمحن بكل أنواعها وتنوعت وسائل الإضلال والإفساد حتى أصبح القابض على دينهِ كالقابض على جمره. لقوله تعالى: أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ [21].

قولهُ تعالى: يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ [22], المراد بالقول الثابت الشهادتان اللتان يقر بهما المؤمن من أعماق قلبه، ويشهد عليهما كل جوارحه ومشاعره، وهكذا إذا فتن الذين آمنوا في الدنيا ثبتهم الله بالقول الثابت، فلم يسلبوا بعد العطاء ولم يزلوا، وإذا فتنوا في الآخرة ثبتهم الله بالقول الثابت فلم ينسوا ولم يضلوا[23]

إِنَّ المُؤمنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبرِهِ، وَرجعَ عَنهُ أَصحَابهُ أَتاهُ ملكٌ فأجلَسهُ، ثُمَّ يَقولُ لَهُ: منْ رَبكَ؟ فَيَقولُ: اللَّهُ، ثمَّ يقولُ فَما دِينكَ؟ فَيقولُ: الإسلامُ، ثُم يقولُ: فمنْ نَبيكَ؟ فيقُولُ محمد، فيقالُ لهُ: صَدقتَ، ثمَّ يُفتحُ لهُ بابٌ إلى النَّار، فَيقالُ لَهُ: انْظُرْ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي لَو أنكَ كُنتَ كَذَّبْتَ صِرْتَ إِلَيْها؛ قدْ أَعَاذكَ اللَّهُ مِنها، ثُمَّ يُفتحُ لهُ بابٌ إِلَى الجنةِ فَيقالُ لَهُ انظُر هذهِ الجنةُ، ويعرضُ عليهِ مَنْزلهُ فيها ثُمَّ يُوسعُ لهُ قبرهُ، فلا يزالُ يَأتِيهِ مِنْ رِيح الْجَنَّة وبَردهَا حَتَّى تَأتِيهُ السَّاعَةُ[24].

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [25],وهو أَنْ يُطاع فلا يُعصى ويُذكر فلا يُنسى ويشكر فلا يكفر[26]. وقال عز وجل: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [27], يعني بذلك جل ثناؤه: وتعلقوا بأسباب الله جميعاً, يريدُ بذلك تعالى ذكره: وتمسَّكوا بدين الله الذي أمركم بهِ، وعهدهُ الذي عَهده إليكم في كتابهِ إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله[28].

وقال تعالى: **وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** [29], تسلية للمؤمنين، وحث على الاقتداء بهم، والفعل كفعلهم، وأن هذا أمر قد كان متقدما، لم تزل سنة الله جارية بذلك، فقال: (**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ**) أي: وكم من نبي (**قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ**) أي: جماعات كثيرون من أتباعهم، الذين قد ربتهم الأنبياء بالإيمان والأعمال الصالحة، فأصابهم قتل وجراح وغير ذلك,(**فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا**),أي: ما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت أبدانهم، ولا استكانوا، أي: ذلوا لعدوهم، بل صبروا وثبتوا، وشجعوا أنفسهم[30]، ولهذا قال سبحانهُ:(**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**).

وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [31], اصبروا على الدين وتكاليفه وَصابِرُوا أعداء الله في الجهاد، أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبراً منهم وثبات[32].

ويقال اصبروا بنفوسكم وصابروا بقلوبكم، ورابطوا بأسراركم, ويقال اصبروا على ملاحظة الثواب، وصابروا على ابتغاء القربة، ورابطوا في محل الدنوّ والزلفة, على شهود الجمال والعزّة, والصبر مرّ مذاقه إذا كان العبد يحتساه على الغيبة، وهو لذيذ طعمه إذا شربه على الشهود والرؤية, **(وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** أي: الفلاح الظّفر بالبغية، وهمّتهم اليوم الظفر بنفوسهم، فعند ذلك يتم خلاصهم، وإذا ظفروا بنفوسهم ذبحوها بسيوف المجاهدة، وصلبوها على عيدان المكابدة، وبعد فنائهم عنها يحصل بقاؤهم بالله[33].

ويرى الباحث أن هنالك آيات كثيره تدعو المسلمين للثبات على قول الحق وعدم الضعف والتخاذل تحت أي ظرف؛ لأن الثبات أمر خطير ومصيري, فالسورة تحذر من عوامل تزلزل إيمان المؤمن, وتقلل من قدرته على الثبات, فالتعلق بمتاع الدنيا الزائل وشهواتها الفانية عامل خطير ضد ثبات الأمة.

المبحث الثَّاني

التَّنديد بأهل الكتاب والتَّحذير من طاعتهم وبيان حال المؤمنين مع ربه

إن القرآن الكريم نزل من فوق سبع سموات للعمل به أمراً ونهياً, فبعد أن وبخ الله سبحانه وتعالى اليهود والنصارى على مكرهم وخداعهم وتظليلهم للمؤمنين وتوعدهم على ذلك, نادى المؤمنين محذراً إياهم من الوقوع في شباك المظللين من اليهود والنصارى.

المطلب الأول: التَّنديد بأهل الكتاب والتَّحذير من طاعتهم:

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ [34], قال السديّ[35]: نزلت في قوم من اليهود، سعوا بين أوس وخزرج بالفساد، وذكّروهم من الأحقاد والأوتار، فأنزل الله تعالى ذلك، وتلاه عليهم النبي ρ فأحجموا عما هَمّوا[36].

فقال تعالى: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [37], أي: وكيف تكفرون أيها المؤمنون بعد إيمانكم بالله ورسوله، فترتدّوا على أعقابكم, وأنتم تتلى عليكم آيات الله يعني: حججُ الله عليكم التي أنزلها في كتابه على نبيه محمد ρ وفيكم رسوله, حجةٌ أخرَى عليكم لله، مع آيات كتابه، يدعوكم جميع ذلك إلى الحقّ، ويبصّركم الهدَى والرشاد، وينهاكم عن الغيّ والضلال؟ ويقول لهم تعالى ذكرهُ فما وجه عُذْركم

عند ربكم في جحودكم نبوَّة نبيّكم، وارتدادكم على أعقابكم، ورجوعكم إلى أمر جاهليتكم، إنْ أنتم راجعتم ذلك وكفرتم، وفيه هذه الحجج الواضحة والآياتُ البينة على خطأ فعلكم ذلك إن فعلتموه [38].

وقوله تعالى: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [39] قل يا محمد، لأهل الكتاب، وهم أهل التوراة والإنجيل تعالوا هلموا إلى كلمة سواء، يعني: إلى كلمة عدلٍ بيننا وبينكم، وكلمة العدل، هي أن نوحّد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه، فلا نشرك به شيئًا, (**وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا**)، يقول: ولا يدين بعضُنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معصية الله، ويعظّمه بالسجود له كما يسجدُ لربه فإن تولوا، يقول: فإن أعرضوا عما دعوتَهم إليه من الكلمة السواء التي أمرُتك بدعائهم إليها، فلم يجيبوك إليها فقولوا، أيها المؤمنون، للمتولّين عن ذلك اشهدوا بأنا مسلمون[40].

وقال الله تعالى: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ [41].

قيل الخطاب لعلماء أهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد ρ وقيل الخطاب لجميع أهل الكتاب اليهود والنصارى الذين أنكروا نبوتهِ (**لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**) يعني الآيات الدالة على نبوته ρ, أنه حق وصدق والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق نبوته وقيل المراد بآيات الله القرآن ومحمد ρ (**وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ**) أي: والله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها[42].

بعد أن أورد سبحانه الأدلة على نبوة محمد ρ بما جاء في التوراة والإنجيل من البشارة بمقدمهِ، ثم ذكر شبهات القوم وكرّ عليها بالحجة، ونقضها بما ليس بعده زيادة لمستزيد, أردف ذلك خطابهم بالكلام اللين،

وبدأهُ بعنوان كونهم أهل الكتاب مما يوجب الإيمان به وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في تكذيبهم له، إذ هم قد فعلوا ذلك على علم[43].

وقال الله تعالى: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [44], يعني لم تصرفون عن دين الله من آمن وكان صدهم عن سبيل الله بإلقاء الشبهة والشكوك وذلك بإنكارهم صفة محمد ρ في كتبهم تَبْغُونَها عِوَجاً، زيغاً وميلاً عن الحق, لم تطلبون الزيغ والميل في سبيل الله بإلقاء الشبه في قلوب الضعفاء وَأَنْتُمْ شُهَداءُ, قيل معناه وأنتم تشهدون المعجزات التي تظهر على يد محمد صلّى الله عليه وسلّم الدالة على نبوته (**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**)؛ فيه وعيد وتهديد لهم وذلك أنهم كانوا يجتهدون ويحتالون بإلقاء الشبهة في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق بمحمد ρ [45], فلذلك قال الله تعالى: (**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**).

المطلب الثاني: بيان حال المؤمنين مع ربّهم:

قال تعالى وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) [46] , أمرهم تعالى بالمسارعة إلى مغفرته وإدراك جنته التي عرضها السماوات والأرض، فكيف بطولها، التي أعدها الله للمتقين، فهم أهلها وأعمال التقوى هي الموصلة إليها، ثم وصف المتقين وأعمالهم، فقال: (**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ**) أي: في حال عسرهم ويسرهم، إن أيسروا أكثروا من النفقة، وإن أعسروا لم يحتقروا من المعروف شيئاً ولو قل, (**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**) أي: إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم وهو إمتلاء قلوبهم من الحقد، الموجب للإنتقام بالقول والفعل، هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ، ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم, (**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**) يدخل في العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمةً بهم، وإحساناً إليهم، وكراهة لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنهُ، ويكون أجرهُ على ربهِ الكريم، لا على العبد الفقير[47].

وقال تعالى الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [48] , أي: يذكرونهُ دائماً على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين فإن الإنسان لا يخلو عن هذه الهيئات غالباً, (**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**) : يعنى يعتبرون في خلقهما, وإنما خصص التفكر بالخلق, ونهى عن التفكر في الخالق؛ لأن معرفة حقيقتهُ المخصوصة غير ممكنة للبشر فلا فائدة لهم في التفكر في ذات الخالق, ولما كان الإنسان مركباً من النفس والبدن كانت العبودية بحسب النفس وبحسب البدن فأشار الى عبودية البدن بقوله: (**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ**), فإن ذلك لا يتم الا باستعمال الجوارح والأعضاء وأشار إلى عبودية القلب والروح[49] بقوله: (**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**) .

وقال تعالى: رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ [50], أي: داعياً يدعو إلى الإيمان وهو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا**) أي يقول هذا الداعي أيها الناس آمنوا بربكم واشهدوا له بالوحدانية فصدقنا بذلك واتبعناه { **رَبَّنَا**

فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) أي استر لنا ذنوبنا ولا تفضحنا بها(**وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا**) أي امح بفضلك ورحمتك ما ارتكبناه من سيئات (**وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَار**) أي ألحقنا بالصالحين[51].

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [52], عرض قضية إيمانية تتعلق بموقف المسلمين المؤمنين بالله وبتصديق رسوله في معترك الحياة ثم عرض للقضية الإيمانية حين يثوب المؤمن المتخاذل إلى منهج ربه, وبعد أن ينتهي من هذه، يقول الحق: (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**) أي ما من آمنتم بما تقدم إيماناً بالله، وتصديقاً بكتابه، وتصديقاً برسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتمحيصاً للحق مع أهل الكتاب جميعاً، تمحيصاً لا جدلياً نظرياً, فيا من آمنتم بالله إيماناً صادقاً صافياً، استمعوا إليّ يا من آمنتم بي «اصبروا» وهذا أمر، و « **وَصَابِرُوا** » أمر ثان، و « **وَرَابِطُوا** » أمر ثالث، و « **وَاتَّقُوا اللَّهَ** » أمر رابع, إنها أربعة أوامر، والغاية من هذه الأوامر هي (**لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) إذن فمن عشق الفلاح فعليهِ أن ينفذ هذه الأربعة: (اصبر، صابر، رابط، اتق الله)، لعلك تفلح, والحق سبحانهُ وتعالى حين يعبر عن الفلاح إنما يعبر بأمر مشهود مُحس للناس جميعاً[53].

الخاتمة

بعد الدراسة والتتبع في سورة آل عمران، توصلت إلى النَّتائج منها على النحو الآتي:

1- اختيار الله سبحانه وتعالى لمن يشاء من عباده لحمل الرسالة.
2- الإيمان المطلق بوجود الله سبحانه والعمل بما يقتضي من توحيد ونهي المؤمنين من موالاه الكافرين.
3- المقاصد القرآنيَّة في سورة آل عمران، اشتملت على الارتباط الوثيق بين الإيمان وتقوى الله حيث لا يكون الا بالطاعة وتصديق الرسول ρ .
4- بيان فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
5- بيان خيرية هذه الأمة وتفضيلها على باقي الامم والتحذير من أخطاء السابقين.
6- بيان أهل الكتاب على حقيقتهم من خلال المقاصد القرآنية.
7- فضل الاعتصام بحبل الله كونه الهادي الى الطريق القويم.

وفي الختام أسأله تعالى ان يوفقني لخدمة كتابه العزيز وان يتقبل مني هذا الجهد الذي كان بتوفيق منه سبحانه, والله الموفق والهادي الى سواء السبيل.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

المصادر والمراجع

القران الكريم

- ابن أبي زَمَنِين, أبو عبد الله محمد بن عبد الله, (ت: 399هـ), **تفسير القرآن العزيز**, تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز, الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة, ط1, 1423هـ - 2002م.
- ابن الجوزي, جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي, (ت: 597هـ), **زاد المسير في علم التفسير**, تح: عبد الرزاق المهدي, دار الكتاب العربي - بيروت, ط:1, 1422 هـ
- ابن كثير, إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: 774هـ): **تفسير القرآن العظيم**, تح سامي بن محمد سلامة, دار طيبة للنشر والتوزيع, ط2, 1420هـ - 1999م.

- أبو الفداء, إسماعيل حقي بن مصطفى, (ت: 1127هـ), **روح البيان**, دار الفكر – بيروت.
- الخازن, علاء الدين علي بن محمد (ت: 741هـ): **لباب التأويل في معاني التنزيل**, تح تصحيح محمد علي شاهين, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1415هـ.
- الراغب الأصفهانى, أبو القاسم الحسين بن محمد, (ت: 502هـ), **تفسير الراغب الأصفهاني**, تح: محمد عبد العزيز بسيوني, كلية الآداب - جامعة طنطا, ط:1: 1420 هـ - 1999 م.
- الزمخشري, محمود بن عمرو بن أحمد (ت: 538هـ): **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**, دار الكتاب العربي, بيروت, ط3, 1407هـ.
- السعدي , عبد الرحمن بن ناصر, (ت: 1376هـ), **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**, تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق, مؤسسة الرسالة, ط:1, 1420هـ -2000 م.
- الشعراوي , محمد متولي (ت: 1418هـ), **تفسير الشعراوي – الخواطر**, مطابع أخبار اليوم.
- الصابوني, محمد علي, **صفوة التفاسير**, دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة, ط:1، 1417 هـ - 1997 م.
- الطبري, محمد بن جرير بن يزيد, (ت: 310هـ), **جامع البيان في تأويل القرآن**, تح: أحمد محمد شاكر, مؤسسة الرسالة, ط:1، 1420 هـ - 2000 م.
- طنطاوي, محمد سيد, **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**, دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة, ط:1
- القاسمي, محمد جمال الدين, (ت: 1332هـ), **محاسن التأويل**, تح: محمد باسل عيون السود, ط:1, 1418هـ.
- القرطبي, أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد, (ت: 671هـ), **الجامع لأحكام القرآن**, تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, دار الكتب المصرية – القاهرة,ط:2، 1384هـ - 1964 م
- القشيري, عبد الكريم بن هوازن, (ت: 465هـ), **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**, تح: إبراهيم البسيوني, الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر, ط:3.
- المراغي, أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ), **تفسير المراغي**, شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر, ط:1، 1365 هـ - 1946 م.
- الناصري, محمد المكي, (ت: 1414هـ), **التيسير في أحاديث التفسير**, دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان, ط1, 1405 هـ - 1985 م.
- الواحدي , أبو الحسن علي بن أحمد, (ت: 468هـ), **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**, تح: صفوان عدنان داوودي, دار القلم , الدار الشامية - دمشق، بيروت, ط: 1، 1415 هـ.

Sources and references

Holy Quran

- Ibn Abi Zamanin, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah, (d.: 399 AH), Interpretation of the dear Qur'an, ed: Abu Abdullah Hussein bin Okasha - Muhammad bin Mustafa Al-Kenz, Al-Farouk Al-Haditha - Egypt / Cairo, 1st Edition, 1423 AH - 2002 AD.

- Ibn Al-Jawzi, Jamal Al-Din Abu Al-Faraj Abdul Rahman bin Ali, (d.: 597 AH), Zad Al-Masir in the Science of Interpretation, Tah: Abdul Razzaq Al-Mahdi, Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, 1st edition, 1422 AH
- Ibn Kathir, Ismail bin Omar bin Katheer Al-Qurashi (d. 774 AH): Interpretation of the Great Qur'an, Tah Sami bin Muhammad Salama, Dar Taiba for Publishing and Distribution, 2nd Edition, 1420 AH - 1999 AD.
- Abu Al-Fida, Ismail Haqqi bin Mustafa, (d.: 1127 AH), Rouh Al-Bayan, Dar Al-Fikr - Beirut.
- Al-Khazen, Alaa Al-Din Ali bin Muhammad (d.: 741 AH): The door of interpretation in the meanings of the download, corrected by Muhammad Ali Shaheen, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1st Edition, 1415 AH.
- Al-Ragheb Al-Isfahani, Abu Al-Qasim Al-Hussein bin Muhammad, (d.: 502 AH), Tafsir Al-Ragheb Al-Isfahani, Tah: Muhammad Abdul Aziz Bassiouni, Faculty of Arts - Tanta University, Edition: 1: 1420 AH - 1999 AD
- Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Amr bin Ahmed (d. 538 AH): Scout for the facts of the mysteries of the download, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, 3rd Edition, 1407 AH.
- Al-Saadi, Abdul Rahman bin Nasser, (d.: 1376 AH), Facilitating Al-Karim Al-Rahman in the interpretation of the words of Al-Manan, Tah: Abdul Rahman bin Mualla Al-Luwaihaq, Al-Resala Foundation, 1st edition, 1420 AH-2000 AD.
- Al-Shaarawy, Muhammad Metwally (d.: 1418 AH), Interpretation of Al-Shaarawy - Al-Khawatir, Akhbar Al-Youm Press.
- Al-Sabouni, Muhammad Ali, Safwa Al-Tafsir, Dar Al-Sabouni for Printing, Publishing and Distribution - Cairo, 1st Edition, 1417 AH - 1997 AD.
- Al-Tabari, Muhammad bin Jarir bin Yazid, (d.: 310 AH), Jami' Al-Bayan fi Ta'wil Al-Qur'an, Tah: Ahmed Muhammad Shaker, Al-Resala Foundation, 1st Edition, 1420 AH - 2000 AD
- Tantawi, Mohamed Sayed, The Intermediate Interpretation of the Holy Quran, Dar Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution, Faggala – Cairo, 1st Edition

- Al Qasimi, Muhammad Gamal Al-Din, (d.: 1332 AH), The merits of interpretation, Tah: Muhammad Basil Oyoun Al-Sud, I: 1, 1418 AH.
- Al-Qurtubi, Abu Abdullah Shams al-Din Muhammad bin Ahmed, (d.: 671 AH), The Collector of the provisions of the Qur'an, Tah: Ahmed Al-Bardouni and Ibrahim Atfaish, Egyptian House of Books - Cairo, 2nd edition, 1384 AH - 1964 AD
- Al-Qushayri, Abdul Karim bin Hawazen, (d.: 465 AH), Latif Al-Arat = Tafsir Al-Qushayri, Tah: Ibrahim Al-Bassiouni, Egyptian General Book Authority - Egypt, i: 3.
- Al-Maraghi, Ahmed bin Mustafa (d.: 1371 AH), Tafsir Al-Maraghi, Mustafa Al-Babi Al-Halabi and Sons Library and Press Company in Egypt, 1st Edition, 1365 AH - 1946 AD.
- Al-Nasiri, Muhammad Al-Makki, (d.: 1414 AH), Al-Tayseer fi Hadiths of Interpretation, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut - Lebanon, 1st Edition, 1405 AH - 1985 AD
- Al-Wahidi, Abu Al-Hasan Ali bin Ahmed, (d.: 468 AH), Al-Wajeez fi Tafsir Al-Kitab Al-Aziz, Tah: Safwan Adnan Dawoodi, Dar Al-Qalam, Al-Dar Al-Shamiya - Damascus, Beirut, Edition: 1, 1415 AH.

([1]) سورة الكهف:الآية1.

([2]) طنطاوي, محمد سيد, **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**, دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة, ط:1, 5/2.

([3]) الخازن, علاء الدين علي بن محمد, (ت: 741هـ), **لباب التأويل في معاني التنزيل**, تح: محمد علي شاهين, دار الكتب العلمية – بيروت, ط:1, 1415 هـ, 223/1.

([4]) ابن الجوزي, جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي, (ت: 597هـ), **زاد المسير في علم التفسير**, تح: عبد الرزاق المهدي, دار الكتاب العربي - بيروت, ط:1, 1422 هـ, 257/1.

([5]) القرطبي, أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد, (ت: 671هـ), **الجامع لأحكام القرآن**, تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, دار الكتب المصرية – القاهرة,ط:2، 1384هـ - 1964 م, 2/4.

([6]) رواه مسلم في صحيحه: **المسند الصحيح المختصر**, باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة, رقم الحديث (804),553/1

([7]) طنطاوي, محمد سيد, **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**, 2/ 6,5.

([8]) رواه البخاري في صحيحه: **الجامع المسند الصحيح المختصر- صحيح البخاري**, باب وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم, رقم الحديث (4548),34/6.

([9]) سورة آل عمران, الآية: 8.

([10]) الزمخشري, محمود بن عمرو بن أحمد (ت: 538هـ): **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**, دار الكتاب العربي, بيروت, ط3, 1407هـ,339/1.

([11]) ابن كثير, إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: 774هـ): **تفسير القرآن العظيم**, تح سامي بن محمد سلامة, دار طيبة للنشر والتوزيع, ط2, 1420هـ - 1999م,13/2.

([12]) رواه مسلم في صحيحه: **المسند الصحيح المختصر**, باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء, رقم الحديث (2654), 2045/4.

[13] سورة آل عمران, الآية: 192.
[14] القاسمي, محمد جمال الدين, (ت: 1332هـ), **محاسن التأويل**, تح: محمد باسل عيون السود, ط1, 1418هـ, 482/2.

[15] سورة آل عمران, الآية: 104.
[16] السعدي, عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ), **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان,** تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق, مؤسسة الرسالة, ط1, 1420هـ -2000 م, 142/1.
[17] سورة آل عمران, الآية: 64.
[18] الشعراوي , محمد متولي (ت: 1418هـ), **تفسير الشعراوي – الخواطر**, مطابع أخبار اليوم, 1522/3.
[19] سورة التوبة, الآية: 32-33.
[20] الخازن, علاء الدين علي بن محمد, **لباب التأويل في معاني التنزيل**, 353/2.
[21] سورة العنكبوت, الآية: 2.
[22] سورة إبراهيم الآية: 27.
[23] الناصري, محمد المكي, (ت: 1414هـ), **التيسير في أحاديث التفسير**, دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان, ط1, 1405 هـ - 1985 م, 262/3.
[24] ابن أبي زَمَنِين, أبو عبد الله محمد بن عبد الله, (ت: 399هـ), **تفسير القرآن العزيز**, تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز, الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة, ط1, 1423هـ - 2002م, 369/2.
[25] سورة آل عمران, الآية: 102.
[26] الواحدي , أبو الحسن علي بن أحمد, (ت: 468هـ), **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**,تح: صفوان عدنان داوودي, دار القلم , الدار الشامية - دمشق، بيروت, ط: 1، 1415 هـ, 225/1.
[27] سورة آل عمران, الآية: 103.
[28] الطبري, محمد بن جرير بن يزيد, (ت: 310هـ), **جامع البيان في تأويل القرآن,** تح: أحمد محمد شاكر, مؤسسة الرسالة, ط:1، 1420 هـ - 2000 م, 70/7.
[29] سورة آل عمران, الآية: 146.
[30] السعدي , عبد الرحمن بن ناصر, **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**, 151/1.
[31] سورة آل عمران الآية: 200.
[32] ابن أبي زَمَنِين, أبو عبد الله محمد بن عبد الله, **تفسير القرآن العزيز**, 343/1.
[33] القشيري, عبد الكريم بن هوازن, (ت: 465هـ), **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**, تح: إبراهيم البسيوني, الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر, ط:3.
[34] سورة آل عمران, الآية: 100.
[35] السُدي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُدي الكوفي, أصله حجازي, سكن الكوفة, وكان يقعد في سدة باب الجامع بالكوفة, فسمي السُدي, روى عن أنس بن مالك وعبد الله بن عباس, له أحاديث يرويها عن عدة شيوخ, (ت:127هـ).
[36] الراغب الأصفهاني, أبو القاسم الحسين بن محمد, (ت: 502هـ), **تفسير الراغب الأصفهاني**, تح: محمد عبد العزيز بسيوني, كلية الآداب - جامعة طنطا, ط:1: 1420 هـ - 1999 م, 751/2..
[37] سورة آل عمران, الآية: 101.
[38] الطبري, محمد بن جرير بن يزيد, **جامع البيان في تأويل القرآن**, 61/7.
[39] سورة آل عمران, الآية: 64.
[40] الطبري, محمد بن جرير بن يزيد: **جامع البيان في تأويل القرآن**, 483/6.
[41] سورة آل عمران, الآية: 98.
[42] الخازن, علاء الدين علي بن محمد: **لباب التأويل في معاني التنزيل**, 275/1.
[43] المراغي, أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ), **تفسير المراغي**, شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر, ط:1، 1365 هـ - 1946 م, 11/4.
[44] سورة آل عمران, الآية: 99.
[45] الخازن, علاء الدين علي بن محمد: **لباب التأويل في معاني التنزيل**, 275/1.
[46] سورة آل عمران الآية: 133-134.
[47] السعدي, عبد الرحمن بن ناصر: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**, 148/1.
[48] سورة آل عمران الآية: 191.
[49] أبو الفداء, إسماعيل حقي بن مصطفى, (ت: 1127هـ), **روح البيان**, دار الفكر – بيروت, 145/2.
[50] سورة آل عمران الآية: 193.

([51]) الصابوني, محمد علي, **صفوة التفاسير**, دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة, ط:1، 1417 هـ - 1997 م, 231/1.
([52]) سورة آل عمران الآية: 200.
([53]) الشعراوي, محمد متولي, (ت: 1418هـ), **تفسير الشعراوي – الخواطر**, مطابع أخبار اليوم, 1970/4.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

قَرِينَةُ الرُتْبَةِ دِراسَةٌ فِي المَفْهُومِ وَالتَشْكِيلِ وَ الأَنماطِ

م.د نغم أحمد حميد كريم
ديوان الوقف السني / دائرة التعليم الديني و الدراسات الاسلامية
na2395252@gmail.com

مُلَخصُ البَحْثِ

الحَمدُ للهِ الذي أَنزلَ عَلَيْنا القُرآنَ ، وَ مَنَحنا العَقلَ وَ البَيانَ، وَصَلى الله عَلى خَيرَ الأَنامَ عَربيُّ اللِسانِ، سَيدنَا وَنَبينَا وَشَفيعَنا مُحمد وَ عَلى آلهِ وَصَحبِهِ الطَيبينَ الطاهَرينَ ما تَوالتْ الدُهورُ، وَ مَرتْ الأزمانُ.

امَّا بعد ...

تَكمنُ أهمية هذهِ الدراسة فِي بَيانِها فَهمُ الكَلامِ وَ الأَغراضِ المَقصُودةِ مِنْ التَقديمِ وَ التَأَخيرِ الذي يَحدثُ فِي الآياتِ القُرآنيةِ وَ الشِعرِ وَ غَيره مِن كَلامِ العَربِ ، وَ الإفادة مِن كُل مَرحلةِ مِن مَراحِلَ التأليف اللغوي ، وَ بيان ما إذا كانَ هُناكَ عِلاقةٌ لِقَرينةِ الرُتبَةِ بَين عِلمِ النِحو وَ عِلم المَعانِي ، وَ هذا ما سَيثْبته البحث إن شاءَ اللهُ تعالى.

عالجَ البَحثُ فِي ثَنياه قَرينةُ الرُتبة ، وَ اقتضتْ طَبيعةُ الدراسَة أَنْ يُقسَّم على ثلاثةِ مَباحِث تَسبقهم مُقدمة وَ تَليهم خاتمة وَ ثَبت بالمصادرَ وَ المراجِعَ التي استعنتُ بها فِي هذهِ الدِراسَة، تَناولتُ فِي المَبحث الأَول: التَعريف بِقَرينَةِ الرُتبةِ لَغةً وَ اصطلاحاً ، وَ ذَكرتُ فِيهِ أَنواعَ الرَتبَةِ ، وَ كذلِكَ العِلاقَةُ بَين عِلمِ النَحو وَ عِلم المَعاني لِما فِيهِما مِنَ تَداخُل وَتَرابط ، أَمَّا المَبحثُ الثاني فَخَصصتُهُ لِلحَديثِ عَنْ قَرينة الرُتبة المَحفوظةِ وَحدَهُا عِندَ القُدَماءِ وَ المُحدثين وَ ذَكرتُ أَغراض التقديم وَ التأَخير فِيها ، وَ خَصصتُ المَبحث الثالث لِلحديثِ عَنْ قَرينة الرَتبة غيرَ المحفوظةِ وَ مَفهومها عِندَ القُدماءِ وَالمُحدثينَ ، فضلاً عَن أَغراضِها وَ أَنواعَ التقديم فيها، وَمما يُذكر وَيُشار إليه أَني لَمْ أَتطرقْ إلى المَفهوم العام لِلقرينةِ ، فالدراسات السابقة أُشبعت المَوضوع فِي البحثِ وَالدراسةِ، وَ إِنَّما اكتفيتُ بِتخصيص البحثِ لِلحديثِ عَنْ قَرينة الرُتبة لأنها محور الدراسة وَ لا حاجةَ لِلإطالةِ وَ التَكرار ، وَ مِنَ اللهِ العونَ و التوفيق.

Abstract

Praise be to God who sent down the Qur'an to us, and bestowed upon us the intellect and eloquence, and may God's peace and blessings be upon the best of creatures, the Arabic of the tongue, our master, our prophet, and our intercessor, Muhammad, and upon his family and his good and pure companions, as long as the ages have passed, and the times have passed.

But after...

The importance of this study lies in its explanation of the understanding of speech and the intended purposes of the introduction and delay that occur in the Qur'anic verses, poetry and other Arab speech, and the benefit from each stage of linguistic composition, and an indication of whether there is a relationship to the presumption of rank between grammar and semantics, and this What the research will prove, God willing.

The research dealt with the presumption of rank, and the nature of the study necessitated that it be divided into three sections preceded by an introduction

and followed by a conclusion, and proved by the sources and references that were used in this study. Grammar and semantics due to their overlapping and interconnectedness, so the science of meanings is the son of grammar. As for the second topic, I devoted it to talking about the presumption of the preserved rank alone with the ancients and modernists, and mentioned the purposes of introduction and delay in it. About its purposes and the types of presentation in it, and from what is mentioned and indicated that I did not touch on the general concept of presumption, the previous studies saturated the topic in research and study, but I was satisfied with allocating the research to talk about the presumption of rank because it is the focus of the study and there is no need for prolongation and repetition, and from God help and success.

المبحث الأول

الرتبة مفهومها و أنواعها

أولاً: الرتبة لغة: الرتبة عند الخليل(175هـ) من ((المراتب في الجبال والصحاري من الأعلام التي يرتب عليها العيون و الرقباء))[1] ، و عند الفارابي (393هـ): المَرْتَبَة[2] ، و عند ابن منظور(711هـ): الثبات والدوام، ويتضح ذلك في قوله: ((رَتَبَ: رَتَبَ الشيءُ يَرْتُبُ رتُوباً، وتَرَتَّبَ: ثَبَتَ فَلَمْ يَتَحَرَّكْ ، يُقَالُ: رَتَبَ رُتُوبَ الكَعْبِ أَي انْتَصَبَ انْتِصابَه؛ ورَتَّبَه تَرتِيباً: أَثْبَتَه)) [3] ، أما عند الزبيدي(ت 1205هـ): فتدل على المنزلة الرفيعة [4] .

ثانياً: قرينة الرتبة اصطلاحاً: يتضح المفهوم الاصطلاحي للرتبة فيما حده الجرجاني (471هـ) ، فهي عنده: ((جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم واحد، ويكون لبعض أجزائه نسبة إلى البعض بالتقدم والتأخر))[5] ، و عند تمام حسان: ((قَرينةٌ لفظيةٌ وعلاقة بين جزأين مرتبين من أجزاء السياق ، يدل موقع كل منهما من الآخر على معناه)) [6] ، وتعني موقع الكلمة في جملتها، أي أنَّ رتبة الفاعل التقدم على المفعول ، ورتبة المفعول التأخر عن الفاعل ورتبة المبتدأ أن يتقدم على الخبر ورتبة الخبر أن يتأخر عن المبتدأ [7] ، أي أن تلاحظ موقع الكلمة في التركيب الكلامي، إذ تتعلق الرتبة تعلقاً مباشراً بالتركيب [8] ، فهي قرينة نحوية ووسيلة اسلوبية ، تدل في النحو على المعنى ، وفي الاسلوب وسيلة إبداع وتقليب عبارة ولها معنى أدبي [9] ، و لا يمكن إغفال حاجة المتكلم والمستمع إلى معرفة القوانين التي تحتاجها اللغة وتسير عليها عبر ما يكنه من معارف خافية تؤدي إلى فهم النصوص وقبولها أو رفضها إن كان الكلام غير موافق للنمط اللغوي الصحيح[10] ، وترد هذه القرينة كثيراً مع المبنيات دون غيرها[11] ، فضلاً عن هذا فإنَّ لقرينة الرتبة مكانة مهمة في التركيب الإسنادي ، فهي تميز الجملة الإسمية عن الجملة الفعلية[12] ، وَتخضعُ لمطالبَ أمن اللبسِ ، وقد يؤدي ذلك إلى أَنْ تنعكسَ الرتبة بين الجزأين المرتبين بها ، ويَكونُ ذلك أيضاً إذا كانتْ الرتبة وعكسها مناط معين يتوقف أحدهما على الرتبة والآخر على عكسها كقولنا: قام زيد و زيد قام[13] ، وتزداد أهميتها في اللغات الخالية من الإعراب[14] ، فيكون القياس بحسب موقع الكلمة في السياق ((فإذا كانت في الموقع أدى تواجدها إلى المعنى المقصود ، و إن كانت نابية عنه خارجة على العرف اللغوي فإنَّ ذلك يؤدي إلى اللبس الذي تدعو اللغات جميعاً إلى الابتعاد عنه))[15] .

ثالثاً: أنواع قرينة الرتبة: اعتنى الجرجاني بقرينة الرتبة وعدها من ضروريات التركيب اللغوي ، إذ قال: ((والترتيب ضروري في التركيب اللغوي أداء ما يقصد به من التعبير عن الأفكار الذهنية أو العلاقات الاجتماعية بدون التزام دقيق لترتيب معين يشمل صيغ هذا التركيب و مفرداته كلها))[16] ، ونراه يقسم الرتبة على نوعين هما: الرتبة المحفوظة، والرتبة غير المحفوظة، ويتضح ذلك في قوله: ((واعلم أَنَّ تقديمَ الشيءِ على وجهين: تقديم يُقال أَنه على نيةِ التأخيرِ (ويُقصد الرتبة غير المحفوظة) وتقديم لا على نية التأخير ويقصد الرتبة المحفوظة))[17] .

وهذا ما أشارَ إليه تَمامُ حسان قائلاً: ((وأما الترتيب فإنهُ وَضعُ العلاماتِ المنطوقةِ أو المكتوبة في سياقها الاستعمالي حسب رتب خاصة تَظهرُ بها فوائد التقديم والتأخير الذين كانا مَوضع عناية فائقة من لدن عبد القاهر،

وكذلك يظهر بهذا الترتيب ما كان من الرتب محفوظًا أو غير محفوظ))[18] ، ونراه يميل إلى ما ذكره الجرجاني ، قائلاً : ((أميلُ إلى الاعتقادِ أَنَّ عبدَ القاهر حينَ صاغَ اصطلاحه " الترتيب" قَصَدَ به شيئين أولهما ما يَدرسهُ النحاة تَحتَ عنوان" الرتبة" ، وثانياً ما يَدرسهُ البلاغيون تَحتَ عنوان " التقديم والتأخير" ، ولكن دراسة التقديم والتأخير في البلاغة دراسة اسلوب التركيب لا التركيب نفسه)) [19]، وتتصل الرتبة بفكرة الحيز إذ يقال بحسب الرتبة إن أحد العنصرين وقع في حيز العنصر الآخر إما حقيقة وإما حكماً، فتكون الرتبة محفوظة إذا وقع أحد العنصرين في حيز الآخر بحسب اللفظ في كل الأحوال ، أما إذا وقع في ذلك الحيز حُكماً أي بحسب الأصل فالرتبة غير محفوظة، أي يمكن أن تتخلف بحسب الدواعي الأسلوبية [20] .

رابعاً: العلاقة بين علم النحو وعلم المعاني:

يشترك علم النحو وعلم المعاني في بعض الموضوعات كأحوال المسند والمسند إليه ((فنجد بأن النحوي وصاحب علم المعاني يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع وتلك دلالة عامة ، وصاحب علم المعاني ينظر في فضيلة تلك الدلالة ، وهي دلالة خاصة ، والمراد بها أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن ، وذلك أمر وراء النحو والإعراب ، وقد أخذت أقسام النحو من واضعها بالتقليد حتى لو عكست القضية فيها ينصب الفاعل و رفع المفعول ونحو ذلك))[21].

ومن الجدير بالذكر أنَّ علم النحو ينظر فيما ينظر فيه علم المعاني من الحذف والتقديم والتأخير وغير ذلك من جهة بيان وجود صحتها و امتناعها ، وأما علم المعاني فينظر فيها من جهة بيان الوجوه التي ترجح بعضها على بعض [22].

المبحث الثاني

قرينة الرتبة المحفوظة

الرتبة المحفوظة قرينة لفظية مختصة بالنحو تحدد معنى الأبواب المرتبة بحسبها كَتقديمِ الموصول على الصلةِ ، والموصوف على الصفةِ، والمعطوف على المعطوفِ عليه ، و التوكيد على المؤَكَد، والبدل على المبدلِ منه، والتمييز على الفعلِ ، ونحوَ ذلك من الأساليبِ النحويةِ [23]،و تحدد هذه القرينة معنى الأبواب المرتبة بحسبها بحيث لو اختلت لاختل الترتيب باختلالها [24]، وعند الحديث عن الرتبة المحفوظة لابد من الإشارة إلى دور القدماء والمحدثين فيها.

أولاً: عند القدماء:

لقد اعتنى القدماء بالرتبة عناية كبيرة ، تَحتَ عنوان التقديمِ والتأخيرِ ، وتقديم ما حقه التأخير ، و يعد سيبويه (ت 180هـ) أول من ذكر هذه الظاهرة في باب الذي يتعداه فعله إلى مفعول ، إلا أنه لم يصرح بها ، و استشهد بالمثال النحوي الآتي : (ضرب عبد الله زيداً) ، قائلاً: ((و إنْ قَدّمتَ المفعول و أَخرتَ الفاعل جَرى اللفظُ ما جَرى في الأولِ وَ ذلكَ قولكَ: (ضَرَبَ زيداً عبدُ الله) لأَنكَ إنما أَردتَ بِهِ مُؤخراً ما أردتَ به مقدماً ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخراً في اللفظ، فمن ثم كان حد اللفظ فيه أن يَكونُ الفاعل مقدماً وَهوَ عربيٌ جيدٌ كثير))[25] ، ويرى ابن السراج (ت 316هـ) محددات الرتبة على النحو الذي يفصح عنه قائلاً: ((إنَّ مرتبةَ العامل قَبل المعمول فيهِ مَلفوظاً بِهِ أو مقدر))[26]، وقد تنبه ابن جني(ت 392هـ) إلى مسألة الرتبة المحفوظة، و تحدث عنها في القول على الإعراب[27] ،وجعل لها باباً سماه بـ(بابٌ في نَقضِ المراتبِ إذا عَرَضَ هُناكَ عارض)، إذْ قالَ: ((ألا تعلم أَنَّ الفاعلَ رُتبَتَهُ التقدم والمفعول رُتبَتَهُ التأخر ، فقد وقع كل منهما الموقع الذي هو أولى به فليس لك أن تعتقد في الفاعل وقد وقع مقدماً إن إضافة الفاعل إلى ضمير المفعول وفساد تقدم المضمر على مظهره لفظاً ومعنى))[28] ، ومثاله في ذلك هو: ((أكل يحيى كمثرى ، لك أن تقدم وأن تؤخر كيف شئت))[29]، فلا يجوز تَقديمُ المضاف إليهِ على المضافِ ، ولا شيء مما اتصل به ، ولا يجوز تقديم الجواب على المُجاب شرطًا كان أو قسمًا أو غيرهما, فلا يمكنك القول: أَقُمْ إن تَقُمْ, فأما قولك: أقوم إن قمت, فـ(أقوم) ليس جوابًا للشرط, ولكنه دال على الجواب, أي: إن قمتَ قمتُ, ودلت أقوم على قمت ، وكذلك قولك: أَنتَ ظالمٌ إنْ فَعلتَ، أَي: إنْ فَعلتَ ظَلمتَ، فَحُذِفَتْ "ظَلمتَ" وَ دَلَ قَولكَ: "أَنتَ ظالمٌ" عَليهِ [30].

ثانياً: عند المحدثين:

أشار المحدثون إلى دور القدماء وعنايتهم في مسألة الرتبة عناية فائقة ، إذ جعلوا الكلام عبارة عن رتب تسبق بعضها البعض[31] ، وهذا ما أشار إليه عبده الراجحي قائلاً: ((و الحق أن العرب القدماء قد عنوا بهذه الظاهرة عناية بالغة، و أخذوا يحكمون القوانين التي تنظمها ، فبحثوا قضية " التقديم والتأخير" وتأثيرهما على تركيب الجملة من حيث الإعمال أو الإلغاء، ومن حيث التغيير الدلالي))[32] ، وتعد الرتبة المحفوظة عند المحدثين الركيزة التي يقوم عليها تحديد الوظائف النحوية في اللغة العربية، فهي الموقع الأصلي الذي ينبغي للوظيفة النحوية أن تتخذه بالنسبة للوظائف الأخرى المرتبطة بها بعلائق نحوية تركيبية[33] ، ولها دور مهم في ترتيب المواقع داخل الجملة [34] ، فَهيَ بِشكلٍ عامٍ ظاهرةٌ من الظواهرِ الشكليةِ التي تساعد على تحديدِ مواقع الكلمةِ بينَ أقسام الكلام عن طريق تحديد معنى الأبواب النحوية أي ملاحظة موقع الكلمة في التركيب الكلامي ، ثم معرفة وظائفها [35] .

ويختلف ترتيب الكلام من لغة إلى لغة اخرى وهذا ما أشار إليه عبده الراجحي قائلاً : ((إن لكل لغة ترتيبها الخاص، ولكن المهم هو أن نعرف الترتيب في البنية العميقة أولاً ثم نبحث عن القوانين التي تحكم تحول هذا الترتيب إلى أنماط مختلفة في الكلام الفعلي على السطح ، ومن الملاحظ أن كل عناصر الجملة معرضة لتغيير مكانها وإن كان ذلك أكثر ما يكون في ما يسميه العرب "فضلة" كالمفاعيل والحال والظروف وغير ذلك))[36] ، أما علاقة الترتيب فهي التي تحكم نسق التتابع بين الأبواب النحوية في الجملة: أي تتابع المبتدأ فالخبر في الجملة الإسمية ، وتتابع الفعل فالفاعل فالمفعول به في الجملة الفعلية، والرتبة مقولة نحوية ثابتة لا يعرض لها تغيير ويمكن أن نسميها الموقع النحوي [37] ، وفي هذا السياق قال ابراهيم مصطفى: ((فأول ذلك أنهم يقولون إنَّ الفاعل يجب أن يتأخر على الفعل لا يتقدمه بحال ، أما المبتدأ فإنَّ أصله التقديم ، وربما جاء متأخراً ، فللمبتدأ من الحرية في الجملة ما ليس للفاعل))[38] ، وأكمل حديثه قائلاً : ((هذا حكم النحاة أو جمهورهم ، أما الاسلوب العربي ، فإنك تقول: ظهر الحق، والحق ظهر، تقدم المسند إليه أو تأخر ، وكلا الكلامين عربي سائغ مقبول عند النحاة جميعاً ، ولكن النحاة والبصريين خاصة يحرمون أن يتقدم لفظ الحق في : ظهر الحق، وهو فاعل ، كما يحرمون أن يتأخر المبتدأ من : الحق ظهر: وهو مبتدأ ، فالحكم إذن نحوي صناعي لا أثر له في الكلام ، وليس مما يصحح به اسلوب أو يزيف، و إنما هو من أوجه الصناعات النحوية المتكلفة لا يعنينا أن نلتزمه بل نحب أن نتحرر منه))[39].

ثالثاً: مواقع قرينة الرتبة المحفوظة:

أحصى ابن السراج (ت 316هـ) مواقع الرتبة المحفوظة قائلاً : الأَشياءُ التي لا يَجوزُ تَقديمها ثَلاثةُ عَشَرَ سَنذكرها، ...، وهي:

1. الصلة على الموصول
2. المضمر على الظاهر .
3. الصفة على الموصوف.
4. جميع توابع الاسم .
5. المضافُ إليه على المضافِ، وما عملَ فيهِ حرف أو اتصل به حرفٌ زائدٌ لا يقدم على الحرف
6. وَ ما شُبِهَ مِنْ هذهِ الحروف بالفعلِ فَنَصَبَ وَ رَفَعَ فلا يقدم مرفوعه على منصوبه،
7. الفاعل لا يقدم على الفعل
8. الأفعال التي لا تتصرف لا يُقدَمُ عليها ما بَعدها،
9. الصفاتُ المشبهةُ بأسماءِ الفاعلين،
10. الصفاتُ التي لا تشبه أسماء الفاعلين ،
11. الحروف التي لها صدر الكلام ، وما عمل فيه معنى الفعل فلا يقدم المنصوب عليه.
12. لا يقدم التمييز وما بعد إلا.
13. حروف الاستثناء لا تعمل فيما قبلها ولا يقدم مرفوعه على منصوبه، ولا يُفرقُ بَينَ الفعلِ العامل والمعمول فيه بشيءٍ لم يعمل فيه الفعل[40] ، وهذه ثابتة ولا يحق للمتكلم أن يتصرف في ترتيبها ،وهو ما يسمى بالتقديم لا على نية التأخير: وفي هذا النوع ينتقل حكم المقدم إلى غير حكم ويختلف إعرابه ، ومثال ذلك:

أ. أن يتساوى المبتدأ والخبر في التعريف، فيحتمل أن يكون أياً منهما هو المبتدأ ، نحو: (زَيدٌ المنطلق) ، أو (المنطلق زيد)، وَهَذا التقديم غَيَّرَ في الإعرابِ.

ب . نقل الإعراب من المفعول به إلى المبتدأ، نحو: (ضربتُ زيداً) و (زيدٌ ضربته) ، إن عملية تقديم(زيد)، نقلت الإعراب من المفعول بِهِ فِي الجملةِ الأولى إلى مبتدأ في الجملةِ الثانيةِ ، ويتم ذلك بعود الضمير[41] ، كذلك قوله تعالى: ﴿ واشتعل الرأس شيباً﴾[42]، فالشيب في الآية القرآنية الكريمة تمييز منصوب ، تحول عن الأصل في جملة (اشتعل شيب الرأس) ، فالشيب هنا فاعل ، وبهذا يتبدل الحكم النحوي للشيب بسبب تأخرها[43]، لذلك قال الجرجاني: أنْ ((تأخذ اللفظ فتسنده إلى الشيب صريحاً، فنقول: " اشتعل الرأس شيباً" أو "الشيب في الرأس" ثم تنظر هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة؟ وهل ترى الروعة التي كنت تراها؟ فإن قلت: فما السبب في أن كان (اشتعل) إذا استعير للشيب على هذا الوجه، كان له الفضل؟ ... ، فإن السبب أنه يفيد مع لمعان الشيب في الرأسِ الذي هوَ أصلُ المعنى الشمول ، و أَنَهُ قَد شاع فيهِ وَ أَخَذَ مِنْ نواحيهِ وَ أَنَهُ قَدْ استَغرَقَهُ وَ عَمَّ حمليه حتى لَمْ يَبقَ مِنْ السوادِ شيء))[44]

رابعاً: أغراض التقديم والتأخير في قرينة الرتبة المحفوظة:

ذكر سيبويه الغرض مِنَ التقديمِ العنايةِ والاهتمامِ ، ويتضح ذلك فِي قَولِهِ: ((كَأَنَّهُم يُقَدمونَ الذي بِبيانهِ أَهم لَهُم وَهُم بِبيانهِ أَعنى وَ إِنْ كَانَ جَميعاً يُهِمانِهم ويَعنِيانهم))[45] ، ولعل من أهم الأسباب التي تجعل العرب يلجأون إلى الرتبة ، غياب العلامة الإعرابية ، لتكون قرينة على معرفة الفاعل من المفعول ، فيقال مثلاً: زار موسى يحيى ، فينبغي التقييد هنا بتقديم الفاعل على المفعول ليؤمن اللبس فيُعرف أن موسى هو الفاعل[46]، أي عند مخالفة الجملة لأصولها وتعد هذه المخالفة من باب الرخصة النحوية [47].

خامساً : أنواع التقديم في قرينة الرتبة المحفوظة:

قسم اللغويون التقديم في الرتبة المحفوظة على قسمين ،هما:

1. التقديم في الجملة الإسمية:

تتكون الجمل الإسمية من مبتدأ وخبر ، وجاء هذا الترتيب على الأصل ، وقد يتقدم الخبر في حالات نذكر منها[48]:

أ. أن يكون المبتدأ نكرة كقولنا: عندك صديق، فلا يجوز تقديم المبتدأ (صديق) .

ب. أن يكون المبتدأ مشتملاً على ضمير يعود على جزء من الخبر، كقولنا: في الكلية طلابها، فالضمير الهاء يعود على جزء من الخبر وهو(الكُليةُ) ، ولا يعود الضميرُ على متأخر.

ت. أن يكون الخبر له الصدارة في الجملة، كأسماء الاستفهام ومثال ذلك قولنا: أين الكتاب؟

ث. أن يكون الخبر محصوراً في المبتدأ كقولنا: إنما في الكلية علي ، وما في الدار إلا زيدٌ.

2. التقديم في الجملة الفعلية:

الأصل في الجملة الفعلية أن تحتوي على فعل وفاعل إن كان لازماً ، ومفعول به إن كان متعدياً ، وقد يختلف هذا الترتيب ، بتقديم أحدهما على الآخر ، في حالات معينة ، وهي[49]:

أ. تقديم المفعول به على الفاعل ، وله حالات ثلاث:

أولاً: أن يشتمل الفاعل على ضمير يعود على المفعول به ، كقولنا: صان الثوب لابسه .

ثانياً: ان تأتي بعد الفاعل أداة حصر، كقولنا: لا ينفع المرء إلا العمل الحميد.

ثالثاً: إذا كان المفعول ضميراً متصلاً والفاعل اسماً ظاهراً، كقولنا: كافأني والدي.

ب. تقديم المفعول به على الفعل والفاعل معاً، وله حالتان، وهما[50]:

أولاً: أَنْ يَكونَ المفعولُ بِهِ مِنْ الأسماءِ التي لها الصدارةُ فِي الكلامِ ، كقولنا: أي طريقٍ سلكت؟ .

ثانياً: أَنْ يَكونَ المفعولُ بِهِ منصوب بجواب إما المُقْتَرن بفاءِ الجزاءِ ، كقوله تعالى : ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾[51] .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

المبحث الثالث

قرينة الرتبة غير المحفوظة

وصف الجرجاني (ت 471هـ) هذا الاسلوب وصفاً جميلاً راقياً ، فهو عنده: ((بابٌ كثيرُ الفوائدِ، جَمُّ المَحاسنِ، واسعُ التصرفِ، بَعيدُ الغايةِ، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لَكَ عَن بَديعةٍ، وَ يُفْضي بِكَ إلى لَطيفةٍ؛ وَ لا تَزال تَرى شِعراً يَروقُكَ مَسْمَعُهُ، وَ يَلْطُفُ لَديكَ مَوقِعُهُ، ثُم تَنظرُ فتجدُ سبَبَ أَنْ رَاقَكَ وَ لطُفَ عِندكَ، أَنْ قُدِّمَ فِيهِ شَيءٌ وَ حُوِّل اللفظُ عَن مَكانٍ إلى مَكانٍ))[52].

وَ الرتبةُ غَيرَ المحفوظةِ عِندَ تمامِ حسان: هي ((رتبة مجردة الذهن تمثل أصلاً من أصول النحو صالحاً لأن يُعدل عنه إلى ظاهرة التقديم والتأخير وهي ظاهرة مرتبطة بالأسلوب الذي هو عمل فردي في الأساس))[53] ، ومن هنا كان مدخل البلاغيين إلى موضوع علم المعاني [54]، الذي درسوه تحت عنوان "التقديمُ وَ التأَخيرُ" [55]، وَ عِندَ الحديثِ عَنْ قرينةِ الرتبةِ غير المحفوظةِ لابد من الإشارة إلى دور القدماء والمحدثين فيها.

أولاً : التقديم والتأخير عند القدماء:

يتضح مفهوم التقديم والتأخير فيما ذكره ابن السراج (ت 316هـ) قائلاً: ((وأما ما يجوز تقديمه فكل ما عَمِلَ فيهِ فِعلٌ مُتَصرفٌ أَو كانَ خَبرًا لِمُبتدأ سوى ما استثنيناه)) [56] - أراد بقوله (ما استثنيناه) أي مواقع الرتبة المحفوظة- ،وهي تغير موقع الكلمةِ في تركيبِ الكلامِ بتقديم الكلماتِ أو تأخيرها ، ولا يتبع ذلك التغيير تغييراً في الحكم النحوي ، و أشار الجرجاني (ت471هـ) إلى مسألة الرتبة قائلاً: ((إنَّ اللفظ تبع للمعنى في النظم و أن الكلمة ترتب في النطق بسبب ترتيب معانيها في النفس))[57]، ولم يبتعد ابن يعيش (ت 643هـ) عما ذكره السابقون ، إذ قال: و لو ((اقتصر في البيان على حفظ المرتبة فيعلم الفاعل بتقدمه والمفعول بتأخره لضاق المذهب ولم يوجد من الاتساع بالتقديم والتأخير ما يوجد الإعراب))[58]

ولا بد من الإشارة إلى أنَّ اسلوب التقديم والتأخير عند الزركشي(ت 794هـ) هو : ((أحد أساليب البلاغة فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم وله في القلوب أحسن موقع و أعذب مذاق))[59]

ثانياً: التقديم والتأخير عند المحدثين :

أطلق المحدثون تسمية الرُتبة غَير المحفوظةِ على اسلوب التقديمِ وَ التأخيرِ ، وَ هيَ: ((رتبة في نظام اللغة لا في استعمالها ؛ لأنّها في الاستعمال معرضة للقواعد النحوية من حيث عود الضمير ثم للاختيارات الأسلوبية من التقديم والتأخير))[60] ، وللمتكلم الحرية في تغيير مواضع الكلمات داخل السياق على وفق قواعد لغوية مقررة[61] ، كقولنا: نعم زيد رجلًا ، حبذا زيد رجلًا[62] .

ذكر بعض الباحثين أَنَّ عُلماءَ البلاغةِ وَجَدوا ((شَيئاً مَنَ النقلِ و التحريكِ بينَ مكوناتِ العبارةِ فِي اللغةِ العربيةِ، وَ أَخَذوا هذا الثنائي " التقديمُ وَ التأَخيرُ" وَ جَعلوهُ مُصطلحاً لأَحد تِقنيات النُظم فِيها))[63] ، فالتقديم والتأخير تركيب سياقي ومعنى دلالي يعنيه المتكلم ويقصده [64] ، ففي ((ثنائية التقديم والتأخير ما يشير إلى ارتباط الطرفين ، فإذا قدمت كلمة فهناك أخرى قد أُخرت ، و إذا رُفع هذا الثنائي فهناك نظام محفوظ وترتيب معهود وراء الوجود وعدمه ، و اغراض مقصودة وأسرار مكنونة ، ... ، ويمكن تكثيف المصطلح في أن التقديم والتأخير تصرف في العبارة بالنقل بين مكوناتها لاعتبارات بلاغية ، وذلك من الجانب الإنجازي ، أما من الجانب البحثي فيمكن القول : إنه دراسة الحركة الانتقالية للكلمة والجملة داخل العبارة لرصد أحكامها وكشف أسرارها))[65] ، وَ حَددَ تَمامُ حسان مواقع الرتبةِ غيرَ المحفوظةِ ، قائلاً: ((وَ مِنْ الرُتَب غيرُ المحفوظةِ فِي النحوِ رُتبةُ المبتدأ وَ الخبر ، وَ رتبةُ الفاعل وَ المفعول بِهِ، وَ رتبة الضمير وَ المَرجِع، وَ رتبة الفاعل وَ التمييز بَعدَ نِعمَ، وَ رتبة الحال وَ الفعل المتصرف، وَ رتبة المفعول بِهِ وَ الفعل))[66].

أما التقديم على نية التأخير: فهو أن يبقى المتقدِم على حكمه النحوي كأنه أخر ، ومثال ذلك:

أ. تقديم الخبر على المبتدأ ، نحو: (منطلق زيد) فيظل (منطلق) خبراً مرفوعاً و إن قُدِم.

ب. تَقديمُ المفعول على الفاعلِ ، نحو: (ضَرَبَ عَمراً زَيد) ، فيظل (عمراً) مفعولاً به منصوباً و إن تقدم على الفاعل[67] ، وكذلك قوله تعالى : ((إياك نعبد و إياك نستعين))[68] ،((فلفظ (إياك) في موضع نصب بـ(نعبد ، و نستعين) بالعطف على أنهما مفعولان مقدمان أفادا دلالياً حصر العبادة و الاستعانة بالله وحده أي لا نخصك بالعبادة ، لا نعبد غيرك ونخصك بالاستعانة منك لا نستعين بأحد سواك))[69] ، و لا بد من الإشارة إلى أن أسلوب التقديم والتأخير أكسب الدرس النحوي نظرة جديدة وبعداً أسمى وحوّله إلى الدرس البلاغي، وشمل عنده وحدة الموضوع بعد أن كان يدرس بصورة متفرقة في كتب الذين سبقوه[70] ، ولا يُخفى أنَّه ((يفسح مجال تصديق القول وهندسة الاسلوب ، ويجعل الأديب متمكناً من نقل أحاسيسه ومشاعره في تركيب لغوي رصين وتعبير فني متقن))[71] ، فله أهمية كبيرة تتضح في كونه غير مقصور على الجملة في ذاتها ولا يُعنى فقط بمواقع الألفاظ، وما حوّل عن أصله بل لما له من سياقات و اعتبارات كثيرة منها ما ترتبط بالمتكلم ومنها ما ترتبط بالمتلقي ، ومنها ما تتصل بطبيعة الصياغة ذاتها[72]

تحدث الجرجاني عن معاني النحو قائلاً:((ثُمَّ اعلم أَنَّ لَيستْ المزيةُ بِواجبةٍ لَها فِي أَنفسِها وَ مِنْ حيثُ هِيَ على الإطلاقِ وَ لكنْ تُعرض بِسببِ المعاني وَ الأغراض التي يُوضعُ لها الكلام ثمَ يُحسبُ موقع بعضها مِنْ بعضِ وَ استعمال بعضها معَ بعض))[73] ، ولابد من الإشارة إلى جواز التوسع في اسلوب التقديم والتأخير وهذا ما أشار إليه الزجاجي (ت 337هـ) قائلاً: ((... وَ كَذلِكَ سائِر المعاني جَعَلوا هَذهِ الحركاتُ دلائلٌ عَليها لِيتسعوا فِي كَلامِهم، وَ يُقدِموا الفاعلَ إنْ أَرادوا ذلك أَو المَفعول عِندَ الحاجةِ إلى تَقديمِهِ، وَ تَكونَ الحركاتَ دالةٌ عَلى المعاني))[74] ، ولم يبتعد العكبري(ت 428هـ) عما ذكره الزجاجي إلا أنه ذكر دليلاً على ذلك ، إذ قال: ((ومن الاستدلال أن التقديم والتأخير في الكلام جائز للتوسع في الكلام، ولا يمنع ذلك من وقوع الشيء في غير موضعه ألا ترى أنهم قدموا المفعول على الفاعل مع أن رتبته متأخرة))[75] ، ولا بد من الإشارة إلى أنَّ في ((ثنائية التقديم والتأخير إشارة واضحة إلى ارتباط الطرفين، فإذا قدّمت كلمة فهناك اخرى قد أُخّرت ، و إذا رُفع هذا الثنائي فهناك نظام محفوظ وترتيب معهود و وراء الوجود وعدمه أغراض مقصودة و أسرار مكنونة ، ... ، ويمكن تكثيف المصطلح في أن التقديم والتأخير تصرّف في العبارة بالنقل بين مكوناتها لاعتبارات بلاغية ، وذلك من الجانب الإنجابي ، أما من الجانب البحثي فيمكن القول: إنه دراسة الحركة الانتقالية للكلمة والجملة داخل العبارة لرصد أحكامها وكشف أسرارها))[76] ، و أما ((تَقديمُ بَعض مَعمولاتِهِ على بعضٍ ، فَهوَ أَمَّا لِأَنَّ أَصلُهُ التقديم وَ لا مُقتضي للعدولِ عَنهُ كَتقديمِ الفاعل عَلى المفعولِ نَحو" ضَرَبَ زَيدٌ عمراً" ، وَ تَقديمُ المفعول الأول عَلى الثاني نَحوَ: أَعطيتُ زَيداً دِرهماً، وَ إمَّا لأَنَّ ذِكرهُ أَهم وَ العنايةُ بِهِ أَتمُ))[77]

ويُعْمَد بقرينة الرتبة غير المحفوظة إلى وجه دون آخر من وجوه التركيب والترتيب، فلو أنك عَمَدت إلى بيت شعرٍ أو فَصْل نثرٍ فعددت كلماته ، وأبطلت نضدَهُ ونظامه الذي عليه بني، وَ غَيّرتَ تَرتيبهُ الذي بِخصوصيتهِ أَفادَ ما أَفادَ، وَ بنَسَقِه المخصوص أَبانَ المراد، نَحوَ أَنْ تَقولَ فِي: " قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيبٍ ومنزل " مَنزل قِفا ذِكرى مِنْ نَبكِ حَبيب، أَخرجتُهُ مِنْ كمال البيان، إلى مَجال الهَذَيان، وَ أَسقطتْ نِسبتَهُ مِنْ صاحبِهِ، وَ قطعت الرَّحمِ بَينهِ وَ بَين مُنْشِئِهِ، فإنّ المعنى الذي كان له هذا الكلم بيتَ شعرٍ أو فصلَ خطابٍ، هو ترتيبها على طريقة معلومة، وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة، والاختصاص يقع في الألفاظ مرتَّباً على المعاني المرتَّبَة في النفس، المنتظمةِ فيها على قضيّة العقل، ولا يُتَصوَّر في الألفاظ وُجُوبُ تقديم وتأخير، وعلى ذلك وُضِعَت المراتبُ والمنازلُ في الجمل المركَّبة [78]

ثالثاً: أغراض التقديم و التأخير في قرينة الرتبة غير المحفوظة:

قصر القدماء الغرض من التقديم في الرتبة غير المحفوظة على العناية والاهتمام وَهذا ما أَشارَ إليهِ الجرجاني قائِلاً : ((وَ اعلمْ أَنّا لَمْ نَجِدَهُم اعتَمَدوا فِيهِ شَيئاً يَجري مَجرى الأَصل غَيرَ العِنايةِ وَ الاهتمام))[79] ،و نراه يعيب على من سبقه في قصر أغراض التقديم والتأخير ، قائلاً: ((وَ قَدْ وَقَعَ فِي ظُنونِ الناسِ أَنَهُ يَكفي أَنْ يُقال إنَهُ قَدَّمَ لِلعِنايةِ ، وَ أَنْ ذِكرهُ أَهم ، مِنْ غَيرِ أَنْ يُذكَرَ مِنْ أَينَ كانَتْ تِلكَ العنايةِ؟ وَ بِما كانَ أَهمُ وَ لِتخيلِهم ذَلكَ قَدْ صَغرَ أَمرُ التَقديم والتَأخير فِي نفوسِهم وَ هَوَنّوا الخطبَ فِيهِ حتى إنَكَ لَترى أَكثرهُم يَرى تَتَبعهِ وَ النَظَر فِيهِ ضَرباً مِنَ التَكَلُفِ وَ لَم تَرَ ظَنّاً أَزرى على صاحِبِهِ مِن هذا وَ شبهِهِ))[80] ، وهذا ما ذهب إليه أحمد الشايب قائلاً: ((تقديم الكلمة أو

تأخيرها بالنسبة إلى موضعها الطبيعي دلالة على القصر أو التفخيم أو حسن الذوق واللياقة أو الأهمية مطلقاً))[81] ، وما التقديم الحاصل فِي الآياتِ الْقرآنيَةِ الكَرِيمَةِ ((إلا لأغراض سامية ودلالات عميقة تثير الإحساس بروعة التعبير وجمال التأثير وقوة التبليغ وليس ذلك إلا من نفحات الإعجاز البياني))[82]،

ولعل من الأغراض والدواعي البلاغية التي تقتضي التَقَديم وَ التَأخير أحيانا بين المُسنَد وَ المُسنَد إليهِ في الكلام هي [83] :

1. **التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم مشعرا بغرابة :**

وهو أن تقدم المسند إليه تشويقاً لكلام بعده ،وفي ذلك قال أبو العلاء المعري[84] :

والذي حارت البرية فيه ...حيوان مستحدث من جماد

فالمسند إليه قد تقدم واتصل به ما يدعو إلى العجب ويشعر بالغرابة وهو «حارت البرية فيه»، وهذا أمر يشوق النفس ويثير فضولها إلى معرفة الخبر المتأخر.

2. **تعجيل المسرة أو المساءة للتفاؤل أو التطير:**

فالتعجيل بالمسرة نحو: الجائزة الأولى في المسابقة كانت من نصيبك ،ونحو: براءة المتهم حكم بها القاضي، والإفراج عنه تم اليوم.

والتعجيل بالمساءة نحو: الفشل أصيب به العدو، والخسائر في جيشه كبيرة، ونيران الأسلحة المختلفة تطارد فلوله في كل مكان.

3. **كون المتقدم محط الإنكار والتعجب:** كقوله تعالى: ﴿أَراغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا إِبْراهِيمُ﴾[85] ، فإنما قدم خبر المبتدأ عليه في قوله: " أَراغِبٌ أَنْتَ" ، ولم يقل «أأنت راغب» وذلك لأهمية المتقدم وشدة العناية به، وفي ذلك ضرب من التعجب والإنكار لرغبة إبراهيم عن آلهته، وأن آلهته لا ينبغي أن يرغب عنها، وهذا بخلاف ما لو قال: «أأنت راغب عن آلهتي؟».

4. **النص على عموم السلب أو سلب العموم:**

فالنص على عموم السلب يعني شمول النفي لكل فرد من أفراد المسند إليه، ويكون عادة بتقديم أداة من أدوات العموم على أداة نفي ، كقولنا: كل قوي لا يهزم، ففي هذا المثال أداة عموم هي «كل» مقدمة على أداة نفي هي «لا»، والكلام هنا يفيد شمول السلب أو النفي لكل فرد من أفراد المسند إليه المتقدم، إذ المعنى: «لا يهزم أحد أو أي فرد من الأقوياء»، والسبب في إفادة الكلام شمول النفي هنا أن أداة العموم بهذا الوضع تكون المتسلطة على النفي، العاملة فيه بكليتها، وذلك يقتضي عموم النفي وشموله.

5. **تقوية الحكم وتقريره:** وذلك كقولك عن شخص كريم: «هُوَ يُعْطي الجَزيلِ»، فأَنتَ لا تُريد أَنْ غَيرهُ لا يُعْطِي الجَزيلَ، وَ لا أَنْ تَعرِض بِإنسانٍ آخر يُعطي القليل، ولكن تريد أن تقرر في ذهن السامع وتحقق أنه يفعل إعطاء الجزيل، فتقديم المسند إليه «هو» وتكريره في الضمير المستتر في «يعطي» أدى إلى تقوية الحكم وتقريره.

وسبب التقوي على ما ذكره عبد القاهر الجرجاني هو أَنَّ الاسمَ لا يُؤتى بِهِ مُجَرَداً مِنَ العواملِ إلا لِحَديثٍ قَدْ نُويَ إسنادُهُ إليهِ فإذا قُلتَ: «عَبْدُ اللهِ» فَقَد أَشعَرتَ السَامِعَ بِذلكَ أَنَّكَ تُريد الحَديث عَنْهُ، فَهذا تَوطئَةً لَهُ وَ تَقدمةٍ للإعلام بِهِ، فإذا جِئتَ بِالحديثِ فَقلتَ: «قَامَ» مَثلاً دَخَلَ عَلى القَلبَ دُخول المَأنوس بِهِ، وَ ذلِكَ لا مَحَالَة أَشَد لِتثبُوتِهِ وَ أَنفى لِلشبهةِ وَ أَمنع لِلشكِ، وَ جُملة الأَمر أَنَهُ لَيسَ إعلامُكَ بِالشيءِ بَغتَةً مِثلُ الإعلامِ بِهِ بَعد التَنبيهِ عَلَيهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَجري مَجْرى تَكريرَ الإعْلامِ فِي التَأكيد وَ الإحكام.

6. **التخصيص:** وَ هذا يَعني أَنَّ المُسْنَدَ إليهِ قَدْ يُقَدَّم لِيُفِيدَ تَخصِيصِهِ بِالخَبَرِ الفِعلي بِشْرطِ أَنْ يَكونَ مَسبُوقاً بِحرفِ نفيٍ نَحوَ: مَا أَنا قُلتُ هَذا، أَي: لَم أَقُلهُ وَ لكِنَهَ مَقولُ غَيرِي، فَأَنْتَ فِي هَذا المِثال تَنْفي وقوعَ المَقُول مِنْكَ، وَ لكِنكَ لا تَنفي وقوعِهِ مِنْ غَيرِكَ، وَ لِهذا لا يَصُح: مَا أَنا قُلت هَذا وَ لا غَيري، فَتَقديم المُسْنَد إليهِ «أَنا» أَفادَ نَفي الفِعل عَنْكَ وَتثبُوتِهِ لِغيرِكَ.

7. **التنبيه على أَنَّ المُتَقدمَ خَبرٌ لا نَعتٌ:** وَ ذلِكَ خاصٌ بِتَقديمِ الخَبْرِ المُسنَد عَلى المُبتَدأ المُسنَد إليهِ، نَحوَ قَولُهُ تَعَالى: ﴿و لكم في الأرض مستقر وَ مَتاع إلى حِينٍ﴾[86] فالشاهد هنا في قوله: «ولكم مستقر» فلو قال «ومستقر لكم»

لتوهم ابتداء أن «لكم» نعت وأن خبر المبتدأ سيذكر فيما بعد، وَ ذلِكَ لِأَنَّ حاجةَ النَكِرَةِ إلى النَعتِ أَشدُ مِنْ حاجَتِها إلى الخَبر، ولذلك تعين تقديم المسند لِلتَنْبيهِ عَلى أَنَّهُ خَبْر لا نَعت.

الخاتمة:

عالج هذ البحث الذي وسم بـ ((قرينة الرتبة دراسة في المفهوم والتشكيل والأنماط)) ، لمواضع القرائن اللفظية و أهميتها في علم النحو وعلم المعاني ، وبعد إعمال النظر، وإجالة الفكر، وإدامة التأمل فيما ذكره اللغويون خلص البحث إلى الآتي :

1. إنَّ الرُتْبةَ قَرينَةٌ لَفْظَيةٌ, وَ عَلاقَةٌ بَينَ جُزأَينِ مُرَتبَينِ مِنْ أَجْزاءِ السِياقِ يَدِلُ مَوقِعَ كُلٌ مِنْهُما مِنَ الآخَر عِلى مَعنْاه.
2. إن الرتبة أكثر ورودًا مع المبنيات و أكثر اطرادًا منه مع غيرها.
3. إنَّ الرُتْبةَ بِكَونِها قَرينةٌ لَفظيةٌ تَخْضَعَ لِمَطالِبَ أَمْنُ اللَبْسْ، وَ قَدْ يَؤَدي ذَلك إلى أَنْ تَنْعَكِسِ الرُتبَة بَيْنَ الجُزْأَينِ المُرَتَبينِ بها.
4. إنَّ هناك علاقة كبيرة بين قرينة الرتبة في علم النحو وعلم المعاني، لما لهما من ترابط في تحديد المعنى المراد من التقديم والتأخير كالتشويق ، و الاهتمام ،وغيرها من الأغراض التي يخرج إليها هذا الاسلوب.

و في الختام أقول، هذا هو جهدي واجتهادي في البحث، بذلت فيه ما في وسعي لإظهاره بالصورة التي بين أيديكم، فإن وفقت فهذا حسبي، وإن أخفقت فعذري أني اجتهدت ومن الله العون والتوفيق.

الباحثة

المصادر والمراجع:

1. أَثَرُ التَقديمِ وَالتأَخير في المَعنى عِنْدَ النحويين ، لُطفي عُمَر بِنْ الشيخ أَبو بَكِر، مَجلة الأَندلس ، جامِعة حَضرموت، العدد2، المجلد7، 2014م.
2. إحياء النحو: إبراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937م.
3. اسرار البلاغة، أسرار البلاغة ، الجرجاني (ت 471هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
4. الإسلوبُ دِراسَةٌ بَلاغيةٌ تَحليليةٌ لأُصولِ الأَساليبِ الأَدَبيةِ، أَحمَد الشايب ، مَكْتَبَة النْهضَة المصرية، القاهرة، ط8، 1991م.
5. الأصول في النحو : ابن السراج(ت 316هـ) ، تحـ: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة ، بَيروت، د.ط، د.ت.
6. الأُصولُ فِي النَحو، أَبُو بَكِر مُحَمَد بِنْ السري بِنْ سَهْل النَحوي المعروف بابنِ السراج (ت 316هـ)، تحـ: عَبدُ الحُسين الفَتلي، مُؤسَسَة الرِسالة، لُبنان – بَيروت ، د.ط.
7. أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل الساقي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط ، 1397هـ - 1977م.
8. أَقسامُ الكَلامِ مِنْ حَيثُ الشَكلِ وَ الوَظيفةِ ، د. فاضل الساقي، تَقديم: تَمام حَسان، مَكْتَبَةُ الخانجي، القاهرةُ ، 1397هـ - 1977م.
9. الإيضْاحُ فِي عِلَل النَحْوِ، أَبو القاسِمَ الزّجّاجي (ت 337 هـ) ، تحـ :الدكتُور مازِن المَبارَك ، دارُ النَفائِس – بَيروت ، ط5، 1406 هـ -1986 م .
10. البحث البلاغي عند العرب، د. عبد الحكيم راضي، مجلة معهد اللغة العربية، العدد الثاني، مكة المكرمة، 1404هـ - 1984م.
11. البَحْثُ الدَلالي فِي تَفْسيرِ الميزانِ، مَشْكور كاظم العَوادِي، بيروت، 2003م، ط1.

12. البُرهانُ فِي عِلومِ القُرآنِ ، الزَركَشيّ: تحـ: مُحَمد أَبو الفَضلُ إبراهيم ، مَكْتَبَةُ دار التُراثِ ، القاهرةُ، د. ط ، د. ت .
13. بَلاغةُ التَقديمِ وَ التَأَخيرِ : د. علي أَبو القاسِمِ عَون، دار المدار الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط1، 2006م.
14. البلاغة العالية : عبد المتعال الصعيدي ، تحـ: عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب ، مصر ، ط3، 1991م.
15. البلاغة والاسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان،ط1، 1994م.
16. البيان في روائع القرآن ، تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 1413هـ ـ 1993م.
17. تاجُ العَروسِ مِنْ جَواهِرِ القامُوسِ ،الزّبيديّ (ت 1205هـ) ، تحـ: مَجموعَةٌ مِنَ المُحققينَ ، دارُ الهِدايةِ، د.ت.
18. اَلتبيين عن مذاهب اَلنحويين البصريين والكوفيين، العكبري، تحـ: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، ط1، 1406هـ - 1986م.
19. التعريفات: للجُرجْانيّ(816هـ)، تحـ: ضَبَطَهُ وَ صَححَهُ جماعةٌ مِنَ العُلَماءِ بإشرافِ الناشر، دارُ الكُتُبِ العِلميةِ، بَيروتُ ـ لُبنان، ط1، 1403هـ ـ 1983م.
20. جماليات الرتبة في الجملة العربية: إبراهيم أحمد سلام الشيخ عبد ، استاذ النحو والصرف المشارك، جامعة الأقصى ـ غزة- فلسطين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- قسم اللغة العربية، مقدمة بحث ، مجلة المنهل : البريد الإلكتروني: alsheikhed@hotmail.com
21. الجملة العربية والمعنى : د. فاضل السامرائي، دار ابن حزم ، بيروت،ط1، 2001م.
22. الخصائص : ابن جني(ت 392هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1.
23. الخلاصة النحوية: تمام حسان، عالم الكتب،ط1، 1420هـ ـ 2000م.
24. دلائل الإعجاز: الجرجاني(ت 471هـ) ، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دارُ المَدنَيّ ، جَدة، ط3، 1413هـ ـ 1992م.
25. دَورُ البِنْيَةِ الصرفيةِ فِي وَصْفِ الظاهرةِ النحويةِ وَ تَقعيدها ، لَطيفة إبْراهيم النَجار ، دارُ البَشير ، عَمان ، ط1، 1994م.
26. سقط الزند: لأبي علاء المعري، دار بيروت للطباعة والنشر- دار صادر للطباعة والنشر ، 1376هـ - 1957م.
27. شَرحُ المُفصّل: ابن يَعيش (ت 643هـ) ، قَدَّمَ لَهُ: الدكتور إميل بَديع يَعقوب ، دارُ الكُتبِ العلميةِ، بَيروت – لُبنان، ط1، 1422 هـ - 2001 م
28. الصِحْاحُ تاجُ اللُغَةِ وَ صِحاحُ العَرَبيَةِ، أَبو نَصر إسماعِيل بِن حَمّاد الجَوهريّ الفارابِيّ(ت 393هـ) ، تحـ: أَحمد عَبْد الغَفور عَطار، دارُ العِلمِ لِلملايينِ ، بَيروت، د.ط.
29. العلاقات الإسنادية في القرآن الكريم ، زيد الخير المبروك، دار الوعي، الجزائر، ط1، 2011م.
30. عِلمُ المَعاني ، عَبْدُ العَزيزِ عَتيق (ت 1396 هـ) ،دارُ النَهضةِ العَرَبيةِ لِلطباعَةِ وَ النَشرِ وَ التَوزيعِ، بَيروت – لُبنان ، ط1، 1430 هـ - 2009 م.
31. العين ، الخَليل بن أَحمد الفراهيدي ، تحـ: إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، 1985م.
32. القرائن العلائقية و أثرها في الاتساق : سورة الأنعام انموذجاً ، رسالة ماجستير ، الجمهُورِيَة الجَزائِرِيَةِ ، جامِعَةُ الحاج لخضر باتنة ، كُلِيةِ الآدابِ وَ العلومِ الإنسانيَةِ، قِسمُ اللُغَةِ وَ الأَدب العَربي، إعداد: سليمان بوراس.
33. القرائن النحوية واللفظية والاتساق النصي، اطروحة دكتوراه للباحث: سليمان بوراس، بإشراف: أ. د. عياش فرحات، الجمهورية الجزائرية، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب.

34. القَرينَةُ المُعْجَمية وَ أَثَرِها فِي تَوجيهِ المعنى ، تَفسير البَحر المُحيط أنموذجا، بحث قدمه :م.د. أحمد خضْير عَباس السَعيديّ، جامِعَةُ ذي قار ، كُليةُ الآدابِ، قِسمُ اللُغَةِ العَربيةِ، مجلة العميد، العدد 5، رُبيعُ الثاني1434هـ ، آذار 2013م.
35. الكافي في علوم البلاغة العربية، عيسى علي العاكوب، وعلي سعد الشتيوي ، دار الهناء ،ط1، 1993م.
36. الكتاب : سيبويه (ت 180هـ) ، تحـ: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1988م.
37. لسان العرب، ابن منظور(711هـ)، دار صادر- بيروت، ط3، 1414هـ.
38. اللُغةُ العَرَبيةُ مَعناها وَ مَبناها: تَمام حَسان، عالَم الكُتبِ، ط5، 1427هـ - 2006م.
39. معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، محمد سمير اللبدي، مؤسسة الرسالة و دار الفرقان، عمان - الأردن، ط1، 1405هـ - 1985م.
40. مفتاح العلوم ، السكاكي(ت 626هـ)، تحـ: د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1 ، 1420هـ - 2000م.
41. الموقعية في النحو العربي دراسة سياقية: حسين رفعت حسين، عالم الكتب ، القاهرة، مصر، ط1، 1426هـ - 2005م.
42. النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، محمود سليمان ياقوت، مكتبة المنارة الإسلامية ، الكويت ، 1996م.
43. النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية ، بيروت،1979م.
44. نحو اللغة العربية: محمد أسعد النادري، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط2، 1997م.
45. النحو الوافي: عباس حسن، دار العلوم، القاهرة، ط3 ، 1974م .

([1]) العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحـ: إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، 1985م، 115/8.

([2]) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت 393هـ) ، تحـ: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت، 133/1.

([3]) لسان العرب، ابن منظور(711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، 409/1.

([4]) يُنظر: تاجُ العروسِ من جواهر القاموس ،الزَّبيدي (ت 1205هـ) ، تحـ: مجموعة من المحققين ، دار الهداية، د.ت، 482/2.

([5]) التعريفات: للجرجاني(816هـ)، تحـ: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1، 1403هـ . 1983م، 55.

([6]) اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، عالم الكتب، ط5، 1427هـ . 2006م، 209.

([7]) ينظر: معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، محمد سمير اللبدي، مؤسسة الرسالة و دار الفرقان، عمان - الأردن، ط1، 1405هـ - 1985م، 92.

([8]) يُنظر: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: د. فاضل مصطفى الساقي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، 1397هـ – 1977 م، 186.

([9]) ينظر: البيان في روائع القرآن: تمام حسان ، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، د.ت، 67/1.

([10]) ينظر: القرائن العلائقية و أثرها في الاتساق: سورة الأنعام انموذجاً ، رسالة ماجستير ، الجمهوريةُ الجزائريةُ ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، كُلية الآدابِ والعلومِ الإنسانيةِ، قِسمُ اللغة والأدب العربي، إعداد: سليمان بوراس، 77.

([11]) يُنظر: اللغةُ العربيةُ معناها ومبناها: تمام حسان، عالم الكتب، ط5، 1427هـ – 2006م، 209.

([12]) يُنظر: العلاقات الإسنادية في القرآن الكريم ، زيد الخير المبروك، دار الوعي، الجزائر، ط1، 2011م، 59.

([13]) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 209.

([14]) ينظر: العلاقات الإسنادية في القرآن الكريم: 41.

([15]) القرائنُ النحويةُ واللفظيةُ والاتساقُ النصي، أُطروحة دكتوراه للباحث: سليمان بوراس، بإشراف: أ.د. عياش فرحات، الجمهورية الجزائرية، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب،26.

([16]) دلائل الاعجاز: للجرجاني(ت 471هـ) ، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، 1413هـ – 1992م،80.

([17]) المصدر نفسه:96.

([18]) اللغة العربية معناها ومبناها:108

([19]) المصدر نفسه: 209.

([20]) ينظر: الخلاصة النحوية: تمام حسان ، عالم الكتب ، 1420هـ – 2000م ، 83.

([21]) البلاغة العالية : عبد المتعال الصعيدي ، تحـ: عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب ، مصر ، ط3، 1991م، 39.

([22]) ينظر:الكافي في علوم البلاغة العربية، عيسى علي العاكوب، وعلي سعد الشتيوي ، دار الهناء ،ط1993،1م،40.

([23]) يُنظر: اللغةُ العربيةُ معناها ومبناها: 207.

([24]) الموقعيةُ في النحوِ العربي دراسة سياقية ، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1426هـ. 2005م ، 19.

([25]) الكتاب : سيبويه (ت 180هـ) ، تحـ: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1988م، 34/1.

([26]) الأُصولُ في النحوِ : ابن السراج(ت 316هـ) ، تحـ: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، د.ط، د.ت،93/1.

([27]) ينظر: الخصائص : ابن جني(ت 392هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1،36/4.

([28]) المصدر نفسه: 295/1-296.

([29]) الخصائص: 36/1.

([30]) ينظر: المصدر نفسه: 389/2- 390.

([31]) ينظر: الجملة العربية والمعنى : د. فاضل السامرائي، دار ابن حزم ، بيروت،ط1، 2001م، 36.

([32]) النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية ، بيروت،1979م،155.

([33]) ينظر: دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها ، لطيفة إبراهيم النجار ، دار البشير ، عمان ، ط1، 1994م، 196.

([34]) ينظر: البحث البلاغي عند العرب، د. عبد الحكيم راضي، مجلة معهد اللغة العربية، العدد الثاني، مكة المكرمة، 1404هـ ـ 1984م: 142.

([35]) ينظر: أقسام الكلام من حيث الشكل والوظيفة: 186.

([36]) النحو العربي والدرس الحديث: 154.

([37]) ينظر: جماليات الرتبة في الجملة العربية: إبراهيم أحمد سلام الشيخ عبد ، استاذ النحو والصرف المشارك، جامعة الأقصى . غزة. فلسطين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. قسم اللغة العربية، مقدمة بحث ، مجلة المنهل : البريد الإلكتروني:
alsheikhed@hotmail.com

([38]) إحياء النحو: إبراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937م، 20.

([39]) المصدر نفسه:20.

([40]) ينظر: الأصول في النحو: 222/2.

([41]) ينظر: دلائل الاعجاز:62.

([42]) من سورة مريم:4.

([43]) ينظر: دلائل الاعجاز : 62

([44]) دلائل الاعجاز : 101.

([45]) الكتاب: 1/ 34.

([46]) يُنظر: القرينةُ المعجميةُ وَ أَثرها في توجيهِ المعنى ، تَفسير البحر المحيط أنموذجا، بحث قدمه :م. د. أَحمدُ خضير عباس السعيدي، جامعةُ ذي قار ، كُليةُ الآدابِ، قِسمُ اللغة العربية، مجلة العميد، العدد 5، رَبيعُ الثاني1434هـ ، آذار 2013م، 291.

([47]) ينظر: الخلاصة النحوية: 83.

([48]) ينظر: النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، محمود سليمان ياقوت، مكتبة المنارة الإسلامية ، الكويت ، 1996م: 296ـ 268.

([49]) ينظر: النحو الوافي : عباس حسن، دار العلوم، القاهرة، ط3 ، 1974م ، 2/ 87 ـ 88.

([50]) ينظر: نحو اللغة العربية: محمد أسعد النادري، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط2، 1997م: 618.

([51]) من سورة الضحى: 9.

([52]) دلائل الإعجاز: 106.

([53]) الخلاصة النحوية:86.

([54]) ينظر: المصدر نفسه:83.

([55]) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 209.

([56]) الأصول في النحو: 222/2.

([57]) دلائل الاعجاز:59.

([58]) شَرحُ المفصل: ابن يعيش(ت 642هـ) ، قَدَّمَ لَهُ : د. إميل بَديع يَعقوب ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ – 2001م: 72/1.

([59]) البُرهانُ فِي عُلومِ القرآنِ ، الزركشي: تحـ: محمدُ أبو الفضلِ ابراهيم ، مَكتبةُ دار التراثِ ، القاهرة، د.ط ، د.ت ، 233/3.

([60]) البيان في روائع القرآن ، تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 1413هـ ـ 1993م: 94.

([61]) ينظر: اللغة العربية معناها مبناها:207.

([62]) المصدر نفسه:116

([63]) بلاغة التقديم والتأخير : د. علي عون، دار المدار الإسلامي، بيروت . لبنان، ط1، 2006م، 42.

([64]) يُنظر: البحثُ الدلالي فِي تَفسيرِ الميزانِ، مشكور كاظم العوادي، بيروت، 2003م، ط1، 176.

([65]) بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم : 47.

([66]) اللغة العربية معناها ومبناها: 207.

([67]) ينظر: دلائل الإعجاز: 62.

([68]) من سورة الفاتحة: 5

([69]) مفتاح العلوم ، السكاكي(ت 626هـ)، تحـ: د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1 ، 1420هـ . 2000م: 339.

([70]) أثر التقديم والتأخير في المعنى عند النحويين ،لطفي عمر بن الشيخ أبو بكر، مجلة الأندلس ، جامعة حضرموت، العدد2، المجلد7، 2014م: 64.

([71]) بلاغة التقديم والتأخير: 57/1.

([72]) ينظر: البلاغة والاسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت– لبنان، ط1 ، 1999م: 334.

([73]) دلائل الاعجاز:82.

([74]) الإيضاحُ فِي عللِ النحوِ، أَبو القاسم الزّجّاجي (ت 337 هـ) ، تحـ :الدكتور مازن المُبارك ، دارُ النفائسِ – بَيروتُ ، ط5، 1406 هـ –1986 م :69– 70.

([75]) التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، العكبري، تحـ: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، ط1، 1406هـ – 1986م: 247.

([76]) بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم: 47.

([77]) الايضاح في علل النحو: 113/1.

([78]) ينظر: أسرار البلاغة ، الجرجاني (ت 471هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني ـ جدة: 4–5.

([79]) دلائل الاعجاز: 107.

([80]) المصدر نفسه:108.

([81]) الاسلوبُ دِراسةٌ بَلاغِيَةٌ تَحليليةٌ لأصول الأَساليب الأَدبية، أحمدُ الشَايِب ، مِكْتَبَة النَهضَة المِصرِية، القَاهرة، ط8، 1991م: 197.

([82]) بَلاغةُ الَتقديمُ وَ التَأَخير فِي القُرآن الكَرِيم: 55.

([83])علم المعاني ، عبد العزيز عتيق (ت 1396 هـ) ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ط1، 1430 هـ - 2009 م: 137- 141

([84]) ينظر: سقط الزند: لأبي علاء المعري، دار بيروت للطباعة والنشر. دار صادر للطباعة والنشر ، 1376هـ ـ 1957م:12.

([85]) من سورة مريم:46.

([86]) من سورة الأعراف: 24.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

عتبة العنوان الخارجي في شعر سيف الرحبي

أ.د وليد شاكر نعاس
الباحثة حياة بعنون سواري
جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

الملخص:
تحاول هذه الدراسة أن تعرض جانباً من القراءة المناصية في شعر سيف الرحبي؛ المرتكزة على اختيار تمثلات من المتعاليات النصيه؛ محاورها قراءة الغلاف؛ مبرزين تناظر علاقة الغلاف مع المتن ألشعري؛ مفلين صيغته ألتركيبية التي أسهمت في إضاءة جوانب دلالية تواشجية مع مضمون القصيدة؛ أنهيناه وقوفا على طرائق التشكيل البصري للغلاف بنوعيها الكاليجرافي والتايبواجرافي؛ معتمدين التحليل الذي ينتج معرفة تمايزية بين التشكيل البصري الخطي وبين تموضعه جسد الغلاف.

Summary:
This study attempts to present an aspect of the persuasive reading in the poetry of Saif Al-Rahbi, centered on the choice of representations from textual transcendentalities. They depend on the analysis that produces discriminatory knowledge between the linear visual formation and the positioning of the body of the cover.

المستهل الأول:

ملمح نشأة العنوان وانواعه ووظائفه:

يعدّ العنوان* العتبة الأولى من عتبات النص الادبي أو الثقافي، الجسر الذي يربط بينه وبين المتلقي، وهو بمثابة الكلمة السحرية التي تفتح لنا الأبواب للولوج إلى عالمه والكشف عن أسراره، والغوص في مكونات النص الادبي[1] ، كما ان العنوان هو مركز العمل الادبي أو الثقافي الذي يدفع القارئ للإقبال عليه، وعليه فان الشاعر يسعى لاختيار العنوان الملفت للنظر او الجيد ، كون العنوان الرئيس في الغلاف يمثل اهمية كبيرة جداً، ويختلف عن العناوين الداخلية / عنوان القصيدة/ اختلافاً كبيراً وفارقاً ليس من السهل التغاضي عنه ، فالعنوان الخارجي ايقونة العمل الادبي او الثقافي، وهو يحمل دلالات متنوعة ومتعددة ، وهو كالنص ، أفق ، قد يصغر القارئ عن الصعود إليه ، وقد يتعالى هو عن النزول لأي قارئ[2].

وعنوان عتبة الغلاف لا يقل اهمية عن انجاز متن النص ، لما يحمله من سمة الصورة العمومية عن مضمون الادبي ذات صيغة التكثيف والمجاز لذلك كان عاملاً مساعداً في إشهارية العديد من النصوص التي حققت شهرة لأصحابها ، لذا اهتم الادباء المعاصرون على جعل عنواناتهم مثيرة[3] ومن ذلك نستنتج أن عتبة العنوان من العوامل الاساسية التي تقوم في توليد القبول لدى القارئ وجذبه نحو الأعمال عامة والشعرية خاصة، فضلاً عن دورها الفاعل في اضاءة النص الشعري.

وعليه العلاقة بين العنوان والقارئ علاقة تأثيرية حين يمارس العنوان الضغط بفعل التأثير على القارئ سواء أكان نصاً او صورة وتعد وظيفة هامة لدى اللغوي (**رومان جاكوبسون Roman Jakobson**)* تنطلق من المؤلف (**المرسل**) الى المتلقي (**المرسل اليه**) ومن خلال العنوان ينجذب القارئ نحو النصوص[4].

وما يثير الانتباه تمايز عتبة العنوان الرئيسي بين بقية العتبات حيث يصل الى الجمهور اكثر عدداً من قراء النص في حين تخاطب العتبات الداخلية للكتاب عدداً اقل من الجمهور ، فينحصر في فئة الذين فتحوا الكتاب فعلاً وقرؤه[5].

فالعنوان الخارجية لدواوين سيف الرحبي تشكل عتبة بارزة يستدل بها القارئ على مضمون النصوص الشعرية المكونة للديوان ولها القدرة على اظهار تلك الشحنات المضمرة في داخل الديوان وتسهم بشكل فعلي في انارة طريق القارئ واثراء النص الشعري.

اولاً: عند الغرب

نظراً لأهمية العنوان في الدراسات الأدبية فقد اهتم النقاد الغرب في رصد العنوان وتحديد مفهومه وسماته ، فقد درس ليو هوك* في كتابه سمة العنوان ، وقدم فيه تعريفاً دقيقاً بوصفه مجموعة من العلامات اللسانية من كلمات وجمل ، ولم يكتفِ بذلك بل نجده يحدد فائدته فالعنوان يشير الى محتوى النص ويجذب الجمهور له[6].

أمّا **كلود دوشي**** يضع مبادئ للعنوان ويرى: أن العنوان فرع جديد يتناول كافة النصوص الادبية ، اذ يحدد العنوان بقوله: رسالة سنية في حالة تسويق[7]، في حين يحدد اللغوي **أندريه مارتينيه***** سمات العنوان ويعرفه: أذ العنوان مرتكز دلالياً يجب أن ينتبه عليه فعل التلقي بوصفه أعلى سلطة وتميزه باقتصاد لغوي ويتضمن معنى القصدية [8]، في حين أن **جان كوهن****** في كتابه (**بنية اللغة الشعرية**) وضع العنوان سمة من سمات النصوص النثرية معللاً ذلك كون النثر قائم على القواعد المنطقية والشعر يمكن أن يستغني عنه[9].

على أن أبرز الدراسات الغربية الحديثة التي اهتمت بالعنوان ماصدر عن الناقد **جيرار جينيت***، اذ عدَّ العنوان من أهم عناصر النص الموازي ضمن النص المحيط، ويعرفه تحديداً المناص : (هو كل ما يجعل من النص كتاباً يقترح نفسه على قرائه، او بصفة عامة على جمهوره.....)[10] ، ويصنف **جيرار جينيت** العنوان الى: عنوان رئيس وآخر فرعي ، وجعله من النصوص الموازية الدالة التي ترافق النص الرئيسي ، لذا لا يقل أهمية عن بقية العتبات النصية ، اذ يعد الواجهة الأعلامية للعمل الأدبي ، ويحدد أماكن وجود العنوان في الصفحة الاولى للغلاف ، وفي ظهر الغلاف ، وفي صفحة العنوان ثم في الصفحة المزيفة للعنوان وهي الصفحة البيضاء التي تحمل العنوان فقط ، وحدد وقت ظهور العنوان في تاريخ صدور طبعته الاصلية الاولى[11].

ثانياً : العنوان عند العرب

الشعر في المجتمع العربي يعتمد على المشافهة والإنشاد ، ويبدو أنهُ السبب وراء غياب العنوان بشكل مباشر فضلاً عن تعدد الموضوعات في القصيدة الواحدة ، فالشاعر العربي يجد صعوبة في أختيار عنوان واحد للقصيدة، وعليه فإن العنوان عرف بطريقة غير مباشرة ، وما يوثق هذا الرأي أن بعض القصائد عرفت من خلال سماتها المضمونية أو قافيتها أو أسماء أصحابها، ويذكر لنا **محمد عويس** جملة منها مثل المعلقات ، سيفيات **ابي الطيب** وكافورياته، ورروميات **أبي فراس** ، ولزوميات **أبي العلاء المعري**، وسواها الكثيرة مما وقف عليه اهل العلم ،.....[12] ، فالعنوان هو المرتكز الذي يعتمد عليه في التمايز بين القصائد ، ولعل هذا يرجع الى مكانة الشعر بين الفنون الادبية، وأنتشاره بشكل ملحوظ عند العرب، فالإبداع في الشعر ليس كافياً، لذا تطلب الامر الى العنوان محاولة ، للتدليل والتوثيق، ولم يكن الانشاد إلا وسيلة من وسائل الاعلام عندهم ، وما يميزه هو الالقاء المباشر أمام الجمهور، فتحدث عملية التأثير مباشرة لدى الناس ، هذا إن ما أغنى الشعراء عن العنوان في قصائدهم [13] ، ونحسب أن مادفع **عبد الله الغذامي** الى

القول: إن العناوين في القصائد ماهي إلا بدعة حديثة، أخذ بها شعراؤنا محاكاة لشعراء الغرب – والرومانسيين[14]، فحكمه على العنوان من الأدلة التي تعتمد عليها اذ أن الشعر العربي القديم يعتمد على مشافهة، بوصف العنوان آنذاك يعرف بصورة غير مباشرة من خلال الالقاء مشافهة مع الجمهور، إذ لم يكن بحاجة الى وسيلة المألوفة الآن بين الشاعر وجمهوره.

اما الدراسات الحديثة التي عنيت بدراسة العنوان فهي عديدة ومتنوعه في طرائقها، ومضمونها منها ما كان مؤلفات، ومنها ما جاء اوراق بحثية، ومنها ما خاض في التنظير أو التطبيق، ومنها مازج بينهما في الشعر أو النثر، وربما نتخير منها دراسة بعضهم مثل دراسة الباحث محمد فكري الجزار حين ربط بين السيميوطيقا، والعنوان ربطاً محكماً، ووقف على مشاهد التنظير المعرفي ثم خاض في التطبيق بحرفية جميلة واقفاً على تعاريف مهمة فهو يرى: أن العنوان كالأسم للشيء، وبه يعرف ثم يضع حداً آخر للعنوان: مجموعة من العلامات يتعوض بها المكتوب عنه، ونظراً لاهمية العنوان في الدراسات الادبية فقد حدد النقاد مفهومه كلاً حسب منهجه[15].

وتعد الدراسة التي قدمها جميل حمداوي **(السيميوطيقا والعنونة)** من الدراسات التي لها اهمية خاصة في هذا الدرس، ومرجعاً مهماً للباحثين في العتبات النصية في الجانبين النظري والتطبيقي، فالعنوان لدى حمداوي ليس عنصراً زائداً بل ضرورة في تشكيل الدلالة النصية، وفي تحليل النص الادبي، وقد بحث في أهمية العنوان ، وأقسامه العنوانان الخارجي، والداخلي وما يتفرع من العنوان الاساس فضلاً عن عناوين الاقسام، والفصول، والسمة التي تفردت بها الدراسة بانها تعقيب للرواية العربية، وتحدد محطاتها في ضوء المقاربة النقدية، فالعلاقة بين العنوان والنص الابداعي علاقة جدلية وانعكاسية[16].

ويمكن أن نستنتج أن دراسة الحمداوي قد وسعت أفق دراسة العنوان في الجانبين النظري والتطبيقي التي تمكن العنوان أن يبقى حاضراً مابين العديد من العتبات النصية ، لذا تعد مصدراً للعديد من الدراسات التي تركز على العنوان ، ودوره في قبول العديد من الأعمال الأدبية لدى القراء بفعل عناوينها ، وثمة مقاربات من الدراسات العربية الحديثة التي أهتمت بدراسة العنوان مما جعلت عتبة العنوان في مقدمة العتبات النصية التي تسهم في مقاربة النص الشعري ، وتأويلية لعلها تفتح المزيد من المداخل المغرية التي تجذب القارئ ، وتدخله في اعماق العمل الادبي.

انواع العنوان

تعددت انواع العنوان بتعدد غايته ووظائفه، وكل نوع من العناوين يقوم بمهمة معينة بوصفه علامة تعكس لنا مضمون النص الشعري، وعليه فإن **النوع الاول: العنوان الحقيقي** وغالباً ما يبرز على الغلاف الكتاب، وتقع عليه انظار القارئ الاولى ويسمى بـ **(الاصلي)** او **(الأساسي)** في حين أن النوع الثاني من العناوين تسمى بـ **(العنوان الفرعي)**، وغالباً ما يكون عنوان الفقرات او المواضيع.

اما **النوع الثالث** فهو **العنوان المزيف**، ويأتي مباشرة بعد العنوان الحقيقي، ووظيفته الاساسية تأكيد العنوان وتوثيقاً له، ويتخذ موقعاً متميزاً بين الغلاف، والصفحة الداخلية، وعليه عتبة العنوان وأن تنوعت انواعه إذ يعدُّ علامة يستدل بها القارئ على مضمون النص الشعري، فالنوع الرابع: يعرف بـ**(الاشارة الشكلية)** وتكمن غاية هذا النوع أن يميز النص عن بقية الاجناس الاخرى، وربما كان هذا من الاسباب التي أدت بدور فعال في بلورة العنوان، فتنوع الأجناس الأدبية عاملاً أساسياً في ظهور العنوان، والى جانب هذه الأنواع من العناوين يوجد العنوان التجاري وغايته الأغراء ويتعلق غالباً بالصحف والمجلات[17]، ونستنتج أن العنوان علامة تسمو الاعمال الأدبية من خلالها، تختلف العناوين لاختلاف غاياتها.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

وقد حدد جيرار جنيت في كتابه (عتبات) وظائف العنوان لتميزه عن الفنون الأدبية الأخرى كالقصة والراوية ومن ابرز وظائف العنوان:

1. **الوظيفة التعيينية*:** تسمى بـ(وظيفة التسمية)، لانها مسؤولية عن تسمة النص، وهذه الوظيفة من أكثر الوظائف انتشاراً، لانها تحدد هوية النص الشعري.
2. **الوظيفة الوصفية:** تكمن اهميتها في كونها مسؤولة عن الإنتقادات الموجهة للعنوان.
3. **الوظيفة الدلالية:** الضمنية المصاحبة تعكس لنا القدرة وقابلية المؤلف على الإيحاء والتلميح[18].
4. **الوظيفة الإغرائية:** وهي من الوظائف المهمة للعنوان فهي تغري القارئ، وتنشط لديه قدرة الشراء، لذا فإن أغلب الناشرين يصنعون عناوين مغرية، والقصد منها ضمان المبيعات وكلما كانت الإثارة قوية في نفس المتلقي تكون عملية التلقي أكثر وسعاً وإنتشاراً[19].

المستهل الثاني: تمثلات العنوان الخارجي في شعر سيف الرحبي

1. مجموعة اجراس القطيعة:

اولاً- القراءة المناصية:

عنوان مجموعة (**أجراس القطيعة**) جاء باللون الابيض عنواناً أصلياً داخل اللون البرتقالي المُغبر المتدرج في غمقه من الأسفل الى الأعلى ، ليكون متداخلاً مع اللون الاحمر مع فضاء متداخل مع شجرة شاهقة غطت معظم غلاف المجموعة الشعرية ، وثمة أراء في دلالة اللون البرتقالي مختلفة بين السلب والايجاب[20].

وكأنه يكشف شيئاً عن شاعر غرق في الألم والفجيعة والغربة القاتلة فكانت نتيجة ذلك ظهور الغلاف باللون البرتقالي المُغبر ، وقد اخفيت الشجرة في داخل اللون البرتقالي المعتم كنوع من الاستلال التفصيلي لما يجري على الشاعر في حياته الحاضرة والقادمة.

ويبدو أن دلالة لون العنوان (**أجراس القطيعة**) قد تداخلت في مفهوم (**الأجراس**) المتباينة مادياً، والمعضدة بدلالة (**القطيعة**)، أي الانقطاع والتلاشي، وهو مابدا لنا في لون الغلاف المتلاشي مع صورة الشجرة كأنه إحساس متناظر بين العنوان وفضاء الورقة، مع إحتفاظ العنوان بوظيفته **التعيينية** التي اعتقبتها النقطتان (**:**) ثم نوع التجنيس (**شعر**) كأنه مثير للعنوان وفق مايعرف الإشارة الشكلية[21].

أما نوع الخط فهو مثيراً آخر له مقصدية تواصلية مع الجمهور من حيث رسم الحروف والكلمات على فضاء الغلاف، وهو ماوقف عليه الباحثون في الفنون التشكيلية أثراً ذهنياً ونفسياً[22] وهو ما تنبهت له دور النشر ونحسب أن رسم العنوان جاء وفق الخط التيبوجرافي المعروف بفن تنظيم حروفه واتساق كلماته طباعياً، بطريقة يستسيغ القارئ فهمها بصرياً، داخل لون الغلاف (البرتقالي) المشتت قوة وضعفاً.

ليشعرنا كقراء باضطراب بين دلالة العنوان (أجراس القطيعة) معاناة نفسية، وبين طريقة كتابة العنوان (التيبوجرافي) المأنوسة نفسيا في إيضاحه علامات مقروءة.

إن استخدام اللون الابيض في مساحة العمل التصميمي للغلاف البرتقالي كأنه المُغبر أوضح الصورة البصرية للعنوان والذي استُعين بنوعية خط جيدة بصرياً مع توسيع حجمه مقارنة مع أسم الشاعر (**سيف الرحبي**)، فان العنوان الرئيسي جاء كبيراً بشكل مبالغ فيه ، الا انه كان واضحاً بشكل كاف فيما لو تم كان اصغر قليلاً.

كان الأفضل ان تُفرد كلمة (**شعر**) في الزاوية اليمنى العليا، ووضع العنوان (**أجراس القطيعة**) بشكل مستقل، فان التوزيع الفني للكلمات شآبه شيء من الاضطراب في العمل التصميمي للغلاف، فليس مستساغ وضع كلمة (**شعر**) مع اصل العنوان الرئيسي الذي يكون في الغالب الاعم منفرداً ومستقلاً عن أي شيء يقلق تواجده بصرياً، كما ان اضافة كلمة (**المؤلف**) وكأن مصمم الغلاف أراد تأكيد نسبة العمل لسيف الرحبي مما يحقق غاية إشهارية للإنجاز الأدبي.

ثانياً- القراءة المناصية مع المتن الشعري:

الأجراس لوحة مادية متلازمة مع الصوت، بما يثيره من توتر عند سماعه ومرتبط احيانا بحافز شعوري منبه للأنسان في شأن ما، وكحافز إدراكي وتأثيري لذهنية الفرد يربطه مع محيطه[23]، وقد تقصد الشاعر أختيار العنوان من ثنائية (الأجراس)، (والقطيعة) بما ينفعل مع ذاته إجمالاً وتفضيلاً وقد حاول أن يبث ذلك في ثنيات قصائده لفظة (الأجراس) أو مضمونا كتجربة شعورية يمكن أن نلمحها في نفسه المهشمة ليس أحداً لتقرعي أجراسك، موتك سيرتفع مثل برج من الأجراس، هذيان الأجراس، خيوط دلالية تتواشح مع عنوان مجموعته الشعرية التي توافقت ((على توليد المعاني واستنزال الأفكار...، ثم بالتحليق على أجنحة الخيال، وهو يضفي عليها من قواه العقلية والحسية))[24] لتأتلف موضوعيا مع عنوان المجموعة خزينا من الاستدعاءات عن مشاعره (المقطعة) نبضاً كالأجراس بين ايقاظها وغفوتها كمسار حياة الشاعر المتحولة اضطراباً.

مثلت مجموعة (**أجراس القطيعة**) الشعرية، محطة مهمة من محطات (**سيف الرحبي**) الشعرية الأولى، لكنها هذه المرة كانت عنيفة وحادة مقارنة مع بقية مجموعاته الشعرية، فيها يوضح الفكرة الفلسفية الداعية الى القطيعة مع الماضي واعادة بناء العالم.

بدأت المجموعة بعنوان مميز وواضح مؤلف من مقطعين صوتيين **أجراس/ القطيعة**، وهذين المقطعين هما الاعلى فلسفياً في إيصال الفكرة للمتلقي، الذي سيقرأ المجموعة بما تختزنه ذاكرته من أحداث مجملة بمستويات زمنية مر فيها المتلقي (**صغير/ كبير**) وذاق خلالها التجارب بحلوها ومرها، ليترك (**سيف الرحبي**) المتلقي في خيارات قيمية ومجتمعية قد تكون عنيفة ضد الماضي، الا أنها رائعة في إزاحة شوائبه ومعكرات صفو الحياة، إذ ان الأفق المشترك بينهما (**سيف الرحبي/ المتلقي**) يكاد يكون متطابقاً تماماً في استحضار الماضي المليء بالأحزان والحروب والتجارب المريرة، لتغييره بشكل أو بآخر.

وظف (**سيف الرحبي**) عناصر الطبيعة بكل مجرياتها، كأيقونة تحاكي آلالم الشعوب المضطهدة عامة والإنسان بصورة خاصة، فالبحر عند (**سيف الرحبي**) يتنفس بصعوبة ككائن يحتضر، والليل بدأ يتراجع

بشكل القهقرى أمام الموج الهادر من الامراض التي بدأت تفتك بالمدن، ومن هنا فان (**الرحبي**) يطلق العنان لمخيلته في إيقاظ البشرية من تلك المُرديات الموجعة قائلاً:

البحر يتنفس بصعوبة
الليل يتراجع أمام الأوبئة التي تفتك بالمدن
وليس أحدا لتقرعي أجراسك
ياكنائس النميمة[25]

استعار (**سيف الرحبي**) مفردات من وحي الحياة والطبيعة (**البحر/ الليل/ الأوبئة/ المدن/ الشمس**) ليصوغ منها ثورة فلسفية قائمة على الاندفاع بقوة وعنف، مستعيناً بـ (**المجهول**) الذي سيفسخ أعضاء الشمس، ويُعيد زهو الحياة الى سالف عهدها الجميل.. هي ثورة .. إنتقام .. تغيير .. إصلاح في أنظمة الدول الفاسدة، عبر شخصيات، قد تكون ماتزال في الأرحام، أو بشباب ثائر بهمة العربي الملاحق لمأساوية الحروب، وبذلك تتعدد الاستطرادات والانزياحات التي يولدها بحث موضوع الاغتراب والتسكع عبر جغرافية الشعر التي تتمدد لكي لا تلتصق بالربع الخالي فقط لنزعتها الدائمة الى التنصت على نبض الهم العربي الذي لا حدود له[26].

نحسب أن فلسفة (**سيف الرحبي**) لم تتوقف عن الحياة بصيغة أو بأخرى، فهو رغم ما يعانيه من تجارب مريرة ممزوجة بمآسي الشعوب العربية، إلا إنه يسخر من الموت، فالموت عنده مجرد قهقهة بعد الطلقة الاولى من مسدس الرياح، وكأنه يطرح الكثير من الرؤى التي راكمتها الخبرة والتأمل

سخرية بالحزن، بالأقدار، بالأنظمة الدكتاتورية .. سخرية بحجم علامة أستفهام التاريخ الزمني والجغرافي، فلم يعد (**سيف الرحبي**) – الذي يمثل الاكثرية المغلوبة على امرها – يهم بالموت، فالموت عنده كما عند غيره مجرد ضحكة مؤجلة تنتظر أن تخترق الرصاصة جمجمة هذا الجسد المرهق والمُتعب، اغتيالاً أو إعداماً فكلاهما الامرين سيان عنده، المهم أنه يتحدى تلك الانظمة والشعور والمشاعر السلبية؛ لأنه مؤمن بأن الفرد الثائر سيكون (**سيد الملحمة الثائر**) من اللا شيء في هذه الحياة الى بطل أسطوري سيرتفع كالبرج أو مثل أجراس الكنائس شاهقاً:

حين عرف أنك سيد هذه الملحمة
من اللا جدوى
ستضحك لأن موتك سيرتفع
مثل برج من الأجراس[27]

وهي محاولة لرسم معالم صورة اقرب للنستالوجيا* الممزوجة بالاحباط والالم فجاء في نصه:

صباح يوم الاحد
تنزهت كثيراً في ذاكرة أمي
طيور الدوري تنقر قبعة الغيم
فيسقط غراب البهجة
في هذيان
الأجراس[28]

كان الملل والروتين اليومي بمثابة صورة شكلها (سيف الرحبي) على هيئة (**غراب**) تستخرجه (**طيور الدوري**)* في صباح (الاحد) حين يتنزه في ذاكره (**أمهِ**)

مثلت (**الأم**) حلقة وصل بين ماضي (**سيف الرحبي**) وحاضرهِ، ومنها أخترق الموانع الجغرافية كنموذج لأحلامه ومخيلاته، ليرسم غيمة ترتدي قبعة، حيث (**طيور الدوري**) تنطلق نحوها لتنقرها، ويسقط (**غراب البهجة**) في هذيان الأجراس.

صورة مختلطة ... ام صورة حقيقية ذات وجود موضوعي، فـ (**سيف الرحبي**) استعان بـ (**الأم**) كمحاولة لجمع حنين الماضي ورفض الحاضر/ ورغم استحضار صورة (**الامومة**)، الإ إنه مزجها بصورتين احدهما طيور السلامة المتجولة (طيور الدوري) والغراب (**رمز التشائم والقلق**)، فحتى في فرحته وابتهاجه فالغراب كان حاضراً في فلسفته الفكرية والشعرية، فهكذا يرسم (**سيف الرحبي**) مخيلاته مستعيناً بصور نمطية شعرية تحمل صبغة الفلسفة الفكرية التي أزدحمت بأيقونات قريبة من نفس المتلقي.

ونحسب أن عنوان (أجراس القطيعة) يشكل طاقة هائلة وهو جزء من لعبة الدلائل التي تختزل ما أراد الشاعر أن يوصي به، وربما يريد من القارئ أن يشاركة في معاناته وروأ، ولأنها تنبعث من الذات الجريحة نتاج الغربة، والصد، والفراق فالأجراس هنا أجراس الذات التي تحاول التواصل مع الأهل والأصدقاء فعملت هذه العناوين وظيفة أخبارية وصفية تعمل على تكثيف الأنزياحية عند إضافة أجراس الى القطيعة.[29]

ثالثاً- القراء: الصيغية (التركيب):

الصيغة المنطوقة للغة العنوان (أجراس القطيعة) تميزت في وضعها المتكامل المنسق في بناء الصوت؛ لتصبح واضحة المعالم ومفهومة لدى القارئ، فتنهض بدلالة الكلمات محاولة تجسيد الفكرة والخروج على المألوف في الصيغة للإحاطة بالموقف[30] التبليغي فأجراس القطيعة هو العنوان الأساس للديوان مركبا تركيباً إضافياً يحمل معنى الوصف والأخبار، فالدلالة النحوية لهذا الأسم (أجراس القطيعة) جملة خبرية مكونة من مضاف اليه بعد حذف المبتدأ (هذه) وقد عملت الاضافة على تحديد طبيعة العلاقة بين أجراس والقطيعة في نسبة أجراس الى القطيعة، وما يميز التركيب وجود الدلالة (أجراس) دلالة ايجابية، فالمعنى الذي تضمنه الصوت، أو الجرس الذي يضرب به في حين دلالة القطيعة دلالة سلبية وتعني الهجران والصد ومنه ترك البر والإحسان الى الأهل والأقارب[31].

القراءة التشكيلية (التيبوجرافي* Typography)

إن أهم خاصية تلتزم بها دراسة أي ديوان شعري هو القراءة التشكيلية، وهي خاصية الوضوح في دلالة الحروف ونوعها وطريقة رسمها، إذ لا قيمة للعنوان الذي لا يؤدي دلالتهُ بينة يفهما المتلقي، او تلفت انتباهه كنوع جمالي ملفت للنظر، وبخاصة إذا كان مكتوباً بالخط اليدوي او اختيار نوعية من الخطوط الواضحة لإيصال رسالة الديوان من خلال العنوان.

في الغالب الأعم يتميز خط العنوان الرئيسي للديوان في الغلاف الاول بِكِبَر حجمه مقارنة مع أسم المؤلف الذي يصغره في الحجم وقد يتشابه خط العنوان مع خط المؤلف في أحايين نوعاً ما، الإ أن الكثير من المؤلفين والمدونين والشعراء والروائيين لا يستسيغون تشابه الخطوط التي يخطها الخطاطون وإنما يفضلون خطوط الحاسبة وبخاصة خطوط السميكة جداً والبارزة.

في ديوان (أجراس القطيعة) خط العنوان بخط سميك بصورة بارزة هكذا (**أجراس القطيعة**) الا ان هناك نسخة اخرى للديوان قد خُط بنوعية خطوط كلاسيكية (أجراس القطيعة)، في كلا الديوانين ظهر أسم العنوان الرئيسي على الغلاف وأسم المؤلف بنفس نوعية الخط الذي كُتب لكلاهما بخط واضح للعيان، فيما كان أسم المؤلف أصغر من العنوان.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

ويمكن القول أن الخط هو المعبر الأول عن مضمون الأفكار فإذا نظرنا الى كيفية خط العنوان (أجراس القطيعة) تلمح التناسق في رسم حروف الكلمات، فالخط التيبوجرافي كأنه العنصر الأول في لغة التشكيل البصري، ووجوده على الغلاف يولد علاقة مع فراغ اللوحة ولا تنسى التناسب في المسافات بين الحروف وبين كلمة (أجراس) وكلمة (القطيعة) مما يولد اتزاناً[32]، ويساعد القارئ على فهم العلاقات ذاتها التي تحمل الدلالات في الوقت نفسه يشكل حافزاً لتلقي المضمون، ونحسب أن الشاعر كلما أراد أن يحيل صورة ذهنية الى الواقع فإنهُ يتجه الى وسائط التعبير الفني ذات قيمة عالية وفي ضوء ذلك يتضح أن لرسم الخط مرونة عالية دلالة تنطلق منها قابلية للإنفتاح على اكثر من مدلول، وعليه تنظيم الألوان والخطوط في الفنون البصرية في نفس القارئ فضلاً إنها تصور عن بعضها مع بعض لكي يكون مؤثراً عن الواقع وطبيعته فضلاً عن الأثار التي تحدثها عند التلقي.[33]

وكأن نوعية الخط الذي يتميز في الكثافة اللونية المعمقة تطرح ما بداخله عن (أجراس) بدأت تقرع لـ (القطيعة) ولعلها دلالة بحجم معاناة الشاعر الداخلية وإحساسه المتدفق بالمحيط الخارجي التي ترجمها عبر رحلات نصية شعرية مثل خاتمتها بكلمتين (**اجراس القطيعة**) ليرسم للقارئ الصورة خاتمة المطاف القلق، فعبارتين (اجراس)/ (القطيعة) شكلت وحدها تناغماً[34].

2- مجموعة رجل من الربع الخالي

أولاً: القراءة المناصية مع الغلاف:

لوحة الغلاف تمثل رؤية بصرية تفعل عملية التواصل مع المتلقي، فالقارئ يجد نفسه أمام فضاء مشحون بالتأمل والتفكير، إذ يحيل الفضاء الى منطقة الربع الخالي وإذ تم نطق الربع الخالي يتبادر الى الذهن المتلقي بأنها منطقة صحراوية قاسية الإ إنها تميزت بالسكينة والمهابة

وقد جاء الغلاف باللون الأصفر الفاتح فلدلالة جاءت تضامنا مع صحراء الربع الخالي فهو لون الشمس مصدر الضوء والحرارة سمة البيئة الصحراوية وقساوتها.[35]

أما التأثير النفسي للون العنوان فهو يوحي إلى الإحساس بالثبات معبراً عن صمود الشخصية، ولعل هذه الدلالة تتضمن معنى مقدرة الإنسان العربي على مواجهة الواقع المرير من أجل البقاء في الحياة الكريمية وخط باللون الأحمر، وتضمن معنى التضحية في سبيل المبدأ فهو من الالوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس، لذا جاء تضامنا مع دلالة اللون الأصفر[36] التي غطت حيزاً كبيراً من الغلاف ويمكن أن نستنتج أن اللونين يرتبطان مع البيئة وخاصة إذا كانت مثل بيئة الربع الخالي.

إن دلالة شكل المستطيل الذي تضمن في داخله جميع العتبات النصية من عتبة العنوان ودار النشر لعله يوحي الى مقدار التغيرات النفسية التي يخوضها الشاعر، فهو من منطقة الربع الخالي، أو قد يتضمن عدم شعور بالرضا، ورغبة منه إلى تغيير مسار ما في حياته، فالشكل الهندسي (المستطيل) ربما يشير الى التغيير المهني أيضا فالرحبي جمع بين الشعر والصحافة فضلا كونه رئيس تحرير مجلة نزوى الثقافية[37] ونحسب أنه ساهمت مظاهر التواصل غير اللفظي في الإحالة الى المضمون العمل الأدبي.

ثانياً: القراءة المناصية مع المتن الشعري:

برز غلاف ديوان (**رجل من الربع الخالي**) بطريقة تتسم بالـ (**بُوهِيمِيّة**)، وهي الشخص غير التقليدي اجتماعيا، أو متمرد لا يندمج مع الأعراف والمقاييس الاجتماعية، وخصوصا أولئك المتعمقون في عالم الفنون، اذا اظهر الشاعر (**سيف الرحبي**) نظرته النهائية بطريقة مخالفة عما سبق كأنه غريب في وسط مجتمع متناقض، وكان الشاعر يحاول مجاراة الشاعر المتنبي في غربته:

أنا في أمَّةٍ تَدارَكَها اللَـ ـهُ غَريبٌ كَصالِحٍ في ثَمودِ.[38]

فنمط حياة الشاعر (**سيف الرحبي**) غير تقليدية أبدا ، يميل لأن يكون مختلفا عن أنماط الحياة المتعارف عليها في المجتمعات، وغالباً ما ينعكس ذلك النمط من خلال مجموعة من الأفراد ذوي الميول المشتركة في اللباس والنشاطات الموسيقية والفنية والتفضيلات الأدبية والشعائر الروحانية وغيرها الكثير من الروابط المشتركة التي قد تشكّل طبيعة العلاقات الاجتماعية على المدى البعيد[39].

كثف الشاعر (**سيف الرحبي**) من المبالغة في تخيلاته وتصورات وحدته وانعزاله في غلاف ديوانه (**رجل من الربع الخالي**) من خلال طرح الخط الاحمر في مساحة كبيرة من اللون الابيض كتعبير عن الحياة بصيغة تدل على الابداع والتأثر بالذات الانسانية، وكنموذج مأساوي للانعزال المجتمعي المؤلم الذي يعانيه (**سيف الرحبي**)، فان طرح الخط الاحمر وسط البياض الشاسع هو الثغرة الكبيرة بينه وبين المجتمع، وعلى ما يبدو أن الشاعر يحاول أن يميز نفسه، ويفضل نفسه ولكنه بذات الوقت يضع صورته بالكامل بانه "مميز" بما يحمله من تصورات ثقافية وفكرية عالية المستوى مستلهماً جزء تمرداته من عوالم الطفولة التي عاشها في بيئة متنوعة يرسمها في الغالب على بطولة الحدث وارث المكان والحضاري[40].

ان منطقة الربع الخالي واحدة من اكثر المناطق الجغرافية توحشاً بالجفاف والبيئة القاسية، فهذه المنطقة تتجاوز في مساحتها فرنسا، وتحتل قرابة خُمس الجزيرة العربية، وتمتد فوق أراضي أربع دول، وتحتوي على أكبر بحر رمال في العالم، وتصل الحرارة فيها إلى مستويات لا تطاق؛ إنها صحراء الربع الخالي، التي لم يتمكن من ترويضها إلا أشد الرجالات بأساً وحكمة رغم قساوتها[41].

كانت انطلاقة الشاعر (**سيف الرحبي**) من اختيار العنوان (**الربع الخالي**) ومن انه (**رجل**) تواجد (**في**) تلك البقعة المتوحشة، وعلى ما يبد أن الشاعر (**سيف الرحبي**) كان يحاول مقارنة نفسه بالأسطورة وفلسفة الوجود عبر اختياره اتساع دائرة الوحشة في الربع الخالي لتتسع دلالة الديوان لتشمل الاراضي العربي جميعها[42]، إذ أن مكانية (**الربع الخالي**) رسمت في مخيلات الشاعر أيديولوجية العبادة الشعرية من خلال معالجته لها كونها تدور حول الاماكن بانواعها المفتوحة والمغلقة وهي اماكن واقعية موضوعية انطلقت كمرحلة اولى/ الطفولة الاولى/، فان اغلب المواضيع التي تناولها (**الرحبي**) في ديوانه (**رجل من الربع الخالي**) ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالذكريات والرحيل والطبيعة والناسك، وحركة الاشياء، فيقول:

لا نستطيعُ أن نفك شباكنا
من براثن الجوارح

لا نستطيعُ الذهاب أبعد من ربقة المضيق
سارحين بعذوبةٍ في مهب المقيل[43]

في واقع الامر أن (**سيف الرحبي**) من الربع الخالي كما أشار ذلك عنوان مجموعته السادسة لكن هذا العنوان ليس دالة على شعرية صحراوية او مخيلة بدوية، لكنها دالة على تزويج النص بالدالة الأسمية (**الربع الخالي**) الشاسعة مع صعوبة/ **فك الشباك**/ والانطلاق نحو افق رحب يمكنه ازاحة/ **براثن الجوارح**/ فانتج انطلاقة تجديدية في الشعر العربي ، فالوظيفة الأساسية لديوان (رجل من الربع الخالي) تعينية لما يتضمنه الديوان من نصوص شعرية لها أرتباط واضح بالربع الخالي والهدف من هذه العناوين مساعدة القارئ على إيجاد العمل المطلوب وتميزه عن أعمال الرحبي أخرى، ويمكن الأشارة أن العنوان يحمل سمة التسويق التي تثير فضول القارئ لاقتناء العمل الأدبي واثبات هوية النص.

ثالثاً: القراءة الصيغية (التركيب):

بدأ العنوان الرئيسي بصيغة تأكيدية / **رجل/ من/ الربع/ الخالي**/ لتكتمل بمبتدأ محذوف (هذا) وخبر للمبتدأ / **رجل** /، والحذف وجه من وجوه الاقتصاد اللغوي يدل عليه سياق الكلام او قرينة لفظية تركيبية[44]. ومن ذلك يتبين لنا أن الحذف نوعا من الإيجاز ويتفق مع سمة التسهيل من سمات تطور كلام العرب وتتماشى مع ما وضعت به لغة سكان البيئة الصحراوية فيتحول الفعل القرائي من الفهم الى التأويل متجاوزاً كل المعايير الثابتة التي تجعل النص نسقاً مغلقاً يقاوم اجتهادات اللغة الشعرية في بناء ذاتها خارج التركيب المألوف[45]

رابعاً: القراءة التشكيلية (التيبوجرافي Typography)

تمثل العنوان بنفس القراءة الرسمية للخطوط البسيطة المتوفرة في الحاسبات الالكترونية لتمثل صورة موحدة بين العنوان وأسم المؤلف/ الشاعر/ الا انهما اختلفا بالألوان إذ تم منح العنوان سمة اللون الاحمر، فيما طغى اللون الأسود على دائرة أسم المؤلف/ الشاعر/ ودار النشر، ومنها جاء الديوان بطريقة دراماتيكية مبسطة لكنها تحمل دلالات كبيرة، ولعل مؤلف الديوان/ الشاعر/ رسم لنفسه انطلاقة جديدة في اختزال كل ما عنده في بساطة الخط واللون، ونحسب أن النسق في خط العنوان (التيبوجرافي) ساعد العمل الأدبي على تحقيق ثباته في الساحة الشعرية مما سهل الأمر على المتلقي لإدراك المعنى، فالحروف المفتوحة شكلت إنعكاسات كثيرة لإضافة جو من المرح ويعبر صاحبها عن ما يشعر به في تلك اللحظة؛ لذا تسمى بـ (الحروف ضاحكة).[46]

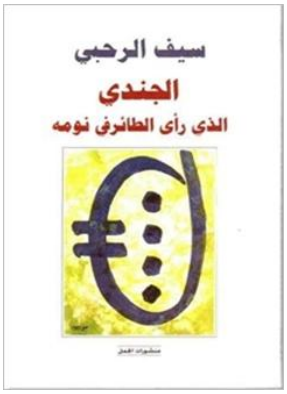

3- مجموعة الجندي الذي رأى الطائر في نومه:

اولاً: القراءة المناصية مع الغلاف:

العنوان يتعاضد مع اللوحة الفنية في إضاء: مسحة فنية، فاللوحة جاءت معبرة عما يحس به الشاعر ويخاطب داخله، وكأنما يبحث عن نور يضيئ به ما تراكم عليه من الآلم والغربة وترك وطنه.

فأختار اللوحة بشكل طريقا يستعين به الإسناد النص ومحاورته حواراً ذكياً غطى معظم مدلولاته من خلال توزاي نصي كبير أفلح في تأسس شعرية الغلاف القائم على حوارية النص واللوحة.[47]

فغلاف المجموعة عبارة عن تداخل فضائين، الفضاء الأول الأوسع باللون الأبيض ويرتبط بدلالات خاصة من السكينة في كل مساحة يشغلها لكن ثمة من يراه حسب نفسيته يتضمن نذيراً يدنو الأجل وإنقطاع الأمل من الحياة، فهو في هذا المعنى تنبعث منه إشارات الخوف والتأمل واليأس والقنوط[48]

أما الفضاء الثاني فيشغله اللون الأصفر الممزوج باللون الأبيض وقليل من اللون الأخضر عاكسا حالة الخوف والقلق فجاءت دلالته حالة من التشاؤم مرتبطا بالذبول، والجفاف والمكر[49] فالتوافق بين العنوان والغلاف يدل على تقارب بين مضموني له صلة عميقة بالمكان الذي يشغله التخطيط تعضده النقاط البارزة في اللوحة رمزاً محورياً إذ جاءت معبرة عن حيرة مكانية كأن الشاعر محاط بالمصائب، وقد شبه نفسه في نصوصه بالجندي المحاصر في الحرب والدائرة الزرقاء في اللوحة هي رأس البومة المطوق حول حياته، إلا أن هناك منفذ مخيف يتمثل في الخطين الأزرقين، يمكن أن يرى من خلالها الجانب المشؤوم من حياته فجاء العنوان مع الغلاف مقترنان الى درجة التقمص الوجداني.

ثالثاً: القراءة الصيغية (التركيب)

جاء العنوان (الجندي الذي رأى الطائر في نومه) متصدر الغلاف وله مكانة متميزة عبارة عن جملة إذ يتألف من مبتدأ (الجندي) والخبر أسم موصول (الذي) وصله الموصول جملة فعلية (رأى الطائر في نومه) فالتركيب يميز هذا الجندي من الجنود، فالجندي معروف وكذلك الطائر والدليل على ذلك وجود (ال التعريف) وأسم الموصول (الذي) فالشاعر يسعى التي تقديم رؤية خاصة إنطلاقا من التركيب الذي يتضمنه فعل (رأى) ومعنى العام الذي يتضمنه الفعل البصر والإعتقاد والتدبر ويتعلق هذا الفعل ما يمكن للعقل أن يتوقع حدوثه ناتج من فهم الواقع والتواصل بما يراه الإنسان في النوم وهو محور نفسي[50].

القراءة المناصية مع المتن الشعري:

شكل العنوان الرئيس في الديوان نقطة مهمة عند المتلقي الذي حتما سيجذبه العنوان بصورة ما، ليبحث في طياته ويرحل في اعماقه بحثاً عن المتعة والجمال ودائرة الامل الحقيقي، فالديوان الشعري تمركز على

ثلاثة اجزاء حيث برز الجزء الاول تحت مسى **(ضربة شمس)**، فيما انطلق الجزء الثاني من مسمى **(البحيرة المسحورة التي غرقت فيها اخيراً)**، اما الجزء الثالث فقد اتخذ من الجندي عنواناً متحداً مع عنوان غلاف الديوان **(الجندي الذي رأى الطائر في نومه)**.

في ديوانه وتحديداً في قصيدة **(الجندي الذي رأى الطائر في نومه)**:

عليّ أن أبعثر الجهات والمرايا
كرجلٍ ينهض من نومه
بطيئاً متكاسلاً
الجهات التي تطوّقني بألسنه اللهب
فلا أستطيع الوقوف
متعثراً بصخور البارحة[51].

لم يكتفي الشاعر بالبوح في مكنونات نفسه التي تعاني من عديد الآلام المتنوعة مضافاً اليها استعداده للدخول في / العمر عتيا / التي سيحاول الدخول اليها عبر تعثره / بصخور البارحة/.

ويضيف (الرحبي):

عليّ أن أبعثر أشلاء اللحظة
وأسوق الجيوش إلى حتفها
كجندي يستعد يوم حربه
الجنيد الذي رأى الطائر في نومه
فانتشله من بركة الدم
ومضى
كان يجري في حقول الظهيرة
في يده الطائر[52].

ويتابع (الرحبي) قوله:

كان الطائر رسول الروح الهاربة من الأسر
كان الجندي رسول حرب
التقيا على منعطف القلب
على منقلب الصدفة
طائر جريح وجندي مهزوم
لا لم يكن مهزوماً ولا منتصراً
كان الضمير الخبئ لحروب البشر والآلهة[53].

في هذا المقطع تحديداً يستعين **(سيف الرحبي)** بنسخة اسطورة وملحمة ملك اوروك (**لوغال باندا*** **Lugalbanda)** في كهف الجبل، واسطورة **(لوغال باندا Lugalbanda)** وطيور **(الأنزو** ** **Anzû)**[54]، فكلا النصين متقاربين الى حد ما في الشكل والمضمون، وكأنما يحاور الحاضر بالماضي ويستخدم **(الطائر)** كرمزية ماضية لاستعادة الحاضر بصيغة مؤثرة وتشابه بين ما جرى على **(لوغال باندا Lugalbanda)** من مأساة وعوارض وبين ما جرى على **(سيف الرحبي)** وكلاهما كان الطائر عاملا مشتركاً لهما.

من هنا كانت فكرة (**سيف الرحبي**) فكرة ذكية في مداعبة مخيلات المتلقي بعناصر واقعية/ طائر/ كمحاولة لاستدرار عاطفة المتلقي والتفاعل مع احداث ماحصل وما قد يحصل، والتفاعل بين الطرفين يسهم بنسبة كبيرة في بقاء الاعمال الفنية والابداعية على قيد الوجود[55].

القراءة التشكيلية (التيبوجرافي Typography)

اتخذ العنوان من الخط السميك كنموذج لإشباع العنوان رؤيا للمتلقي، مستخدماً اللون الاحمر الملفت للنظر وهو ما ستسقط عليه عين المتلقي عند اول نظرة لغلاف الديوان، اذ لم يختلف نوعية الخط المستخدم في العنوان عن نوعية الخط المستخدم في أسم المؤلف/الشاعر/ وتطابقا في الاحجام الا بمقدار بسيط جداً لا يكاد يُميز الا من قبل المتخصصين في فن التصميم ونحسب أن الكلمة التي تلفظ بقوة تطبع بحروف اضخم من غيرها والفراغ المتفاوت في الكثافة بين الكلمات يشير الى الصمت لذا فصل كلمة الجندي عن باقي الكلمات الأخرى ولها دور في التنغيم الصوتي[56]، وفي محاوله لألفات فقد فصلت كلمة (**الجندي**) عن العنوان الرئيسي، فيما احتلت اللوحة الجزء الاكبر مناصفة مع العنوان الرئيسي وأسم الشاعر وأسم دار النشر (**منشورات الجمل**)، كجزء من الفن التشكيلي (**الرسم**) والذي اسهم في تكثيف المعنى المتكامل وابرازه للمتلقي ، اذ ان اختيار اللوحة بهذه الصورة المتطابقة مع العنوان جاء متطابق تماماً مع روحية ما يريده المؤلف/الشاعر/ لتعكس للمتلقي مضامين العمل الابداعي، فالعنوان وحده كانت له وظيفة ايحائية هي اشد ارتباطاً بالوظيفة الوصفية لكونها تحمل قيمة ايحائية تستهوي القراء[57] وبخاصة اولئك الذين كانوا يوماً ما جنودا في الحرب او الذين ولدوا في ازمنة الحرب وشاهدوا الجنود.

4. ديوان مدية واحدة لا تكفي لذبح عصفور

أولاً- القراءة المناصية مع الغلاف:

الفن .. جزء من القصة التي يرويها الانسان عن نفسه ، وكأنما خلق للصراع مع الزمن بكل اشكاله التراجيدية لتحقيق ذاته.. فهو ابن هذا التحدي يهذب به نفسه ليُبصر الحياة بجمالها ويشعر بها ويحاول ان يتابع أثره في محاولة لفهمه بكل تفاصيله – الخير والشر – إلا أن هذه القيمة في الصراع سرعان ما تنقلب كتضاد وصراع نتيجة ما يلاقيه الانسان من مصاعب ومصائب في حياته ، فيتحول الانطباع الى حقيقة موضوعية تتحول الى فن متنوع[58].

مثلت صورة اللوحة في الغلاف الامامي لديوان الشاعر (**سيف الرحبي**) (**مدية واحدة لا تكفي لذبح عصفور**) مطابقة تماماً للعنوان في كونهما يتحدثان عن وحدة الموضوع، ما بين العنوان واللوحة التي رُسِمَ

فيها القلب بالالوان التي تميل الى الدم الذي يرمز في الغالب الى القتل المتنوع: قتل الطموح، قتل الفكرة، قتل الروح، قتل كل ماله صله بمحيط النفس الإنسانية كان الغلاف تشخيص* للعنوان شعوراً وادراكاً.

في مكنونات اللوحة برز القلب الذي طغى عليه عديد من الالوان الممتزجة والتي قاربت لون الدم ، ايقونة الموت الخالدة عبر التاريخ، وانتقاله حداثوية التي يسعى (**سيف الرحبي**) الى ايجادها عبر الانفجار في الوعي والحساسية الجديدة في تعبيرهما عن شقاء الإنسان في غربته ومنفاه وليست حداثة افتعال، ونقرأ ذلك في لغة شعرية متميزة وسط فوضى الهويّات الشعرية السائدة[59]، فاللون الاحمر يمتد لدى علماء الطاقة بانه شعور الانسان بطاقة الاغتراب المؤلمة[60].

ان الغلاف الشاعر للون الاحمر اختزل الكثير من مضامين العنوان امام المتلقي، فقد كفاه مؤنة البحث عن اصل الفكرة واللون الأحمر على الغلاف مع اللون البني الرمادي في خلف اللوحة كواجهة للديوان ، فاللون البني الرمادي يرمز لدى الشعوب القديمة الى الغرب حيث الغربة والوحشة في عوالم ما بعد الموت والغربة عند الاوطان التي تفتك بالنفس البشرية الراغبة بالعيش بسلام وطمأنينة في اوطانها بعيداً عن سطوة الحكام القساة[61].

في زاوية حرجة من اللوحة ظهرت نقطتان اصطبغتا باللون الاحمر تُحاكي رمزية القلب عن بُعد، فكانت الألوان إحدى وسائل التعبير عن الأحاسيس وما يعتريه من مشاعر تتفاوت حدّتها تبعاً لطبيعة الموقف الشعري والحالة التي تقتضي من الشاعر البحث في كيفية الافصاح عن مايعانيه من خلال استعمال المفردات، من خلال رؤيته في اختيار اللوحة التي تكون مقاربة جداً من آلامه ومعاناته، فوجود اللون الاحمر (القلب) النقطتين الحمراوين هي معاني رمزية بالغة الخطورة، باعتبارها منظورات فيزيائية تستجيب لتطلعات الذات الراغبة في الكشف عن طبقات الاعماق[62]، ففي أيسر اللوحة يشاهد المتلقي صورة تكاد تشبه طائر ما لَوِنَ باللون الاسود، الا أن ملامحه مفقودة بشكل واضح الا ان الفنان الذي رسم اللوحة ترك لنفسية المتلقي للتعبير عن ماهية هذا الطائر، فالضغوطات النفسية المتشائمة ستراه طائر الوطواط (الخفاش) وهنا سيرسم المتلقي ان هذا الوطواط هو من النوع المتخصص بالدماء/ مصاص الدماء/ وهو قريب من القلب من جهة تميل الى صبغات لونية كالأبيض/ رمز النقاء/ اللون البرتقالي الذي يُشير إلى الإحساس بالسعادة والحرارة والتعاسة والتوتر والدفء والبهجة والسرور التوازن[63].

يغلب في لوحة الغلاف الألوان الترابية وتدرجات اللون البرتقالي والأزرق، وقد تم التزاوج بين افقية القلب وقوة البناء من جهة، وبين رقة التدرجات اسفل اللوحة في اشارة الى الانطلاق الطفولي نحو مصاعب ومتاعب الزمن، فالتأويل يختلف من قارئ الى آخر في شرح الحنين والوداعة من جهة، واستحضار مكونات الآلم ورموزه من جهة ثانية، وعليه فاللوحة تعج بالتوتر النفسي معبرة عن حاجة النفس البشرية لمتطلبات الحياة، وتحاور ما جاء في العنوان (صيغة النفي) توكيد على القوة والجمال والحرية والكلام.

المقتبس لأنتونين آرتو: ((ما اقسى شعور الانسان بعدم وجوده في مكان ما))[64]، لذا تفاصيل التشكيل في اللوحة حاضرة في الجو العام للنصوص الشعرية وهناك تعانقاً للعنوان، ولوحة الغلاف مع المضمون الشعري، وهيأت القارئ للدخول الى متن الديوان وموازته عبر شعرية تجمعت من مكونات اللوحة[65] واي كان الحال .. فاللوحة لعلها تطابقت مع فكرة الشاعر ومضمون الديوان شكلاً ومضموناً من خلال وحدة الموضوع وعمق الفكرة المراد طرحاً للمتلقي.

ثانياً- القراءة المناصية مع المتن الشعري:

يقدم العنوان الخارجي العمل الابداعي حيث يمنح القارئ مجموعة من الاشارات الضوئية حول المضمون واذا تأملنا العنوان الخارجي للمجموعة الشعرية (**مدية واحدة لا تكفي لذبح عصفور**) فسنجد تفاعل

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

وتداخل مع المتن الشعري مضموناً لكونه نصاً موازياً للعمل الادبي فهو يعرف به إخباراً ويستدل به، وفي الوقت نفسه يحيل الى عنوانه، فالمتن الشعري يعتبر الدلالة التعبيرية واللغوية التي يتشكل منها العنوان علاماته الموازية علاقة ترابطية وتبادلية بين مستوى التعبير ومستوى المضمون[66] وبه يكون العنوان علامة لغوية فيرتبط بالنص ويكون جزءً من المعنى تلخيصاً واختصاراً له[67].

وجاء في نصه الشعري (خريف) معبراً عن حالته واغترابه فيقول:

وحيداً بين طيور الغابةِ
تبعثر ريش الخريف
وتحدّق في بُرك آسنةٍ
ترى فيها صورتك قبل
عشرة قرون جندياً على
نهر الأمازون أو
في معبدٍ بوذي بآسيا
جائعاً
لكنك تفكر:
أن مُديةً واحدةً لا تكفي
لذبح عصفور[68].

كأن العنوان مشارك في تحديد طبيعة التجربة التي توحي لنا بها النصوص اعلاه، فضلاً عناوين قصائد المجموعة التي يتضمنها الديوان منها: متحفُ مِنْ خِلال، قهوة الصباح، صدفة صخرة، مبارك الرحبي، يوسف الخال إذ أن متونها الشعرية تتحرك صوب العنوان صرخات تتعاضد مع دلالته المضمرة بوجود (سكاكين) لقتل الإبرياء وكبح جماح صوتهم ولذلك جاء العنوان بمثابة ايقونة دالة، حيث اوجز مضمون النص ولمح بمكوناته يكون جسراً للعبور الى ثنايا النص، فاتحاً امام القارئ باب التأويل ومحفزاً له لاكتشاف المضمون[69] وهذا ما نعتقده اهتمام (**سيف الرحبي**) باختياره وعنايته الفائقة بالعنوان على أن وظيفته قد انحصرت في الوصفية والاغرائية، لكون العنوان انبثق من نص الشعري (**الخريف**).

ثالثاً- القراءة الصيغية (التركيب)

التركيب النحوي لأسم العنوان جاء في صيغة النفي لتبرز لنا قوة وجمال عنوان (**مدية واحدة لا تكفي لذبح عصفور**) ، الجملة الاولى أسمية من مبتدأ والخبر (محذوف) وواحدة تمييز بينما الجملة الثانية فعلية اعتمدت على النفي، فالسمة البارزة في العنوان طوله وعدم اقتصاده اللغوي، فالعناوين ذات ابعاد رمزية تتألف لدى (**الرحبي**) من جملة أسمية أو من كلمة واحدة على مستوى البنية اللغوية تتميز باقتصادها اللغوي ينحو عدد منها بنسبة معينة نحو الطول، ومن سمات العناوين ايضاً تأتي على مستوى التناصي من العناوين الداخلية أو ضمن نصوصه الشعرية إذ تتضمن مفهوم فكري ووجودي مما يجعل العنوان يتطلب فهم معناه اثناء تلقيه العودة الى المرجعية التاريخية او التراثية، فالعنوان يحيل الى داخل النص الشعري ويسهم في ادخال القارئ كعنصر اساسي في عملية التأويل[70]

رابعاً- القراءة التشكيلية (الكليجرافي)

خط العنوان (مدية واحدة لا تكفي لذبح عصفور) بالخط (الكليجرافي) وما يميز حروف العنوان رسمت بشكل متناسق؛ لكونها متصلة قابلة لإكتساب أشكال هندسية من خلال المد والرجوع ومجئ هذا النوع من الخطوط نحسبه لأسباب نفسية تدفع المبدع الى أن يعبر ما يشعر به فضلاً يكشف عن موهبته الإبداعية

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

وقدرته في التعبير ولعل الرحبي يبحث لإيجاد وسيلة تصلهُ الى الحالة من الأتزان والإستقرار ولعل الخط أهم عناصر التشكيل البصري تجمع بين الجانب الجمالي والوظيفي القرائي[71]
أما المسافات الفاصلة بين كلمات كأنها غرفة تنفس بصري للعين وتريحها اثناء القراءة وتساند الخط الكليجرافي في ايصال فكرة المبدع الى المتلقي[72]، ونعتقد إنها ساهمت في إذ كاد شعور القارئ بالطمانينة وتوعيته.

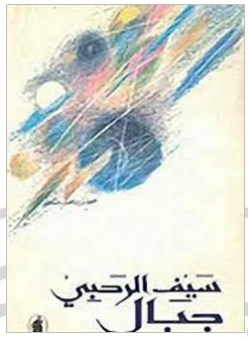

5. مجموعة جبال

أولا- القراءة المناصية مع الغلاف:

شكل العنوان المصدر الألهامي الأول لتكوين الذاكرة لدى الرحبي، إذ يمكن القول أن تفاصيل لوحة الغلاف جاءت تضامنا مع العنوان، وهنالك تعالق مفترض للعنوان ولوحة الغلاف، وربما قد هيأت دخول المتلقي الى المضمون.
الغلاف تضمن رسم طائر النحلة الطنان ذات الألوان المتعددة ما بين الأصفر والوردي ونسبة كبيرة من اللون الأزرق الدلالة التي يتضمنها اللون الأزرق لون الوقار، والسكينة والحكمة[73] وهذه الدلالات جاءت متضامنة مع دلالة الجبال الذي يرمز به الى العزة، الشموخ، الصمود، الثبات، والقوة المتعازف كثير ما يشبه الإنسان بالجبال، إذ يملك نسبة من الصبر وعزة النفس طالما عاش هذا الطائر في المناطق التي تتوفر فيها الأعشاب والأزهار وتمثل طيور غير مهاجرة؛ لذا يمكن الوصول الى سمة ربما تجمع هذا الطائر الصغير والجبال إنهما لا يبرحان مكانهما، فالطائر الطنان يتسم بالسمة الاجتماعية لا يترك مكانه رغم سرعة طيرانه، أم جبال ثابتة لا تبرح أرضها ايضا[74]، فضلا عن سمة القوة المشتركة بينهما (الطائر/ الجبال) لعل هذا التأويل تتجسد عنوان المجموعة في كونه نصا موازي مع الغلاف وقد أثار أحاسيس القارئ منذ قراءته للعنوان يشعر بالمنبه الجمالي الذي يستلمه. يمكننا القول جسدت اللوحة بفضاءها التشكيلي معنى العنوان، كأن اللوحة تحاور العنوان الخارجي (جبال) تترابط معه مما تسهم في إثراء الدلالات تجليا مع عنوان المجموعة الشعري والمكانية في اللغة والشعر[75]، والمكان في **(جبال)** يتحول أثر المكان الى ظاهرة بارزة في اعمال الشاعر **(سيف الرحبي)** وهو – اي الشاعر – يحاول أن يجمع اكبر قدر ممكن من الاماكن العمانية وفق نتاج ادبي ليحوله الى مسرح زمني وانساني، وظاهرة استحضار المكانية في شعر **(الرحبي)** جعلت من العمل الادبي ذا قيمة وانعطافة مهمة كونه يرتبط بفضاء **(الجبال)** المتنوعة الجميلة، على عكس ديوانه **(رجل من الربع الخالي)** الذي ارتبط بفضاءات متوحشة وقاسية **(الصحراء)**.

ثانياً- القراءة المناصية مع المتن الشعري:

المكان اشارة توضح البيئة التي ينتمي اليها الشاعر ، فوظف (**الرحبي**) ديوانه (**جبال**) معلما مكانيا لعله لإصال فكرة العمل الى ذهن المتلقي وادراكه ليُضيء له طريقاً في معرفة مضمون الديوان، فالمكانية بحد ذاتها تشكل عنصراً رئيسياً في اظهار هوية الشخصية المتكلمة[76]، فالاماكن الجغرافية التي تأثر بها (**الرحبي**) انعكست على الانسجام الوجداني والعاطفي واحدثت تعاطفاً بينهما، لذا انبعث العنوان من نصوصه الشعرية ليعكس ملامحها ليتحول هذا الانسجام الى تخييل ليمنح الجبال صور عديدة في ذهن القارئ وهو ما سهل عملية التلقي، فالاماكن عند (**الرحبي**) شكلت لوحدها مصدراً ملهما في اعماله وبخاصة ديوانه هذا وعملت على تعزيز افكاره وبواعثه اساسياً في تشكيل هويته[77]، لذا وقد حمل العمل الفني بصمة العنوان وملامح علاماته المادية.

يقترب عنوان المجموعة الشعرية (**جبال**) من النصوص الشعرية بما له من قدرة كبيرة على التفاعل مع مختلف نصوص الديوان (**جبال**) وخاصة في نصه (**هذيان الجبال والسحرة**) وجاء فيه:

لقد ذهبوا بعيداً صوب أنفسهم
وذهبوا في الوحشة.
أيام تتلوها أيامٌ،
الديارُ تضمحلُ في عين عاشقها
والجبالُ عرين الذكرى[78].

وقوله في نص آخر:

جبالٌ تتلوها جبالٌ،
هذه الأبديةُ من سراب الكائن
أي أسرار تخبئها
أي خلائق ستقذفُها ذات يومٍ
في وجه كوكبنا[79]

وقوله في نص آخر:

آنذاك احتدمتْ حربُ القبائل
من جبل إلى سيبة
تُشاهدُ الموت معلقاً في قرون الأكباش،
التي تُهرعُ بثغائها نحو الأبراج.
أتذكرُ حين ينحدرُ الرجال...[80]

وفي نصه الشعري (**الصحراء**) يقول:

في هذه الصحراء العاتية
الصحراء التي تسيلُ مع الشمسِ كثباناً وشياطينَ
تناسلَ الأسلاف جَدّاً بعد جَدّ
ونبتْنا مصْل أشجارٍ صخريّة
راكضين بين الشاطئ والجبال
بأرجل حافيةٍ وقلبٍ مكلوم[81].

فالعنوان نشأ من علاقة تناصية مع النصوص التي يتضمنها هذا الديوان، ونحسب أن الشاعر كالمعتاد يعمد الى اقامة علاقة بين العنوان الرئيس ونصوصه سواء أكانت نثرية أو شعرية مما يؤدي العنوان وظيفة التحفيز ثم اغراء قرائه لاقتناء هذا العمل، فضلاً عن وظيفة تعينية تسهم في ابراز هوية النص وانتمائه[82].

ثالثاً- القراءة الصيغية (التركيب)

ما نلحظه في صيغة عنوان المجموعة الشعرية (جبال) إنهُ أبتدأ بـ (جبال) فالدلالة النحوية لأسم ديوان جبال أسم نكرة* فالجبال (خبر) والمبتدأ محذوف تقديره (هذه)، أمتاز هذا الأسم بالإقتصاد اللغوي؛ لذلك أنفرد عن بقية أسماء دواوينه السابقة.

نلتمس من ذلك كأنما الشاعر يعبر عن افكاره وموقفه بطريقة موجزة ومكثفة الدلالة توفر له الأقتصاد في الجهد والوقت فضلاً عن تختصر سُبل التلقي بينه وبين جمهوره وهذه السمة في البوح ربما إشارة من إشارات التأثير البيئي.[83]

رابعاً- القراءة تشكيلية (الكليجرافي Calligraphy)

خط العنوان بالخط الكليجرافي، التناسق والتناسب يبدوا واضحا في رسم الحروف فالخط موحد النوع واللون ومراعاة التوازن والإستقرار، كتب أسم العنوان (جبال) أسفل أسم المؤلف (سيف الرحبي) بخط اكبر حجما كأنما أراد إبراز قيمة العمل الأدبي، ويمكن القول إن الفنون التشكيلية (الخط) من أنماط الرسالة المرئية محملة بالعلامات التي تطور مفهوما داخل المنظومة الثقافية ربما نوعاً من التمظهر بالقوة البصرية من مقومات الخط في عنوان الديوان (جبال) الأمتداد الأفقي لحروفه لعلها توحي لنا بالعظمة والشموخ يزيد من ثراء وحيوية العمل الأدبي فضلاً عن مسحة جمالية وهذا التنظيم الخطي على غلاف الديوان نحسب أنه قد أسهم في تحقيق العملية التواصلية فالمشاهدة المباشرة لـ (جبال) ركنا جوهري؛ لتحقيق الإقناع[84]

رابعاً- القراءة التشكيلية الكاليجرافي

التصميم فن الاتصال البصري الذي من خلاله يتم توصيل رسالة يدركها المتلقي ويحقق الانتباه عن طريق التباين بين الاشكال والمساحات[85] ويحقق اللون قيمة اساسية بين عناصر التصميم، لذا خط الأسم الديوان بالخط الكيلجرافي باللون الازرق دلالة على الامان والرغبة الماسة الى هذه الحاجة فدلالة أسم المكان توحي لنا معنى الثبات فهو رمز للأمان [86]، وكتب أسم العنوان **(جبال)** اسفل أسم المؤلف **(سيف الرحبي)** الذي خط بحجم اكبر من العنوان الرئيسي **(جبال)**، فالشاعر اصبحت له مكانة مرموقة في الساحة الادبية ، فتحفز القارئ على تلقي أعماله والتفاعل معها، فالتشكيل البصري في اعمال **(الرحبي)** عامة بلورة نتاجه الشعري والنثري، وهذا جعل عتبة العنوان تحتل مكانة في أعمال **(سيف الرحبي)** فلم تعد ذهنية المتلقي الحديث تقبل المبالغة في الوصف الواقعي، وتلجأ الى الغموض فتمنح القارئ فرصة البحث عن اسرار البوح ومن هنا شاعت ظاهرة الاقتصاد في الادب العربي الحديث[87].

خط العنوان بالخط الكوفي فيما شغل التنسيق والتناسب حيزاً بدا واضحاً من خلال رسم الحروف فالخط الموحد النوع واللون والتوازن بين مفردات التصميم وتقارب الكلمات في ما بينها انما هو للتأكيد وابراز العمل الادبي.

الخاتمـــــــة:

بعد استقراء عناوين دواوين الرحبي الشعرية نلمح اختلاف صيغ عناوينه فتراوحت بين جمل أسمية تمتاز بطولها النسبي، أو كلمة واحدة على مستوى البنية اللغوية وتتميز بإقتصادها اللغوي فضلاً عن إنعدام الجمل الفعلية.

نحسب أن عناوين الخارجية تحيل الى الحالة الشعرية للشاعر لحظة الكتابة عاكسة معاناته النفسية والاجتماعية والفنية، فأن أغلب عناوين الرحبي الخارجية تنشئ من علاقات تناصية مع العناوين الداخلة، أو تكون عناوين داخلية اختارها لتكون عنوان خارجي، بينما أختلاف أنواع الخطوط التي خُط بها العنوان على الغلاف فجاءت بين الكاليجرافي والتايبوجرافي فلعل التشكيل البصري في أعمال الرحبي عامة بلورة إنتاجه مما جعل عتبة العنوان تحتل مكانة بارزة بين العتبات الأخرى في أعماله الشعرية.

الهوامش

* ورد معنى العنوان في المعاجم العربية من مادة (عَنَّ) عَنا، وتتضمن هذه المادة معنى الظهور، والاعتراض بفكر الامر: عرض عن الشيء، وانصرف، ومادة عَلن بمعنى خلاف الخفي اي شاع، وظهر ومادة عَنا – عنوا: خضع وذلَّ، يقال عَنا فلان للحق وعني به الامر عنياً: نزل الشيء ابداه واظهره عن ارادة وقصد يقال: عنيت في الأمر اي تعنيت فيه، وعَن الرجل يعَنُ وعَنا وعننا اذا اعترض، معجم الوسيط: 632، 633، وينظر لسان العرب 3147/3140/1.

(1) ينظر: سيموطيقيا العنوان، جميل حمداوي، دار الريف، تطوان، المملكة العربية السعودية، ط2، 2002: 5.

(2) ينظر: سيميائية العنوان، بسام قطوس ، وزارة الثقافة ، عمان - الاردن ، ط1 ، 2001 : 7.

(3) ينظر: التشكيل الجمالي لصورة الغلاف والعنوان (دراسة سيميائية)، د. فطيمة الزهرة بايزيد، ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة: 141.

وينظر: سيمياء النص العراقي ومقاربات اخرى (قراءة في نصوص شعرية ، وسردية معاصرة) حميد محمود الدوخي، دار ميزوبوتاميا، دار عدنان، المتنبي، بغداد، ط1، 2013 : 55.

* رومان جاكوبسون أوسيبوفيتش، هو عالم لغوي، وناقد أدبي روسي ولد في 11 تشرين الأول 1896 ، وهو من رواد المدرسة الشكلية الروسية. وقد كان أحد أهم علماء اللغة في القرن العشرين وذلك لجهوده الرائدة في تطوير التحليل التركيبي للغة والشعر والفن ، توفي في 18 تموز 1982. https://bilarabiya.net

(4) ينظر: في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية) د. خالد حسين حسين، دار التكوين ، دمشق ، سوريا، د.ط ، 2007، 101.

(5) ينظر: شعرية الأجناس الأدبيّة في الأدب العربي: دراسة أجناسية لأدب نزار قباني ، فيروز شام ، دار فضاءات ، عمان ، الاردن ، ط1 ، 2017 : 191.

* ليو هوك: وهو من اهم المؤسسيين المعاصرين لعلم العنونة في كتابة (Lamargue Du Titre) رسمة العنوان، 1973 حدد مفاهيم العنوان وطرق تحليله، خطاب العنوان في القصيدة الجزائرية المعاصرة مقاربة سيميائية، زهرة مختاري، ماجستير، أشراف عبد الوهاب ميرواي، جامعة سانية – وهران، 2011 / 2012: 5.

(6) ينظر: سيمياء العنوان في ديوان سنابل النيل لـــ (هدى ميقاتي)، عامر رضا ، ماجستير ، اشراف ، د . جاب الله احمد ، جامعة محمد خضير، 2007 : 39، وينظر : عتبات جيرارجينيت : 67.

** كلود دوشي: من الدارسين الغربيين الاول الذين اهتموا بالبحث في مجال العنوان تنظير وتصوير وفتح باب العنونة على مصرعيه في كتابه الفتاة المتخلي عنها والوحش البشري، وعناصر العنونة الروائية 1973، سيموطقيا العنوان، جميل حمداوي، دار الريف، الناظور – تطوان، المملكة المغربية، ط2، 2020: 16.

(7) ينظر: عتبات جيرار جينيت (من النص الى المناص): 67.

*** أندريه مارتينيه: رئيس قسم اللسانيات في جامعة كولومبيا في نيويورك ، ورئيس مجلة Word 1947 ، اسس جمعية الدولية اللسانية الوظيفية 1982 لدراسة مختلف الظواهر اللغوية والاجتماعية في ضوء تعاليم المدرسة اللسانية والوظيفية ، ينظر : وظيفة الالسن وديناميتها ، اندريه مارتينه ، ترجمة نادر سراج ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 2009 : 10.

وينظر اندريه مارتيني: https://mawdoo3.com

(8) ينظر: سيميائية العنوان ، بسام قطوس: 39.

**** جون كوهن : فيلسوف ، واستاذ فرنسي في جامعة السوريون ، ولد عام 1919 م ، ومن ابرز مؤلفاته كتابه بنية اللغة الشعرية : www.ar.m.wikipedia.com.

(9) ينظر: سيميوطيقا العنوان: 20

* جيرار جينيت (1930 - 2018) . ناقد ومنظّر أدبي فرنسي، صاحب منجز نقدي ضخم وفريد من نوعه في النقد والخطاب السردي وأنساقه و جماليات الحكاية والمتخيل وشعرية النصوص واللغة الأدبية ، وفي عام 1967 أسس إلى جانب تزيفتان تودرورف وهلين سيكسو مجلة "بويتيك" التي تحولت الى منارة للنقد الأدبي البنيوي في مستهل السبعينيات من القرن الماضي. من بين أهم كتبه المترجمة إلى العربية: "خطاب الحكاية" و"مدخل إلى جامع النص"، توفي جينيت عن سبعة وثمانين عاما. كان

شيوعيا في شبابه وانفصل عن الحزب الشيوعي عام 1956 بعد اجتياح الجيش الأحمر لهنغاريا (ينظر : مجلة مزكيدة لدراسات أنساق العلامات في اللغة والأدب والثقافة: www. bilarabiya.net).

(10) ينظر: عتبات (جيرار جينيت من النص الى المناص): 44.

(11) ينظر: المصدر نفسه: 69.

(12) ينظر: العنوان في الادب العربي (النشأة والتطور)، محمد عويس، مكتبة الاتحاد المصري ، ط4، 1988 : 54.

(13) ينظر: المصدر نفسه : 49.

(14) الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، (قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر) عبد الله الغذامي، الهيئة العربية المصرية، ط4 ، 1988 : 263.

(15) ينظر: العنوان وسيميوطيقا الإتصال الأدبي: 15.

(16) ينظر: السيموطيقيا العنوان: 8، 14.

(17) ينظر: علم العنونة: (دراسة تطبيقية)، عبد القادر رحيم، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010: 51، 52.

* لها عدة مسميات منها الوظيفة التعينية عند جيرار جنيت.
عتبات جيرار جنيت من النص الى المناص: 86.

(18) ينظر: المصدر نفسه: 55، 56.

(19) ينظر: المصدر نفسه: 88.

(20) ينظر: الالوان، كلود عبيد، مراجعة وتقديم: محمد حمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع: بيروت، لبنان، ط1، 2013: 64.

(21) ينظر: علم العنونة: 51.

(22) ينظر: وسائل تشكيل الصورة البصرية في شعر العميان (دراسة مقارنة في شعر الصرصري وابن جابر الأندلسي)، احمد علي ابراهيم الفلاح، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 215: 51.

(23) ينظر: الادراك، د. غالب مصطفى، دار مكتبة الهلال، لبنان، ط١، ١٩٨٥: ١٤٦.

(24) التحليل النفسي والفن: دافينشي دوستويفسكي، سيغموند فرويد، تر: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٥: ٤٧

(25) ينظر: قول الشاعر في مجموعته الشعرية (أجراس القطيعة)، سيف الرحبي، مدونة ابو عبدو، باريس ط1، 1984: 20.

(26) ينظر: أطروحة الثقافة الخليجية في نقد النقد الأدبي العماني المعاصر، سعيد علوش، جائزة الملك فيصل العالمية، الرباط ، 1999 :331.

(27) ينظر قول اشاعر لمجموعة اجراس القطيعة: 82

* النستالوجيا: مصطلح يستخدم لوصف الحنين إلي الماضي.
ينظر: https://www.google.com

(28) ينظر: أجراس القطيعة : 52.

* طيور الدوري Passer domesticus: وهو عصفور الدوري هو عبارة عن عصفور صغير ضعيف، ستجده أمامك في زوايا المنزل أو المباني وحتى على الأشجار، الى جانب نوعين آخرين هما الزرزور الأوربي والحمام الجبلي (ينظر: www.ar.wikipedia.org)

(29) ينظر: خطاب العنوان في القصيدة الجزائرية المعاصرة (مقاربة سيميائية) زهرة مختاري، ماجستير، أشراف د. عبد الوهاب ميراوي، جامعة سانية – وهران، 2012/2011: 187.

(30) ينظر: اللغة وسيكولوجية المبالغة، انتصار سالم إبراهيم، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الإجتماعية، ج3، العدد31، 2018: 37.

(31) ينظر: لسان العرب: 598/1 ومعجم الوسيط: 746

[*] التيبوجرافي Typography: هو فن تنظيم وتنسيق الكتابات داخل التصميم من تصغير وتكبير أحجام الحروف أو تغيير المسافات بين الحروف و السطور، ويكون الغرض منه توصيل رسالة محددة في التصميم سواء كان مكتوباً أو مرسوماً باليد أو الكمبيوتر.

[**] الكاليجرافي Calligraphy: هو فن كتابة أو رسم الحروف سواء كانت الحروف عربية أو لاتينية لعمل لوحات فنية جمالية وليس شرطاً أن تكون لها رسالة محددة مثل التيبوجرافي، ومن خلال التعريفين السابقين نجد إختلافاً واضح بين المصطلحين فالتيبوجرافي يمكن أن يحتوى على بعض حروف الكاليجرافي وليس العكس وأن يكون للتيبوجرافى رسالة واضحة فى التصميم.

ينظر: تعريفات ومصطلحات، https://www.baianat.com

(32) ينظر: الخط في الفن التشكيلي، سمير فؤاد، مجلة الشروق https://www.shorouknews.com

(33) ينظر: الفن التشكيلي (قراءة سيميائية)، بلأسم محمد، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، د. ط، 2008: 140،125

(34) ينظر: وسائل تشكيل الصورة البصرية في شعر العميان: 51.

(35) ينظر: الألوان في الشعر يحيى السماوي: 26

(36) ينظر: المصدر نفسه: 25

(37) ينظر: تحليل الشخصية عن طريق الأشكال الهندسية، د. سوزان ديلينج
https://www.twrqdratk.com

(38) شرح ديوان المتنبي، شر: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007: 2/ 34

(39) ينظر: ما هي البوهيمية، أحمد لطفي، 2017، https//:dkhlak.com
وينظر: البوهيمية في الشعر العربي الحديث في العراق، سامي ناجي سوادي، مجلة آداب البصرة، 824، 2017: 101.

(40) ينظر: جدلية الجذور والحضور وملامح الهوية في تجربة الشعر العماني الجديد (سيف الرحبي نموذجا)، محسن بن حمود الكندي، مجلة حوليات، جامعة الجزائر، عدد 20: 166.

(41) ينظر: وثائقي عن الربع الخالي على موقع ناشيونال جرافيك: https://ngalarabiya.com/.

(42) ينظر: الشاعر العماني سيف الرحبي في ((رجل من الربع الخالي)) تحولات الرمال الرهيبة تبتلع قطعان الجمال، فتحي عبد الله ، القاهرة ، 1995:
https://oman-baladi.own0.com

(43) ينظر: ديوان رجل من الربع الخالي، سيف الرحبي، دار الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1993: 70.

(44) ينظر: خطاب العنوان في القصيدة الجزائرية المعاصرة: 123

(45) ينظر: المصدر السابق: 121، وينظر: الحذف في اللغة العربية، د. يونس حمش خلف، مجلة ابحاث كلية التربية الأساسية، المجلد10، العدد2، 2010: 305.

(46) ينظر: تحولات الحرف العربي على شبكة الانترنيت بين رمزية الهوية الثقافية ورهانات العولمة، عيسى عودة برهومة، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 45، عدد1، 2018: 141، 147.

(47) ينظر: العتبات في شعر الرواد: 79

(48) ينظر: اللون وإبعاده في الشعر الجاهلي (شعر المعلقات إنموذجا)، أمل محمود عبد القادر، ماجستير، إشراف د. إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003: 124.

(49) ينظر: المصدر نفسه: 25

(50) ينظر: خطاب العنوان في القصيدة الجزائرية المعاصرة: 165

(51) الجندي الذي رأى الطائر في نومه : 61.

(52) المصدر السابق: 63.

(53) المصدر نفسه : 71.

* لوغال باندا شخصية اسطورية وثاني ملوك أوروك حكم مدينة أوروك في الفترة الثابتة من الأسر المبكرة
https://www.google.com

** طيور الأنزو: طائر غريب على هيئة نسر ووجه رأس أسد بوصفه بأنه طير العاصفة وهو ابن الآله آبسو Absu، اسطورة انزو في ضوء المصادر المسمارية، شيماء ماجد الحبوبي، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الثالث، 2017م: 255.

(54) ينظر: موسوعة الوركاء الحضارة المنهوبة، جأسم فيصل الزبيدي، دار اديان للطباعة والنشر، السماوة، ط1 ، 2022: 22/3.

(55) ينظر: فن التجهيز (اشكاليات العلاقة بين المبدع والمتلقي)، هناء عبد الخالق، دار المؤلف، بيروت، لبنان، معالم للنشر والطباعة، الأمارات العربية المتحدة، ط1، 2019: 167.

(56) ينظر: بحوث في الرواية الجديدة، ميشال بوتور، تر: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط3، 1986: 125.

(57) ينظر: عتبات جيرار جينيت من النص الى المناص: 83، 87.

(58) ينظر: عزاء الفلسفة، بوئثيوس، تر: عادل مصطفى، مر: أحمد عثمان، مؤسسة هنداوي، لندن، ط1 2008: 219.

* التشخيص: خلع صفات ما هو حي إنساني على الاشياء المادية أو التصورات العقلية المجردة. ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي: د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي بيروت، ط3، 1992: 268.

(59) المقتطف الرابع عشر، يوسف الخال، https://www.alrahbi.info/?p=167

(60) ينظر: الدلالات والرمزية السياسية والحضارية عند دول المشرق الاسلامي، ابراهيم محمد علي مرجونة، دار التعليم الجامعي ، اسكندرية، مصر، 2020: 98

(61) ينظر: الالوان والاستجابات البشرية، فيربيرين، تر: صفية مختار، مر: محمد ابراهيم الجندي، مؤسسة الهنداوي للطباعة والتوزيع، 2017 : 7.

(62) ينظر: دلالة الألوان في شعر المتنبي، عيسى متقى زاده، خاطره أحمدي، مجلة اضاءات نقدية، عدد 15، 2014: 135.

(63) النص الإبداعي بين السيري والمتخيل الشعري (دراسة فنية تطبيقية في شعر نادر هدى) نضال القاسم، شركة بيروت للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2018: 214.

(64) مدية واحدة لا تكفي لذبح عصفور، سيف الرحبي، منشورات أتحاد كتاب وادباء الإمارات، ط1، 1988: 5.

(65) ينظر: العتبات في شعر الرواد، سعدون محسن أسماعيل الحديثي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط1، 2021: 104.

(66) ينظر: سيميوطيقا العنوان: 50،51.

(67) ينظر: العتبات عند الرواد: 205.

(68) ينظر: مدية واحدة لا تكفي لذبح عصفور: 55.

(69) ينظر : العتبات عند الرواد : 195.

(70) ينظر: شعرية العنوان في الشعر السوري المعاصر: السياق والوظيفة، مجلة نزوى، 2009: www.nizwa.com

(71) ينظر: الخط العربي (فن، تاريخ، اعلام)، عمرو أسماعيل محمد، كالة الصحافة العربية، ط1: 2021، 12، 13.

(72) ينظر: التصميم الجرافيكي، رمزي العربي، عمان، ط2، 2008: 151، والتشكيل بالخط العربي (الكاليجرافي) ومكانته بين فنون الكتاب المعاصر، صالح عبد المعطي، جهاد أحمد محمد، مجلة العمارة والفنون الإنسانية، المجلد الخامس، العدد 22: 175.

(73) ينظر: دلالات الالوان في شعر يحيى السماوي: 28.

(74) ينظر: دراسة سلوك الطائر الطنان، ايمان العتوم https://www.e3arabi.com

(75) ينظر: الشعراء سيف الرحبي وعبد الرزاق الربيعي و وسام العاني (وجهًا لوجه)، عالم الثقافة: 2020 www.worldofculture.com

(76) ينظر: المكان والزمان في النص الادبي: (الجماليات والرؤيا)، د. وليد شاكر نعاس، دار تموز، دمشق، سوريا، ط1، 2014: 72.

(77) ينظر: فن التجهيز: 118.

(78) ينظر قول الشاعر في الاعمال الشعرية (جبال): 279/1.

(79) ينظر المصدر نفسه 282/1

(80) ينظر المصدر نفسه 282/1

(81) ينظر: المصدر السابق: 1/ 285.

(82) ينظر: هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، شعيب حليفي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2015: 45.

* نكرة: ما وضع لشيئ لا بعينه، كتاب التعريفات الجرجاني، علي بن محمد بن علي (740م-816هـ)، ابراهيم الابياري، دار الريان، د.ت: 316.

(83) ينظر: التركيب النحوي: اسسه المعنوية والوجودية، أحمد رسن صحن، مجلة دواة، المجلد 7، العدد 28 2021: 50

(84) ينظر: بحث في العلامة المرئية من اجل بلاغة الصورة، مجموعة مو: سمر محمد سعد: مر: خالد ميلاد، مركز دراسان الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2012: 374.

وينظر: الخط العربي كيف صنعت الأحرف فناً www.aljazeera.net

(85) ينظر: المفهوم الدلالي للجبل في النص الشعري الجديد (سيف الرحبي واسطورة الجبل انموذجاً)، ابراهيم انيس: www.saifalrahbi.com .

(86) ينظر: اللغة واللون: 183.

(87) ينظر: فاعلية فن الجرافيك في تصميم وتسويق كتب الاطفال، رشا شافي عبد السادة، منى كاظم هاشم، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، المجلد 28، العدد 10، 2020: 177.

المراجع والمصادر

- أسطورة انزو في ضوء المصادر السماوية، شيماء ماجد الحبوبي، مجلة التراث العلمي العربي، عدد 3، 2017.
- أطروحة الثقافة الخليجية في النقد الأدبي العماني المعاصر، سعيد علوش، جائز الملك فيصل العالمية، الرباط، 1999.
- الألوان، كلود عبيد، مر: محمد حمود مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان ط1، 2013. الألوان في الشعر يحيى السماوي.
- الألوان والأستجابات البشرية، فيبر بيرين، تر: صفية مختار، مر: محمد إبراهيم الجندية، مؤسسة الهنداوي للطباعة والتوزيع، 2017.
الأدراك، غالب مصطفى، دار مكتبة الهلال، لبنان، ط1، 1985.
- اللون وإبعاده في الشعر الجاهلي (شعر المعلقات إنموذجاً)، أمل محمود عبد القادر، ماجستير، إشراف د. إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003.
- بحث في العلامة المرئية (من أجل بلاغة الصورة)، مجموعة مو، تر: سمر محمد سعد، مر: خالد ميلاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
- التحليل النفسي والفن، دافينشي دوستويفسكي، سيغموند فرويد، تر: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1975.
- التشكيل الجمالي لصورة الغلاف والعنوان (دراسة سيميائية)، فطيمة الزهرة بايزيد، ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة.
- التصميم الجرافيكي، رمزي العربي، عمان، ط2، 2008.
- التركيب النحوي، (أسسه المعنوية والوجودية)، أحمد رسن الصحن، مجلة دواة، المجلد 7، عدد 28، 2021:50.
- التشكيلة بالخط العربي (الكاليجرافي) ومكانته بين فنون الكتاب المعاصر، صالح عبد المعطي، جهاد أحمد محمد، مجلة العمارة والفنون الإنسانية مج خامس، عد22.
- تحولات الحرف العربي على شبكة الإنترنيت بين رمزية الهوية الثقافية ورهانات العولمة، عيسى عودة برهومة، دراسات العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد 45، عدد1، 2018.
- التعريفات الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت 740م/ 816هـ)، إبراهيم الأبياري، دار الريان، د. ت.
- جدلية الجذوروالحضور وملامح الهوية في تجربة الشعر العماني الجديد (سيف الرحبي أنموذجاً)، محسن بن حمود الكندي، مجلة حوليات، جامعة الجزائر عدد 20.
الجندي الذي رأى الطائر في نومه، سيف الرحبي، منشورات الجمل، كولونيا، المانيا، ط1، 2000.
- خطاب العنوان في القصيدة الجزائرية المعاصرة (مقاربة سيميائية)، زهرة مختاري، ماجستير، أشراف. د. عبد الوهاب ميراوي، جامعة سانية – هران، 2012/2011.
- الخطيئة والتفكير من البنيوية الى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر) عبد الله الغذامي، الهيئة العربية المصرية، ط4، 1988.
- دلالة الألوان في شعر المتنبي، عيسى متقى زاده خاطر أحمدي، مجلة اضاءات نقدية، عدد 15، 2014.

- الدلالات والرمزية السياسية والحضارية عند الدول المشرق والإسلامي، إبراهيم محمد علي مرجونة، دار التعليم الجامعي، اسكندرية، مصر، د. ط، 2020.

دلالات الألوان في شعر يحيى السماوي، مرضية آياد، رسول بلاوي، مجلة إضاءات نقدية، عدد 8، 2012.

- سيميوطيقي العنوان، جميل حمداوي، دار الريف، تطوان، المملكة السعودية، ط1، 2002.

- سيمياء العنوان، بسام قطوس، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2001.

- سيمياء العنوان في ديوان سنابل النيل لـ (هدى ميقاتي)، عامر رضا، ماجستير، إشراف د. جاب الله أحمد جابر جامعة محمد خضير، 2007.

- سيمياء النص العراقي ومقاربات أخرى (قراءة في نصوص شعرية، وسردية معاصرة)، حميد محمود الدوخي، دار ميزوبوتاميا، دار عدنان، المتنبي، بغداد، العراق، ط1، 2013.

- سيمياء العنوان في ديوان سنابل النيل لـ (هدى ميقاتي)، عامر رضا، ماجستير، إشراف د. جاب الله أحمد، جامعة محمد خضير، 2007.

- شعرية الأجناس الأدبية في الأدب العربي (دراسة أجناسية الأدب نزار القباني)، فيروز شام، دار قضاءات عمان، الأردن، ط1، 2017.

- شرح ديوان المتنبي، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007.

- عتبات جيرار جنيت (من النص الى المناص)، عبد الحق بلعابد، تقديم: سعيد يقطين، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

- العتبات في شعر الرواد، سعدون محسن أسماعيل الحديثي دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط1، 2021.

- العنوان في الأدب العربي (النشأة والتطور)، محمد عويس، مكتبة الأتحاد المصري، ط4، 1988.

- علم العنونة (دارسة تطبيقية) عبد القادر رحيم، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010.

- عزاء الفلسفة، بونثيوس، تر: عادل مصطفى، مر: أحمد عثمان، مؤسسة هنداوي، لندن، ط1، 2008.

- فاعلية فن الجرافيك في تصميم وتسويق كتب الأطفال، رشا شافي.

- فن التجهيز (أشكاليات العلاقة بين المبدع والتلقي)، هناء عبد الخالق، دار المؤلف، بيروت، معالم النشر والطباعة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2019.

- الفن التشكيلي (قراءة سيميائية)، بلاسم محمد، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، د. ط، 2008.

- في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، د. خالد حسين حسين، دار التكوين، دمشق، سوريا، د. ط، 2007.

- النص الإبداعي بين السيري والمتخيل الشعري (دراسة فنية تطبيقية في شعر نادر هدى)، نضال القاسم، شركة بيروت، لبنان ط1، 2018.

- هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، شعيب حليفي، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2015.

- وسائل تشكيل الصورة البصرية في شعر العميان (دراسة مقارنة في شعر الصرصري) وابن جابر الأندلسي، أحمد علي إبراهيم الفلاح، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015.

- لسان العرب، مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين بن منظور (ت ٧١١ هـ)، دار المعارف، د. ت.

- اللغة وسيكولوجية المبالغة، انتصار سالم إبراهيم، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الإجتماعية، ج٣، العدد ٣١، ٢٠١٨.

- معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠١٨.

- مدية واحدة لا تكفي لذبح عصفور، سيف الرحبي، منشورات أتحاد كتاب وأدباء الأمارات، ط١، ١٩٨٨.
المكان والزمان في النص الأدبي (الجماليات والرؤيا)، د. وليد شاكر نعاس، دار تموز، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٤.
- موسوعة الوركاء الحضارة المنهوبة، جاسم فيصل الزبيدي، دار أديان للطباعة والنشر، السماوة، العراق، ط١، ٢٠٢٢، ٣/٢٢.
المواقع الالكترونية
- أندرية مارتيني https://mawdoo3.com
- النستالوجيا https://www.google.com
- بنية اللغة الشعرية www.ar.m.wikipedi.com
- تحليل الشخصية عن طريق الأشكال الهندسية، د. سوزان ديلينج https://www.twrqdrat.com
- تعريفات ومصطلحات https://www.baianat.com
- الخط العربي كيف صغت الأحرف فنا www.aLjazeera.net
- الخط في الفن التشكيلي، سمير فؤاد، مجلة الشروق https://www.snorouknews.com
- دراسة سلوك الطائر الطنان، ايمان العتوم https://www.e3darabi.com
- الشاعر العماني سيف الرحبي في (رجل من الربع الخالي) تحولات الرمال الرهيبة تبتلع قطعان الجمال، فتحي عبد الله، القاهرة، ١٩٩٥، https://oman.baladi.owno.com
- شعرية العنوان في الشعر السوري المعاصر: السياق والوظيفة، مجلة نزوى www.nizwa.com
- الشعراء سيف الرحبي وعبد الرزاق الربيعي ووسام العاني (وجها لوجه) عالم الثقافة ٢٠٢٠، www.worldofculture.com
- لوغال باندا https://www.google.com
- المقتطف الرابع عشر، يوسف الخال https://www.aLrahbi.info
- مجلة مزكيدة لدراسات أنساق العلامات في اللغة والأدب والثقافة www.bilarabiya.net
- المفهوم الدلالي للجيل في النص الشعري الجديد (سيف الرحبي وأسطورة الجبل أنموذجا) أبراهيم أنيس www.saifalrahbi.com

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

المفارقة في كتاب مصارع العشاق

الباحث بسام سهب عبدالنبي
بإشراف أ.د علي عبدالامام مهلهل الاسدي
جامعة ذي قار \كلية الاداب

الملخص
يحمل النص الادبي والمسرحي رسالة معقدة محملة بقيم ونظم الجمالية تعمل فيه في ان واحد, مما يجعل تحليله مليئاً بالإثارة و الصعوبة ، ومن حيث تعددية مستويات النص، (المكان ، الزمان، الأحداث، و الشخصيات) . المفارقة واحدة من هذه النظم الجمالية التي تجعل القارئ يحلق مع خيالاته و يبني عوالمه ، و ينشئ في ذهنه خشبة تجري فيها الأحداث و تتحرك فوقها شخصيات، حيث يعيش لحظات من التعالي في علاقته مع النص و يحس بما حوله، كما لو انه واقعي لكنه يعرف في الوقت نفسه بأنه ليس حقيقياً . إذ يقول (غوته) أن (المفارقة هي ذرة الملح التي تجعل الطعام حلو المذاق).

تتخذ المفارقة أشكالاً عدة في و تختلف تسميتها من مؤلف إلى أخر، أو بالاعتماد على طبيعة الحدث و ما يرد على لسان الشخصيات،أن قراءة لأي نص مهما اختلف عصره و تنوع مذهبه, وأسلوبه وتعدد طرازه, تتوافر فيه بشكل أو باخر نوع من أنواع المفارقة، فضلا عن أبعاده النفسية على الشخصية المسرحية و على مستقبل (المفارقة).

وقد اشتمل هذا البحث على مشكلة الي سبق ذكرها و أهمية و هدف بوصفها دراسة ادبية حديثة كما اشتمل على ثلاث محاور

المبحث الأول : ماهية المفارقة الذي تناولت فيه معنى المفارقة و الآراء الفلسفية حولها

المبحث الثاني : المفارقة الحكائية الذي استدرجت فيه الحكاية عند الإنسان العربي منذ العصر الجاهلي , فقد كانت تتداول داخل القبيلة الواحدة , و تعالج الموضوعات المختلفة , حقيقية و خيالية.

المبحث الثالث : أسلوب المفارقة كان هذا المبحث خلاصة المفارقة بمختلف محاورها حيث تناولت فيه العناصر المكملة للعملية الإبداعية , والسحر الذي يستخدمه الأديب لإيصال أبداعه الشعري والنثري للتأثير في المتلقي

Summary
The literary and theatrical text carries a complex message loaded with aesthetic values and systems that work in it at the same time, which makes its analysis full of excitement and difficulty, in terms of the multiplicity of levels of the text (place, time, events, and characters). Paradox is one of these aesthetic systems that make the reader soar with his fantasies and build his worlds, and create in his mind a stage on which events take place and characters move on it, where he lives moments of transcendence in his relationship with the text and feels what is around him, as if he is realistic but he knows in At the same time, it is not real. As

(Goethe) says that (paradox is the grain of salt that makes food taste sweet.

Paradox takes several forms and its name differs from one author to another, or depending on the nature of the event and what is said by the personalities, that reading any text, regardless of its era, the diversity of its doctrine, its style and the multiplicity of its styles, is available in one form or another a kind of paradox. As well as its psychological dimensions on the theatrical character and the future (ironically .(

مشكلة البحث

تُعد المفارقة واحدة من بين المعالجات الدرامية ، التي من الممكن الاشتغال عليها من كاتب النص ، ليحقق عنصر التشويق و الشد الدرامي وتقوية بنية الصراع القائم، وإيجاد نوع من الموقف الكوميدي عكس اتجاه ما يتوقعه القارئ او المتلقي أي كسر أفق انتظار القارئ..

تتعدد أنواع المفارقات في الاجناس ادبية، لتتيح للكاتب فرصة التنوع و الاختيار وفق ما تمليه الضرورة والاحتمال في بنية الجنس الادبي , لتحقيق عنصر النجاح في بناء النص من حيث الشكل و المضمون ومن حيث البنية الدرامية و آليات المعالجة. وبذا تتحقق بنائية الجنس الادبي بل العمل الفني بأكمله ويتحقق جماله من خلال قدرته الدينامية في تحرير الدوافع اللاشعورية ، تحريراً لا يمكن بدونه استشعار هذه المتعة التي تُعد شرطاً لتفتح فن المسرح وسائر الفنون الأخرى ونجاحها وبقائها.في ضوء ذلك حددت مشكلة البحث في الاستفهام التالي ماهي المفارقة في كتاب مصارع العشاق؟

اهمية البحث

تكمن اهمية البحث في تقديم دراسة ادبية نقدية تفيد الدارسين في المجالات الادبية و المجالات الفنية

هدف البحث

التعرف على انواع و اساليب المفارقة في كتاب مصارع العشاق

الكلمات المفتاحية : المفارقة

هي إثبات لقول ، يتناقض مع الرأي الشائع في موضوع ما بالاستناد الى اعتبار خفي على الرأي العام. كما وأنها تناقض ظاهري ، لا يلبث ان تتبين حقيقتهُ

وعرفها سمر روحي

"هي عدم تطابق بين نظام السرد ونظام الحكاية. أوانها نتيجة التلاعب بالنظام الزمني للرواية بحيث يتباين ترتيب الحوادث حسب زمن السرد عن ترتيبها حسب زمن الحكاية

المبحث الأول

ماهية المفارقة irony essential

تنوعت الأشكال التأسيسية الأولية التي مهدت لبلورة مصطلح (المفارقة) و اختلفت بمسمياتها, إلا أنها تتمحور في نطاق الصفات التي تدخل ضمن خصوصية هذا المصطلح الذي لا يزال في حالة تطور فالبشر أجناس وأعراف ، أصول وفروع ، حضارات وثقافات ، لغات وآداب وفلسفة لذا يجب تحديد ماهيته

وحدوده قبل الكشف عن قيمتهُ البنائية و الوظيفية . إذ نشأت (المفارقة) وتطورت في اطار فلسفي ، فلقد اعتمد الايونيون فلسفة التغير التي جاء بها (هيرقليطس) حيث قال" أن الأشياء في تغير مستمر ، و التغير صراع بين الأضداد ليحل بعضها محل بعض والشقاق أبو الأشياء و ملكها فلولا المرض لما اشتهينا الصحة ، و لولا العمل لما نعمنا بالراحة، فالتغير هو نقطة تتلاقى عندها الأضداد و تتنازعها"[1].وبذلك ظهر شكل من أشكال (المفارقة) عند (هيرقليطس) معتمداً تغير الأضداد التي تبدو في الظاهر منفصلة لكنها في الحقيقة شئ واحد بفعل (اللوغوس Logos)*الذي يضمن "الاتزان النهائي و استمرار التغيرات بين الأضداد"[2] كما يرى (هيرقليطس) أن "الطبيعة تنزع إلى التضاد (الذكر والأنثى-الليل والنهار) وأن التناسق و الارتباط الذي يوحد هذه الأضداد هو أساس الجمال فمن التخالف يأتي أجمل الائتلاف"[3].أن فلسفته حافلة بالتناقضات يسودها تناغم خفي وهذا ماعبر عنهُ بنفسه "الائتلاف الخفي خير من الائتلاف الواضح"[4]. أن اجتماع الأضداد و التناقضات وفق ذلك الائتلاف يحقق (مفارقة).

وقد عدَ الفيثاغوريون العالم عدداً ونغماً, وان "السلم الموسيقي يقوم على العدد, ولما كانت الموسيقى لها قوة خاصة على الروح وهي التي تتخلل الكون فأن العالم كله لابد أن يكون مؤلفاً من العدد, وأنها ولدت من الصمت"[5]. فكيف للموسيقى التي هي صوت وإيقاع أن تولد من الصمت؟لابد ان هذا شكلاً من

(المفارقة).أن "الكون عندهم عدد ونغم, والنغم (harmonia) هو توافق الأضداد والحياة مستمرة طالما أن التناغم يحكمها"[1].أما الأتساق عندهم فهو "أقتران المحدود باللامحدود والايمن بالأيسر والأحادي بالمتعدد والأنسجام هواتساق الأضداد"[2].وبذلك أشتمل مفهومي النغم والأنسجام على شكل من أشكال المفارقة.

يبرز مفهوم (المفارقة) أكثر عند السفسطائيين إذ كانت فلسفتهم قائمة على المغالطة و الجدل العقيم واللعب بالالفاظ واخفاء الحقيقة فطبيعتهم الجدلية قائمة على طرح فكرة والفكرة المضادة لها عن طريق السؤال و الجواب وطريقتهم تعتمد أظهار التناقض الكامن في المعتقدات فالمفارقة تعني عندهم"ضربا من التلاعب اللفظي الذي يعين صاحبه على تأييد القول الواحد ونقضيه على السواء"[3] وهذا التلاعب اللفظي هو نوع من التلاعب لترتيب الكلمات مثلا شد القارئ نحو فكرة ثم الابتعاد عنها أو خداعهِ وايهامه من خلال العكس أو القلب أو التورية.ومن المصطلحات التي ترتبط بمقوله الجدل و الجدلية هو مصطلح التضاد الذي يعني وجود شئ ضد شئ ليغلبه فالسواد ضد البياض و الموت ضد الحياة و الليل ضد النهار فحركة الجدل تسير بوجود التضاد واذا توقفت معنى ذلك ان التضاد قد زال.[4] فالتضاد أداة جمالية تُصور بها مواقف متعددة وصفات متعارضة وبذلك فهو سمة أساسية (للمفارقة). تناول الرواقيون المفارقة بدءاً من اكتشافهم "القضية الشرطية المادية وهي القضية التي تضم مقدمتها الكبرى تقابلا بالتضاد أو التناقض"[5] والإنسان عند الرواقيين اما خيراً وحكيماً الى الحد الاقصى اولا, أما أن يكون العقل الاخلاقي كامل عند الأنسان فتصح جميع أفعاله وأما لا فلا يصح من أفعاله شيء، حيث ظهر في فلسفتهم ما يسمى "ب(المفارقات الرواقية) (paradox staciens)وهي تمثل الآراء الأخلاقية المطلقة مثل الحكيم معصوم كقولهم : إن الحكيم لا يخطأ و لايضطرب ولا يخاف ولايرجو ولايأسف و لا يندم بل يرتفع بنفسه فوق كل شيء"[6]

<u>و ما اقترن بمصطلح (المفارقة) قديما هو الأتي [1]</u>

1- **تأكيد المدح بما يشبه الذم، أو الذم بما يشبه المدح** ، و هو لون من المفارقة الساخرة. أذ يأتي المتكلم بألفاظ ظاهرها المدح وباطنها الذم والعكس صحيح.

2- **عكس الظاهر,** هو أن يؤتى بكلام يدل ظاهرهُ على معنى و يراد بهِ معنى اخر.

3- **تجاهل العارف**, يماثل (المفارقة) السقراطية.
4- **التهكم** هو الجد الذي يراد به الهزل أو الجد الذي باطنه الهزل.
5- **التشكيك**, الذي يثير الذهن لتعدد الاحتمالات.
6- **المحتمل للضدين**, يعني تزامن معنيين.
7- **الهجاء,** هو النيل من الخصم عبر وسائل العنف الكلامي.

السخرية من المصطلحات المقترنة قديماً وحديثاً بالمفارقة

اقترن هذا المصطلح قديما و حديثا ب(المفارقة) لكونه يقترب و يتداخل معها, حتى ان البعض من الباحثين و بعض المعاجم ترجمت السخرية و المفارقة Irony ,لكن الباحثة ترى ان السخرية وان كانت مرافقه لل(مفارقة) خلال مراحل تطورها الاأنها أداة للمفارقة أو الأثر الناتج عنها. وان كانت المفارقة لعب مرح ولطيف باللغة والألفاظ يرتوي عادة بالفكاهة, إلا أنها في جوانب عديدة تثير مشاعر الحزن والغرب و الدهشة . يلاحظ في السخرية إلى جانب إن المعاني التي تحملها تعكس دلاله ذلك المعنى, في حين المعاني التي تحملها (المفارقة) ليست في جميع الأنواع تعكس الدلالة.

السخرية"هجوم متعمد على شخص بهدف سلبه كل أسلحته و تعريته من كل ما يتخفى فيه و يتحصن وراءه"[1] وعرفها حامد عبد الهوال"أشارة دالة على معنى أو حركة غامزة,لايخفى مدلولها ولها مناسباتها الداعية لها ويستخدمها المسرح التمثيلي كفن ساخر قائم بذاته أو كعامل مساعد يؤكد الفكرة ويدعمها"[2]إنها عند اليونان تعني الادعاء والخبث .أن كل تلاعب منطقي في النص يشكل(مفارقة ساخرة) يعتمد على صدم المتلقي بعكس ما يتوقعه, لما فيها من انحراف عن قوانين الحياة والطبيعة الإنسانية السوية وقلب الموازين المتعارف عليها لكونها تجسد أخطاء الواقع وتسخر منه.

اما المصطلحات الحديثة التي اقترنت بالمفارقة هي

الانزياح deviation

هو "استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصور أستعمال يخرج بها عما هو معتاد و مألوف بحيث يؤدي – ما ينبغي له أن يتصف به من تفرد وإبداع وقوة جذب"[3] فالانزياح هو الابتعاد عن الكلام المألوف و المستعمل واستخدام الصيغ النادرة في النصوص ، فهي النشاز والانحراف, أما عند (دريدا) ارتبطت فكرة الانزياح بالاختلاف (Difference) الذي يعني الإزاحة التي تصبح بوساطتها اللغة أو الشفرة أو أي نظام مرجعي عام ذا ميزة تاريخية عبارة عن بنية من الاختلافات(4)0ترى الباحثة أن الانزياح قد حقق شرطاً من شروط المفارقة في المصطلح النقدي الحديث

الانتشار Disseminat

ويعني "انفجار النص الى ما هو ابعد من المعاني الثابتة في حركة مطلقة من المعاني اللانهائية و التي تنتشر فوق النص متجاوزة كل الحواجز"[1] وللانتشار صلة بالانزياح ، فهذا الاخير يمثل سبباً أما الانتشار فهو نتيجة . و ترى الباحثة ان مفهومي الانزياح و الانتشار قد ولدا ما يطلق عليه ب(النص المفتوح) وهو نص يستنطق القارئ و يسائله ضمن حوارية تذوقيه و بذلك يتحقق شكل آخر (للمفارقة) من خلال انفتاح النص و اللالية و اللامباشرة التي تضمنتها لغة النص.

كسر أفق التوقع Breaking of expenctations

المفارقة هي إشارة لكل ما هو غير متوقع و غير مألوف و اللذين يشكلان مخالفة واضحة للتوقعات . فكل نص لا يخلو من فجوات تتصف بأفق مفتوح للتوقع فتحرك كوامن (مستقبل المفارقة) و تشحذ طاقة الخيال لديه فتستفزه, هى بخلاف ما يتوقعه, مما يحقق انزياحاً جمالياً بين عالم النص و عالم قراءته . وقد

سمى (ياوس) تصادم أفق التوقع للقارئ مع أفق النص" بالمسافة الجمالية و هومفهوم يقوم على التعارض و
التناقض بين ما يقدمه النص و ما يتوقعه القارئ"[2]. وهذه الصدمة للقارئ من خلال خرق توقعاته و كسرها تحقق (مفارقة).

المبحث الثاني

المفارقة الحكائية

مدخل :

ارتبطت الحكاية بالإنسان العربي منذ العصر الجاهلي , فقد كانت تتداول داخل القبيلة الواحدة , و تعالج الموضوعات المختلفة , حقيقية و خيالية فقد رَووا حكايات كثيرة منها تهتم ببطولات القبيلة و انتصاراتها , و اخبار العشاق , و مسامراتهم ومغامراتهم مع محبوبيهم , ((وربما كان اكثر هذه الالوان شيوعاً على ألسنتهم أيامهم وحروبهم وما سجله ابطالهم فيها من انتصارات مروعة , وما مُنيت بهِ بعض قبائلهم من هزائم منكرة))[2] , وكل ذلك على شكل حكايات تضم ((مجموعة أحداث مرتبة ترتيباً سببياً , تنتهي الى نتيجة طبيعية لهذه الأحداث , هذه الأحداث المرتبة تدور حول موضوع عام هو التجربة الإنسانية))[3] , ولا تخرج عن اطارها الذي ينحصر في وقائع خيالية أو واقعية , ويكون من أهدافها التسلية والفخر, ((فما دامت وظيفة الحكاية ليس إصدار أمر أو تعبير عن ثمن أو ذكر شرط , الخ , وانما فقط قص قصة , وبالتالي نقل وقائع واقعية أو خيالية))[4] أو أسطورية احياناً .

جاءَ كتاب (مصارع العشاق) بحكايات عدّة , محورها أحوال العاشقين ومعاناتهم ومغامراتهم , فكانت حكايات متنوعةً , منها واقعية واخرى خيالية , وأحياناً يختلط فيها الخيال بالواقع , إلا أنَّ العشق هو ما يوحد تلك الحكايات التي نقلها جعفر السراج في كتابه , بأسلوب أدبيّ مميز . و بما أن الحكايات تدور في تلكَ العصور, فلا بد من وجود فضاء لتلكَ الحكايات إذ ((تتحقق الحكائية في الكلام , اي الكلام , من خلال تحقق العناصر التالية

1. فعل أو حدث قابل للحكي .
2. فاعل [شخصية] أو عامل يطلع بدور ما في الفعل .
3. زمان الفعل .
4. مكانهُ أو فضاؤه))[5] .

المحور الأول: مفارقة الحدث

يُعرف الحدث على أنه ((سلسلة من الوقائع المتصلة تتسم بالوحدة والدلالة وتتلاحق من خلال بداية ووسط ونهاية , نظام نسقي من الأفعال , وفي المصطلح الأرسطي فإن الحدث هو تحول من الحظ السيء إلى الحظ السعيد أو بالعكس))[6] , ولهذا فإن مفارقة الأحداث تقع عندما تتوقع الضحية توقعات ايجابية أو سلبية , فتأتي الأمور بما لا تتوقعه , ((فمفارقة الحدث مثلاً , التي تكون فاعلة في مجال الزمن , تتسم ببناء درامي واضح , ومثلها المعروف إغراق الضحية بمخاوف معينة أو آمال أو توقعات بحيث يتصرف على أساسها المعروف ويتخذ خطوات ليتجنب شراً متوقعاً أو يفيد من غير منتظر , لكن أفعاله لا تؤدي إلاّ إلى حصره في سلسلة من الأسباب تؤَدي إلى سقوطه المحتوم))[7] , فتحدث صدمة بين ما تتوقعه وتترجاهُ وبين ما يحدث , لأن مفارقة الأحداث تعني أن ما يحدث هو على نقيض ما هو منتظر باطمئنان[8] ,

فمفارقة الأحداث تعتمد على افعال الضحية وما تصنع , مثال ذلك عندما يقوم أحدٌ ما بسفرة سياحية , يرغب من خلالها الاستمتاع , إلا أن هذا المسافر يتعرض الى حادثٍ يؤدي الى وفاته , كذلك يذكر دي سي ميويك مثلاً لمفارقة الأحداث وذلك عندما قام شاب ببيع ساعة ليشتري اشاطاً لشعر زوجته التي يحبها , وفي نفس الوقت تقوم زوجته ببيع شعرها لتشتري سلسلة لساعة زوجها[9] , أو المثل الأخر الذي يرويه دي سي ميويك والذي يقول فيه , فالضحية يقصد شيئاً الا أن الذي يحدث عكس توقعاتهُ , حيث عملت المفارقة على كسر افق توقع صاحبها , بسبب ((مفارقة الأحداث ؛ إذ يعتبر الضحية صراحة عن اعتماده على المستقبل بدرجة تزيد أو تنقص , تطوراً غير منتظر في الأحداث يقلب ويربك خططه وتوقعاته وآماله ومخاوفه أو رغباته))[10] , فتحدث الصدمة للضحية , وتنقلب لديه الموازين وتغير حساباته التي بنى عليها الآمال والتوقعات , فيُفجأ بما حدث , سواء أكان إيجابياً أو سلبا وذلك لأن ((الأحداث تجري على النقيض مما هو منتظر باطمئنان من لدن الضحية التي تجهل حاضر الأحداث ومستقبلها , فتربك خططها وتخيب توقعاتها وآمالها ورغباتها حين تكشف الحقيقة))[11] .

وتتجلى مفارقة الأحداث في كتاب (مصارع العشاق) بصورة بارزة , فالعشق في جميع نماذج الكتاب مندحر مصروع تنتهي حكاية عشقه الى ما لا يتوقعه فلا نوال من المحبوب , ولا لقاء معه , ولا اتحاد به وقصص الكتاب وحكاياته كلها شاهدٌ على الخيبة والخذلان والمصرع , ومن تلك الحكايات حكاية الزاغ الطير العاشق , التي اوردها جعفر السراج , بعد سلسلة من السند يذكر الخبر من اول رواته يقول : **((أخبرنا ابو علي محمد بن الحسين الجازري قال حدثني محمد بن مسلم السعدي قال : وَجهَ إلي يحيى بن أكثَمَ يوماً , فصرتُ اليه , وإذا عن يمينهِ قمطرة[12] مُجلدةٌ , فجلستُ , فقال : افتح هذهِ القمطرةَ ، ففتَحتُها , فإذا شيء قد خرج منها , رأسُهُ رأسُ إنسانٍ , و هوَ من سُرتهِ الى اسفلهِ خلقةُ زاغٍ , وفي صدره وظهرِه سَلعتان , فَكبرتُ وهَلَلت , وفزعتُ , ويحيى يضحكُ , فقال لي بِلسانٍ فصيحٍ طُلقٍ ذَلِقٍ : [الهزج]**

انا الزاغَ ابو عجوه انا ابنُ الليثِ و اللبوه
أُحِب الراحَ و الريحا نَ و النشوةَ و القهوه
فلا عدو يدي يخشى و لا يحذرُ لي سطوه

ثم قال : يا كهلُ انشدني شعراً غزلاً ! فقالَ لي يحيى : قد انشدَكَ الزاغُ , فأنشده , فأنشدته : [الطويل **]**

أغرَكَ أن أذنَبتَ ثُم تتَابَعت ذنوبٌ , فلَم اهجُركَ , ثُم ذنوبُ
و أكثرتَ حتى قلتَ ليسَ بصارمي و قد يَصرِمُ الإنسانُ و هوَ حبيبُ

فصاحَ : زاغٍ زاغٍ زاغٍ , و طارَ , ثم سقطَ في القِمَطرَة . فقلتُ ليحيى : أعز الله القاضي , و عاشقٌ ايضاً ! فضَحِكَ . قلتُ : أيها القاضي ! ما هذا ؟ قال : هوَ ما تراه , وجه به صاحبُ اليمَنِ إلى أمير المؤمنين , و ما رآه بعد , و كتَبَ كِتاباً لم افضُضهُ , وأظن أنه ذكر في الكِتابِ شأنَهُ و حالَه))[13] .

فيحيى ابن اكثم يطلب من محمد بن مسلم السعدي , أن يفتح القمطرة فيفتحها باطمئنان فهي مكانُ حفظ الكتب وهاذا ما توقعه محمد بن مسلم إلاّ أنه وبعد فتح القمطرة تفاجأ بما لم يتوقعه , اذ خرج له مخلوق عجائبي نصفه انسان ونصفه الأخر طير وهو الزاغ (الغراب) وهنا يتغير مسار الحدث ويجري بما هو مفارق للتوقع , بل أن الأحداث المفارقة تتلو تباعاً , فالزاغ يتكلم **(بلسان طلق ذلق)** , فالأحداث تسير على خِلاف ما هو متوقع , فينشد الشعر وينسب نفسهُ الى الليث واللبوة ويحب الريحانَ والنشوانَ والقهوة , فكلامهُ يشير الى انهُ كائن غريب , ثم بعد أن انتهى الزاغ من انشاد الشعر طلب من محمد بن مسلم أن ينشده

شعراً في الغزل , وهو يصيحُ ثم يسقطُ في القمطرة , فيندهش محمد بن مسلم بقولهِ (وعاشقٌ أيضاً) . فالأحداث المفارقة اخذت تتوالى تباعاً , من حدثَ أخر, كما مبين في المخطط ادناه .

المحور الثاني : مفارقة الشخصية

تُعد الشخصية من المكونات الرئيسة في العمل الأدبي , ويقع على عاتقها تطور العمل الحكائي , لذلك ((تُعد الشخصية ركناً مهماً من اركان العمل السردي , وواحداً من عناصره الأساسية , تتجلى عبر أفعالها الأحداث وتتضح الأفكار وتتخلق من خلال شبكة علاقاتها حياة خاصة تكون مادة هذا العمل))[14] , فهي تواكب مجريات الأحداث وتتأقلم مع جميع الظروف , ولا يمكن لأي عمل سردي من دون شخصية , سواء كانت حقيقية أم خيالية , والشخصية هي العنصر((العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى بما فيها الإحداثيات الزمنية والمكانية الضرورية))[15] , كما أنها تأتي بأشكال عدة , وتتقنع بحسب ما يتطلب منها العمل , وتنمو مع الأحداث لذا ((تعتبر الشخصية أهم مكونات العمل الحكائي , لأنها تمثل العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكي . لذلك لا غرو أن نجدها تحظى بالأهمية القصوى لدى المهتمين والمشتغلين بالأنواع الحكائية المختلفة))[16] , لذلك يقول رولان بارت ((ليس من قصة واحد في العالم من غير شخصيات))[17] , فالشخصية ((وحدة دلالية , وذلك في حدود كونها مدلولاً منفصلاً))[18] , ومن هنا تُفهم الشخصية على أنها ((إحدى المكونات الحكائية التي تشكل بنية النص السردي لكونها تمثل العنصر الفعال الذي ينجز الفعل , حيث يعمل السارد على بنائها بناء متميزاً يجسد أكبر قدر ممكن من التجليات الحياة الاجتماعية))[19] ,

وفي كتاب مصارع العشاق شخصيات عدة تتباين في صفاتها , منها الحسنة النقية , ومنها القبيحة المراوغة , وفيها الرئيسية ومنها الثانوية , فمن الشخصيات الرئيسية المفارقة في سلوكها ما أورده جعفر السراج في كتابه **((سمعت أبا عبيدة يقول : قال رجل من بني فزارة لرجل من عذرة : تعدون موتكم من الحب مزية , أي فضيلةٌ , وإنما ذلك من ضعف البُنية , ووهنِ العقيدة , وضيقِ الرويةِ . فقال العذري :**

أما لو أنكم رأيتم المحاجر البُلج ترشُقُ بالأعين الدعج من فوقها الحواجب الزج , والشفاه السمر تفترّ عن الثنايا الغُر , كأنها سَرَدُ الدر , لجعلتُموها اللات والعُزى , وَدَفَعتم الإسلامَ وَرَاءَ ظهورِكم))[20] .

الحوار هنا يدور بينَ العذري وبينَ رجلٌ من بني فزارة وقد نعت العذريين بضعف العقيدة وقلة الإيمان ! , وهو اتهام باطل , فالعذريون متيمون , صادقوا المشاعر , والهون بفاتنات آسرات للقلوب ومع هذا فأنهم صابرون راضون بقضاء الله فيما حلَّ بهم من كمد الحب وعذابه . فلو علقت قلوب الفزاريين بما علقت به قلوب العذريين لجعلوا صبياتهم آلهة وعبدوها (اللات والعزى) , ولتنكروا للإسلام وتعاليمه , ورموه خلف ظهورهم , وهي مفارقة لافتة .

ويذكر جعفر السراج حكاية يتجسد فيها شخصية رئيسية حسنة , يقول فيها **((لما عَلِقَ جميل بثينة وجعلَ ينسبُ بِها استدعى عليه أهلها ربعي بن دّجاجة , وهو يومئذٍ أميرُ تيماء , قال : فَخرجَ جميل هارباً حتى انتهى إلى رجلٍ من عذرة , بأقصى بلادهم , وكان سيداً , فاستجارَ به , وكان للرجلِ سبع بناتٍ , فلما رأى جميلاً رَغبَ فيه , وأرادَ أن يزوجهُ ليسلوَ عن بثينة , فقال لبناته : البسنَ أحسنَ ثيابكنّ وتحلينَ بأحسنِ حليكُنَ , وتعرضنَ له , فَلعلَ عينه أن تقع على إحداكنّ فأزوجه .**

قال : وكان جميلٌ , إذا ارادَ الحاجةَ , بعدَ في المذهب , فإذا أقبلَ رَفعن الخباء , فإذا رآهُنّ صرَفَ وَجههُ ,

قال : فَفَعلنَ ذلكَ مِراراً , فعرفَ جميلٌ ما أراد الشيخ , فأنشأ يقول : [الطويل]

حلفتُ لكيما تعلميني صادقاً وللصدق خيرٌ في الأمورِ وَنجحُ
لتكليمُ يومٍ واحدٍ من بُثينة وَرُؤيتُها عندي ألذّ وألمحُ
من الدهرِ لو أخلو بكنّ , وإنما أعالجُ قلباً طامحاً حيثُ يطمحُ

فقال الشيخُ : أرخينَ عليكنّ الخباء , فوَالله لا يُفلحُ هذا أبداً))[21] , تكمن المفارقة هنا في شخصيتين رئيسيتين , الأولى شخصية الرجل العذري وهو الذي استجار عندهُ جميل بثينة , وهي شخصية تخالف العرف السائد بين القبائل العربية , لاسيما أن هذا الرجل سيد في قومه , فكان شخصية مفارقة لما هو مألوف , وقد أمر بناته السبع بالتعرض لجميل الواله بل والتبرج له , عسى أن يلفت انتباهه وهو أمر غير معهود عند العرب , يكسر حاجز التوقع , فالمعروف المعتاد أن الرجل العربي غيور على عرضه , أما في رحاب الحب والارتباط العاطفي – غالباً – الطالب المتعرض , والمرأة هي المطلوبة . لكن من يتوخى قصد الشيخ العذري السامي في تزويج جميل , وحقن دمه , يلتمس له العذر فيما أمر به . كما أن قارئ النص يقف على لون آخر من المفارقة في سلوك الشخصية الرئيسية الثانية (جميل) , وقد أشاح بوجهه عن كوكبة الجميلات الظريفات , بعد أن جهدن أنفسهن في إغرائه والفوز بقلبه , وهو أمر يدعوا إلى الدهشة والتفكر في حب جميل الصادق , والتمسك ببثينة , فقد رفض جميل ما عُرض عليه , وهو أمر لافت من شخصية هاربة بلاحقها الموت المؤكد , لم تجد مكاناً يأويها .

المبحث الثالث

أسلوب المفارقة

مدخل :

وصف الأسلوب بأنه من أهم العناصر المكملة للعملية الإبداعية , والسحر الذي يستخدمه الأديب لإيصال أبداعه الشعري والنثري للتأثير في المتلقي , فالمتن الحكائي لا يكتمل من دون الأسلوب الذي يعتبر المبنى الحكائي للعمل الأدبي , فالأديب فنان شأنه شأن أي فنان أخر يضفي لعمله الإبداعي نكهة خاصة تخرجه من رتابة اللغة , ((فالأسلوب طريقة في الكتابة , وهو من جهة أخرى , طريقة في الكتابة لكاتب من

الكتاب , ولجنس من الأجناس , ولعصر من العصور))[22] ووسيلته الى ذلك هي اللغة وهي من أهم دعائم الأسلوب , فيعمد المبدع الى تسخير طاقاتها العظمى لنتاجه الأدبي الإبداعي , وهذا ((يعني وجود علاقة وثيقة بين اللغة والأسلوب أو بين علم اللغة والأسلوبية))[23] , وبما أن العمل الأدبي مرتبط باللغة لذا يفجر الأديب طاقات اللغة ليصوغ منها معان ذات دلالات جميلة مختلفة وبطرق مختلفة , ببراعته ومهارته في فن الكتابة فيصوغ جملاً من قصص أو أبيات شعر بخياله الفذ , لأن ((الأسلوب كتكوين عقلي يخرج في صورة مادية مكونة من ألفاظ لها نسق خاص تؤدي معنى متكاملا , تتمثل في الذهن , ثم يرمز لها باللفظ اللائق بها))[24] , من خلال قيام المبدع باختيار مفردات ذات معان دلالية جميلة تؤثر في المتلقي وتسحره بصياغة أدبية فاعلة , ذلك أن الأسلوب ليست له ثوابت محددة ملزمة كثوابت النحو , بل أنه يعطي للمبدع الحرية الكاملة في التصرف بفنون القول[25] , ويكوّن الأسلوب للمبدع هويته الخاصة من خلال عرض عمله الإبداعي , كما يسميه بيفون الأسلوب هو الإنسان نفسه , هذا يعني أن الأسلوب هو الكيفية التي يستخدم فيها المبدع أدواته اللفظية في التعبير عن عمله الإبداعي بخيارات متعددة[26] , يبتغي من وراءه غايات ومقاصد أدبيه يبهر من خلاله المتلقي / القارئ , وفق طرق خاصة ذات أبعاد ايدلوجية فيته الى هذا المنحى التوصيلي لإيصال رساله معينه في قصيده أو قصة أو أي عمل أدبي اخر , من خلال نظام لغوي ينتج أشكال واعمال أدبيه من شأنها الاستمرار والتجدد[27] . ولهذا يعد الأسلوب في الكتابة هو تعبير عن رئوية جمالية وفكرية واجتماعية معاً[28] يستخدمه المبدع كطريق لإيصال أفكاره وتصوراته .

المحور الأول : التنافر الضدي

تتكون مفارقة التنافر الضدي وذلك عندما يعمد المبدع الى الجمع بين لفظين , فعلين أو اسمين متقابلين متعاكسين متنافرين متعارضين غير متوافقين في المعنى , فيكون المعنى في الكلمة الأولى مخالفاً متضاداً ومتنافراً لمعنى لكلمة الثانية , كتظاد أسمين (النهار / الليل) , أو فعلين (يعطي / يأخذ) , ويسمى أيضاً بالمجاورة , ولذلك تتشكل من هذه التضادات والمنافرات مفارقات ذات مفاهيم متعددة تعمل مجتمعة لأنتاج معاناً بما يمكن أن يكون بنية متميزة داخل أطار عام من خلال التضاد تتفاعل أطرافها في صراع صاعد وهابط في أن واحد , ويكشف التشكيل اللغوي عن تناقض بين عناصرها[29] , فيستفز المتلقي القارئ هذا التنافر الضدي بوصفه أسلوباً تعبيرياً[30] , وبطريقة تجعله مؤولاً مشتركاً مرتبطاً ذهنياً مع النص الأدبي فتتشكل لديه المفارقة من خلال ((ازدياد درجة التضاد , ثم البلوغ الى التضاد المطلق , القادر على توليد طاقة أكبر من الشعرية ؛ وذلك أن مولد الشعرية في الصورة , وفي اللغة ؛ هو التضاد))[31] , وهو الذي يخرج الكلام العادي من المعنى الظاهري الى معناً أخر باطني ذو دلالات جمالية وإيحائية , فيقوم المبدع بكتابة نصه الإبداعي من خلال صورة تنافريه بين معاني كلمات النص الأدبي . وقد لامس عبد القاهر الجرجاني أسلوب التضاد و التنافر في حديثه عن صفة التنافر والتضاد بقوله ((وسواء عبرت عن نقيض الصفة بوجود ضدّها , أو وصفها بمجرَّد العدم , وذلك أنَّ في إثبات أحد الضدّين وصفاً للشيء , نفيّاً للضدّ الأخر , لاستحالة أن يوجدا معًا فيه , فيكون الشَّخص حيًّا ميّتاً معًا , أصمَّ سميعًا في حالة واحدة))[32] , فتقابل المتضادات يولد معان عدة تفتح الأبواب للتأويلات المتعددة للنص , وكما يصفها تيوفيل كوتتيه بقوله ((أية مفارقة مبكية أن يقوم قصر قبالة كوخ))[33] , فالمثال يشير الى اجتماع شيئين متنافرين متضادين هما القصر والكوخ , لكن المفارقة هنا – لدى تيوفيل كوتتيه - تهدف الى المعنى الباطن البعيد , وهو حجم المفارقة المأساوية الفاصلة بين الغنى والفقر من خلال تجاورهما معاً ! , لذلك هنا الصورة التنافرية شكلت أنزياحاً على مستوى اللغة , ولهذا نجد في أسلوب أدب المفارقة من التضاد والتنافر , معيناً لا ينضب متاح منه ما شاء[34] .

لذ تكون مفارقة التنافر الضدي من اجتماع كلمتين متعاكستين متضادتين في منطوق أدبي , نثراً أو شعراً , ليكون أسلوب التضاد هذا من أبرز أساليب التعبير عن المعنى[35] , يعمد له الشاعر كنوع مميز من الوسائل الأسلوبية والجمالية مستعيناً بالرمز والقناع لما يعترضه من أوضاع اجتماعية أو دينية سائدة في محيطه[36].

يظهر التضاد والتنافر بصورة جلية في كتاب (مصارع العشاق) , فجمع بين طياته قصصاً وأشعاراً تحمل شتى معاني البؤس والعذاب لعشاق لم يجنوا ثمراً من عشقهم سوى العذابات والشقاء , فراحوا يعبرون عن تلك المعاناة بأسلوب أدبي مميز , ألا وهو التنافر والتضاد , وليكون هذا الأسلوب الأدبي المنطلق الذي يعبرون من خلاله ما لاقوه . ومن تلك الثنائيات المتضادة والمتنافرة , ما يرويه جعفر السراج , للعُكيلي عن أبيه لداود بن سلَم التميمي[37] , إذ يقول[38] [الطويل]

ما ذَرّ قَرْنُ الشمسِ إلا ذَكرْتُها , ويُذكِرُنيها ما دَنَتْ لِغُرُوبِ
وأذكُرُها ما بينَ ذاكَ وَبعَدهُ , وباللّيلِ أحلامي , وَعندَ هُبوبِ
وَبُلّيتُها شوْقاً , وَبَلاني الهَوَى , وأعيا الذي بي طِبَّ كلّ طبيبِ

تتجلى مفارقة التنافر الضدي الأولى في أبيات داود بن مسلم بين زمانين متضادين متنافرين , ألا وهما شروق الشمس وغروبها , اللذان يمثلان مدار الصراع الدائم و المستمر للعاشق لا ينفك عن التخلص منهما أو نسيانهما , فتكون المتضادات المتنافرة الشروق والغروب الحافز الممتع الذي كل ما تبقى له من فقدان الحبيبة , فيجعله هذا التقاطع الزماني يعيش حالة الهيام الممتع المؤلم في نفسه , وليس ذلك فقط بل يذهب الشاعر الى أبعد من ذلك , فيجعل ذكرى حبيبته في مفارقة ثنائية ضدية تنافرية جميلة , ألا وهي في الحلم واليقضة , فنهاره ليل وليله نهار , فهو لا ينفك عن ذكراها المؤلم في النفس والعقل , ليبقى عقله مرتبطاً بذكرها حتى في المنام وذلك من خلال الأحلام التي يرى فيها محبوبته فيها , فهذا الأسلوب التنافري يعمد له الشاعر للتعبير عما يشعر به من ألم الحرمان , لذلك هنا المفارقة تستدعي بالضرورة وجود تنافر وتضاد بين المعنى الظاهر والمعنى الخفي المستتر , كون لغة الأضداد والتنافر تكون أشد وقعاً وأثراً في نفس القارئ والمتلقي[39] .

المحور الثاني : التناقض الذاتي

تمثل الذات محور حيوي من محاور العمل الإبداعي الذي يتم من خلالها بث الروح في النص الأدبي بتفاعلها مع النص , وتتمركز الذات في الأنسان وبهذا يكون الأنسان هو الذات نفسة , وتكون أفعالة واقواله هي من تترجم ذلك لأن ((الذات تمثل في مفهومها الأدبي علامة بارزة في البنية الإبداعية , وعصباً حيوياً للخطاب الأدبي , وتعكس هذه الذات من خلال تمثيلاتها ورمزياتها رؤية المبدع , أذ تتخذ الذات علامة والتحول والتبدل والاستمرار في الوقت نفسه في الجسد القصصي))[40] , لأنها جزء من التركيبة البنيوية الأساسية للعملية الإبداعية .

إن للسلوكيات العامل الحاسم والأبرز الذي يبين ويكشف ما يفعله أي أنسان , لأن الأفعال تعري صاحبها ويحدث تناقضها وذلك عندما تظهر للعيان من تصرفات عكس ما تضمر وما تبطن , بمعنى أن العالم الخارجي الذي يحيط بالشخصية لا يعلم ولا يدرك ما بداخلها إلا من خلال تعابيرها الخارجية من أفعال أو أقوال التي توحي لها[41] , وعلى هذا الأساس تتشكل المفارقة بواسطة أسلوب التناقض الذاتي وهو عندما تتصرف بتصرفات على عكس ما تبين من أفعالها في العلن , وهذا ما حدث مع العشاق في كتاب مصارع العشاق الذين لجئوا الى هذا المنحى في محاولة منه للتعبير عن ما يلاقونه من خلال هذا الأسلوب وهو التناقض الذاتي فجاءت أشعارهم وقصصهم وفق أتجاهين هما .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

أولاً : تناقض ذات الأنا

في هذا الاتجاه يشكل الأنا ظاهرة أدبية ولاسيما في الشعر العربي فشكلت هاجساً عند الشعراء والآداب والنقاد بصورة عامة , فالأنا ((شعور بالوجود الذاتي المستمر , والمتطور بالاتصال مع العالم الخارجي ؛ بالاختبارات و والتثقف , ثم بالتكامل والاستبطان , وهذا الأنا ؛ هو مركز البواعث والأعمال التي تؤقلم الإنسان في محيطه , وتحقق رغباته , وتحل النزاعات المتولدة عن تعارض رغباته))[42] , وبهذا يتكون الجهاز النفسي للإنسان من الذات اللوامة المحفزة للرغبات[43] .

يبين العشاق في أشعارهم وقصصهم تناقض ذاتهم من خلال عدم تطابق الأقوال مع الأفعال أو مع المنطق أو مع الشائع المتبع , أيماناً منهم ببراعة أسلوب ((مخادعة الأقوال التي تقوم مقام مخادعة الأفعال))[44] , ونتيجة لعدم التطابق هذا تحدث المفارقة التي تنشئ بسبب التضاد بين الفعلين وإبرازهما وظهورهما للعيان المنظور[45] , وهذا ما نلاحظه مع مسلم بن الوليد الأنصاري حين يصف الخمرة , في الخبر عنونه محقق الكتاب ب (صريع الغواني) , جاء فيه ((أن مُسلِم بن الوليد الأنصاري[46] لما وصلَ الرشيدُ في أول يومٍ لَقيه أنشده قصيدتَه التي يصف فيها الخَمر , وأولُها : [الطويل]

أديرَا عليّ الكَأس لا تَشرَبَا قَبْلي ولا تَطْلبا من عند قاتلْي ذحلي))[47]

يعشق مسلم بن وليد الخمرة التي يفرط في شربها وهو على يقين أنه في نهاية المطاف و دون شك ستصل به الى الهلاك و الموت , وهو يصرح بذلك بأنها ستقتله عاجلاً أم أجلاً , لكن المفارقة أنه يرفض الامتناع عنها بل يرفض كذلك أن يؤخذ ثأره منها بقوله (ذحلي) , وهو الثأر ومن المعروف أن من يقتل يؤخذ القصاص من قاتله , وهنا يناقض مسلم بن الوليد ذاته من خلال هذا الأسلوب المبني على التناقض الهادف إلى أيصال المعنى حتى لو لم يكن هنالك تطابقاً بين الموجودات الحسية وبين المعاني بالضرورة ((أنما التطابق يحصل بين المعاني وما أدرك من تلك الموجودات))[48] , ولهذا فأن الشاعر لا يأبى لهذا الأسلوب التناقضي , لأن أمله الوحيد أيصال المعنى للمتلقي .

ويتحقق التناقض الذاتي في نص آخر سمه محقق الكتاب ب (عبد الله بن جعفر وجاريته) , جاء فيه ((نظرَ عبدُ الله إلى جاريةٍ له كان يحبها حباً شديداً وهي تلاحظُ مولاه فسألها : بالله هل تحبين فُلاناً ؟ فقالتْ : أُعيذُكَ باللهِ يا سيدي ! قال فسألها : بالله لا تكتُميني ذلك ! فسكتت فأعتقها ودعاه فزوجها إياه . قال : ثمّ إن نفسَه تتبعتها فدعا مولاه فقال : أتنزل عنها ولك عشرةُ آلاف درهم ؟ قال : لا والله , ولا مئة ألف درهم . قال : باركَ الله لك فيها ! قال: فأعرض عنها . قال : فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى مات مولاه و تزوجها ابن جعفر بعد ذلك))[49] , من معايير العاشق الحقيقي هو بقاءه متمسكاً و مخلصاً لمن أحب مهما كانت الظروف وكيفما كان , لكن عبد الله بن جعفر يسقط في هفوت التناقض الذاتي وذلك بتخليه عن من يحب وهي الجارية التي كان يحبها حباً شديداً , بل أن تناقضه الأخر هو سعيه في محاولة إرجاع الجارية بعد تخليه عنها , هذا يثبت تعرض أن الذات تقع ضحية نتيجة سوء تصرفها دون أن تنتبه لما سيجري من سوء فعلها وسرعان ما تنتبه الضحية من انفعالاتها ثم تتبعها لذة خاصة تعبّر عن الاختلاف المفاجئ[50] في موقفها بعد أدراكها سوء فعلها .

ويكمن تناقض الذات في قول أبو علي القالي الذي يصف حاله بأبيات من الشعر يعنونها محقق الكتاب ب (القطيعة أذهب للعقل) , وفيها يقول[51] : [الطويل]

فَوَا عَجَبا للنّاسِ يَسْتَشرفُونَني كأن لم يَرَوا بَعدي مِحباً ولا قبلي
يقولونَ لي : اصرِمْ يرْجع العقل كُلُّه وَ صَرمُ حبيبِ النفسِ أذهبُ للعقل

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

فيا عجبا من حبّ مَن هُوَ قاتِلي كأني أجازيهِ المودّةَ عَنْ قَتْلي
وَمن بيناتِ الحُبّ أنْ كانَ أهلُها أحَبَّ إلى قَلبي وعَينيَ من أهْلي

ثانياً : تناقض ذات الأخر

في هذا الاتجاه تقع الضحية في تناقض أفعالها وهي على غفلة من أفعالها وعدم درايتها بذلك الفعل , والمراقب المتلقي هومن يكشف تناقضها وسقوطها في فجوة المفارقة نتيجة التناقض الحاصل في سلوكها , ونتيجة لذلك السلوك ؛ تجد نفسها ضحية مفارقات دون قصداً ووعي منها[52] , ولهذا يتمثل الذات الأخر للإنسان في العالم المحيط به , الاجتماعي بصورة خاصة , لأن من خلاله يكشف المرء عن ذاته وتشكلها وتمظهرها أمام الناس , ورؤاه وسلوكه وتصوراته وأفكاره فهي من تقوم بهذا الدور و التي تعد بمثابة مرأة تعكس شخصيته الذاتية , ولا يمكن الوصول إلى حدود الذات ما لم نصل معها - في الوقت نفسه – إلى حدود الأخر , فالعالم والأخر , والذات متلازمان[53] , ذلك لأن الوعي الذاتي يقتضي الشعور بالأخرين , فهو – أي الوعي الذاتي – اجتماعي بطبيعته[54]

المحور الثالث : التباين اللفظي

يعرف التباين اللفظي على أنه اختلاف وتعدد دلالات الكلمة المفردة إلى معان مختلفة , فتخرج الكلمة عن المعنى المعجمي الأصلي لها إلى معان أخرى , فيهدف المبدع من خلال شدة التباين اللفظي للألفاظ تحقيق المضمون وإيصاله[55]. ويتجلى هذا التباين في المفارقات اللفظية للكلمة , وهي عبارة عن ((دال يؤدي مدلولين نقيضين أحدهما قريب نتيجة تفسير البنية اللغوية حرفيا , والأخر سياقي خفي يجهد القارئ في البحث عنه واكتشافه))[56] , فهي إذن تكمن في المعنى الذي يستنبط من معنين متناقضين يكشفهما السياق الكلامي , وهي أيضا انقلاب يحدث في دلالة المعنى الأول للفظ الكلمة المفردة , لأنها صنعة لغوية لتعمدها بالقول شيئاً وما تعني مفهوما أخر فيكون المعنى مناقضاً لما تعني , فتتشكل على إنها ((نمط كلامي , أو طريقة من طرائق التعبير يكون المعنى المقصود فيها مناقضاً أو مخالفاً للمعنى الظاهر , وينشأ هذا النمط من كون الدال يؤدي مدلولين متناقضين , الأول مدلول حرفي ظاهر , والثاني مدلول سياقي خفي))[57] , وهذا الشكل يوحي معنى ما , لكن المقصود منه معناً أخر , ولهذا ((فأن عبد القاهر الجرجاني قد جعل مكانة هامة للفظ وأخرى للمعنى , وأن هناك طرق وقوانين لمعرفة مكانة كل منهما وكيفية استحسان الألفاظ مع المعاني))[58] . ومثال لهذه المفارقة يظهر في قوله تعالى : ﴿ وَبَشِرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذابٍ أَلِيمٍ ﴾[59] , نلحظ في هذه الآية استخدام المفارقة بصورة واضحة في كلمة (بَشِرِ) , لأن من المعروف أن البشرى تكون في الخبر السار , لكنها جاءت هنا مخالفة لمعناها الأصلي , فقد وضعت في النص القرآني مع ألفاظ متناقضة الدلالة ألا وهي البشرى بالعذاب , فشكلت بهذا المعنى المعاكس , مفارقة لفظية متباينة

النتائج

1) أن اجتماع الأضداد و التناقضات وفق ذلك الائتلاف يحقق (مفارقة). .
2) ان السخرية وان كانت مرافقه لل(مفارقة) خلال مراحل تطورها الاأنها أداة للمفارقة أو الأثر الناتج عنها. وان كانت المفارقة لعب مرح ولطيف.
3) أن مفارقة الأحداث تعتمد على افعال الضحية وما تصنع , وذلك ما ظهر في عنوان كتاب مصارع العشاق
4) تُعد الشخصية من المكونات الرئيسة في العمل الأدبي , ويقع على عاتقها تطور العمل الحكائي , لذلك تُعد الشخصية ركناً مهماً من اركان العمل السردي , وذلك ما ظهر في عنوان كتاب مصارع العشاق

5) ان المتن الحكائي لا يكتمل من دون الأسلوب الذي يعتبر المبنى الحكائي للعمل الأدبي.
6) تمثل الذات محور حيوي من محاور العمل الإبداعي الذي يتم من خلالها بث الروح في النص الأدبي بتفاعلها مع النص كما ورد في كتاب مصارع العشاق .

المصادر

1. :يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية , (بيروت : دار القلم , ب ت)،ص18.
2. زكي نجيب محمود ، الموسوعة الفلسفية المختصرة، تر: فؤاد كامل ، وأخرون ,(بيروت:دار القلم،ب ت .
3. علي سامي النشار,هيرقليطيس فيلسوف التغير وأثره في الفكر الفلسفي,ط1,(مصر:دار المعارف,1969).
4. عبد المنعم الحفني, موسوعة الفلسفة والفلاسفة ,ج2, (القاهرة :مطبعة مدبولي,1999) , .
5. عماد جهاد النوري,الفن والعلم والجمال, (بغداد : دار الشوؤن الثقافية, ب ت),ص93 0
6. محمد عبد الله الشرقاوي ، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة، ط2، (لبنان : مكتبة الزهراء،1990).
7. محمد عنبر ، جدلية الحرف العربي و فيزيائية الفكر و المادة، (سوريا :دار الفكر ،1987)، 0
8. عبد المنعم الحفني ، موسوعة الفلسفة و الفلاسفة،ج1، (القاهرة : مطبعة مدبولي ، 1999) ،
9. احمد مطلوب , معجم المصطلحات البلاغية وتطورها , ج 2-3 , (العراق : مطبعة المجمع العلمي العراقي , 1987 .
10. 7حامد عبد الهوال , السخرية في أدب المازني , (القاهرة :ا لهيئة المصرية العامة للكتاب,1982) .
11. احمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ،ط1، (بيروت : المؤسسه الجامعة للدراسات و النشر و التوزيع ،2005)
12. عبدالله ابراهيم واخرون,معرفة الاخر_مدخل الى المناهج النقدية الحديثة,(بيروت:المركز الثقافي العربي,1990) .
13. عبد القادر عبو ،فلسفة الجمال في فضاء الشعرية العربية المعاصرة – بحث في آليات تلقي الشعر, (دمشق :
14. موسى ربابعة ، "المتوقع و اللامتوقع ، دراسة في جمالية التلقي ،في مجلة ابحاث اليرموك,مصدر سابق,ص50.
15. نهاد صليحة ، المسرح بين الفن و الفكر ، (الجيزة : هلا للنشر و التوزيع ،2010)،ص36.
16. تاريخ الادب العربي العصر الجاهلي , د. شوقي ضيف , دار المعارف , القاهرة , مصر , ط 28 , 2008 .
17. النقد الادبي الحديث , محمد غنيمي هلال , نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع , القاهرة مصر , د ط , 1996 .
18. خطاب الحكاية - بحث في المنهج , جيرار جينيت , ترجمة محمد معتصم عبد الجليل الارزدي وعمر حلي الهيئة العامة للطباعة الأميرية , ط2 , 1997 .
19. قال الراوي , سعيد يقطين , المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء , المغرب , ط 1 , 1997 .
20. المصطلح السردي , جيرالد برنس , ترجمة عايد خزندار , المجلس الأعلى للثقافة , القاهرة , مصر , ط 1 , 2003 .

21. المفارقة وصفاتها : موسوعة المصطلح النقدي , دي . سي . ميوك , دار الفارس للنشر والتوزيع , عمان , الأردن , ط 1 , 1993:
22. المفارقة في مقامات العصر العباسي , ضياء مشفي , اطروحة دكتوراه , كلية الآداب , الجامعة المستنصرية , بغداد , العراق , 2000 .
23. القِمَطرُ والقِمطَرَةُ : ما تصان فيها الكتب , لسان العرب , ابن منظور .
24. مصارع العشاق , جعفر بن أحمد السراج البغدادي , تحقيق كرم البستاني , دار صادر , بيروت , لبنان , 1958 .
25. سرد الأمثال دراسة في البنية السردية لكتب الأمثال العربية , د. لؤي حمزة عباس :
26. بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية) , حسن بحراوي :
27. سيميائية الشخصية الروائية , شربيط احمد شربيط : .
28. سيميولوجيا الشخصيات الروائية , فيليب هامون , ترجمة سعيد بكراد :
29. بنية الشخصية في رواية التبر لإبراهيم الكوني , قدنيل بن عباس : 20 .
30. الاسلوبية , بييرجيرو , ترجمة منذر عياشي , دار الحاسوب للطباعة , ط2 , حلب , سوريا , 1994.
31. الأسلوبية : مدخل نظري ودراسة تطبيقية , د. فتح الله احمد سليمان , مكتبة الآداب , د ط , 2004 .
32. بناء الأسلوب في شعر الحداثة , د محمد عبد المطلب , دار المعارف , ط2 , القاهرة , 1995:.
33. علم الأسلوب , شكري عياد , التنوير للطباعة والنشر , بيروت , لبنان , ط 1 , 2013 : 193.
34. الاسلوبية والصوفية – دراسة في شعر الحسين ابن منصور الحلاج , اماني سليمان داود , وزارة الثقافة , عمان , الاردن , ط 1 , 2002 .
35. الاسلوبية وتحليل الخطاب , منذر عياشي , مركز الانماء الحضاري , ط 1 , دمشق , سوريا , 2002 .
36. قضايا الرواية العربية الجديدة , الوجود والحدود , سعيد يقطين , الدار العربية للعلوم ناشرون , بيروت لبنان , منشورات الاختلاف , الجزائر , ط 1 , 2012 : .
37. المفارقة في شعر عدي بن زيد , حسني عبد الجليل , دار الوفاء للطباعة والنشر, ط 1 , الاسكندرية , 2009 : .
38. منهاج البلغاء وسراج الأدباء , حازم القرطاجي (ت 684 ه) , تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه , دار الغرب الاسلامي , ط2 , بيروت , 1981 , .
39. في الشعرية , كمال أبو ديب , مؤسسة الأبحاث العربية , د ط , بيروت , 1987 : .
40. أسرار البلاغة , أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني , تحقيق محمود محمد شاكر , دار المدني , ط1 , جدة , د ت .
41. المفارقة في أبي العلاء المعري , د. حسن عبد راضي , دار الشؤون الثقافية العامة , ط1 , بغداد , العراق , 2013 : 106 – 107.
42. الأسلوبية : مدخل نظري ودراسة تطبيقية , د. فتح الله احمد سليمان , مكتبة الآداب , د ط , القاهرة , 2004 : 61.
43. الثنائيات الضدية في شعر أبي العلاء المعري , علي عبد الأمام الأسدي : 65.

44. داود بن سلم المعروف بالأدلم , مولى تيم بن مرة , وفاته نحو عام 132 ه , شاعر حجازي مجيد رقيق الشعر , من أهل المدينة , الأعلام 2 .
45. المفارقة في الشعر الجزائري المعاصر , أحلام جدي و حليمة روابحي : .
46. المفارقة في قصص زكريا تامر , احمد داود عبد خليفة , أطروحة دكتوراه , كلية الدراسات العليا , الجامعة الأردنية , الأردن , 2004 : .
47. جماليات التشكيل الروائي دراسة في الملحمة الروائية , محمد صابر عبيد و سوسن هادي جعفر البياتي , مدارات الشرق , ط 1 , 2008 : .
48. المعجم الأدبي , جبور عبد النور , دار العلم للملايين , بيروت , لبنان , ط 2 , 1984 : .
49. الصحة النفسية – دراسة في سيكولوجيا التكيف , نعيم الرفاعي , دار الفكر , دمشق , سوريا , ط 7 , 1987 : .
50. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر , أبن الأثير (ضياء الدين) , تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة , دار نهضة مصر للطباع والنشر , القاهرة , ط 2 , 1973 : .
51. المفارقة في القصص الستيني العراقي , محمد وذان جاسم , رسالة ماجستير , كلية التربية , الجامعة المستنصرية , 2000 : .
52. مسلم بن وليد الأنصاري (130 – 208) شاعر كبير أولع بوصف الشراب , الأعلام .
53. نظرية المعنى في التراث العربي وأثرها في فهم الصورة , النادي الثقافي , جدة , المملكة العربية السعودية , ط 1 , 1990:
54. الجماليات وسؤال المعنى , رشيدة التركي , ترجمة إبراهيم العمري , الدار المتوسطية للنشر , تونس , ط 1 , 2009 : .
55. المتوقع واللامتوقع في شعر المتنبي , دار جرير للنشر , عمان , الأردن , ط 2, 2008.
56. نظرية الاغتراب , علي شتا , عالم الكنب للنشر والتوزيع , الرياض , ط 1 , 1984 : .
57. مدخل إلى علم لغة النص , فولفجانج هايتمان وأخرون , ترجمة سعيد حسن بحيري , مكتبة زهراء الشرق , القاهرة , مصر , ط 1 , .
58. المفارقة والأدب – دراسات في النظرية والتطبيق , خالد سليمان , دار الشروق , عمان , ط 1 , 1999 :.
59. نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني , وليد محمد مراد , دار الفكر , دمشق , سوريا , ط

---

(1):يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية , (بيروت : دار القلم , ب ت)،ص18.
* اللوغوس (الحكمة أو الائتلاف الخفي)هو القول أو العقل ، وفي الفلسفة هي القانون الكلي و أساس العالم كما ارتأى هيروقليطس "إن كل شيء يسير وفق اللوغس الذي هو ابدَي. مطلق .جوهري". عند الرواقيين يدل على العالمين الفيزيائي والروحي في وحدة الوجود كما انه جماع الأفكارالأفلاطونية كقوة خلاقة تعمل وسيط بين الله والعالم المخلوق أما الماركسيون فقد أحلو محله الديالكتيك في الطبيعة والتاريخ.ينظر,صلاح الدين احمد يونس ، النقد بين المثاقفة و المقاربة واسمات في التشبيه المختلف, (دمشق، دار المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع،2007)،ص82.
(2) زكي نجيب محمود ، الموسوعة الفلسفية المختصرة، تر: فؤاد كامل ، وأخرون ,(بيروت:دار القلم،ب ت)،ص494.
(3) علي سامي النشار,هيرقليطيس فيلسوف التغير وأثره في الفكر الفلسفي,ط1,(مصر:دار المعارف,1969),ص98.
(4) المصدر نفسه,ص132.
(5) زكي نجيب محمود ,مصدر سابق ,ص321.

(1) عبد المنعم الحفني, موسوعة الفلسفة والفلاسفة ,ج2, (القاهرة :مطبعة مدبولي,1999) , ص1054.
(2) عماد جهاد النوري,الفن والعلم والجمال, (بغداد : دار الشوؤن الثقافية, ب ت),ص93 0
(3) محمد عبد الله الشرقاوي ، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة، ط2، (لبنان : مكتبة الزهراء،1990)،ص 93.
(4) ينظر, محمد عنبر ، جدلية الحرف العربي و فيزيائية الفكر و المادة، (سوريا :دار الفكر ،1987)،ص208 0
(5) عبد المنعم الحفني ، موسوعة الفلسفة و الفلاسفة،ج1، (القاهرة : مطبعة مدبولي ، 1999) ، ص663 0
(6) مراد وهبه, مصدر سابق ,ص657 0
(1) للمزيد ينظر , احمد مطلوب , معجم المصطلحات البلاغية وتطورها , ج 2-3 , (العراق : مطبعة المجمع العلمي العراقي , 1987) , ص3 , ص14 , ص33,ص88 , ص140 , ص228 .
(1) نبيلة ابراهيم ، مصدر سابق ،ص137.
(2) حامد عبد الهوال , السخرية في أدب المازني , (القاهرة :ا لهيئة المصرية العامة للكتاب,1982) ,ص18.
(3) احمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ،ط1، (بيروت : المؤسسه الجامعة للدراسات و النشر و التوزيع ،2005)،ص7.
(4) ينظر,عبدالله ابراهيم واخرون,معرفة الاخر_مدخل الى المناهج النقدية الحديثة,(بيروت:المركز الثقافي العربي,1990) **,ص118.**
(1) عبد القادر عبو ،فلسفة الجمال في فضاء الشعرية العربية المعاصرة – بحث في آليات تلقي الشعر, (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب،2007)،ص125.
(2) موسى ربابعة ، "المتوقع و اللامتوقع ، دراسة في جمالية التلقي ،في مجلة ابحاث اليرموك,مصدر سابق,ص50.
(3) نهاد صليحة ، المسرح بين الفن و الفكر ، (الجيزة : هلا للنشر و التوزيع ،2010)،ص36.
(2) تاريخ الادب العربي العصر الجاهلي , د. شوقي ضيف , دار المعارف , القاهرة , مصر , ط 28 , 2008 : 399 .
(3) النقد الادبي الحديث , محمد غنيمي هلال , نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع , القاهرة مصر , د ط ,1996 : 504 .
(4) خطاب الحكاية - بحث في المنهج , جيرار جينيت , ترجمة محمد معتصم عبد الجليل الارزدي وعمر حلي الهيئة العامة للطباعة الأميرية , ط2 , 1997: 177 .
(5) قال الراوي , سعيد يقطين , المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء , المغرب , ط 1 , 1997: 19 .
(6) المصطلح السردي , جيرالد برنس , ترجمة عايد خزندار , المجلس الأعلى للثقافة , القاهرة , مصر , ط 1 , 2003 : 19.
(7) المفارقة وصفاتها : موسوعة المصطلح النقدي , دي . سي . ميوك , دار الفارس للنشر والتوزيع , عمان , الأردن , ط 1 , 1993: 4 / 212 .
(8) ينظر : نفسه : 87 .
(9) ينظر : نفسه : 236 .
(10) نفسه : 94 .
(11) المفارقة في مقامات العصر العباسي , ضياء مشفي , اطروحة دكتوراه , كلية الآداب , الجامعة المستنصرية , بغداد , العراق , 2000 : 18 .
(12) القِمَطرُ والقِمطَرَةُ : ما تصان فيها الكتب , لسان العرب , ابن منظور : 3740 .
(13) مصارع العشاق , جعفر بن أحمد السراج البغدادي , تحقيق كرم البستاني , دار صادر , بيروت , لبنان , 1958 : 1 / 85 – 86 .
(14) سرد الأمثال دراسة في البنية السردية لكتب الأمثال العربية , د. لؤي حمزة عباس : 129 .
(15) بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية) , حسن بحراوي : 20 .
(16) قال الراوي : 87 .
(17) سيميائية الشخصية الروائية , شربيط احمد شربيط : 194 .
(18) سيميولوجيا الشخصيات الروائية , فيليب هامون , ترجمة سعيد بكراد : 38 .
(19) بنية الشخصية في رواية التبر لإبراهيم الكوني , قدنيل بن عباس : 20 .
(20) مصارع العشاق : 1 / 37 .
(21) مصارع العشاق : 1 / 51 .
(22) الاسلوبية , بييرجيرو , ترجمة منذر عياشي , دار الحاسوب للطباعة , ط2 , حلب , سوريا , 1994: 9 .
(23) الأسلوبية : مدخل نظري ودراسة تطبيقية , د. فتح الله احمد سليمان , مكتبة الآداب , د ط , 2004 : 47 .
(24) بناء الأسلوب في شعر الحداثة , د محمد عبد المطلب , دار المعارف , ط2 , القاهرة , 1995: 18 .

([25]) ينظر : علم الأسلوب , شكري عياد , التنوير للطباعة والنشر , بيروت , لبنان , ط 1 , 2013 : 193 .
([26]) ينظر : الاسلوبية والصوفية – دراسة في شعر الحسين ابن منصور الحلاج , اماني سليمان داود , وزارة الثقافة , عمان , الاردن , ط 1 , 2002 : 26 .
([27]) ينظر : الاسلوبية وتحليل الخطاب , منذر عياشي , مركز الانماء الحضاري , ط 1 , دمشق , سوريا , 2002 : 38 .
([28]) ينظر : قضايا الرواية العربية الجديدة , الوجود والحدود , سعيد يقطين , الدار العربية للعلوم ناشرون , بيروت لبنان , منشورات الاختلاف , الجزائر , ط 1 , 2012 : 94 .
([29]) ينظر : المفارقة في شعر عدي بن زيد , حسني عبد الجليل , دار الوفاء للطباعة والنشر, ط 1 , الاسكندرية , 2009 : 15 .
([30]) ينظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء , حازم القرطاجي (ت 684 ه) , تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه , دار الغرب الاسلامي , ط2 , بيروت , 1981 , 45 .
([31]) في الشعرية , كمال أبو ديب , مؤسسة الأبحاث العربية , د ط , بيروت , 1987 : 47 .
([32]) أسرار البلاغة , أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني , تحقيق محمود محمد شاكر , دار المدني , ط1 , جدة , د ت : 78 .
([33]) المفارقة وصفاتها : 135 .
([34]) ينظر : المفارقة في أبي العلاء المعري , د. حسن عبد راضي , دار الشؤون الثقافية العامة , ط1 , بغداد , العراق , 2013 : 106 – 107 .
([35]) ينظر : الأسلوبية : مدخل نظري ودراسة تطبيقية , د. فتح الله احمد سليمان , مكتبة الآداب , د ط , القاهرة , 2004 : 61 .
([36]) الثنائيات الضدية في شعر أبي العلاء المعري , علي عبد الأمام الأسدي : 65 .
([37]) داود بن سلم المعروف بالأدلم , مولى تيم بن مرة , وفاته نحو عام 132 ه , شاعر حجازي مجيد رقيق الشعر , من أهل المدينة , الأعلام 2 / 332 .
([38]) مصارع العشاق 1 / 41 .
([39]) ينظر : المفارقة في الشعر الجزائري المعاصر , أحلام جدي و حليمة روابحي : 92 .
([40]) المفارقة في قصص زكريا تامر , احمد داود عبد خليفة , أطروحة دكتوراه , كلية الدراسات العليا , الجامعة الأردنية , الأردن , 2004 : 118 .
([41]) ينظر : جماليات التشكيل الروائي دراسة في الملحمة الروائية , محمد صابر عبيد و سوسن هادي جعفر البياتي , مدارات الشرق , ط 1 , 2008 : 298 .
([42]) المعجم الأدبي , جبور عبد النور , دار العلم للملايين , بيروت , لبنان , ط 2 , 1984 : 36 .
([43]) ينظر : الصحة النفسية – دراسة في سيكولوجيا التكيف , نعيم الرفاعي , دار الفكر , دمشق , سوريا , ط 7 , 1987 : 113 .
([44]) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر , أبن الأثير (ضياء الدين) , تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة , دار نهضة مصر للطباع والنشر , القاهرة , ط 2 , 1973 : 2 / 250 .
([45]) ينظر : المفارقة في القصص الستيني العراقي , محمد وذان جاسم , رسالة ماجستير , كلية التربية , الجامعة المستنصرية , 2000 : 58 .
([46]) مسلم بن وليد الأنصاري (130 – 208) شاعر كبير أولع بوصف الشراب , الأعلام : 8 / 120 .
([47]) مصارع العشاق : 1 / 37 .
([48]) نظرية المعنى في التراث العربي وأثرها في فهم الصورة , النادي الثقافي , جدة , المملكة العربية السعودية , ط 1 , 1990 : 21 .
([49]) مصارع العشاق : 1 / 39 .
([50]) الجماليات وسؤال المعنى , رشيدة التركي , ترجمة إبراهيم العمري , الدار المتوسطية للنشر , تونس , ط 1 , 2009 : 58 .
([51]) مصارع العشاق : 1 / 235 .
([52]) ينظر : المفارقة وصفاتها : 84 .
([53]) ينظر : المتوقع واللامتوقع في شعر المتنبي , دار جرير للنشر , عمان , الأردن , ط 2, 2008 : 47 – 48 .
([54]) ينظر : نظرية الاغتراب , علي شنا , عالم الكتب للنشر والتوزيع , الرياض , ط 1 , 1984 : 421 .

([55]) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص , فولفجانج هايتمان وأخرون , ترجمة سعيد حسن بحيري , مكتبة زهراء الشرق , القاهرة , مصر , ط 1 , 1004 : 124 .
([56]) المفارقة في الشعر العربي الحديث , ناصر شبانه .
([57]) المفارقة والأدب – دراسات في النظرية والتطبيق , خالد سليمان , دار الشروق , عمان , ط 1 , 1999 : 26 .
([58]) نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني , وليد محمد مراد , دار الفكر , دمشق , سوريا , ط 1 , 1983 : 10 .
([59]) سورة التوبة / 3 .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN–2536–0027

الأثر الارتدادي للحكم القضائي

م.م. ليث حيدر عجة
law.mas.20.35@qu.edu.iq
م.م. زياد مجيد جبار
zeyadalrazage@gmail.com
وزارة التربية – المديرية العامة لتربية القادسية

المستخلص
أن موضوع دراستنا يسلط الضوء على الأثر الارتدادي للحكم القضائي، إذ أن الأصل في حجية الأحكام القضائية أنها نسبية لا يستفاد ولا يضار منها غير الخصوم، أي أطراف الدعوى، إذ ينحصر الحكم القضائي عليهم. إذ أن أهمية الدراسة تكمن في إزالة الضبابية حول مفهومين متعارضين عند البعض هما مبدأ نسبية الأحكام القضائية واعتراض الغير على حكم صادر مكتسب حجيته الشي المقضي فيهِ، إضافة الى أن التصدي لارتدادية الأحكام القضائية سميط اللثام أمام القضاء من خلال وجود أدلة جديدة لم يطلع عليها مما سيغير بلا شك سير الدعوى.

ABSTRACT
The subject of our study sheds light on the regressive effect of the judicial ruling, since the origin of the authority of judicial rulings is that they are relative, and only the litigants can benefit from or harm them. Any parties to the case, as the judicial ruling is limited to them. As the importance of the study lies in removing the ambiguity around two conflicting concepts for some, which are the principle of relativity of judicial rulings and the objection of others to an issued ruling whose authority is acquired by the thing decided in it.In addition, the response to judicial rulings will be addressed before the judiciary through the presence of new evidence that he has not seen, which will undoubtedly change the course of the case.

المقدمة

أولاً/ جوهر فكرة الدراسة:
الأصل في حجية الأحكام القضائية أنها نسبية لا يستفاد ولا يضار منها غير الخصوم، أي أطراف الدعوى، إذ يقتصر الحكم عليهم فقط، عليهِ سيغني الغير من المراجعة القضائية بشأن الأحكام التي تصدر. إلا أن تعدد الروابط بين الافراد وتشعب العلاقات كانت النتيجة الطبيعة هي تعدي الاحكام الى غير الخصوم فاضحت هذهِ القاعدة لا تكفي لحماية المتضرر وبالخصوص في الحالات التي يتواطأ فيها المدعي والمدعى

عليه بقصد الأضرار بحقوق الغير أو في حالات يقتصر المدعى عليه بالدفاع عن نفسه فقط بما يكفي لرد الدعوى باعتبار أن موضوعها لا يمس حقوقه بالتالي سوف يمتد الى الغير وينعكس بصورة سلبية عليه لذلك راعى المشرع ذلك واوجد طريقة للتفادي هذا الارتداد بالأحكام عن طريق الطعن بواسطة اعتراض الغير أو بطريقة تدخل الشخص الثالث بالاستئناف, اذا كان يحق له الطعن بطريقة اعتراض الغير لذلك نجد أن فقهاء القانون الإجرائي اوجدوا لهذا الفكرة السابقة تسمية اطلقوا عليها النتيجة الانعكاسي للحكم القضائي .

ثانياً/ أهمية الدراسة:

أن أهمية الدراسة تكمن في إزالة الضبابية حول مفهومين متعارضين عند البعض هما مبدأ نسبية الأحكام القضائية واعتراض الغير على حكم صادر مكتسب حجيته الشي المقضي فيهِ، إضافة الى أن التصدي لارتدادية الأحكام القضائية سميط اللثام أمام القضاء من خلال وجود ادلة جديدة لم يطلع عليها مما سيغير بلا شك سير الدعوى. أضف الى ذلك أن الأحكام التي تصدر تمس بحقوق الغير فلابد من حماية لها بطرق طعن معينة لتلافي صدور احكام متناقضة نتيجة الاضطرار لرفع دعوى أخرى لاسترداد الحقوق المنتزعة.

ثالثاً/ إشكالية الدراسة:

يتولد عن هذهِ الدراسة جملة إشكاليات أبرزها هل أن المشرع العراقي قد صاغ نظام متكامل من اجل توقي الحالات التي تمس فيها الاحكام الغير وتصيب حقوقهم المستقرة بشكل يضمن لهم استرجاعها؟ هل حدد نطاق هذا الغير في قانون المرافعات المدنية العراقي بصورة كافية؟

رابعاً/ منهجية الدراسة:

سيتم اتباع المنهج التحليلي الاستقرائي للنصوص الواردة في قانون المرافعات المدنية العراقي رقم 83 لسنة 1969 المُعدل وقانون الأثبات العراقي رقم 107 لسنة 1979 المُعدل من اجل الوصول الى المعنى الحقيقي التي ابتغاها واضع التشريع.

خامساً/ هيكلية الدراسة

سنقسم موضوع دراستنا الموسوم **(الأثر الارتدادية للحكم القضائي)** على مقدمة ومبحثين إذ نخصص **المبحث الأول**: لمفهوم الأثر الارتدادي للحكم القضائي وذلك على مطلبين نخضض المطلب الأول الى التعريف بالأثر الارتدادي للحكم القضائي ونكرس المطلب الثاني منهً الى آليات الغير لرد الأثر الارتدادي للحك القضائي ليستقل **المبحث الثاني**: منهُ بعنوان التدابير الاحترازية لارتدادية الأحكام القضائية وذلك على مطلبين نخضض الأول منه الى الطعن بطريق اعتراض الغير , و الثاني الى الطعن بطريق الاستئناف , ثم نختتم دراستنا بخاتمة توصلنا بها الى بعض الاستنتاجات والمقترحات.

المبحث الأول

مفهوم الأثر الارتدادي للحكم القضائي

أن النتيجة الارتدادية للحكم تمس مصلحة شخص من غير الدعوى بصورة سلبية نتيجة لتعدي هذا الحكم اليه والأضرار بهِ، وبما أن الإحكام القضائية الصادرة هي حجة على الكافة فلابد من رَدّ هذهِ النتيجة والدفاع عن الحقوق بالطرق التي سمح القانون بها.

عليه فأن البحث في مفهوم الأثر الارتدادي للحكم القضائي يستلزم منا التعريف بهذا الأثر ومضمونه ومن الذي يتصدى لهذهِ النتيجة لذا سنقسم هذا المبحث على مطلبين نخصص الأول منه الى التعريف بالأثر الارتدادي للحكم القضائي ونكرس الثاني آليات الغير لرد الأثر الارتدادي للحكم القضائي.

المطلب الأول

التعريف بالأثر الارتدادي للحكم القضائي

لم يعرف الفقه والقانون الأثر الارتدادي للحكم القضائي، لان الفقه الإجرائي ابتدع مفهوم تجاوز الحكم القضائي لاطرف الدعوى. عليهِ سوف نتطرق للتعريف اللغوي له حتى نستخلص تعريف قانوني تركيبي له.

الأثر: هو الحاصل من شيء معين، والثاني العلامة، والثالث الجزء[1] فيأتي الأثر هنا بمعنى النتيجة المترتبة على التصرف أي النتيجة لحصول شيء معين .أما بالنسبة الى الارتدادي: التأثيرات غير المرغوب فيها لبعض الأفعال الاجتماعية [2].أو التأثيرات البعدية غير المرحب بها لأي حدث أو واقعة [3].

من خلال التعريفات اللغوية يمكن أن نستخلص تعريفاً قانونياً للأثر الارتدادي إذ يعرف بانه: **(تعدي الأحكام القضائية الى غير أطراف الخصومة وذلك بسبب مساس هذا الحكم بحقوق الغير وتعديه إليهم مما يتطلب تدخلهُ بتدبير احترازي لرد هذا الأثر).**

مما تقدم يتضح لنا أن الأثر الارتدادي يطال ليس أطراف الخصومة إنما الغير فمن هو الغير؟ وهل كل غير من الممكن أن يتأثر بهذا الانعكاس؟

لقد آثارَ معنى الغير جدلا واسعا في الفقه القانوني الإجرائي إذ أن هذا المصطلح في إطار قانون معين يختلف عن معناه في إطار قانون أخر بل يختلف عن معناه حتى في إطار قانون واحد من موضوع الى أخر من مواضيعه.

ففي مجال قانون الإثبات: "الغير هو كل شخص يحتج عليه بالمحرر العرفي ويضار من حق تلقاه من أحد طرفي المحرر أو بمقتضى نص قانوني إذا ثبت صحة تاريخية في مواجهته، أي أن الغير في هذا القانون هو من يحتج عليه بالتاريخ الثابت للمحرر العرفي" [4].

في حين أن الغير في قانون التنفيذ: "هو كل شخص يشارك في إجراءات التنفيذ من دون أن يكون صاحب حق فيه كالحارس القضائي الذي يصدر حكم بتسليم ما تحت يده من منقول أو عقار لمن ثبتت ملكيته أو الشخص الذي يحجز على ما لديه للمدين" [5].

أما في قانون المرافعات المدنية: فالفقه السائد يرى أن الغير بالنسبة للقانون الإجرائي هو كل شخص لم يكن طرفا في الدعوى ولم يتدخل فيها ولم يبلغ بالحكم الصادر فيها ولكن الحكم في الدعوى يمس مصلحته أو يتعدى عليه [6].

فالمبدأ المقرر في قانون المرافعات المدنية هو نسبية الأعمال الإجرائية لذلك فمن كان غير عن الدعوى لا يحتج عليه بالحكم الصادر فيها إلا اذا اثر هذا الحكم في حقوقه , لذلك نجد أن قانون المرافعات المدنية, قد صاغ أنظمة بمقتضاها يتمكن الغير بأبعاد تأثير الحكم الصادر والماس به أما ابتداءً عن طريق تدخله أو إدخاله في الدعوى أما بعد الحكم بالدعوى عن طريق الطعن بطريقة اعتراض الغير, فالأخير هو الذي يدخل في نطاق بحثنا حيث نصت المادة 224 من قانون المرافعات المدنية العراقي المُعدل "كل حكم صدر من محكمة البداءة أو استئناف أو محكمة الأحوال الشخصية يجوز الطعن فيه بطريق اعتراض الغير الذي لم يكن خصما ولا ممثلا ولا شخصا ثالثا في الدعوى اذا كان الحكم متعديا اليه أو ماسا بحقوقه ولو لم يكن قد اكتسب درجة البتات".

مما تقدم نجد أن قانون المرافعات المدنية مرة أطلق في تحديد الغير وتارة أخرى قيد من هذا الإطلاق لذا سوف نشير الى التحديد المطلق والتحديد المقيد لفقرتين:

أولاً/ التحديد المطلق حسب ما ورد في المادة 224 من قانون المرافعات المدنية العراقي هم:

1- **ألا يكون خصم في الدعوى:** المشرع منح حق الطعن بالاعتراض الغير لمن كان أجنبياً عن الدعوى للطعن في الحكم الصادر فيها أما من كان خصما سواء كان مدعى أو مدعى عليه فلا يجوز له الطعن إلا بالطرق المقررة له قانونا.

2- **ألا يكون ممثلا في الدعوى:** أن التمثيل أما أن يكون بصفة الولي أو الوصي أو القيم فيدخل الممثل كطرف في الدعوى ويعد خصما حقيقي فلا يجوز لمن مثلهم عند زوال سبب التمثيل أن يطعن بطريق اعتراض الغير لان اثر الحكم سوف ينصرف الى الأصيل وليس الى الممثل وينصب في مصلحته, لا يجوز أيضا لشخص المَمثل بعد زوال سبب التمثيل كإن يزول الحجر أو يبلغ سن الرشد أو غيرها أن يعترض على الحكم الصادر اذا كان ماسً بحقوقهِ أو متعدياً إليهِ وأصابهُ ضرر بطريقة الغير,, انما يكون له الحق بإقامه دعوى على الوصي أو القيم أو الولي لتعويض الأضرار التي لحقتهُ أن كان لهُ مقتضى[7].

3- **ألا يكون المعترض شخصا ثالثاً:** لقد نصت المادة 69 من قانون المرافعات المدنية العراقي رقم 83 لسنة1969 المُعدل **"لكل ذي مصلحة أن يطلب دخولهُ في الدعوى شخصاً ثالثاً منضماً لاحد طرفيها أو طالباً الحكم لنفسهِ فيها إذا كانت لهُ علاقة بالدعوى أو تربطهُ بأحد الخصوم رابطة تضامن أو التزام لا يقبل التجزئة أو كان يضار بالحكم فيها2-** يجوز لكل خصم أن يطلب من المحكمة إدخال من كان يصح اختصامه فيها عند رفعها أو لصيانه حقوق الطرفين أو أحدهما. 4-للمحكمة أن تدعوا أي شخص للاستيضاح منه عما يلزم لحسم الدعوى".

عليهِ أن الشخص الثالث الذي لا يحق له الاعتراض عن طريق الغير هو من ادخل بطريقة الدخول الانضمامي الى أحد الخصوم، أو تدخل بناء على حق له بدخول اختصامي[8]. أي أن يكتسب مركز الخصم ولا يعد من الغير بعد ذلك، أما أن يدخل بناء على طلب المحكمة لغرض الاستيضاح فمجرد الاستيضاح دون الحكم له أو عليه يعطيه الحق باعتراض الغير متى ما كان ماساً بحقوقه.

4- **الورثة:** حالة الوارث إذا مثله أحد الورثة في الدعوى التي لمورثه أو عليه وقد اعطى قانون المرافعات المدنية العراقي هذا الحق للوارث لان التركة تشكل وحدة قانونية تمس كل ذي علاقة بها وان تمثيل الوارث للتركة قد يودي الى الإضرار بحق الورثة الأخرين وان كانوا يستفيدون فيما ينفعهم، ولإزالة كل لبس فقد منح اعتراض الغير في هذه الحالة للوارث إذا لم يكن مبلغا بالحكم، وله سلوك طرق الطعن الأخرى إذا كان مبلغا في الحكم.[9]

ثانياً / الدائنون والمدينون بالتضامن:

يعَّدون من الغير إذا صدر حكم ضد أحدهم في دعوى لم يكونوا خصوما فيها فيحق لهم اعتراض الغير لان التضامن بينهم هو بالنيابة المتبادلة فيما ينفع لا فيما يضر [10].

أما إذا صدر حكم لصالح أحد الدائنون أو المدينون فيستفاد منه الأخرون إلا إذا كان مبني على أسباب خاصة فلا يستفاد منه غير من صدر الحكم لصالحة [11].

أما بشأن الالتزام الغير قابل للتجزئة فأن أن الحكم الصادر ضد أحد المدينين أو الدائنين لا يحتج به على البقية الذين لم يكونوا خصوما في الدعوى لان كل مدين أو دائن يعد وكيلا عن الأخر ولا توجد نيابة بينهم [12] فلا يمثل كل منهم الأخر في الخصومة القضائية ومن ثم يعد الدائنون والمدينون بالتزام غير قابل للتجزئة من الغير عن الدعوى التي صدر الحكم فيها ضد أحدهم أما إذا صدر لمصلحتهم فيستفاد منه الأخرين باعتبار أن محل الالتزام غير قابل للتجزئة.

المطلب الثاني

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

آليات الغير لرد الأثر الارتدادي للحكم القضائي

أن الغير عندما يحاول تجنب الأثار التي تصيبه من الأحكام الصادرة التي ليس هو طرف فيها يكون نتيجة تعرض هذا الحكم لمصلحته وإصابتهِ بضرر نتيجة ارتدادهُ اليه ومساسهُ بحقوقهِ لذا سنبين هذه الأليات التي يتبناها الغير عند السير بإجراءات رد الأثر الارتدادي للحكم القضائي الذي يصيبهُ وهذهِ الأليات هي المصلحة والضرر الحاصل من هذه الأحكام الارتدادية:

أولاً / المصلحة:

يراد بالمصلحة الفائدة العملية التي يقرها القانون ويحميها والتي يراد تحقيقها نتيجة الالتجاء الى القضاء.[13] لابد من فائدة عملية وقانونية من اجل قبول الدعوى أو الطعن لان المصلحة النظرية والاقتصادية البحتة لا تكون محل للقبول.

يعتبر شرط المصلحة في الطلب القضائي من النظام العام ولا يجوز الإخلال به وللمحكمة أن تثيرها من تلقاء نفسها في صورة عدم قبول الطلب لانتفاء المصلحة ويقدر قبول المصلحة بوقت تقديم الطلب الى المحكمة وتشرط المصلحة ليس فقط لادعاء المدعي بل لدفاع المدعى عليه، ولطلب التدخل المقدم من الغير كما تشترط لاستعمال طرق الطعن بالنسبة لأي أجراء من إجراءات الدعوى[14].

أن المصلحة ليس فقط وقت تقديم الطلب الى المحكمة بل لابد أن تستمر طوال فترة التقاضي، بحيث إذا زالت أثناء الإجراءات يحكم بعدم القبول لانتفاء المصلحة، لابد أن تكون هذه المصلحة قانونية أي أن القانون يعترف بها ويحميها في ظل قوانينه ولا يعقل أن يحمي القانون مصلحة غير مشروعة لذلك فأن القاضي يقوم بالنظر في هذه المصلحة حتى يقرر قبول الطلب المقدم له.

إضافة الى ذلك نصت المادة 6 من قانون المرافعات المدنية العراقي رقم 83 لسنة 1969 المُعدل **"يشترط في الدعوى أن يكون المدعي به مصلحة معلومة وحالة وممكنة ومحققه ومع ذلك فالمصلحة المحتملة تكفي أن كان هناك ما يكفي الى تخوف من الحاق ضرر بذوي الشأن ....."** إذ لابد أن تكون هذه المصلحة معلومة غير مجهولة، وأن تكون حالة أي غير مضافة الى اجل أو معلقة على شرط، كذلك أن تكون ممكنة أي ألا تكون مستحيلة سواء كانت الاستحالة قانونية أو استحالة مادية، وكذلك أن تكون المصلحة محققة أي أن هناك اعتداء قد وقع عليها أو على المركز القانوني لشخص.[15]

ثانياً/ الضرر:

يقع الضرر نتيجة ارتداد الحكم الى الغير والمس بحقوقهِ سواء كان الحكم بات أم غير بات [16], ولا يكون الحكم ارتدادي إلا إذا كان مبني على بينه متعدية كالكتابة والشهادة أما إذا كانت البينة قاصرة على أصحابها كالإقرار واليمين فلا يعد ارتدادي أو ماس بالحقوق الغير. والحقوق المقصودة هنا هي الحقوق بمفهوم القانون المدني أي الحق العيني والحق الشخصي والحق الأدبي ويحصل تعدي أو مساس بها إذا ارتد الحكم بالانتقاص أو الحرمان منها لذلك يجب أن تكون هذه الحقوق قائما قبل صدور الحكم [17].

والضرر لابد أن يكون حال أو محتمل سوء كان الضرر مادياً أو أدبياً وهذا ما يذهب اليه جانب من الفقه الإجرائي، أما الجانب الأخر فيرى أن بأن الضرر لابد أن يكون مادياً لان الهدف من توقي الغير لارتدادية الأحكام هو إزالة الضرر المادي، وهذا الرأي يجانب الصواب كما نعتقد لان النص جاء مطلق لم يحدد الحقوق إضافة الى أن حتى الحقوق الأدبية أيضا تسبب ضرر للغير وتتطلب الإزالة فاذا قصرنا الإجراءات الوقائية على الضرر المادي فأن ذلك يسبب هدر الحقوق الأدبية التي أصبح لها مجال واسع في المجتمع. ويخضع الضرر لتقدير المحكمة المختصة أخذه بعين الاعتبار تقديره وقت صدور الحكم.

من الجدير بالشارة اليهِ أن قانون المرافعات المدنية العراقي الحالي اشترط أن يكون الحكم متعدياً أو ماساً بحقوق الغير وذلك خلاف لقانون المرافعات الملغي رقم 88 لسنة 1956 الذي نص في المادة 2/178 "يكون الحكم متعدياً وماساً بحقوق الغير". بالتالي لابد من توافر هذين الشرطين لتوقي ارتداد الحكم والحالات التي يكون فيها الحكم ماساً بحقوق الغير من غير أن يكون متعدياً اليه لا يحق له تجنب أثره.

المبحث الثاني

التدابير الاحترازية لرد ارتدادية الأحكام القضائية

أن الإجراءات الوقائية تتمثل في طريقين ممكنين للغير أن يسلكهما من اجل التخلص من الأثر الارتدادي الماس بحقوقهِ. الطريق الأول: يعد المكان الرحب والمساحة الواسعة للغير في تجنب الحكم الصادر وهو طريق الطعن بطريق اعتراض الغير أما الطريق الثاني فهو الذي سَمَح بهِ المشرع على وجه الاستثناء لضرورات عملية لابد منها وهو طريق الطعن بطريق الاستئناف. عليهِ سنقسم هذا المبحث على مطلبين الأول الطعن بطريق اعتراض الغير ليستقل المطلب الثاني بعنوان الطعن بطريق الاستئناف.

المطلب الأول

الطعن بطريق اعتراض الغير

أن اعتراض الغير طريق طعن يقرره القانون لحماية حقوق من كان غير عن الدعوى للطعن بالحكم الصادر فيها، إذ لا يجوز للغير الطعن بالطرق الأخرى المقررة قانوناً لأنهُ لم يكن خصما في الدعوى. وهذا الطعن يعد طريقاً خاصاً ومتميزاً عن الطرق الأخرى بوصفه لا يتقيد في رفعه بأسباب معينة ومحصورة [18]. عليهِ سوف نبين الشروط الواجب توافرها في الحكم المعترض عليه:

أولا – أن يكون الحكم متعدياً على المعترض اعتراض الغير.

ثانيا – أن يكون الحكم ماساً بحقوق المعترض اعتراض الغير.

وهذين الشرطين سبق أن بينا المقصود منهما وسنكتفي ببيان الشرطين الأخرين:

ثالثا – أن لا يكون المعترض اعتراض الغير قد خاصم في الدعوى التي صدر فيها الحكم: فمن كان مدعياً أو مدعى عليه أو متدخلاً في الدعوى بأي صورة كانت سواء من تلقاء نفسهِ أو بناءً على طلب المحكمة بشرط أن يستمر الى حين صدور الحكم وان لا يرفض طلب دخوله فاذا رفض طلب الدخول أصبح من الغير ويحق له سلوك هذا الطعن ,والسبب أن اطراف الدعوى المذكورين كانوا ماثلين أمام المحكمة ويحق لهم أن يدلون بما لديهم من طلبات ووسائل دفاع ثم بإمكانه استعمال طرق الطعن الأخرى المقررة قانوناً التي لا يحرم منها المشرع حتى في حالة تخلف الخصم عن حضور جلسات المحاكمة فيبقى طرف في الدعوى ولا يحق له الطعن بطريقه اعتراض الغير [19].

رابعا – أن يكون الحكم من الأحكام التي يجوز فيها الطعن بطريق اعتراض الغير: لقد حددت المادة 224 من قانون المرافعات المدنية العراقي المُعدل" أن كل حكم صادر من محكمة البداءة أو الاستئناف أو محكمة الأحوال الشخصية يجوز الطعن فيه بطريق اعتراض الغير أما محكمة التميز فلا يجوز قبول اعتراض الغير على قراراتها لا نها ليست درجة من درجات التقاضي وكذلك ليس للغير أن يطلب تصحيح القرار التميزي لان تصحيح القرار خاص بأطراف الدعوى".

أما أنواع الاعتراض فهو أما أن يكون أصلي أي يقدم بدعوى أصلية الى المحكمة التي أصدرت الحكم أو عن طريق اعتراض الغير الطارئ وهذا يقدم أثناء نظر الدعوى ويخرج عن نطاق دراستنا لان موضوعنا ينصب على حكم صادر وممتد أثرهُ الى الغير.

فاعتراض الغير الأصلي يحدث عن طريق رفع دعوى أمام المحكمة التي أصدرت الحكم على أن يتضمن وجه الضرر الذي أصاب المعترض والسبب الذي يبرر طلب إبطال الحكم أو تعديله [20].
سمي بالاعتراض الأصلي لأنه يقام بصفة دعوى أصلية لم يسبق للمعترض اعتراض الغير أن تخاصم مع المحكوم له فيها [21].
وقد الزم القانون باتباع إجراءات الدعوى في اعتراض الغير إذ إنَ عريضة المعترض يجب أن تتضمن البيانات الاعتيادية في عريضة الدعوى مع إيضاح مدى أضرار الحكم المرتد عليهِ وتعديهِ لحقوقهِ والمساس بها والسبب الذي يدعوا الى تعديل الحكم أو إبطاله [22].
أما بشأن المحكمة المختصة فهي المحكمة التي أصدرت الحكم لأنها على دراية كافة ووافية من غيرها بمضمون الدعوى فاذا صدر الحكم عن محكمة البداءة أو الأحوال الشخصية فأن الاعتراض يقدم لهذه المحكمة أما إذا الحكم البدائي فصلت فيهِ محكمة الاستئناف بتأييد استئنافي لموافقتهِ للقانون أو كانت قد قررت فسخ الحكم البدائي أو أصدرت حكماً جديداً فأن الاعتراض يكون أمام محكمة الاستئناف.
فيما يتعلق بالمدة التي يجوز خلالها للغير تقديم الطعن فلم يحدد المشرع ذلك والعلة هو أن الحكم الذي يصدر يمس طرف ليس من أطراف الدعوى قد يكون لا يعلم بهذا الحكم لذلك حَدَدَّ المشرع أن المدة التي يجوز خلالها اعتراض الغير هي من صدور الحكم الى حين تنفيذه [23]على من يتعدى اليه فاذا تم تنفيذه سقط الحق في الاعتراض واذا لم ينفذ الحكم يبقى حق اعتراض الغير الى أن تمضي على الدعوى مدة التقادم المسقط المقررة في القانون سواء نُفِذَ الحكم على الطرف المحكوم عليه أم لم ينفذ[24] , وان المدة هي سبع سنوات تبدأ من تاريخ تسلم المحكوم لهُ الشي المحكوم بهِ[25].
إذا أثبت المعترض انه محق في اعتراضه وان الحكم امتد اليه دون حق ودون سبب مشروع عدلت المحكمة الحكم المعترض عليه في بعض أجزاءهُ التي مست به أما إذا كان يمسه بصورة كلية أبطلته [26] وبذلك رد الأثر الارتدادي الذي أصاب الغير وإعادة المراكز القانونية والحقوق الى موضعها الصحيح أما إذا أخفق المعترض في أثبات الأثر السلبي لارتدادية الحكم رد طلبه والزم بالمصاريف دون إخلال بحق خصمه في المطالبة بالتعويضات. وهذا ما ذهبت اليه محكمة الاستئناف في قرار [27] لها برد الطعن شكلا وتحميل المميز الرسم والسبب في ذلك أن المميز قد قدم الرسم بعد المدة المقررة قانوناً لتقديمهُ من اجل البدء بالإجراءات.

المطلب الثاني

الطعن بطريق الاستئناف

أن التشريعات الحديثة أخذت بمبدأ التقاضي على درجتين والفكرة التي يقوم عليه هذا المبدأ هي أن درجة واحد أو فحص واحد للدعوى والخصومة لا يكفي, لهذا يجيز المشرع نظر النزاع الواحد أمام محكمتين على التوالي فيستطيع المتقاضي الذي لم يحصل على الحماية القضائية المطلوبة من محكمة الدرجة الأولى أن يطلب من المحكمة الأعلى درجة إعادة فحص دعواه ويتيح لهُ ذلك لتدارك أخطاء القضاة [28] ، لعل الطعن بالاستئناف هو نوع من التظلم من أخطاء القضاة الذي من الممكن أن يقعوا فيها، وأيضا لاستدراك الخصوم ما فاتهم تقديمه من دفاع وأدلة أمام محاكم الدرجة الأولى.
فالاستئناف هو الوسيلة التي يهدف من خلالها فسح المجال أمام المحكوم عليه لإعادة طرح المحاكمة مجددا أمام محكمة الدرجة الثانية[29].
إذن الاستئناف هو طريق عادي للطعن في الأحكام يتقدم به الطرف الذي صدر الحكم البدائي كلياً أو جزئياً لغير صالحه أمام محكمة أعلى من تلك التي أصدرتهُ بقصد إصلاح ما شابهُ من خطأ بتعديلهِ أو الغائهِ.

أن المشرع العراقي حدد في قانون المرافعات المدنية الدعاوى التي يجوز فيها الطعن بطريق الاستئناف إذ نصت عليها المادة 185 من قانون المرافعات المدنية العراقي [30] ومن ضمنها الأحكام الصادرة بدرجة أولى متبع معها تقدير قيمة الدعوى كمعيار لتحديد الأحكام التي يجوز استئنافها، ولا فرق في ذلك سواء كان في الدعوى حق شخصي أو حق عيني وسواء كان منقول أو عقار وتقدير قيمة الدعوى يتحدد في وقت رفعها أمام محكمة البداءة ولا عبرة في ذلك بالمبلغ الذي تحكم به محكمة البداءة لأول مرة. كذلك الأحكام الصادرة في دعاوي الإفلاس بصرف النظر عن قيمة الدعوى، إضافة إلى الأحكام الصادرة في دعوى تصفية الشركات دون النظر الى قيمتها.

ومدة الطعن الاستئنافي هي 15 يوم بالنسبة للاستئناف الأصلي تبدأ من اليوم التالي للتبليغ الحكم أو اعتبارهِ مبلغاً وميعاد الجلسة الأولى بالنسبة للاستئناف المتقابل, وللمحكوم عليهِ الطعن قبل التبليغ ويبقى حق الخصم في الطعن بالاستئناف اذا لم يبلغ بالحكم ولا يسقط إلا بمضي مدة التقادم ويستثنى القانون من القاعدة الأحكام الصادرة نتيجة غش وقع من الخصم أو بناء على ورقة مزورة أو شهادة زور أو بسبب إخفاء الخصم ورقة قاطعة في الدعوى حيث لا تبدأ ألا من اليوم التالي لعلم المحكوم عليه أو الاعتراف الكتابي بتزوير فاعله أو الحكم بثبوت التزوير أو ظهور الورقة المخفاة والحالات أعلاه هي حالات إعادة المحاكمة ألا أن المشرع نقلها الى محكمة الاستئناف بالنسبة للأحكام الصادرة بدرجة أولى لأنهُ منع الطعن فيها عن طريق إعادة المحاكمة اذا كان الطعن فيها جائز والسبب في ذلك لاختزال الطريق بالنسبة للأحكام الصادرة بدرجة أولى حيث نقل الأمر برمته الى محكمة الاستئناف لتنظر ليس في طلب إعادة المحاكمة فحسب بل لاستئناف المحاكمة مجددا [31].

أن الأحكام التي تصدر من المحاكم والتي يجوز الطعن فيها بطريق الاستئناف من الممكن أن تطال الغير وتمس بحقوقهِ فمن اجل ضرورات عمليه متمثلة باختزال الوقت والنفقات والجهد إذ أوجب المشرع بنص المادة 186 من قانون المرافعات المدنية "لا يجوز تدخل الشخص الثالث في الاستئناف إلا اذا طلب الانضمام الى احد الطرفين أو كان له الطعن في الحكم بطريق اعتراض الغير" دخول شخص ثالث ولكن على سبيل الاستثناء من اجل رَّد الأثر الارتدادي الذي سببهُ الحكم الصادر من محاكم الدرجة الأولى اذا توافرت فيه الشروط المقررة لسلوك الطعن بطريق اعتراض الغير المتمثلة بتعدي الحكم ومساسه بحقوقهِ. على سبيل المثال الوارث الذي لم يخاصم في مرحله الدعوى البدائية وصدر حكم على مورثه أضافه للتركة فمن حق هذا الوارث طلب تدخلهُ كشخص ثالث في الدعوى الاستئنافية ولا يحول ذلك أن وارثاً أخر كان قد خوصم في تلك الدعوى لان الوارث لا يمثله فيما يضر , واذا صدر قرار من المحكمة بقبول تدخل الغير اصبح طرفا في الدعوى ويحكم له أو عليه عند تغيير وتعديل نطاق الدعوى من حيث أطرافها ويحتل فيها مركز المدعي وبذلك يتمتع بما يخوله هذا المركز من امتيازات وسلطات ويحمله بالمقابل ذات الأعباء المفروضة على المدعي[32] فيجوز له إبداء طلبات إضافية كالتعويض عن الضرر الذي سببهُ الحكم وللمحكمة بناءً على ذلك إتباع الإجراءات الواجبة بشان صدور حكم عادل يعيد المراكز القانونية الى موضعها الصحيح لكافة الأطراف.

الخاتمة

بَعدَ أن أنتهينَا منْ دراسة موضوعنا الموسوم بعنوان **(الأثر الارتدادي للحكم القضائي)** يمكن لنا أن نستخلص أهم الاستنتاجات وبعض المقترحات التي أشرناها في نهاية دراستنا التي نبينها على النحو الاتي:-

أولاً/ الاستنتاجات:

1- تبين لنا أن الأثر الارتدادي أو بعبارة أخرى النتيجة الارتدادية تسميه فقهيه أوجدت للحالة التي يطال بها الغير نتيجة صدور حكم لم يكن طرف فيه.

2- توصلنا الى أن امتداد الأثر الارتدادي يكون للغير الذي ليس طرفاً في الدعوى، وان المقصود بالغير يمكن لنا أن نستنتجه من نص المادة 224 من قانون المرافعات المدنية العراقي المُعدل إذ اعتبرهم بعض الفقهاء أن هذهِ الطائفة مطلقة بصفاتها، أما الطائفة الأخرى فهي المقيدة الواردة في الأسباب الموجبة لنفس القانون، عليهِ ليس كل غير يستطيع رَدَّ الأثر الارتدادي للحكم القضائي.

3- توصلنا الى أن المصداق الحي لرد ارتدادية الأحكام القضائية هو عن طريق الطعن باعتراض الغير وهو من الطرق الغير عادية التي تسلك من قبل الغير الذي لم يكون طرف في الدعوى.

4- تبين لنا أن هناك طريق أخر لرد نتيجة الحكم الارتدادي وهو وارد لضرورات عملية هو طريق الطعن بالاستئناف.

ثانياً/ المقترحات:

1- نقترح على المشرع العراقي معالجة الأثر الارتدادي للحكم القضائي بصورة واضحة وافية في نصوص قانون المرافعات المدنية العراقي. ووضع جزاءً إجرائياً للأشخاص الذين لم يكن قصدهم سوى إطالة أمد النزاع.

2- نص المشرع في قانون المرافعات المدنية العراقي على الأحكام التي يجوز الطعن فيها بطريق اعتراض الغير وهي الصادرة من محكمة البداءة ومحكمة الأحوال الشخصية ومحكمة الاستئناف، ولم يتعرض الى المحاكم الأخرى كالمحاكم الجزائية التي فيها بعض الأحيان يصاحب الحق الجزائي حق مدني يضر الغير.

3- تعديل نص المادة (169) من قانون المرافعات المدنية العراقي المُعدل التي جاء فيها: "لا يقبل الطعن في الأحكام إلا ممن خسر الدعوى ولا يقبل ممن أسقط حقه فيه إسقاطاً صريحاً أمام المحكمة أو بورقة مصدقة من الكاتب العدل" ليصبح النص بعد التعديل على النحو الاتي **(لا يقبل الطعن في الأحكام إلا ممن خسر دعواه والغير الذي تأثر بالنتيجة الارتدادية للحكم ولا يقبل ممن أسقط حقهُ فيهِ أسقاطاً صريحاً أمام المحكمة أو بورقة مصدقة من الكاتب العدل)**

الهوامش

---

[1](1) الجرجاني، معجم التعريفات ,1413.

(2) د. سعيد بكير، الانعكاسية والتقويم المفهوم والتأثيرات والأبعاد، بحث منشور في مجلة اللغة العربية، المجلد 21 , ع 47 , 2019 , ص218.

(3) د. سعيد بكير، المصدر السابق، ص 218.

(4) نصت على ذلك المواد 73-81 من قانون التنفيذ العراقي رقم 45 لسنة 1980 المُعدل.

(5) د. فتحي والي، الوسيط في قانون القضاء المدني والتشريعات المكمله له، ط2 , مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة , 2009 ,ص155.

(6) د.عباس العبودي , شرح احكام قانون المرافعات المدنية , ط 1 , دار السنهوري , 2016 , ص511.

(7) عمار سعدون حامد، نشوان زكي سليمان، اعتراض الغير على الحكم المدني، بحث منشور في مجلة الرافدين للحقوق، المجلد 13 , ع 48 , 2016 ,ص167.

(8) د. ادم وهيب النداوي، المرافعات المدنية، دار السنهوري، بيروت , 2015, ص247.

(9) عمار سعدون حامد، نشوان زكي سليمان، اعتراض الغير على الحكم المدني، مصدر سابق، ص168.

(10) د. عبد المجيد الحكيم، أحكام الالتزام، العاتك لصناعة الكتب، بيروت، بدون سنة نشر ,258.

(11) نصت على ذلك المادة 333 من القانون المدني العراقي المُعدل.

(12) د. عبد المجيد الحكيم، أحكام الالتزام، مصدر سابق، ص272.

(13) د. عبد المنعم الشرقاوي، نظرية المصلحة في الدعوى، رسالة دكتوراه- القاهرة 1947 , ص 56 , نقلاً عن د. ادم وهيب النداوي، المرافعات المدنية، مصدر سابق، ص 121.

(14) نبيل اسماعيل عمر، الوسيط في قانون المرافعات المدنية والتجارية، دار الجامعة الجديد، الإسكندرية , 2006 , ص 238.

(15) ادم وهيب النداوي، شرح قانون المرافعات، مصدر سابق، ص123.

(16) انظر المادة 224 من قانون المرافعات المدنية العراقي رقم 83 لسنة 1969.

(17) مروة عبد الجليل، الطعن بطريق اعتراض الغير، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية القانون -جامعة بابل , 2012 , ص28

(18) د. عباس العبودي، شرح قانون المرافعات، مصدر سابق، ص447.

(19) نبيل إسماعيل عمر واحمد خليل، قانون المرافعات المدنية (دراسة مقارنة)، ط1, منشورات الحلبي الحقوقية , 2004 , ص 639.

(20) نصت المادة 225 من قانون المرافعات المدنية المُعدل.

(21) د. عباس العبودي، شرح قانون المرافعات، مصدر سابق، ص 514.

(22) نصت المادة 225 من قانون المرافعات المدنية العراقي.

(23) نصت المادة 230 -1 من قانون المرافعات المدنية العراقي المُعدل.

(24) حبيب عبيد مرزة العماري، الخصم في الدعوى المدنية، منشورات الحلبي الحقوقية، ط 1 , 2012 , ص87

(25) نصت المادة 114 من قانون التنفيذ رقم 45 لسنة 1980 (لا يقبل تنفيذ الحكم الذي مضى سبع سنوات على اكتسابه درجة البتات)

(26) المادة 229 من قانون المرافعات المدنية العراقي المُعدل.

(27) قرار محكمة الاستئناف بالعدد 476\2015 والمتضمن جهة الإصدار: رئاسة محكمة استئناف الكرخ الاتحادية بصفتها التمييزية مبدأ الحكم..... أن الحكم في دعوى ازالة الشيوع يصدر من محكمة البداءة بدرجة أخيرة ويكون قابلاً للتمييز أمام محكمة استئناف المنطقة بصفتها التمييزية خلال عشرة أيام من اليوم التالي لتبليغ الحكم أو = اعتباره مبلغاً استناداً للمواد 31 و34 و172 و204 مرافعات مدنية فاذا دفع المميز رسم الطعن التمييزي بتاريخ 2015/8/23 فيكون طعنه واقعاً خارج المدة القانونية

نص الحكم: بعد التدقيق والمداولة وجد أن الطعن التمييزي انصب على الحكم الصادر من محكمة بداءة الكرخ بدعوى اعتراض الغير المؤرخ 2015/7/28 وإذ أن المميز (المعترض اعتراض الغير) أقام دعواه لأبطال الحكم الصادر بدعوى ازالة الشيوع المرقمة 2487 /ب/2014 وإذ أن الحكم الصادر بدعوى اعتراض الغير يكون قابلاً للطعن فيه بذات طرق الطعن القانونية المقررة للحكم الصادر بالدعوى الأصلية وإذ أن الحكم في دعوى ازالة الشيوع يصدر من محكمة البداءة بدرجة أخيرة ويكون قابلاً للتمييز أمام محكمة استئناف المنطقة بصفتها التمييزية خلال عشرة أيام من اليوم التالي لتبليغ الحكم أو اعتباره مبلغاً استناداً للمواد 31 و 34 و 172 و 204 مرافعات مدنية وإذ أن المميز دفع رسم الطعن التمييزي بتاريخ 2015/8/23 لذا يكون الطعن واقع خارج المدة القانونية وإذ أن المدد المعينة لمراجعة طرق الطعن في القرارات حتمية يترتب على عدم مراعاتها وتجاوزها سقوط الحق في الطعن وتقضي المحكمة من تلقاء نفسها برد عريضة الطعن أذا حصل بعد انقضاء المدد القانونية استناداً للمادة 171 / مرافعات عليه ولكل ما تقدم من أسباب واستناداً للمادة 1/210 مرافعات مدنية قرر رد الطعن التمييز شكلاً وتحميل المميز رسم التمييز ، وصدر القـــرار بالاتفاق في 25/ذي القعدة /1436 هـ للاطلاع انظر https://www.hjc.iq/indexqanoun-ar.php تمت زيارة بتاريخ 2022/1/2. الساعة 2:30مساءً.

(28) باسم محمد رشدي، الاستئناف في الدعوى المدنية، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية القانون جامعة بغداد , 2007 , ص 46.

(29) باسم محمد رشيدي، الاستئناف في الدعوى المدنية، مصدر سابق، ص48.

(30) (جوز للخصوم الطعن بطريق الاستئناف في أحكام محاكم البداءة الصادرة بدرجة أولى في الدعاوي التي تتجاوز قيمتها الف دينار والأحكام الصادرة منها في قضايا الإفلاس وتصفية الشركات)

(31) ادم وهيب النداوي، شرح قانون المرافعات، مصدر سابق، ص 391.

(32) باسم محمد رشيدي، الاستئناف في الدعوى المدنية، مصدر سابق، ص162.

المصادر

أولاً/ معاجم اللغة العربية:

1-احمد رضا، معجم متن اللغة

2-الجرجاني، معجم التعريفات.

ثانياً/ الكتب القانونية:

1-ادم وهيب النداوي، المرافعات المدنية، دار السنهوري، بيروت , 2015.

2-حبيب عبيد مرزة العماري، الخصم في الدعوى المدنية، ط 1,منشورات الحلبي الحقوقية,2012.

3-عباس العبودي، شرح احكام قانون المرافعات، ط1 , دار السنهوري , 2016.

4-عبد المجيد الحكيم، أحكام الالتزام،العاتك لصناعة الكتب , بيروت , بدون سنة نشر.

5-فتحي والي، الوسيط في قانون القضاء المدني والتشريعات المكملة له، ط2 ,مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة ,2009.

6-نبيل إسماعيل عمر، الوسيط في قانون المرافعات المدنية والتجارية، دار الجامعة الجديد، الإسكندرية , 2006.

7-نبيل إسماعيل عمر واحمد خليل، قانون المرافعات المدنية، منشورات الحلبي الحقوقية، ط1 , 2004.

ثالثاً/ الرسائل والاطاريح:

1-عبد المنعم الشرقاوي، نظرية المصلحة في الدعوى، رسالة دكتوراه، القاهرة، 1947.

2-باسم محمد رشيد، الاستئناف في الدعوى المدنية، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية القانون جامعة بغداد , 2007.

3-مروة عبد الجليل، الطعن بطريق اعتراض الغير، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية القانون –جامعة بابل , 2012.

رابعاً/ البحوث:

1-سعيد بكير، انعكاسية وتقويم المفهوم والتأثيرات والأبعاد، بحث منشور في مجلة اللغة العربية، المجلد 21 , ع 47 , 2019.

2-عمار سعدون حامد ونشوان زكي سليمان، اعتراض الغير على الحكم المدني، بحث منشور في مجلة الرافدين للحقوق، المجلد 13 , ع48 , 2016.

خامساً/ القرارات القضائية:

1- قرار محكمة الاستئناف بالعدد 476\2015 متاح على الرابط الاتي-https://www.hjc.iq/indexqanoun-ar.php

سادساً/ القوانين:

1-قانون المرافعات المدنية العراقي رقم 83 لسنة 1969 المُعدل.

2 قانون الإثبات العراقي رقم 107 لسنة 1979 المُعدل.

3-القانون المدني العراقي رقم 40 لسنة 1951 المُعدل.

4-قانون التنفيذ العراقي رقم 45 لسنة 1980 المُعدل.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

الاطار القانوني الدولي والداخلي لمكافحة الفساد المالي والاداري في العراق

الباحث: غانم صحن زعير
طالب ماجستير في القانون الدولي/كليةالقانون/جامعة قم
اشراف: د. غلام علي قاسمي
دكتوراه في القانون الدولي/كلية القانون/جامعة قم
د. اسعد كاظم وحيش الصالحي
دكتوراه في القانون العام/كلية القانون/جامعة ذي قار

الملخص
""يشهد المال العام في مختلف المؤسسات نزيفاً والوظيفة الإدارية في تدهور نتيجة انتشار الفساد المالي والإداري في بعض المؤسسات والقطاعات الإدارية ، وكأن البلد لا يعرف المحاسبة والرقابة على المال العام ومتابعته مما أدى إلى تدهور الجانب الوظيفي ، فيتبادر للذهن عن إمكانية أن نترك الأجهزة الإدارية تتصرف في الجانبين المالي والوظيفي من دون رقابة ماذا سيحصل في البلاد" ؟ "في الحقيقة إذا تركت من دون محاسبة ورقابة لا يمكن للأجهزة الإدارية تحقيق المصالح العامة للشعب على الوجه الأكمل وذلك لعدم إمكانية كشف حالات الخلل والانحراف والفساد المالي والإداري بداخلها" . "إذ إنَّ الحديث عن تحقيق المصالح العامة يقودنا إلى مكافحة خطر الفساد المالي والإداري داخل البلد ومكافحته ومنع هذا الخطر يستوجب أن تمارس الرقابة من قبل أجهزة خاصة لذلك ، وفعلا أنشأ المشرع ثلاثة أجهزة خاصة في العمل الرقابي لحماية المال العام والمحافظة على كرامة الوظيفة العامة ومنع التدهور بداخلها ، لذا أصبح لدينا في البلد تعدد للأجهزة المختصة في الرقابة ومكافحة الفساد المالي والإداري وهذا يقودنا إلى استفسار عن دور تلك الأجهزة في تنظيم العلاقة فيما بينها ودورها في مكافحة الفساد المالي والإداري وما الاختصاصات التي اختص بها كل جهاز رقابي ؟ وكما أن المشرع وضع نصوص في قوانين تلك الأجهزة الرقابية وأعطاها المهام والصلاحيات والوسائل التي تمكنها من حماية الأموال العامة ومكافحة ومنع الفساد المالي والإداري" ، "هنا نشير إلى إشكاليات وهي هل نجح المشرع في صياغته لقوانين الأجهزة الرقابية على النحو الذي يحقق الغرض من إنشاءها "؟ وهل هذا التعدد للأجهزة الرقابية أثر إيجاباً أم سلباً في حماية المال العام ومكافحة الفساد المالي والإداري" ؟ "وعلى الرغم من ضرورة ممارسة الرقابة من قبل الأجهزة المختصة بذلك أو الجهاز الرقابي المختص إلا أن العمل الحيوي للرقابة مرهون بفاعلية هذه الأجهزة في تأدية أعمالها وفق المتطلبات الفنية والإدارية والقانونية وبعيداً عن التأثير عليها من قبل الأجهزة الإدارية الخاضعة لها "، "وهذا يتطلب منظومة كفوءة ومستقلة للرقابة وموحدة لها القدرة على سرعة اتخاذ إجراءات لمكافحة حالات التدهور الوظيفي وحماية المال العام ، ولها الإمكانية على مواكبة التطور في مجال العمل الرقابي".".

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

المقدمة

"" يعد موضوع الرقابة "الداخلية والدولية" على المال العام ومحاربة الفساد الاداري والمالي من المحاور المهمة التي ازداد الاهتمام بالعراق فيها بعد التغييرات التي حدثت عام 2003 ، رغبة المشرعين في التركيز على الجانب الرقابي ، بالنظر إلى أن الرقابة "الداخلية" تحقق المصلحة العامة ، من خلال الكشف عن أوجه القصور الإدارية وأوجه القصور "، والمصلحة العامة المتزايدة التي تتحقق من خلال الإشراف تدفع المشرعين إلى إنشاء هيئات رقابية ، مخولة بالإشراف على عمل السلطة التنفيذية ، محاربة ومنع الفساد المالي والإداري وضمان أمن أموال الدولة وحسن أداء العاملين في العمل الإداري ".

"على الرغم من أن المشرعين قد شكلوا "عدة" جهات رقابية ، ممثلة في هيئة النزاهة و وديوان الرقابة المالية الاتحادي ، إلا "أن العراق يعد من البلدان التي ظهرت وبرزت فيها حالات الفساد المالي والإداري وهذه الحالات فقدت على أثرها أموال وثروة العراق في الفترة السابقة على الرغم من أنَّ هذه الأجهزة"" الداخلية "الرقابية "هي التي تشكل أداة حراسة على أموال الدولة ويقع على عاتقها مسؤولية ذلك أمام الجهات المختصة ويمكن أن نثير استفسارات عن تعدد الأجهزة الرقابية هل قامت بدور حيوي في ممارسة اختصاصها أم أنها تحتاج إلى مقومات أخرى في ممارسة العملية الرقابية"

اما على الصعيد القانوني الدولي أُبرمت على المستوى الدولي اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد المالي والاداري عام ٢٠٠٣ ، حيث تمثل تلك الاتفاقية استراتيجية شاملة لمكافحة الفساد، كونها تعتمد على آليات تشريعية وأخرى ،ادارية، وهي تعمل على آلية لمواكبة التنفيذ وتعمل على نوع من التعاون القضائي بين الدول الاطراف وحيث أن العراق هو أحد اطراف الاتفاقية ، وبغية الاستفادة من قواعدها واحكامها وما يمكن أن تقدمه الدول الاطراف لبعضها في هذا الشأن ، وفي ضوء التشريعات الوطنية العراقية المعنية بمجموعة القواعد القانونية ذات العلاقة ، لا سيما تلك المتعلقة بإنشاء الأجهزة الرقابية والاطار التشريعي لعملها وكذلك التشريعات التي تنص على تجريم المساس بالمال العام والعقوبات التي تترتب عليها ، كل ذلك لمعرفة مدى موائمة تلك التشريعات واحكام اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد المالي والاداري.

"أهمية البحث"

" إبراز أهمية البحث من خلال تفعيل الرقابة "الداخلية" للجهات الرقابية المختصة ، مما يساهم في مكافحة الفساد المالي والإداري داخل وخارج الوظائف العامة ، ويلعب دوراً فاعلاً في الحفاظ على الأموال العامة بالدولة ، وهو ما يساهم في يسهم الاحترام في حياة الوطن كبير ، تشرف عليه الجهات المختصة ؛ لأن هناك رغبة دولية ، ضهرت على شكل اتفاقيات ، لمحاربة الفساد من خلال جهات رقابية متخصصة. "كذلك هناك رغبة لدى المواطنين العراقيين ظهرت على شكل تظاهرات في عام 2015 للمطالبة بكشف الفساد المالي والإداري من قبل الأجهزة الرقابية المتعددة التي أوجدها المشرع" .

هدف البحث:

يهدف البحث إلى:-

1- تسليط الضوء على مساهمة الأجهزة الرقابية الداخلية في العراق في الكشف والحد من ظاهرة الفساد الإداري والمالي.
2- تسليط الضوء على أتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد وموقف العراق منها.
3- اقتراح أساليب التنسيق بين الأجهزة الرقابية للحد من ظاهرة الفساد المالي والاداري .

"مشكلة البحث"

"تتجسد مشكلة الدراسة بما يلي" :

1- "التشريع العراقي يخول أكثر من جهة رقابية التعامل وكشف الفساد المالي والإداري". فما هو دور المشرع في تنظيم عمل الأجهزة الرقابة في التشريعات المتعددة ، وما هي الأسباب التي مهدت لوجود هذه التعدد" ".

2- "كما يوجد في الدولة عدة أجهزة رقابة داخلية ، مما يدفعنا إلى التساؤل عما إذا كانت هناك عناصر تساهم في نجاح كل هذه الأجهزة أو الجهود" و "ما هو الدور" بالنظر إلى هذه التعددية الرقابية ، فكل منها كيف تكون مؤسسة؟ ممارسة صلاحياتها المخولة قانونًا؟ "

3- ""ما هو دور الأجهزة الرقابية المختصة في الحد من الفساد" المالي والاداري ،" وهل التعدد جعل عمل بعضها مكملاً البعض أم شتت جهدها"" .

4- "التعدد الرقابية الداخلية "هل يزيد من فاعلية العمل الرقابي في مكافحة الفساد أم يؤثر سلباً على" عملها" .

""منهجية البحث""

" سيتم الاعتماد المنهج "التحليلي من خلال تحليل وبيان قوانين الأجهزة الرقابية والنصوص القانونية التي تتعلق بها في مختلف التشريعات العراقية مع الإشارة الى بعض نصوص التشريعات الدولية في مواضع معينة من الدراسة للخروج منها" .

تم تقسيم هذه البحث الى مقدمة ومبحثين واشتملت ايضا الى اهم الاستنتاجات والتوصيات التي توصلنا اليها، حيث خصصنا المقدمة لبيان اهمية الموضوع ،إذ تضمن المبحث الأول التعرف بالأجهزة الرقابية الداخلية المختصة للكشف عن مظاهر الفساد الإداري والمالي وتم تقسيم هذا المبحث الى مطلبين تناولنا في المطلب الاول التعرف على هيئة النزاهة الاتحادية في فرعين نخصص الأول بعنوان استقلالها وعلوها على غيرها من الأجهزة أما الفرع الثاني نتناول فيه اختصاصاتها. ،اما المطلب الثاني تناولنا ديوان الرقابة المالية الاتحادي وبيان مهام وصلاحيات ديوان الرقابة المالية الاتحادي. وايضا تناولنا العلاقة بين هيئة النزاهة وديوان الرقابة المالية الاتحادي أما المبحث الثاني كرسنا لبيان الاطار القانوني لمكافحة الفساد في ظل اتفاقية الامم المتحدة وموقف العراق منها وتم تقسيم هذا المبحث الى مطلبين تناولنا في المطلب الاول الإحكام التي تضمنتها اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد اما المطلب الثاني خصصناه لبيان مدى موائمة التشريعات العراقية واحكام اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد المالي والإداري.

المبحث الاول

الاطار القانوني للأجهزة الرقابية الداخلية المختصة للكشف عن مظاهر الفساد الإداري والمالي

" انشأ المشرعون العديد من الأجهزة الرقابية للكشف عن حالات الفساد الإداري والمالي حيث تكون هذه الأجهزة مسؤولة عن تطبيق قوانين مكافحة الفساد المالي والإداري في الوظائف العامة من اجل رفع مستوى النزاهة والمحافظة على الاموال العام ، نظراً لانتشار ظاهرة الفساد المالي والإداري في العراق "خلال السنوات الأخيرة فقد أعاد المشَّرع تنظيم الجهاز الرقابي وانشأ أجهزة رقابية أخرى بعد عام 2003." ورغم وجود السلطة الرقابية لكل من السلطة القضائية والسلطة التشريعية إلاَّ أنَّها غير مجدية للحد من ظاهرة الفساد ؛ "وذلك نتيجة الوظائف الكثيرة التي تقع على عاتق كلَّ سلطة وتأثير التجاذبات السياسية على عمل الرقابة البرلمانية فقد توصلت الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الفساد للأعوام 2010-2014 "إلى عدم فاعلية رقابة مجلس النواب العراقي بالإضافة إلى عدم وضوح آليات رقابية لديه

وتضارب مصالح المجلس" ورغبة المشَّرع في المحافظة على المال العام والحد من ظاهرة الانحراف والفساد المالي والإداري والذي يحدث نتيجة التلكؤ في العمل الرقابي لذلك أوجد بعد عام 2003 أجهزة رقابية مختصة اختصاصاً دقيقاً في العمل الرقابي باعتبار أن الديوان مختص فقط في جانب الرقابة المالية وفي بعض الأحيان إدارية كذلك أعاد تنظيم وإصدار قانون للجهاز الرقابي الذي كان قبل عام 2003 وذلك لتنظيم عمله ورفع مستوى الرقابة على المال العام ولبيان ماهيته واختصاصاته. وسوف نبحث الأجهزة الرقابية المختصة في التشريع العراقي والمتمثلة بهيئة النزاهة وديوان الرقابة المالية" [1] ."

المطلب الاول

هيئة النزاهة الاتحادية

تعد هيئة سلطة مختصة في الرقابة والتحقيق في قضايا الفساد المالي والإداري اذ كانت السلطة القضائية تتولى التحقيق في جرائم الفساد المالي والرقابة الإدارية التابعة للإدارة تتولى التحقيق في الفساد الإداري بواسطة تشكيل لجان تحقيق عن أي حالة فيها مخالفات إدارية. لذلك تعتبر هيئة النزاهة من المؤسسات الحديثة في مكافحة الفساد في العراق تم تشكيلها بالأمر رقم 55 لسنة 2004 الصادر من سلطة الائتلاف المؤقتة المنحلة المعدل فكانت تعرف بمفوضية النزاهة العامة"[2]. " سنوضح هذا المطلب المعني بهيئة النزاهة في" فرعين "نخصص الأول بعنوان استقلالها وعلوها على غيرها من الأجهزة أما الفرع الثاني" نتناول فيه اختصاصاتها.

الفرع الاول: "استقلالية هيئة النزاهة وعلوها على الاجهزة الرقابية الاخرى"

"أُنشئت هيئة النزاهة ، وهي إحدى الجهات الاتحادية المسؤولة عن مكافحة "الفساد المالي والإداري" ، بموجب القانون رقم 55 لسنة 2004 كهيئة مستقلة مسؤولة عن تنفيذ وإنفاذ "قوانين مكافحة الفساد ومعايير الخدمة العامة" [3]. "كذلك تعد "هيئة النزاهة هيئة مستقلة" خاضعه "لرقابة مجلس النواب""[4]. "وذلك لتمكين الهيئة من العمل بشكل مستقل. تنص المادة 2 من قانون الهيئة على أن هيئة النزاهة مؤسسة مستقلة يشرف عليها مجلس النواب ، وتتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي والإداري ، ويمثلها الرئيس أو من يخوله."[5]. " تمنح هذه النصوص السلطات الاستقلالية في ممارسة الرقابة بمهنية وحيادية دون تدخل من السلطات الأخرى. لكن في الواقع ، هناك العديد من العوامل التي تؤثر على استقلاليته ، وهي":

"أولاً: وضع قرار المحكمة الاتحادية العليا الجهاز تحت إشراف مجلس الوزراء وأعلن استقلاله التنفيذي واستقلالية موظفي الوكالة في أداء المهام التي ينص عليها القانون. جمعية المؤسسة حسب رأي المحكمة لارتباطها بمجلس الوزراء. لأن الدستور لا ينص بوضوح على علاقتها بمجلس النواب ولا هيمنة السلطة التنفيذية على عملها وأنشطتها [6]. كذلك هناك قرار اخر[7]. المتضمن عدم دستورية المادة 4 من قانون الهيئة الخاصة بتعيين رئيس الهيئة".

"ثانيا: تأثير الهيئة التشريعية على هيئة النزاهة ؛ نظرًا لأن رئيسها له رتبة وزارية ويتم محاكمته وفقًا للإجراءات نفسها التي يخضع لها الوزراء في البرلمان ، فهناك احتمال أن يؤثر البرلمان على عمل لجنة النزاهة ، خاصة وأن أعضاء البرلمان ملزمون بالإفصاح عن ذلك. وضعهم المالي مسؤولية اللجنة بحيث يستطيع البرلمان الضغط على رئيس اللجنة لتأخير عمل اللجنة باستجواب رئيس اللجنة أو المطالبة بإقالته. الهيئات التنظيمية ، نعتقد أنه يجب أن تكون هناك حصانة كافية لموظفي الوكالة بحيث تكون محايدة ومحمية ولا تتدخل الاعتبارات السياسية في التأثير على السلطة".

"ثالثا: تأثير السلطة التنفيذية على عمل اللجنة ، لأن الوكالة ترشح شخصًا ليكون رئيسًا للجنة ، وبموافقة أغلبية المجلس الفرعي للوكالة التنفيذية ، وهي الوكالة التي تعين بشكل غير مباشر رئيس اللجنة. كما يشرف رئيس اللجنة على اللجنة في الممارسة العملية. أما تفوق رقابة إدارة النزاهة المؤسسية على هيئات الرقابة الأخرى ، فهي تنبع من الطبيعة الجنائية لإجراءاتها ، حيث تعتبر شبه قضائية أو مرتبطة في عملها بشكل دائم بالقضاء. سلطة الأطراف الأخرى"[8]. "دوائر الدولة ووكالاتها ملزمة بتزويد المفوضية بالمعلومات والوثائق والأولويات التي تطلبها فيما يتعلق بالقضايا "التي تحقق فيها. اللجنة تحقق في قضايا الفساد تحت إشراف قاضي التحقيق". [9]. "يشترط القانون أن تكون المفوضية طرفًا في أي قضية فساد. وبالمثل ، يُلزم القانون الوكالات الرقابية الأخرى بإبلاغ السلطات في حالات الفساد المالي والإداري ، لذلك يُنظر إلى الوكالات الإشرافية الأخرى على أنها ذراع الوكالة لمكافحة الفساد والكشف عن الفساد. مرة أخرى ، تأتي قوتها من إنشائها ، والتي تتوافق "مع اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد" ، وأهم عنصر للرقابة في رأينا هو تزويد موظفيها بالاستقلال المالي والإداري."[10] " هذا الضمان متاح في هيئة النزاهة. أما فيما يتعلق بالاستقلال التام عن وكالات السلطة الأخرى ، فمن الضروري ضمان حياد ونزاهة عملها ، وفي نفس الوقت ممارسة السلطة لوكالات السلطة المرتبطة بها. فقط من خلال كونها مستقلة تمامًا يمكن أن تواجه تأثير الآخرين وكالات الطاقة. تتمتع الوكالات الإشرافية أيضًا بفوائد إيجابية لفعاليتها الإشرافية. [11]. " يرى جزء من الفقه أن الهيئات الرقابية في البلاد يجب أن تعمل بشكل مستقل عن السلطات الأخرى ، بدلاً من أن تشكل امتدادًا للمؤسسات التي تشكلها ، سواء من خلال البرلمان أو من قبل البرلمان الذي يشكل الحكومة. "[12] .

الفرع الثاني :"اختصاصات هيئة النزاهة في مكافحة الفساد"

""بما ان نشر الوعي الأمني والثقافي والقانوني يحد من الجريمة""[13], "يريد "المشرع تفعيل دور إدارة" النزاهة المؤسسية في محاسبة المسؤولين والموظفين والمشتبه بهم "في قضايا الفساد المالي" والإداري ، مما يمنحها مستويات عديدة من التخصص في مكافحة الفساد ومنعه."[14]."ولها في سبيل اداء اعمالها واهدافها ممارسة الاختصاصات التالية":

""أولا: الاختصاص التحقيقي""

"يعتبر هذا الاختصاص من المهام الهامة للهيئة ، والتي بموجبه تعتبر الهيئة تمارس الاختصاص شبه القضائي في قضايا الفساد المالي والإداري ، لذلك تتعهد الهيئة بممارسة هذا الاختصاص من خلال محققيها وتحت إشراف المختص. قاضي التحقيق في حدود قانونه ووفقاً لأحكام قانون أصول المحاكمات الجزائية الحالي وتعديلاته"[15]. "لقد رأينا عملاً جيداً قام به محققو مجلس التحقيق بإشراف قاضي التحقيق المختص. لأن القاضي هو الذي يحدد الوصف القانوني للجريمة ويضمن العلاقة بين الجريمة والأحكام القانونية المعمول بها في تلك الجريمة. [16] "." ولممارسة هذا الاختصاص ، خولها القانون بوسائل تلقي الشكاوي والمعلومات المتعلقة بجرائم الفساد المالي والإداري. "[17]"وتتولى الهيئة متابعة قضايا الفساد التي لا يقوم محققوها بالتحقيق فيها بواسطة ممثل قانوني عن الهيئة بوكالة رسمية تصدر له من رئيسها"[18]","نرى من الافضل ان تتابع الهيئة قضايا الفساد" مع المحققين بدلاً من المحامين. ولأن القضية تُحال إلى شخص ليس له علاقة مباشرة بالوظيفة ويتابع القضية مقابل الأرباح التي يجمعها ، تعتبر الهيئة طرفًا في أي قضية فساد مالي أو إداري ولها صلاحية رفعها. حق الاستئناف على "الأحكام والقرارات في قضايا الفساد المالي" والإداري" .[19]"ويرى قسم من الباحثون "ان الاختصاص التحقيقي المحدد للهيئة

يعتبر من اهم الاختصاصات وعلى الهيئة ضرورة التقيد به وعدم التوسع في التحقيق في جرائم لا تدخل باختصاصها""[20]."ويمكن تقويم اختصاص الهيئة التحقيقي بالتالي":

1- "يقتصر تخصصها على التحقيقات الجنائية ، وليس التحقيقات الإدارية ، فهناك جهات أخرى تقوم بالتحقيقات الإدارية ، وكذلك تلك التي يكون لمحققيها اختصاص محدد على جرائم معينة ، مما يساعد على الإسراع في مكافحة الفساد ومحاصرته ، وأدى إلى انخفاض في عدد القضايا المعروضة على محاكم التحقيق ، وفي بعض الحالات تطلب السلطات أدلة على قرائن التحقيق الإداري ، وخاصة في الجرائم ضد واجبات الوظيفة العامة."[21] .

2- "الاختصاص التحقيقي الذي تتمتع بها الهيئة في قضايا الفساد هي أحدث توجه في القانون العراقي ، والذي يمكّن أطرافًا معينة من التحقيق في قضايا الفساد ومتابعتها مع المحاكم والادعاء العام ، نرى أن هذا التوجيه من المشرعين هو الاتجاه الصحيح بحيث يمكن التعامل مع قضايا الفساد المالي بسرعة وكفاءة دون الالتزام بالأساليب التقليدية لمكافحة الفساد المالي والإداري والتي لا تحل الجرائم بسرعة. الإجراءات الروتينية والمملة من السلوك ، وبالتالي تمكين اللجنة من نقل السلامة والشرعية ، كما قامت بالتحقيق في الحالات التي ارتكبت فيها أخطاء في تكييف الحقائق. وفي هذه الحالات ، يكون محققو الهيئة قادرين على الفصل في القضايا على وجه السرعة حيث يقومون بعملهم تحت إشراف قاضٍ مختص ، مما يعني تقاسم "اختصاصها في التحقيق في قضايا الفساد" مع "الجهات القضائية". [22].

"""""ثانيا: اختصاص الهيئة في التشريع. المساهمة التشريعية"""""

"يمكّن المشرعون في قانون هيئة النزاهة الجديد الهيئة من المساهمة في العملية التشريعية للقوانين التي ستساعد على منع الفساد ومكافحته ، وتنص على أن الهيئة تعمل على المساعدة في صياغة القوانين التي من شأنها المساعدة في منع الفساد ومكافحته وتمريرها من خلال رئيس الجمهورية. تقدمه الجمهورية أو مجلس الوزراء أو النواب إلى السلطة التشريعية المختصة من خلال لجنة برلمانية تختص بموضوع التشريع المقترح. [23] "."حسنًا ، يفعل المشرعون ذلك عندما يمنحون سلطات لصياغة القوانين للهيئات التي تُعنى تحديدًا بمراقبة الفساد ومكافحته ، لأنه من المعروف جيدًا أن تلك القوانين أو التعديلات على القوانين ضرورية للرقابة في مكافحة الفساد المالي والإداري. في بعض البلدان يقع تحت سلطة واحدة من سلطتين" [24].

"""ثالثاً: اختصاص الهيئة في التوعية والتثقيف ضد الفساد"""

" على هيئة النزاهة واجب منع الفساد المالي والإداري من خلال توعية وتثقيف الموظفين والمواطنين ضد الفساد ، وبالتالي تلتزم الهيئة بتبني الفساد المالي والإداري عن طريق" :

1- تنمية ثقافة النزاهة في القطاعين العام والخاص".كما أنها مسؤولة عن تعزيز النزاهة الشخصية واحترام أخلاقيات الموظفين العموميين. وتقوم الهيئة بذلك من خلال برامج عامة للتوعية والتثقيف. [25].ما حددته من أجل ذلك ، هذه القدرة تساعد على منع الفساد المالي والإداري ، وهي إحدى طرق الحد من حجم الفساد ، فالعمل في هذا "الاتجاه يساعد على تحسين سمعة الدولة" ، لأن الفساد المالي والإداري يضر بسمعة الدولة. داخل البلاد وخارجها [26].يتم التعامل مع هذا الجانب من قبل دوائر"التعليم والعلاقات العامة" "العلاقات مع المنظمات غير" الحكومية والأكاديمية "العراقية لمكافحة الفساد".

2- " نشر "قواعد ومعايير السلوك" الأخلاقي لضمان قيام الموظفين العموميين بواجباتهم بطريقة مشرفة وسليمة وصحيحة [27]."وقد صدرت فعلا هذه التعليمات"[28]تساعد هذه التعليمات في توعية الموظفين وتوعيتهم بمكافحة الفساد المالي والإداري. هذه التعليمات من وجهة نظرنا إرشادية أو موحية لموظف وزارة الخارجية لعدم وجود إكراه عليه. لا يمكن اعتبارها أنظمة وتوجيهات غير ملزمة لأنها لم تصدر عن مجلس الوزراء بصفتها السلطة المختصة. وقت إصدار هذه اللوائح والتعليمات ".

" هناك أيضًا تنظيم قانوني يحدد قواعد وسلوك وواجبات الموظف وما هو مطلوب منه أو ممنوع من القيام به [29]. فلا يوجد خلل في هذا الجانب[30]," "وبالتالي فان تلك القواعد تثقيفية ارشادية للموظف, لم تتناول بالتنظيم موضوع لم تنظمه التشريعات""[31]."ولم تصدر من السلطة التنفيذية المركزية" ".

3- "كما تقوم السلطات بمهمة تعليمية عامة مهمة. هذا من خلال زيادة ثقة الناس في الحكومة ؛ من خلال إجبار المسؤولين على الكشف عن التزاماتهم المالية وأنشطتهم الخارجية واستثماراتهم وأصولهم وهداياهم ومصالحهم الجوهرية التي تؤدي إلى تضارب المصالح ، فإنه يلزمهم الامتثال للتوجيهات التنظيمية التي لها قوة القانون"[32]." يطالب القانون مجموعة من المسؤولين بالإفصاح عن مسؤولياتهم المالية لكنه لا يحدد عقوبات أو عقوبات لمن لا يتقدمون بتقارير إفصاح عن المسؤولية المالية ، في التشريع العراقي نظم هذه الحالة من الجانب الجنائي قبل قانون هيئة النزاهة (قانون الكسب غير المشروع على حساب الشعب) رقم 15 لسنة 1958[33], "ويضع على عاتق رئيس الهيئة الإلزام بإصدار التعليمات التنظيمية للكشف عن المصالح المالية للمسؤولين, و حسناً فعل المشرع بفرض جزاء عن الممتنع عن تقديم كشف الذمة المالية كما جاء في المادة (18/أولا) من قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم 30 لسنة 2011 المعدل : يوقف صرف راتب المكلف ومخصصاته اذا لم يقدم الاستمارة خلال المدة المنصوص عليها في البند , وكذلك كما جاء في المادة (19/أولا) من القانون ذاته (دون الاخلال باي عقوبة اشد منصوص عليها في اي قانون اخر يعاقب المخالفون لاحكام هذا القانون يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنة من امتنع عن تقديم الاستمارة دون عذر مشروع , وكذلك الفقرة رابعا من نفس المادة تحكم المحكمة برد قيمة الكسب غير المشروع ولا يطلق سراح المحكومين وفق البندين (ثانيا) و (ثالثا) من هذه المادة الا بعد سداد مبلغ الغرامة ورد قيمة الكسب غير المشروع ولا يحول انقضاء الدعوى الجزائية بالوفاة دون تنفيذ الحكم برد قيمة الكسب غير المشروع([34]) .

المطلب الثاني

"ديوان الرقابة المالية الاتحادي"

""""يعـــد ديوان الرقابة المالية الاتحادي الجهاز الرقابي الذي يملك خبرة وتاريخ في الاجراءات الرقابية المالية والادارية ويتولى الديوان الرقابة على المؤسسات والدوائر والمشاريع العامة ومراجعة عملها حفاظا" علـــى الأموال العامـــة ومتابعة طـــرق صرفها نيابة" عن الشعب أو نيابة عن مجلس النواب ممثل الشعب"" لذا سوف نتناول في هذا المطلب" مهام وصلاحيات ديوان الرقابة المالية الاتحادي".

""""الفرع الأول" : "مهام ديوان الرقابة المالية الاتحادي""""

"يمكنه أداء العديد من المهام الواردة في قانون الديوان لما يتمتع به من استقلال مالي وإداري وشخصية معنوية تمكنه من القيام بسلسلة من الإجراءات القانونية وأداء "المهام المطلوبة منه". يمكن "تحديد هذه المهام" على النحو التالي:":

"أولاً: يتولى الإشراف والتدقيق على السجلات المحاسبية لإدارته. كما أن له سلطة بسط سيطرته على أنشطة وأعمال الكيانات الخاضعة لسيطرته والتحقق من سلامة سلوكها المالي. قابلية تطبيق القوانين والتوجيهات واللوائح على الأموال المستخدمة من حيث مراقبة الفعالية ، فمن الأنسب تحديد صلاحية التطبيق فقط من خلال القوانين واللوائح والتوجيهات المالية ، ولا يتم توسيع النطاق دون أن يذكره المشرع صراحةً في شكله فيه."[35], " من أجل القيام بهذه المهمة ، يمنح القانون للمديرية الوسائل التي تمكنها من القيام باختصاصاتها في هذه المهمة الإشرافية ، حتى تتمكن من تنفيذ هذه المهمة بنجاح فيما يتعلق بالجهات الإدارية أو غير الإدارية الخاضعة للرقابة وهذه الوسائل هي كما يلي:

1- "فحص ومراجعة معاملات الإنفاق العام للتأكد من سلامتها ، بما لا يتجاوز الاعتمادات المقدرة لها في الموازنة ، باستخدام الأموال العامة للغرض المقصود منها ، وخالية من الهدر أو التبديد أو سوء الاستخدام ، وتقدير عوائدها."[36], " من خلال هذا النهج ، يقوم الديوان بتنفيذ إجراءات الرقابة لمراجعة وتدقيق معاملات الإنفاق العام للكيانات الخاضعة لولايته القضائية لضمان سلامتها والتأكد من أنها لا تتجاوز الاعتمادات المخصصة لها في الميزانية المعتمدة. "[37], "يتحقق الديوان من جميع المعاملات مع المدفوعات. على سبيل المثال ، يتحقق الديوان من معاملات شراء مجالس الكيانات الخاضعة لسيطرته. سواء كانت تتفق على المشتريات حسب "الأموال المخصصة لها في الموازنة" ، أو تزيد أو تقل عن "الأموال المخصصة لها" ، وكتابة تقارير عن هذه المعاملات المالية ، ومراجعة الجهة المسؤولة عن الأمر ، والديوان حسب ذلك. ، لتحقيق مهمتها من خلال ضمان استخدام الأموال العامة للغرض المقصود منها ، وعدم تبديد الأموال العامة أو تبديدها أو إساءة استخدامها ، نرى في هذه الفقرة أن ديوان الرقابة يحتاج إلى مساعدة المحققين في المجالات الفنية والمالية. وكذلك بين موظفيها. يأتي المجرمون إلى مهمة المراقبة هذه لأنه ليس من السهل أيضًا اكتشاف الهدر أو الهدر أو سوء السلوك لأنها أفعال تحتاج إلى شرح. استجابت السلطات للقضية وأثبتت عدم وجود تبذير أو إسراف وأنها أوفت بواجبها المتمثل في ضيافة الموجودين في الحجز. لا نعرف كيف نقيم عائد الأموال العامة التي تنفقها الوحدات الخاضعة للإشراف ، فمثلاً وزارة الكهرباء تنفق الأموال العامة على صيانة وتحسين الطاقة ، كيف يقيم الديوان الخدمات؟ أنفقت الأموال العامة؟ وهل عائدها يتناسب مع الأموال التي أنفقت عليها؟ بموجب هذه الولاية ، يضمن الديوان أن تأخذ السلطة التنفيذية القانون المالي في الاعتبار في إجراءاتها ، وهو جزء من مبدأ الشرعية ولا يسمح للسلطة التنفيذية باتخاذ إجراءات أو قرارات تنتهك القانون.". [38]

2- "منح الديوان ، من أجل أداء مهامها الرقابية ، تزويد الجهات الخاضعة لإشرافها بوسائل إبداء الرأي في قوائم الجرد "والتقارير والبيانات المالية المتعلقة بنتائج الأعمال" والمركز المالي ، لتوضيح ما إذا كانت تلتزم بالمتطلبات القانونية و المعايير المحاسبية ، من أجل العوائد التي تعكس الظروف المالية الحقيقية والنفقات المالية."[39], "وفي مثل هذه الحالات ، "تقوم الجهات الخاضعة لرقابة الديوان بالطلب من الديوان بصيغة رسمية لأخذ رأيه في النشاطات المالية التي تقوم بها" هذه الجهات بشكل رسمي ، أو تعطيها الهيئة شرطًا أو شرطًا دون إلزام الجهات التي تسيطر عليها. الموافقة من هذه الأعمال أو الظروف ، حيث يقتضيها القانون وقواعد المحاسبة ، فإن رأي العمليات المالية المنفذة ، على سبيل المثال ، يبدي الديوان رأيه إلى وزارة الصناعة بشأن مصانع النسيج التي أنفقت أموالها. بياناتها المالية هي مع الالتزام بالمتطلبات القانونية والمعايير المحاسبية التي تعكس الواقع الحقيقي للوضع المالي للوزارة ، ولكن نتائج الأنشطة وتدفقات الأموال المعادة من المصنع لا تتناسب مع حجم

المصروفات ، سواء لحماية البيانات ، والتقارير التي تعبر عن الآراء ، ولن تتم إعادة مراجعة الوضع المالي من قبل المكتب ، ويمكن للطرف الذي يتم انتقاده استخدام البيانات والتقارير والشروط والاعتماد عليها شخصيًا. إذا كان هناك أي اعتراض على الوضع المالي يعتمد على آراء الديوان."[40].

"ثانيا: تتمثل مهام الديوان الأخرى في الإشراف على تقييم أداء الجهات الخاضعة لإشرافه "[41], من أجل إدارة الأموال العامة بشكل صحيح وتنظيم الأنشطة الإدارية للجهات الخاضعة لإشرافها ، فإن المديرية مكلفة بمراقبة وتقييم أدائها ، حيث تمارس الإدارة الرقابة المالية الكاملة عليها من خلال مراقبة صحة الأداء. "[42] "وراء هذا الإشراف ، يسعى إلى التحقق من الاستخدام الأمثل للأموال العامة والتصرف فيها ، وبالتالي تمكين شرعية المقبوضات والنفقات ، وصحة الحسابات المالية ، والكفاءة الاقتصادية للإجراءات المالية للكيانات الخاضعة لولايتها. التقصير في استخدام الأموال العامة: يعتقد الباحث أن مراقبة تقييم الأداء هي ضمان أن يكون استخدام الأموال العامة على أساس الكفاءة والفعالية الاقتصادية."[43] ، "تعتبر مراقبة تقييم الأداء أيضًا أحد الأهداف الأساسية التي يسعى ديوان الرقابة المالية الاتحادي إلى تحقيقها ، مما يساهم في كفاءة أداء الكيانات الخاضعة للتنظيم. تحديد الانحرافات وشرح الهدر والانحراف والتجاوزات ، والإشارة إلى الحلول لمعالجة ذلك من أجل توجيه أداء الجهة الخاضعة نحو الكفاءة والفعالية الاقتصادية."[44] .

"ثالثا: """مهمة تقديم العون الفني في المجالات الرقابية "والمحاسبية والادارية وما يتعلق بها من أمور تنظيمية وفنية"""[45]. "

"الهدف الرئيسي لديوان الرقابة هو تحقيق رقابة فعالة على الأموال العامة للبلاد وحمايتها ومنع تزويرها واستخدامها بشكل صحيح وفقًا للغرض الذي تم تخصيصها من أجله ، ويتم تحقيق ذلك من قبل الديوان وإدارته في مختلف التخصصات ، مما يتطلب من المكتب تنفيذ ولايته في تقديم المساعدة التقنية للكيانات التي ينتمي إليها. تساعد هذه المهمة على تعزيز التنسيق والتعاون بين الأجهزة الخاضعة لسيطرتها. المكتب ، حيث استخدم المشرعون مصطلح المساعدة بنجاح لأن طلبًا من وكالة خاضعة للرقابة ليس مطلوبًا لتقديم المساعدة. في عمله ، يقدم له النصيحة من أجل تصحيحه في الاتجاه الصحيح. تشير المساعدة الفنية إلى المساعدة والدعم المقدمين من الهيئات الإشرافية في المجالات المتخصصة للعمل الإشرافي لتحسين عمليات التدقيق وجودتها ، سواء كان هذا الدعم تقنيًا أو قانونيًا."[46]," وان هذه "المهمة "يقوم بها الديوان وذلك لخبرته الميدانية الطويلة في العمل الرقابي والمحاسبي والاداري, بالاستناد على هذه المهمة يقوم الديوان بتقديم الاستشارات والرأي إلى الدوائر والمؤسسات الخاضعة لرقابته في اطار تنفيذها لأعمالها في الجوانب المحاسبية والفنية والادارية كما يقوم بتقديم العون في المجال الرقابي لتوحيد عمل ديوان الرقابة المالية الاتحادية في اتجاه الجهات الخاضعة له واشاعة مفاهيم الرقابة, ومهمة تقديم العون" من "قبل ديوان الرقابة المالية الاتحادي مهمة منصوص عليها في اغلب القوانين التي نظمت عمله"":"[47], ومهمته في تقديم المساعدة أو الدعم هو الاعتماد على بعض إداراته وإداراته. وعندما نشير إلى النظام الداخلي للديوان نجد أن هناك طرق عديدة لتقديم المساعدة. وأشارت وزارة الشؤون الفنية والبحوث ان احدى صلاحيات هذه الدوائر تتمثل في تقديم الاستشارات في مجالات المحاسبة والمالية والاقتصاد والرد على الاسئلة او الاستفسارات الواردة من داخل وخارج المحكمة. "[48], "أما بالنسبة لصلاحيات الإدارة القانونية المتمثلة في جزء من مهمة تقديم المساعدة ، فهي تتبع إدارة الإرشاد والبحوث القانونية ، حيث إنها مسؤولة عن إبداء الرأي والمشورة القانونية في الأمور التي تحال إليها وتقديم التوصيات المناسبة."[49], "بالإضافة إلى

ذلك ، فإن إحدى مهام إدارة الرقابة الإلكترونية والمراجعة هي تقديم المشورة بشأن إعداد وتطوير الأنظمة الإلكترونية الفنية والإدارية والمالية. كما يقوم القسم بإجراء تدريب للموظفين الداخليين والخارجيين. يقوم القسم أيضًا بإجراء الضوابط أو المراجعة والتحقق من كفاءة نظام التحكم ، كما هو مطلوب من قبل هيئة الرقابة. التنسيق الداخلي مع الجهات الرقابية"[50], """""وتمارس دوائر التدقيق والمتابعة بواسطة قسم المعايير المحاسبية والرقابية بإحالة المقترحات في المجال المحاسبي والرقابي إلى مجلس المعايير المحاسبية والرقابية لأبداء المشورة الفنية بشأنها"""[51] " إلى جانب متابعة تنفيذ قرارات الديوان ، فإنها تتضمن تقديم اقتراحات أو آراء للإدارات ذات الصلة ، إلا أن لجنة معايير المحاسبة والرقابة لم تحدد تكوينها في النظام الجديد داخل الديوان ، وإنما اكتفت بتحديد مهامها. كما تم إدراجها في الوثيقة رقم 1 لمكتب الرقابة المالية لعام 1995. تنص على إنشائها."[52], وتجدر الإشارة إلى أنه في هذه المهمة ، لم يعين المشرعون وكالات أو إدارات محددة داخل الديوان لتقديم الدعم الفني في مجالات الإشراف والمحاسبة والإدارة ، ولكن دعوا النظام الداخلي يحدد هذه المهمة. لم يتم تحديدها بالتفصيل بين مجلس معايير المحاسبة والرقابة ، مما قد يؤدي إلى تناقضات أو تناقضات بين المشورة أو الآراء المقدمة من مجلس معايير المحاسبة والرقابة وتلك المقدمة من الجهات المختصة داخل المكتب حول موضوع الاستشارة. . نظرنا في توزيع تقديم المساعدة الفنية بين إدارات الديوان ذات الصلة بالموضوع ، بدلاً من ترك هذه المهمة لقسم واحد ، حيث أن مهمة تقديم المساعدة الفنية في المجالات الإدارية والإشرافية والمحاسبية مهمة واسعة ، وتحتاج إلى لتوفير خبرة في الموقع في هذه المجالات ، والتي لا تتوفر عادة في قسم ، إن وجدت ، فإن عددًا قليلاً من الموظفين هم خبراء في أحد المجالات السابقة ، والتي تختلف عن الأقسام المتخصصة. في الرقابة والمحاسبة والإدارات القضايا ، هذا الموضوع هو تناقض قابل للحل في الرأي والمشورة بين إدارة المكتب ومجلس الرقابة والمعايير المحاسبية يتم من خلاله تقديم المساعدة الفنية ، ممثلة بالرأي والمشورة ، بعد أن تقوم لجنة الديوان بمراجعة التناقضات. الجمع بين الاقتراحات والآراء التي تطرحها الإدارات المختصة الأخرى ، ثم التصويت ؛ لأنها تتعلق بأساس العمل الرقابي ومراقبته ، فهذه من صلاحيات مجلس الإدارة. "[53].

"""""الفرع الثاني" : "صلاحيات ديوان الرقابة المالية الاتحادي""

"من أجل أداء ديوان الرقابة المالية الاتحادي لمهامه بشكل صحيح ، وتمكينها من حماية الأموال العامة والحد من الفساد الإداري والمالي الذي تستهدفه ، ورغبتها في العمل بشكل مستقل دون اللجوء إلى السلطات الأخرى ، منح المشرع ديوان الرقابة المالية عددًا من صلاحياته لتمكينه من أداء واجباته في الإشراف على الهيئات "والمؤسسات الخاضعة لرقابته" [54]"هذه الصلاحيات نصَّ عليها في إحدى مواد قانون الديوان وعلى الشكل الآتي"":

"أولاً: من أجل تنفيذ أهدافها المطلوبة ، يحق ديوان الرقابة المالية الاتحادي الاطلاع على جميع السجلات والمستندات" والمعاملات والأوامر والقرارات" المتعلقة بمهام الرقابة والتدقيق."[55]" وتمكّن هذه السلطة الجهاز وتساعده في القيام بالمهام "المطلوبة منه والكشف عن الهدر وسوء" استخدام الأموال العامة من خلال عمليات التفتيش التي يقوم بها. فوضت معظم الدول هذه السلطة لوكالات الرقابة المالية. "[56].

"ثانيا: "ما خول المشرع ديوان الرقابة المالية الاتحادي وأعطى له" مراجعة البرامج السرية والإنفاق المتعلق بالأمن القومي ، بينما يتمتع رئيس المكتب بسلطة تفويض ممثليه لإجراء عمليات التدقيق وإعداد التقارير المتعلقة بالبرامج السرية والإنفاق. الإنفاق الأمني. تتطلب السرية حول أفعالها معدات ذات خبرة فنية في الموقع لتدقيق هذه النفقات ، والتي تتطلب أحيانًا إبقاء تقارير المراقبة سرية بدلاً من نشرها ، لأن

إطلاقها من شأنه أن يمنح السلطات العسكرية نظرة ثاقبة حول القدرات الأمنية. من غير المنطقي أن يشتري قطاع الأمن ذخيرة ومركبات عسكرية للاحتياجات الأمنية. وأعلن تقرير الهيئة الرقابية أنه سيتم تدقيق تكلفة شراء الذخيرة والآلات ، مع التفاصيل والأرقام ، حيث يجب الحفاظ على سرية تقارير المراجعة وتوجيهها إلى أفراد معينين في حالة وجود فساد مالي. كما يتمتع الرئيس بصلاحية تفويض نائبه أو أحد موظفي الديوان لإجراء التدقيق. بالنسبة لتلك البرامج السرية والنفقات الأمنية ، ولإعداد التقارير ذات الصلة وتقديمها إلى رئيس الأركان ، نعتقد أنه سيكون من الأفضل أن يكون هناك قسم خاص في المكتب يسمى البرنامج السري وإدارة مراقبة وتدقيق النفقات الأمنية ، والتي قد تشمل الموظفين ذوي الخبرة ، بدلاً من تشتيت انتباه المكتب عن طريق عمليات التدقيق والضوابط ، خاصة وأن هذه الأمور تتطلب مراقبة دقة العمل".

"ثالثا: الحق في فحص المنح والإعانات والقروض والتسهيلات والامتيازات والاستثمارات وفقاً لقرارات هيئة الرقابة المالية والتحقق من استخدامها وفقاً للغرض الذي قدمت من أجله. [57]","بموجب سلطة الديوان هذه ، لا يجوز للديوان ممارسة هذه الصلاحية تلقائيًا بل تعتمد على قرار لجنة الرقابة المالية بالديوان. وفي حالة الموافقة على عملية المراجعة ، تمارس الهيئة صلاحية فحص المنح والإعانات والتسهيلات والامتيازات والاستثمارات والقروض للتأكد من ملاءمتها للغرض الذي قُدمت من أجله والتحقق منها ، وفي رأينا أن لدى المشرع عدد من أوجه القصور في هذا الصدد ، منها:

1- "في النص ، لم يميز المشرعون بين الصناديق التي تساهم في الدين الوطني والصناديق التي لا تساهم. ليس للمنح والإعانات والتسهيلات والامتيازات أثر مالي على مسؤولية الدولة ، ويتمثل دور المكتب في التأكد من ملاءمتها للغرض الذي قُدمت من أجله ، وكذلك القروض والاستثمارات في الدولة التي لديها موارد مالية. تأثير على المدى الطويل مسؤولية الدولة".
2- ""جعل النص صلاحية الرقابة بالفحص جوازيه للديوان وتتوقف على قرار من مجلس الرقابة المالية"".
3- ""ندعو المشَّرع إلى تعديل هذه الفقرة إلى الصيغة الآتية"":

" إجراء مراجعة للقروض والاستثمارات المقدمة إلى الكيانات البيروقراطية للتأكد من أنها تتماشى مع الغرض الذي قدمت من أجله والنظام العام ، ومراجعة المنح والإعانات "والتسهيلات والامتيازات المالية المخصصة لها بناءً على طلب" هذه الكيانات أو الكيانات الأخرى في الدولة متطلبات وكالة أو سلطة تجري الوكالة الضوابط والتدقيق وفقًا للمعايير والقواعد والمبادئ المحلية والدولية [58], ""يقوم الديوان بأداء اختصاصه في موقع الجهات الخاضعة له أو" في" موقع مقرات الديوان وعلى الجهات المعنية الخاضعة لرقابته تهيئة المكان المناسب لعمل موظفي الديوان""[59].

"على الرغم من تنوع الصلاحيات ، يفرض القانون التزامات على الديوان ، والتي تشمل التزامًا بإخطار النيابة العامة أو هيئة النزاهة أو السلطات المختصة عند اكتشاف مخالفات مالية تشكل جرائم."[60]""ويلزم بأشعار مجلس الوزراء باي خلاف ينشأ مع الجهات الخاضعة إلى رقابته لاتخاذ قرار فيها وفي حالة عجزه عن حسم الخلاف فعليه بإشعار مجلس النواب"[61], "ولم يغفل المشرع عن طبيعة النظام السياسي في البلاد ، والذي يعتبر بموجب الدستور نظامًا اتحاديًا ديمقراطيًا تعدديًا ، والذي أضافه إلى ولايته السابقة للإشراف على هيئة الرقابة المالية للإقليم ، ولتحقيق هذا الهدف ، مما مكنه من الاطلاع على التقارير الرقابية الصادرة عن هيئة الرقابة المالية بالمنطقة لتوحيدها في تقرير ديوان المحاسبة. التنظيم المالي في المنطقة وفق الآليات المعتمدة من مجلس الرقابة المالية في ديوان الرقابة المالية الاتحادي""[62].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

"""""الفرع الثالث : "العلاقة بين هيئة النزاهة وديوان الرقابة المالية الاتحادي"""""

"""""ان علاقة التعاون بين الديوان والهيئة فتظهر" بوضوح "في النصوص التشريعية في كلا القانونين وذلك حتى يضمن نجاح عملهما في منع ومكافحة الفساد" ، "وبين قانون هيئة النزاهة وأوجب عليها عند قيامها بواجباتها التعاون مع ديوان الرقابة المالية الاتحادي"""""[63]. "عندما يقوم ديوان بالإشراف والتدقيق على حسابات الوحدات التابعة له للتأكد من سلامة التصرف في أمواله العامة ، وعندما يفضح إهدار الأموال العامة وتزوير واختلاس الأموال العامة ، يجب عليه رفع الأمر إلى كبير المفتشين للتحقيق الإداري ، وتقديم تقرير إلى هيئة النزاهة ووكالات التحقيق الأخرى [64]. "بالنظر إلى أن الهيئة هي الجهة المختصة بالتحقيق الجنائي والإجراءات الجنائية ، يمكن للمديرية أن تحيل مباشرة إلى هيئة النزاهة ، بعد تحقيق إداري من قبل المديرية ، حالات الفساد المالي والإداري في الجهات التي ليس لديها مكتب تابع للمديرية. المفتش العام ، وعندما تكتشف هيئة الرقابة المالية وجود جريمة فساد ، يمكن اخبار هيئة النزاهة أو يحول القضية اليها ، مما يعكس التعاون بين هيئة وديوان الرقابة في عام 2011 ، أحالت هيئة الرقابة المالية عددًا من قضايا الفساد المالي إلى مكتب هيئة النزاهة في الديوانية لإجراء التحقيق فيها." [65]. "وفي مجال التعاون مع الهيئة ، يمكن للهيئة طلب التدقيق المالي في حالات الفساد المالي بعد تزويدها بالمستندات اللازمة. سيقوم المكتب بتنفيذ التفويض وإمداد السلطة بالنتائج. ولم يكتف هذا التعاون ، فقد كثف المشرع ذلك من خلال مطالبة هيئة الرقابة المالية ، عندما تقترح خطتها الرقابية ، بأن تتضمن الخطة عمله مع هيئة النزاهة و مكتب المفتش العام"[66]. " إذا رفضت الجهات التي يشرف عليها الديوان تقديم السجلات والبيانات اللازمة لعملها الرقابي ، فسيقوم المكتب بإخطارها وإبلاغ مكتب المفتش العام بضرورة تقديمها في غضون فترة زمنية معينة وشرح أسباب عدم التقديم. [67]. "تساعد حالة التعاون هذه على إجبار الجهات الخاضعة لسيطرة الديوان على تزويد الديوان بجميع الوثائق والمعلومات التي يحتاجها. كما أدى إلى استمرار الملاحقة الصارخة للفساد المالي والإداري من قبل الأجهزة الرقابية من خلال الوثائق والبيانات المخفية. يتطلب المكتب تعاون الوكالات المختلفة للقيام بأنشطته." [68] .

"فيما يخص العلاقة الرقابة المتبادلة بين ديوان الرقابة وهيئة النزاهة فنجد نصوص قانوني الجهازين تنص على ذلك فتخضع الهيئة إلى رقابة الديوان وتدقيقه" [69] . "من الناحية المالية والمحاسبية ، بالنظر إلى أن المكتب هو أحد إدارات الدولة التي لديها ميزانية وتدير الأموال العامة ، فإن الغرض من الهيئة هو حماية الأموال العامة من سوء الاستخدام والهدر. لذلك يجب أن تكون تحت رقابة الديوان ، لأن الديوان يشرف على الأموال العامة ويراقبها في كل مكان ، ولا يمنع القانون الهيئة من الرقابة والتدقيق من قبل الديوان ، لذا فهي تخضع لها كغيرها من الأجهزة والإدارات. من البلاد رقابة وتدقيق وإخضاع الأموال العامة بأي شكل من الأشكال" [70] ،""ويرفع تقريره بشأن عمله الرقابي على هيئة النزاهة إلى مجلس النواب ، ويعلنها كذلك على وسائل الإعلام والجمهور"[71] ، "وهذا يساعد على زيادة ثقة الجمهور ووسائل الإعلام في عمل الهيئة والديوان. باعتبار أن مهمة الهيئة هي منع الفساد ومكافحته وحماية المال العام من الفساد. وساهمت رقابة الديوان على أمواله في زيادة شرعية ممارساته المالية والتعامل مع حالات التجاوزات. يتم التصرف في الأموال العامة الموجودة فيها في غضون فترة زمنية قصيرة من خلال رقابة وتدقيق المكتب ، ولا يوجد سبب يمنع اللجنة من الخضوع لرقابة المكتب. وظيفة اللجنة هي منع الفساد ومكافحته ، لذا من الضروري التعاون مع الديوان وقبول إشرافه وتدقيقه ، حتى يتمكن من محاربة الفساد قبل أن يبدأ. مكافحة الفساد في قطاع الدولة ومع ذلك ، يتم اكتشاف الفساد المالي في الغالب من خلال عمليات التدقيق الخارجية ، على الرغم من أنها ليست الجهة الوحيدة المسؤولة عنه" [72]. " يلعب الديوان

دورًا مهمًا في كشف الفساد المالي ، سواء داخل إدارة النزاهة الداخلية وخارجها في مختلف أجهزة الدولة. أما بالنسبة لإشراف إدارة النزاهة المؤسسية على الهيئة العليا للرقابة المالية ، فلها سلطة التحقيق في أي قضية فساد ، سواء كانت تتعلق بموظفي الديوان أو غيرهم من موظفي الدولة. السلطات: يمنح هذا لموظفي المكتب حصانة من الرقابة من قبل وكالة مستقلة مثل هيئة النزاهة من إشراف وكالة تنفيذية من شأنها أن تؤثر عليها ، إذا كانت خاضعة لها ، ويزيد من ثقة المكتب كمراقب أمام الوكالات الأخرى ، المالية عندما عند ممارسة صلاحيات التحقيق في قضايا الفساد من قبل هيئة الرقابة المالية ، تحترم الهيئة الرقابية وظائف وصلاحيات الهيئة ولا تتدخل في مهامها وأعمالها. [73] "كذلك يلتزم الديوان بتزويد الهيئة بما تطلبه من وثائق وأوليات تتعلق بالقضية المراد التحقيق" فيهاط [74]

المبحث الثاني

الاطار القانوني لمكافحة الفساد في ظل اتفاقية الامم المتحدة وموقف العراق منها

تشكل ظاهرة الفساد المالي والاداري تحدياً كبيراً في مجتمعات كثيرة لما لها من أضرار تتمثل في زيادة كلفة الخدمة العامة وسوء ادارتها وتبدد عدالتها وهدر مبدأ تكافؤ الفرص واعاقة آليات السوق وتوقف المنافسة مما ينسحب سلباً على قيم العدالة الاجتماعية والجانب السياسي فضلا عن حقوق الانسان .

ولمكافحة تلك الظاهرة ، أُبرمت على المستوى الدولي اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد المالي والاداري عام ٢٠٠٣ ، حيث تمثل تلك الاتفاقية استراتيجية شاملة لمكافحة الفساد، كونها تعتمد على آليات تشريعية وأخرى ،ادارية وهي تعمل على آلية لمواكبة التنفيذ وتعمل على نوع من التعاون القضائي بين الدول الاطراف وحيث أن العراق هو أحد اطراف الاتفاقية ، وبغية الاستفادة من قواعدها واحكامها وما يمكن أن تقدمه الدول الاطراف لبعضها في هذا الشأن ، وفي ضوء التشريعات الوطنية العراقية المعنية بمجموعة القواعد القانونية ذات العلاقة ، لا سيما تلك المتعلقة بإنشاء الأجهزة الرقابية والاطار التشريعي لعملها وكذلك التشريعات التي تنص على تجريم المساس بالمال العام والعقوبات التي تترتب عليها ، كل ذلك لمعرفة مدى موائمة تلك التشريعات واحكام اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد المالي والاداري[75].

المطلب الاول : الإحكام التي تضمنتها اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد

تعد اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد اطاراً مرجعياً لمكافحة الفساد ومنعه على الصعيدين الوطني والدولي ، حيث أعد مشروع الاتفاقية بمبادرة من الجمعية العامة للأمم المتحدة بالقرار رقم ٥٥/٦١ في ٤/٢٠٠٠/١٢ ، ومن خلال القرار اشارت الجمعية العامة على "أن للفساد أثر ناخر في الديمقراطية والتنمية وسيادة القانون والنشاط الاقتصادي ، وطلبت من الأمين العام" للأمم المتحدة توجيه دعوة لفريق يكون باب العضوية فيه مفتوحاً "من الخبراء الحكوميين الدوليين" ليتولى دراسة واعداد مشروع نطاق الاختصاص لأجل التفاوض بشأن الصك القانوني المقبل لمكافحة الفساد ، كما قررت إنشاء لجنة مخصصة للتفاوض بشأن هذا الصك لكي تبدأ اعمالها حالما يعتمد مشروع نطاق الاختصاص الخاص لهذا التفاوض ، ثم اصدرت الجمعية العامة القرار رقم ٥٦ / ٢٦٠ في ٣١ / ايلول / ٢٠٠٢ قررت بموجبه قيام اللجنة المخصصة للتفاوض إلى القيام بواجبها بشأن التفاوض على اتفاقية واسعة النطاق وفعالة يشار إليها باسم اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد ، وفي الفترة من 9- ١١ / كانون الأول / ٢٠٠٣ عقدت مراسيم "التوقيع على الاتفاقية في مؤتمر سياسي رفيع المستوى عقد في ميريدا بالمكسيك" ، وفي ١٤/١٢/٢٠٠٥ دخلت الاتفاقية حيز النفاذ وبشأن الإحكام التي تضمنتها الاتفاقية في مجال مكافحة الفساد المالي والاداري .(76)

الفرع الاول : "الاطار التشريعي لتجريم أعمال الفساد"

""تكاد تكون اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد لا تخلو من تجريم جميع"" الأفعال المتعلقة بالفساد ، ومن هذا الاطار "نود أن نشير إلى الميزات التي تضمنتها الاتفاقية في هذا الشأن":-

1- تجريم جميع افعال وصور الفساد سواء التقليدية أو غير التقليدية ، مثل الرشوة و اختلاس الاموال العامة ، المتاجرة بالنفوذ ،و اساءة استغلال الوظائف و اعاقة سير العدالة .[77]

2- تضمنت إحكام الاتفاقية نصوصاً تلزم تجريم افعال الرشوة في القطاع الخاص ، فضلاً عن تجريمها في القطاع العام ، حيث الزمت كل دولة طرف في النظر ما قد يلزم من تدابير تشريعية وتدابير اخرى لتجريم الأفعال التي تشكل جريمة الرشوة عندما ترتكب عمداً أثناء مزاولة انشطة اقتصادية أو مالية أو تجارية من قبل شخص يدير كياناً تابعاً للقطاع الخاص .[78]

3- جرمت إحكام الاتفاقية الأفعال التي تشكل جريمة من جرائم الفساد سواء ارتكبت من قبل الموظف الوطني أو الموظف العام الاجنبي أو الموظف العام في المؤسسة الدولية، كما انها قررت المسؤولية الجنائية للأشخاص الاعتبارية حين يمكن مسائلتهم عن جرائم الفساد واخضاعها لعقوبات جنائية وغير جنائية ، دون المساس بإمكانية مسائلة الأشخاص الطبيعيين الافراد الذين ارتكبوا هذه الجرائم.[79]

4- استحدثت إحكام الاتفاقية تجريم بعض الأفعال ووسعت من نطاق تجريم اخرى ، مثل تجريم عرقلة سير العدالة ، حيث تعد جريمة عرقلة سير العدالة من خلال التأثير على الشهود أو الموظف المنوط به تنفيذ القانون احد العقبات الرئيسية لمكافحة الفساد ، ويشمل ذلك استخدام القوة البدنية أو التهديد أو الوعد بمزية غير مستحقة أو عرضها أو منحها ، للتحريض على الادلاء بشهادة زور أو للتدخل بالأدلاء بشهادة زور أو تقديم الادلة ، أو استخدامها للتدخل في ممارسة أي موظف قضائي أو مكلف بتنفيذ القانون .[80]

كما أنه يوسع نطاق تجريم جميع أفعال الفساد ، بما في ذلك التدابير التشريعية وغيرها من التدابير الضرورية المتعلقة بالمشاركة كشريك أو مساعد أو محرض في السلوك المُجرم بموجب الاتفاقية. جرائم الفساد المنصوص عليها في الاتفاقية يعتبر النظام الجنائي لمكافحة الفساد فعالاً من ناحية ، ومن ناحية أخرى متنوع ، مما يجعل أحكامه فعالة من خلال الحد من حصانة بعض الموظفين ، حيث تسمح أحكام الاتفاقية لكل دولة طرف باتخاذ ما يلي: وفقًا لأنظمتها الداخلية ومبادئها الدستورية ، والتدابير التي قد تكون ضرورية لإنشاء أو الحفاظ على توازن بين أي حصانة أو امتيازات قضائية ممنوحة لموظفيها العموميين في أداء وظائفهم وإمكانية ، إذا لزم الأمر ، للكشف الفعال ومقاضاة و المقاضاة وفقًا لهذه الاتفاقية. [81]

الفرع الثاني: النظام الاجرائي "للملاحقة القضائية للمتهمين بجرائم الفساد"

تأتي اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد مع عدد من الإجراءات الإجرائية التي يمكن تلخيصها على النحو التالي:-

اولا: الشروع في نظام لاسترداد عائدات جرائم الفساد ، حيث أن معظم المتهمين بجرائم الفساد يخفون عائداتهم في الخارج ، تتطلب اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد من الدول الأطراف أن تقدم بعضها البعض أقصى قدر من التعاون والمساعدة في هذا المجال.[82]

وللحد من تحويل العائدات المتأتية من آية جريمة من جرائم الفساد ، فقد فرضت إحكام الاتفاقية على الدول الاطراف أن تتخذ جملة من القواعد تهدف لمنع وكشف احالة هذه العائدات ، حيث فرضت التزاماً على المؤسسات المالية التحقق من هوية الزبائن ومن اتخاذ الإجراءات اللازمة لتحديد هوية المالكين المنتفعين للأموال المودعة في حسابات عالية القيمة، كما فرضت على هذه الدول أن "تجري فحصاً دقيقاً"

للسحابات التي يطلب فتحها أو يحتفظ بها من قبل "أو نيابة عن افرد مكلفين أو سبق أن كلفوا بأداء وظائف عمومية هامة أو افراد اسرهم أو أشخاص" وثيقي الصلة بهم.[83]

ثانيا: تعزيز التعاون القضائي الدولي بكافة صورة وآلياته ، على أن هذا التعاون يمكن أن نلاحظه من خلال ثلاثة مظاهر :-

أ- "التعاون في مجال المساعدة التقنية من خلال التدريب على الأجهزة التي" تعمل في الكشف عن جرائم الفساد .

ب- التعاون الذي يتعلق بالمسائل المدنية والادارية ، فجرائم الفساد غالباً ما تتصل بمسائل ادارية ومدنية فضلاً عن المسائل الجنائية .

ج- التعاون الدولي في المجال الجنائي لمكافحة الفساد وأشكاله ، ونقل الأشخاص والإجراءات ، والتعاون في التحقيقات المشتركة ، والتعاون في مجال إنفاذ القانون وتطبيقه ، وتسليم المشتبه فيهم أو المدانين ، والمساعدة القانونية المتبادلة ، وفي الحالات التي يتم فيها تسليم المجرمين غير ممكن ، تحدد نصوص الاتفاقية ، والثاني أن الاتفاقية تحتوي على مبدأ هام ، ألا وهو عدم رفض تسليم المتهم على أساس جرائم المتهم. الطبيعة السياسية.[84]

ثالثا: التوسع بمعايير الولاية القضائية وتحقيق التكامل بينها ، فمن المعلوم أن الجرائم تخضع وفقاً للقواعد الشكلية، إلى المحكمة المختصة ، وبالتالي فأن إحكام الاتفاقية أخذت في التوسع في معايير الاختصاص وتحقيق التكامل بينها بغية المساعدة في عدم الافلات من المحاكمة لمرتكبي جرائم الفساد ، هذه المسألة تعد على قدر من الاهمية بغية سد الثغرات وذلك بالأخذ وفقاً لأربعة معايير للاختصاص القضائي وهي :

أ – "معيار الاقليمية" .

ب "معيار الشخصية" .

ج "معيار العلمية" .

د – "معيار العالمية".

رابعا: تعزيز سبل الكشف عن جرائم الفساد وتشجيع الابلاغ عنها ، حيث أن جرائم الفساد غالباً ما تتصف بالكتمان ، فالموظف أو المكلف بخدمة عامة ، لاسيما الكبار منهم ، غالباً ما يحاولون استغلال سلطاتهم في منع ظهور جريمة الفساد ، على أن إحكام الاتفاقية وضعت أربعة آليات للتصدي لتلك الظاهرة من خلال ما يلي :[85]

أ- "الحد من الحصانات القضائية للموظفين أو المكلفين بخدمة عامة"

ب- "تقرير التعاون بين سلطات التقصي والاتهام" .

ت- "تقرير معادلة عقابية منخفضة للمتعاونين في الكشف عن جرائم الفساد"

ث- "تشجيع الابلاغ ووضع برامج الحماية الشهود" .

من خلال قراءة بنود الاتفاقية ، نجد أن أحكامها مصممة لحماية أولئك الذين شاركوا أو شاركوا في ارتكاب جرائم بموجب الاتفاقية ، من أجل تشجيع هؤلاء الأشخاص على تقديم معلومات مفيدة للدولة. الجهات المختصة لأغراض التحقيق ومساعدة السلطات المختصة في حرمان واسترداد عائدات الجريمة وحماية الشهود والخبراء والمبلغين. يُلزم الفساد بموجب اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة كل دولة طرف باتخاذ التدابير المناسبة ، وفقًا لنظامها القانوني المحلي وفي حدود قدراتها ، لتوفير الحماية للشهود والخبراء والمبلغين عن المخالفات. كما يوسع نطاق الحماية المنصوص عليها في هذا الحكم ليشمل أقاربهم ، وإذا لزم الأمر ، الأشخاص الآخرين الذين تربطهم بهم صلة وثيقة ، مما يزيد من شموليته..[86]

خامسا: إنشاء هيئات تحقيق مشتركة ، على النحو المبين في أحكام اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد ، على أساس الاتفاقات أو الترتيبات الثنائية أو المتعددة الأطراف ، وإمكانية إنشاء هيئات تحقيق مشتركة بشأن المسائل المتعلقة بالتحقيقات أو الملاحقات أو الإجراءات القضائية في واحدة. أو أكثر من الدول ، مع مراعاة الاحترام الكامل لسيادة الدولة الطرف التي سيتم إجراء مثل هذه التحقيقات في أراضيها ، والإشارة إلى أن الاتفاقية ، مع عدم إنشاء هيئة تحقيق دائمة ، تسمح للأطراف في الدولة بإجراء تحقيق مخصص الهيئات بموجب اتفاق ثنائي أو متعدد الأطراف ، في حالة عدم وجود اتفاق ، وتوافق على إجراء تحقيقات مشتركة في شكل اتفاق حسب مقتضى الحال.[87]

المطلب الثاني: مدى موائمة التشريعات العراقية واحكام "اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد المالي والإداري".

تطرقنا فيما سبق إلى الاطار التشريعي لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد المالي ، حيث تضمنت الاتفاقية وفي الفصل الثالث تحت عنوان التجريم وأنفاذ القانون جرائم عدة ، وبالمقارنة مع التشريعات العراقية يمكن الإشارة إلى أن ما جاء به المشرع العراقي قد يتطابق احياناً ويتمايز احياناً اخرى بالنسبة لوصف جرائم الفساد المنصوص عليها في الاتفاقية.

ففيما يتعلق بجريمة الرشوة نجد أن النموذج القانوني لتلك الجريمة جاء به المشرع العراقي في قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ ، وهي تكاد لا تختلف من حيث ضرورة توافر ركنين مادي ومعنوي يسبقهما الركن الخاص المتمثل بصفة الموظف العام ، حيث عرفت الاتفاقية الموظف العام بانه أ- أي شخص يشغل منصباً تشريعياً أو تنفيذياً أو ادارياً أو قضائياً لدى دولة طرف سواء اكان معيناً أو منتخباً دائماً أو مؤقتاً ، مدفوع الاجر أم غير مدفوع الاجر وبصرف النظر عن اقدمية ذلك الشخص . ب - أي شخص أخر يودي وظيفة عمومية حسب التعريف الوارد في القانون الداخلي للدولة الطرف . وبالمقارنة مع ما جاء به المشرع العراقي من تعريف واسع للمكلف بخدمة عامة ليشمل جميع ما جاءت به الاتفاقية من فقرات .[88]

"إما الركن المادي لجريمة الرشوة ، فنجد أن إحكام الاتفاقية لا تختلف وبما جاء به المشرع العراقي من حيث طلب أو قبول الموظف أو المكلف بخدمة عامة لمزية غير مستحقة أو وعد" لأجل القيام بعمل أو الامتناع عن عمل من أعمال وظيفية إلا أن مناط الاختلاف بين النصين هو أن قبول المزية غير المستحقة أو الوعد بها وفقاً لنص الاتفاقية يمكن أن تكون لصالح الموظف نفسه أو لصالح شخص أخر أو كيان أخر ، ويبدو أن اصطلاح كيان أخر لم يرد في نص قانون العقوبات العراقي .[89]

وبشأن الركن المعنوي لجريمة الرشوة ، فهي جريمة عمدية ينبغي لقيامها قانوناً العلم والارادة , إما ما جاءت به الاتفاقية من إحكام تتعلق بتجريم رشوة الموظفين العمومين الاجانب وموظفي المؤسسات الدولية استجابة لتشابك وتداخل العلاقات والانشطة بين المؤسسات الدولية والدول من ناحية وبين الكيانات الاقتصادية الدولية وغيرها من الكيانات الاخرى فنجد أن ايراد عبارة أو مكلف بخدمة عامة المنصوص عليها في قانون العقوبات العراقي يمكن أن تتسع على وجه العموم والاطلاق لتشمل جميع الموظفين أو المكلفين بخدمة عامة بصرف النظر عن صفاتهم أو جنسياتهم .[90]

وبالانتقال إلى جريمة الاختلاس ، فنجد أن المشرع العراقي قد عالج هذه الجريمة على النحو الذي يتمثل بتوافر عنصر الاختلاس من افعال الاستيلاء المقترن بنية التملك ، وكذلك الانتفاع مباشرة أو بالواسطة من الاشغال أو المقاولات أو التعهدات التي له شأن في احالتها أو تنفيذها أو الإشراف عليها ، أو استخدام العمال في السخرة أو احتجاز مستحقاتهم واخذ اجورهم لنفسه أو قيد أسماء أو أشخاص وهميين أو حقيقيين

إلا انهم لم يقوموا بأي عمل في الاشغال واستولى على اجورهم لنفسه أو اعطاها لهؤلاء الأشخاص مع احتسابها على الحكومة ,إما محل الاختلاس ، فيعني الاموال أو الممتلكات أو الاوراق المالية سواء كانت عامة أم خاصة أو آية اشياء اخرى ذات قيمة ولكن يشترط أن تكون هذه الاموال أو الاشياء قد سلمت إلى الموظف بسبب وظيفته. (91)

واما جريمة الاتجار بالنفوذ ، والتي تتمثل في قيام الموظف أو أي شخص أخر باستغلال نفوذه الفعلي أو المفترض للحصول من الإدارة أو السلطة العامة التابعة للدولة على مزية غير مستحقة وذلك مقابل أي مزية لصالحه أو لصالح شخص آخر ،فنجد أن هذه الجريمة قد اشارت إليها إحكام اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد المالي والاداري بينما لم نجد في قانون العقوبات العراقي نص خاص يتعلق بتجريم المتاجرة بالنفوذ ، ما خلا تجريم بعض الأفعال التي تعد قريبة منه ، ومنها قيام موظف أو مكلف لخدمة عامة التوسط لدى حاكم أو قاضي محكمة لصالح احد الخصوم أو أضراراً به كما جرم فعل الاستجابة إلى التوسط عند القضاة.(92)

علما بأن مشروع قانون مكافحة الفساد العراقي يتضمن حكما يجرم كل من أشكال معاملات المتاجرة بالنفوذ الفعلي والسلبي ، حيث أنه ينص على أن كل من يعطي أو يقدم أو يعرض أو يعد بموظف أو مسؤول عن خدمات يعاقب بالسجن لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات وغرامة لا تقل عن عشرة ملايين دينار. بشكل عام ، أي شخص يمنحه بشكل مباشر أو غير مباشر ميزة أو ميزة غير لائقة من أجل الاستفادة منه لغرض الحصول على ميزة غير لائقة له أو لصالح إدارة أو سلطة عامة أخرى ، أو من كيان في القطاع العام. لذلك ، يجب على المشرعين العراقيين الإسراع بسن قوانين لمكافحة الفساد بهدف الاستجابة تشريعيًا للاتفاقية لتكون أكثر اتساقًا وتوافقًا مع أحكامها ، فضلًا عن سن قوانين أخرى مطلوبة يفرضها عامل قانوني مهم وهو انضمام العراق. والتصديق على اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد وبشأن جريمة الاثراء غير المشروع ، أو ما يعرف من اين لك هذا كصورة من الفساد ، فقد اثارت جدلاً فقهياً وقانونياً ، ذلك أن هذه الصورة تعد من صور الفساد المراوغ الذكي الذي ينفذ من ثغرات النصوص متلبساً بمبدأ شرعية الجرائم والعقوبات ولازمته المنطقية التي توجب تفسير النصوص الجزائية تفسيراً ضيقاً ، لان جريمة الاثراء غير المشروع تمثل انتهاكاً لقرينة البراءة أو بالأقل شبهة المساس بها لدى الكثيرين ، كونها تعد نقلاً لعبء الاثبات من حيث توجب على المشتبه فيه أو المتهم أن يثبت بنفسه براءته من خلال الزامه بأثبات مشروعية مصدر الاموال التي تزيد زيادة كبيرة عن دخله العادي ، فيما يرى آخرون أن القرينة تشير إلى اثبات عكسها ، لذلك نجد أن إحكام اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد ، جعلت هذه الصورة من التجريم مناطاً بدستور الدولة والمبادئ الأساسية لنظامها القانوني ، وهو ما لم تنص عليه بشأن جرائم أخرى لا يثور بشأنها الخلاف حول المشروعية.(93)

"وقد عالج قانون مفوضية النزاهة العامة في العراق في القسم السابع والثامن منه" الإحكام "الخاصة بالكشف عن المصالح المالية والذي يسري بالتحديد على" المسؤولين الكبار في الدولة ، كما اعدت هيئة النزاهة مشروع قانون الكسب غير المشروع ، وبينت أن من الأسباب الموجبة في القانون هي حماية المال العام ، واخضاع الذين يستغلون مناصبهم الوظيفية في الاثراء غير المشروع إلى المسألة القانونية .(94)

وعلى صعيد غسل أو تبيض الاموال ، والتي حاولت اتفاقية الأمم المتحدة أن تضع حلولاً للصعوبات والمشكلات القانونية الناشئة عن هذه الظاهرة ، حيث تضمنت المادة ٢٣ من الاتفاقية النموذج القانوني للجريمة الخاصة بغسل العائدات الاجرامية ، واذا تتبعنا إحكام هذه المادة من الاتفاقية نجد أن التشريع العراقي جاء متوافقاً بشكل كبير مع احكامها ، حيث صدر أمر سلطة الائتلاف المؤقت رقم ٩٣ لسنة

٢٠٠٤ ، قانون مكافحة غسيل الاموال ، والذي اعتبر كل من يدير أو يحاول أن يدير تعامل مالي يوظف عائدات بطريقة لنشاط غير قانوني عارفاً بأن المال المستخدم هو عائدات بطريقة ما لنشاط غير قانوني أو كل من ينقل أو يرسل أو يحيل وسيلة نقدية أو مبالغ تمثل عائدات بطريقة ما لنشاط غير قانوني عارفاً بأن هذه الوسيلة النقدية أو المال يمثل عائدات بطريقة ما لنشاط غير قانوني وفي عام ٢٠١٥ صدر عن المشرع العراقي القانون رقم ٣٩ تحت عنوان ، قانون مكافحة غسل الاموال وتمويل الارهاب ، حيث عد القانون مرتكب الجريمة غسل الاموال كل من قام بتحويل الاموال أو نقلها أو استبدالها من شخص يعلم أو كان عليه أن يعلم انها متحصلات جريمة ، لغرض اخفاء أو تمويه مصدرها غير المشروع أو مساعدة مرتكبها أو مرتكب الجريمة الأصلية أو من يساهم في ارتكابها أو ارتكاب الجريمة الأصلية على الافلات من المسؤولية عنها ، وكذلك كل من قام بإخفاء الأموال أو تمويه حقيقتها أو مصدرها أو مكانها أو حالتها أو طريقة التصرف فيها أو انتقالها أو ملكيتها أو الحقوق المتعلقة بها ، من شخص يعلم أو كان عليه أن يعلم وقت تلقيها انها متحصلات جريمة ، فضلاً عن اكتساب الاموال أو حيازتها أو استخدامها من شخص يعلم أو كان عليه أن يعلم وقت تلقيها انها متحصلات جريمة .[95]

وبشأن جريمة الاموال المتحصلة عن جرائم الفساد ، تلك الجريمة التي قد تشترك في العديد من العناصر مع جريمة غسل عائدات الفساد، إلا أن اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد قد أوردت لها حكماً خاصاً في المادة ٢٣ ، يتميز في أن النموذج القانوني في هذه الجريمة هو أن هذه الجريمة من الناحية القانونية لا تتحقق إلا إذا جاءت مستقلة عن الجريمة الأصلية التي تحصلت منها الاموال التي يتم اخفاؤها ، ويبدو أن المشرع العراقي جاء منسجماً مع إحكام الاتفاقية، حيث نص قانون العقوبات العراقي، على عقوبة كل من حاز أو اخفى أو استعمل اشياء متحصلة من جناية أو تصرف فيها على أي وجه مع علمه بذلك . وفيما يتعلق بعرقلة سير العدالة والتي تضمنتها المادة ٢٥ من اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد المالي والاداري ، فنجد أن المشرع العراقي في قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ ، قد نضم هذه المسألة وبشكل يتسم بالشمول بالنظر إلى فئات الأشخاص التي يسبغ عليها الحماية .[96]

ووفقاً لم تقدم نرى ضرورة اقرار أو تعديل التشريعات التي قد لا تتناسب مع منظومة مكافحة الفساد ، إما لغرض فرض عقوبات وفقاً لتشريعات تتناسب وطبيعة العلاقات التي يمكن أن تظهر من خلال حالات الفساد ، أو تشديد العقوبات المترتبة على البعض الآخر ، أو حتى تغير التكييف القانوني لهذه الجرائم وهذه هي السياسة الجنائية الناجحة لتدارك واقع الفساد المالي والاداري المأساوي الذي يمر به العراق .

الخاتمة

بعد الانتهاء من دراسة الاطار القانوني الدولي والداخلي لمكافحة الفساد المالي والاداري في العراق أصبح من الضروري أن نوجز أهم الاستنتاجات والتوصيات .

اولا: الاستنتاجات

1- تستمد الأجهزة التي تقوم بالعملية الرقابية أساسها من القانون أي كانت مرتبة" ودرجة "والنص في الدستور عليها هي الميزة التي تعطيها الحرية في التكوين والاستقلال" ، "وعلى الرغم من النص في الدستور على علو ديوان الرقابة المالية من الناحية المالية والمحاسبية ، إلا أنه في الواقع هيئة النزاهة لها العلو لتمتعها باتخاذ اجراءات شبه قضائية"""".

2- إن أهداف إنشاء الأجهزة الرقابية وأسبابها موحدة في الغالب ، أي منع الفساد واتخاذ تدابير للسيطرة على الفساد ، والغرض من منع الفساد هو منع انحراف الوظائف الإدارية..

3- يعد مكافحة الفساد المالي والإداري وحماية أموال الدولة من الأهداف العليا التي تهدف هيئات الرقابة إلى تحقيقها ، لذلك يجب على المواطنين أن يرغبوا في نقل المعلومات المتعلقة بالفساد إلى هذه الهيئات الرقابية. بالإضافة إلى إعداد التقارير ، فإن هذا الأمر له أهمية خاصة """.

4- إحالة حالات الفساد المالي والإداري إلى جهة مختصة فيه وعدم جعله بيد الإدارة الواقع فيها حالة الفساد ، "فمن الممكن أن توجه التحقيق الإداري إلى الوجهة التي تخدمها والتي لا تمس سمعتها فيكون وسيلة للتستر على الفساد" ، وخصوصاً إذ اعتمد هذا التحقيق كقرينة في قضايا الفساد المالي والإداري أمام القضاء""" ".

5- هنالك حاجة ملحة لتنظيم العلاقة والتنسيق بين وكالات الرقابة ، والتي يمكن أن تساعد في حل التداخلات والاختلافات والتضارب في وظائف الرقابة لأن تركها بلا تنظيم وتنسيق يهدر الجهود المبذولة من قبلها"" ".

6- أن إحكام وقواعد اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد المالي والاداري وما اتسمت به من شمولية واتساع النطاق ، قد تضمنت تدابير تشريعية واخرى غير تشريعية فضلاً عن إحكام تتعلق بالتعاون الدولي ، إلا أن البناء القانوني لجرائم الفساد المشمولة بالاتفاقية لا تتوافر إلا في صورة الجرائم العمد ، وبالتالي تستبعد الاتفاقية من نطاق تطبيقها امكانية تحقق جرائم الفساد بطريق الاهمال أو التقصير أو الخطأ غير العمدي على وجه العموم .

7- تضمنت اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد المالي والاداري بعض الإحكام المتعلقة بصور جرائم الفساد ، اثارت الخلاف حول مدى اتفاقها مع المبادئ القانونية المسلم بها ، مثل جريمة الاثراء غير المشروع لمخالفتها قرينة البراءة ، كونها تنقل عبء الاثبات فتطالب المشتبه فيه أو المدعى عليه بأن يثبت هو براءته

ثانيا: التوصيات

1- يجب الحفاظ على استقلالية هيئة الرقابة الداخلية بحيث تكون بعيدة قدر الإمكان عن تدخل أجهزة الدولة الأخرى وعن التدخل السياسي حتى تتمكن من القيام بعملها بنزاهة ودون تأثير. " .

2- نوصي إدارة الرقابة الداخلية بالتأكد من الاختيار الصحيح للموظفين ، حيث أنهم يمثلون كادرًا مؤهلًا للقيام بأعمال الرقابة وضمان فعالية العمل المنوط بهم للنجاح بروح الفريق المتناغم. "

3- ندعو المشرع إلى تعديل آلية تعيين رؤساء الهيئات الرقابية ، من خلال ضمان فعاليتهم كرؤساء للهيئات من خلال ترشيحات الجهات الرقابية نفسها أو من قبل مجلس الرقابة الموحد. موظفي الهيئة الرقابية ويضيف شروطا أخرى لرئيس هيئة المراجعة مثل الخبرة وشروط التعليم العالي ".

4- تخويل جهاز الرقابة الداخلية ومنحه صلاحيات الاستقدام والقبض والتفتيش عند الكشف عن قضايا الفساد أو التحقيق في قضايا الفساد ، مع مراعاة حقوق الانسان ، مثل الجهات التي تخشى القبض عليها بسبب هروبها قبل الموافقة القضائية.

5- "ضرورة إعطاء أحد الأجهزة الرقابية صلاحية تلقي الشكاوى" من دون "غيرها وفحصها وجمع المعلومات عنها ومن ثم التحقيق فيها من قبل جهاز رقابي يمتلك مؤهلات التحقيق الإداري الحيادي""

.

6- الدعوة إلى تفعيل الدور الشعبي والعالم ومؤسسات المجتمع المدني في التوعيةً بضرورة منع وقمع الظواهر التي تشكل فسادا ماليا واداريا.

المصادر

اولا: الكتب

1- ابو دية , احمد وعبد الرحمن ابو عرفة وعائشة احمد ، نظام النزاهة العربي في مواجهة الفساد, منظمة الشفافية الدولية ، المركز اللبناني للدراسات , 2004 .
2- الجاسمي , نوف جاسم, دور الدعم الفني في رفع كفاءة وفعالية الاداء المهني, بلا مكان طبع ونشر ، 2010 .
3- حوري , عمر, حسين عثمان محمد . القانون الدستوري ، ط1 , منشورات الحلبي الحقوقية , بيروت ، 2010 .
4- خالد شعراوي ، الاطار التشريعي لمكافحة جرائم الفساد دراسة مقارنة لتشريعات بعض الدول ،مركز العقد الاجتماعي وحدة البحوث والمتابعة والحوكمة ، القاهرة ، ٢٠١١
5- د, كريمة , علي كاظم, الرقابة المالية, دار الكتب للطباعة والنشر, بغداد , 1999.
6- د. أبو الخير, أحمد عطية عمر، نفاذ المعاهدات الدولية في النظام القانوني الداخلي، ط1 ،دار النهضة العربية، القاهرة, بدون سنه طبع
7- د. ابو عيد, , الياس نظرية الاختصاص في اصول المحاكمات المدنية والجزائية, منشورات زين الحقوقية, بيروت, 2004 .
8- د. الناهي ، , صلاح الدين الرقابة المالية العليا وديوان الرقابة المالية في العراق بين ماضيه ومستقبله ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، 1979.
9- د. جابر , وليد حيدر, التفويض في ادارة واستثمار المرافق العامة, دراسة مقارنة, ط1 ، منشورات الحلبي الحقوقية, بيروت , 2009 .
10-د. عبد الكريم , مصطفى ، القوة الملزمة الأتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد ودورها في استرداد الأموال، دار النهضة العربية، القاهرة، 2014 .
11-د.علي , خليل ابراهيم ، جريمة الموظف العام الخاضعة للتأديب في القانون العراقي ، دراسة مقارنة ، مطبعة الدار العربية ، بلا سنة طبع.
12-الشوبكي , عمر محمد, القضاء الاداري, ط4 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان , 2011 .
13- عبد الله , قاسم محمد, دور ديوان الرقابة المالية في تقويم أداء الخدمات العامة, مجلة القادسية للعلوم الادارية والاقتصادية , المجلد 9, العدد 4 ، 2007.
14-عبد المنعم , سليمان ، ظاهرة الفساد دراسة في مدى مواءمة التشريعات العربية لأحكام اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، 1990.
15-علي , خليل ابراهيم، جريمة الموظف الخاضعة للتأديب في القانون العراقي ، الدار العربية ، بغداد ، 1985 .
16- العيسوي , عبد الرحمن, سبل مكافحة الجريمة, ط1 ، دار الفكر الجامعي, الاسكندرية , 2006
17-المالكي, جعفر كاظم, المرجع في قضاء المحكمة الاتحادية العلياء ، ط1 ، العاتك لصناعة الكتب ، بلا سنة طبع ، القاهرة ،
18-الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الفساد في العراق ، للأعوام 2010-2014

ثانيا: الرسائل والاطاريح

1- الاسدي , حسين محسن علي ، استقلالية وفعالية أجهزة الرقابة في الوطن العربي ، رسالة ماجستير ، كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة بغداد ،سنة 1983 .
2- الاسدي , حسين محسن علي استقلالية وفعالية أجهزة الرقابة في الوطن العربي ، رسالة ماجستير . كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة بغداد ، 1983.
3- صاحب , أمجد ناظم, اختصاص هيئة النزاهة في التحري والتحقيق في قضايا الفساد الحكومي, رسالة ماجستير, كلية القانون ، جامعة بابل, 2010 ,
4- العبيدي: , حسين " الضمانات التأديبية للموظف العام في العراق "،اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية القانون، جامعة بغداد،1991.
5- النجار , محمد سالم صالح ، المجتمع المدني ودوره في مكافحة جرائم الفساد، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، بغداد، ٢٠٠٩ .

ثالثا: المجلات

1- د. الحيدري , جمال ابراهيم ، النماذج الاجرامية للفساد الاداري في قانون العقوبات العراقي، مجلة دراسات قانونية قسم الدراسات القانونية في بيت الحكمة، السنة السادسة العدد ٢٠ ، بغداد، ٢٠٠٧.
2- د. الزبيدي , نوار دهام دور الخبرة الوطنية في التوعية لمتطلبات تنفيذ اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد مجلة الحل القانونية تصدر عن هيئة حل نزاعات الملكية العقارية ، العدد 22 ، 2010.
3- علي , عزت عبد المنعم: الانحراف الوظيفي طريق الكسب الحرام، صحيفة الاهرام، العدد 42945، 5يونيو 2004.
4- قرار المحكمة الاتحادية العليا رقم 105/ الاتحادية/2011 في 2012/1/30 منشور في مجلة وقرارات المحكمة الاتحادية العليا لعم 2012, المجلد الخامس ، 2013.
5- الموسوي, وليد حسان الموسوي ،الفساد الاداري واليات معالجتة في التشريع العراقي,بحث منشورمجلة القانون للدراسات والبحوث القانونية,العدد1 ، 2009
6- النعيمي , عبد الواحد غادي ، دور المحاسبة والتدقيق في الحد من الفساد المالي والإداري ، بحث منشور في مجلة جامعة الأنبار للعلوم الاقتصادية والإدارية، 2014 ، المجلد 6

رابعا: البحوث

1- الجبوري , زياد خلف خليل, الرقابة المالية ودورها في تقويم الاداء المؤسسي دراسة استطلاعية عن الشركات الصناعية في محافظة نينوى بحث منشور على موقع ديوان الرقابة المالية العراق.
1- د. البديري , اسماعيل, الفساد الاداري والاقتصادي, اسبابه وعلاجه, بحث مقدم إلى المؤتمر القانوني , كلية القانون , جامعة كربلاء, 2008 ,
2- الموسوي , سالم روضان, التحقيق الاداري والتحقيق الجنائي, هيئة النزاهة , قسم البحوث والدراسات , بلا سنة نشر .
3- الموسوي, وليد حسان الموسوي ،الفساد الاداري واليات معالجتة في التشريع العراقي,بحث منشورمجلة القانون للدراسات والبحوث القانونية,العدد1 ، 2009,

4- ميري, كاظم، ود. هادي حسين، ود. عبد الرسول الرضا، استجابة القوانين العراقية لمتطلبات اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، كلية القانون/ جامعة بابل، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية ,الأنترنت, وعلى موقع هيئة النزاهة، nazaha.www،com.Iq

خامسا: الدساتير والقوانين

1- دستور جمهورية العراق لعام 2005.
2- قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم 30 لسنة 2011 المعدل .
3- قانون جهاز التفتيش المركزي في لبنان رقم 115 ا لسنة 1959
4- قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم 14 لسنة 1991 المعدل.
5- قانون الكسب غير المشروع على حساب الشعب رقم 15 لسنة 1958 النافذ.
6- قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي رقم 31 لسنة 2011 المعدل .
7- قانون ديوان الرقابة المالية رقم 6 لسنة 1990 الملغي
8- قانون الديوان رقم 194 لسنة 1980.
9- أمر سلطة الأئتلاف المؤقتة الملغي رقم 55 لسنة 2004 .

الهوامش

(1) الاستراتيجية الوطنية لمكافحة& الفساد في& العراق ، للأعوام (2010-2014)،"" ص96 .

(2)قسم (1) من أمر سلطة الائتلاف المؤقتة الملغي رقم 55 لسنة 2004 الذي نصَّ على إنشاء مفوضية عراقية تعنى بالنزاهة ولديها القدرة على تنفيذ وتطبيق قوانين مكافحة الفساد ومعايير الخدمة العامة

(3) القسم الأول من أمر سلطة الائتلاف المؤقتة الملغي رقم 55 لسنة 2004.

(4) المادة (102) من دستور العراق لعام "2005" .

(5) المادة (2) من قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم 30 لسنة 2011 المعدل .

(6) المالكي , "جعفر كاظم, المرجع في قضاء المحكمة الاتحادية العليا"" ، ط1 ، "العاتك لصناعة الكتب ، بلا سنة طبع ، القاهرة ، ص91 .

(7) قرار المحكمة الاتحادية العليا رقم (105)/ الاتحادية/2011 في 2012/1/30 منشور في مجلة وقرارات المحكمة الاتحادية العليا لعم 2012, المجلد الخامس ، 2013, ص84 .

(8) المواد (11 – 15) من قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم 30 لسنة 2011 المعدل .

(9) المادة (11/ أولا) من قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم 30 لسنة 2011 المعدل .

(10) ما يلاحظ على اجهزة الرقابة في البلدان العربية فأنها في غالبيتها تتبع للسلطة التنفيذية ولا تتمتع بالاستقلال. ومحدد عملها بمراقبة الالتزام بالإجراءات المقررة في عمل المؤسسات العامة في الدولة ، ينظر: قانون جهاز التفتيش المركزي في لبنان رقم 115 ا لسنة 1959

(11) الاسدي , حسين محسن علي ، استقلالية وفعالية أجهزة الرقابة في الوطن العربي ، رسالة ماجستير ، كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة بغداد ،سنة 1983 ص22.

(12) حوري , عمر, "حسين عثمان محمد . القانون الدستوري" ، ط1 ," منشورات الحلبي الحقوقية , بيروت ، 2010 , ص 82 " .

(13) العيسوي , "عبد الرحمن, سبل مكافحة الجريمة, ط1 ، دار الفكر الجامعي, الاسكندرية , 2006 , ص21 .

(14) المادة (3) من قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم 30 لسنة 2011 المعدل .

(15)"المادة (/3أولا) من قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم (30) لسنة 2011 المعدل .

(16) د. ابو عيد, , الياس نظرية الاختصاص في اصول المحاكمات المدنية والجزائية, منشورات زين الحقوقية, بيروت, 2004 , ص434 .

(17) المادة (13) من قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم (30) لسنة 2011 المعدل .

(18) المادة (3/ ثانيا) من قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم (30) لسنة 2011 المعدل .

(19) المادة (1) من قانون هيئة النزاهة قضايا الفساد التي تتولى الهيئة ممارسة الاختصاص التحقيقي فيها محددة في هذه المادة على سبيل الحصر .

(20) صاحب , "أمجد ناظم, اختصاص هيئة النزاهة في التحري والتحقيق في قضايا الفساد الحكومي, رسالة ماجستير, كلية القانون ، جامعة بابل, 2010 ," ص47 – 48 .

(21) الموسوي ," سالم روضان, التحقيق الاداري والتحقيق الجنائي, هيئة النزاهة , قسم البحوث والدراسات , بلا سنة نشر" , ص201

(22) د. جابر , "وليد حيدر, التفويض في ادارة واستثمار المرافق العامة, دراسة مقارنة", ط1 ، منشورات الحلبي الحقوقية, بيروت , 2009 , ص221 – 222 .

(23) " المادة (3/رابعا) من قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم 30 لسنة 2011 المعدل .

(24) "ابو دية , احمد وعبد الرحمن ابو عرفة وعائشة احمد ، نظام النزاهة العربي في مواجهة الفساد, منظمة الشفافية الدولية ، المركز اللبناني للدراسات , 2004" , ص64 .

(25) المادة (13/ثالثا) من قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم 30 لسنة 2011 المعدل .

(26) د. البديري , "اسماعيل, الفساد الاداري والاقتصادي, اسبابه وعلاجه, بحث مقدم إلى المؤتمر القانوني , كلية القانون , جامعة كربلاء, 2008 ," ص98 .

(27) المادة (3/سادسا) من قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم 30 لسنة 2011 المعدل .

(28) قواعد السلوك لموظفي الدولة والقطاع العام والقطاع الخاص رقم (1) لسنة 2006 المنشور في الوقائع العراقية رقم (4026) لسنة 2006 , ص906".

(29) المادة (4, 5) من قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم 14 لسنة 1991 المعدل.

(30) فالموظف يؤدي واجبات وظيفية حسب مقتضيات الوظيفة من دون أن تكون له نصوص محددة في القانون ، ينظر: علي , خليل ابراهيم، جريمة الموظف الخاضعة للتأديب في القانون العراقي ، الدار العربية ، بغداد ، "1985 ، ص35. "

(31) د. الشوبكي , "عمر محمد, القضاء الاداري", ط4 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان , 2011 , ص36 – 37.

(32) المادة (3 /خامساً) والمادة (17,16) من قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم 30 لسنة 2011 المعدل .

(33) "المادة (1) من قانون الكسب غير المشروع على حساب الشعب رقم (15) لسنة 1958 النافذ".

(34) المادة (18-19) من قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم 30 لسنة 2011 المعدل .

(35) "في القانون السابق للديوان رقم (6) لسنة 1990 حدد هذه المهمة بالتأكد من سلامة تطبيق القوانين والانظمة والتعليمات المالية, لان الديوان مختص في الرقابة المالية فقط وعدم ذكر كلمة المالية في نص المادة السادسة يجعل عمل الديوان واسع ويتأكد من تطبيق القوانين المالية وغير المالية".

(36) المادة (6 /أولا/ أ) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي رقم (31) لسنة 2011 المعدل" .

(37) "هناك تساؤل يطرح هل يتحمل الديوان المسؤولية عن الاعمال الرقابية التي" يقوم بها "من خلال الفحص والتدقيق للإنفاق العام كقيام الديوان بالتأكد من سلامة الانفاق العام وبعد فترة يظهر العمل الرقابي" الذي تقوم به "اجهزة رقابية اخرى بان هناك خلل في الانفاق العام وعدم سلامته, هل يتحمل الديوان المسؤولية عن ذلك, أم ان رقابة الديوان توفر الحصانة للعمل المراقب من قبله بالاستناد على تقارير الفحص الصادرة منه" .

(38) د. الشوبكي , عمر محمد, القضاء الاداري, مصدر سابق, ص21.

(39) المادة (6/أولا /ج) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي المعدل " .

(40) أن حصل خلاف بين الرأي الذي أبدى الديوان للجهات الخاضعة له في بيانات المالية وبين تقاريره الرقابية الخاصة بالفحص والتدقيق لتلك البيانات فإنَّ في هذه الحالة تأخذ تقارير الخاصة بالفحص والتدقيق بوصفها من مهام الديوان الأساسية ومن الممكن طرح الأمر على مجلس الرقابة المالية لاتخاذ إجراء يراه صحيح."

(41) المادة (6 /ثانيا) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي رقم 31 لسنة 2011 المعدل .

(42) د, كريمة , علي كاظم, الرقابة المالية, دار الكتب للطباعة والنشر, بغداد , 1999," ص95.

(43) "عبد الله , قاسم محمد, دور ديوان الرقابة المالية في تقويم أداء الخدمات العامة, مجلة القادسية للعلوم الادارية والاقتصادية , المجلد 9, العدد 4 ، 2007, ص"169.

(44) د. الجبوري , زياد خلف خليل, الرقابة المالية ودورها في تقويم الاداء المؤسسي دراسة استطلاعية عن الشركات الصناعية في محافظة نينوى بحث منشور على موقع ديوان الرقابة المالية العراق. ص 14."

(45) المادة (6/ ثالثا) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي المعدل .

(46) الجاسمي , "نوف جاسم, دور الدعم الفني في رفع كفاءة وفعالية الاداء المهني, بلا مكان طبع ونشر ، 2010 , ص 11."

(47) "المادة (2/ ثالثا) من قانون ديوان الرقابة المالية رقم 6 لسنة 1990 الملغي كذلك ينظر المادة (2) من قانون الديوان رقم 194 لسنة 1980 .

(48) " المادة (3 /أولا /ج) من النظام الداخلي لديوان الرقابة المالية رقم (1) لسنة 2012

(49) المادة (4 /أولا / أ ، ج , د) من النظام الداخلي لديوان الرقابة المالية رقم (1) لسنة 2012 .

(50) المادة (3 /سابعا) من النظام الداخلي لديوان الرقابة المالية الاتحادي .

(51) " المادة (8/ ثالثا/أ) من النظام الداخلي لديوان الرقابة المالية الاتحادي .

(52) "المادة (1) من تعليمات ديوان الرقابة المالية رقم "(1) "السنة 1995 المنشور في الوقائع العراقية في العدد 3578 لسنة 1995 ويتضمن تشكيل مجلس المعايير المحاسبية والرقابية في عضويته اعضاء خارج ديوان الرقابة المالية مثل مدير عام الهيئة العامة للضرائب ومدير عام سوق بغداد للأوراق المالية وغيرهم .

(53) "المادة (21) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي رقم 31 لسنة 2011 المعدل .

(54) "لمعرفة الجهات الخاضعة لرقابة ديوان الرقابة المالية الاتحادي ينظر المادة (8) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي رقم (31) لسنة 2011 المعدل واستثنى هذا القانون السلطة القضائية فيما يتعلق باختصاصها القضائي من الخضوع لرقابة وتدقيق الديوان ينظر المادة (9) من نفس القانون" .

(55) "المادة (13/ أولا) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي المعدل .

(56) اخذ بهذه الصلاحية المشَّرع المصري واعطاها للجهاز المركزي للمحاسبات في المادة (5/أولا/1/أ) .

(57) المادة (/13ثالثا) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي المعدل.

(58) المادة (11) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي رقم (31) لسنة 2011المعدل".

(59) المادة (12) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي رقم (31) لسنة 2011المعدل".

(60) المادة (16) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي رقم (31) لسنة 2011المعدل".

(61)"المادة (17) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي رقم (31) لسنة 2011 المعدل".

(62) المادة (28/ رابعا) من قانون ديوان الرقابة المالية لاتحادي المعدل رقم (31) لسنة 2011".

(63) المادة (21/أولا) من قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم 30 لسنة 2011 المعدل .

(64)المادة (21/رابعا) من قانون هيئة النزاهة: والكسب غير المشروع رقم 30 لسنة 2011 المعدل .

(65) بينها لي هذه المعلومة خلال لقاء شخصي مع احد محققي الهيئة في مكتب هيئة النزاهة في الديوانية .

(66) المادة (7/ ثانيا) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي رقم 31 لسنة 2011 المعدل .

(67) المادة (12/ثانيا ، ثالثا) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي قم 31 لسنة 2011 المعدل .

(68) د. الناهي ، , صلاح الدين الرقابة المالية العليا وديوان الرقابة المالية في العراق بين ماضيه ومستقبله ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، 1979 ، ص21 .

(69) المادة (27) من قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم (30)لسنة 2011.

(70) المادة (3 /أ) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي رقم 31 لسنة 2011 المعدل .

(71) المادة (27) من قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم 30 لسنة 2011 المعدل .

(72) النعيمي , عبد الواحد غادي ، دور المحاسبة والتدقيق في الحد من الفساد المالي والإداري ، بحث منشور في مجلة جامعة الأنبار للعلوم الاقتصادية والإدارية، 2014 ، المجلد 6 ، ص543 .

(73) المادة (15/ثانيا) من قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع (تضمن الهيئة خلال قيامها بواجبها ألا تتدخل في عمل ... وتحترم صلاحيات واختصاصات ...).

(74) المادة (5/ سابعا) من قانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع رقم 30 لسنة 2011 المعدل .

(75) "علي سكر عبود , صور واسباب الفساد الاداري والمالي , بحث منشور في مجلة القادسية للعلوم الادارية والاقتصادية , جامعة القادسية , كلية الادارة والاقتصاد المجلد 12" , العدد1 , 2010,ص92

(76) د. "عبد الكريم , مصطفى ، القوة الملزمة الأتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد ودورها في استرداد الأموال، دار النهضة العربية، القاهرة"، 2014 ،ص10

(77) نفس المصدر, ،ص8.

(78) "عبد المنعم , سليمان ، ظاهرة الفساد دراسة في مدى مواءمة التشريعات العربية لأحكام اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد"، 1990,ص،138.

(79) د. أبو الخير, أحمد عطية عمر، نفاذ المعاهدات الدولية في النظام القانوني الداخلي، ط1 ،دار النهضة العربية، القاهرة، ص208.

(80) خالد شعراوي ، الاطار التشريعي لمكافحة جرائم الفساد (دراسة مقارنة لتشريعات بعض الدول) ،مركز العقد الاجتماعي وحدة البحوث والمتابعة والحوكمة ، القاهرة ، ٢٠١١. ص82

(81) الموسوي, وليد حسان الموسوي ،الفساد الاداري واليات معالجتة في التشريع العراقي, بحث منشور مجلة "القانون للدراسات والبحوث القانونية",العدد1 ، 2009,ص41

(82) السراء, , محمد حسن ، الاتفاقيات العربية واتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد (تحليل نقدي مقارن) ، المجلة العربية للدراسات الامنية والتدريب ، المجلد الحادي والثلاثون ، العدد64 ، يناير 2016 .ص121

(83) عبد القادر , سيد احمد ابراهيم ، النظرية العامة لاسترداد الموجودات المهربة في القانون الدولي ، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية والاقتصادية ، كلية الحقوق قسم القانون العام ، 2017 .ص83

(84)مؤتمر الأمم المتحدة الحادي عشر لمنع الجريمة والعدالة الجنائية، بانكوك، ١٨-٢٥ نيسان/أبريل ٢٠٠٥ ،ورقة عمل أعدهتا الأمانة CONF/A.203/5" ،التعاون الدولي لمكافحة الإرهاب والعلاقات بين الإرهاب والأنشطة الإجرامية الأخرى في سياق عمل مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة"، الفقرة ٥٦.

(85) د. الزبيدي , نوار دهام دور الخبرة الوطنية في التوعية لمتطلبات تنفيذ اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد مجلة الحل القانونية تصدر عن هيئة حل نزاعات الملكية العقارية ، العدد 22 ، 2010 ,ص39

(86) عبد القادر , سيد احمد ابراهيم ، النظرية العامة لاسترداد الموجودات المهربة في القانون الدولي ، مصدر سابق, ص72

(87) ميري, كاظم، ود. هادي حسين، ود. عبد الرسول الرضا، استجابة القوانين العراقية لمتطلبات اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، كلية القانون/ جامعة بابل، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية ,الأنترنت, وعلى موقع هيئة النزاهة,ص75، nazaha.www‹com.Iq

(88) نفس المصدر,ص76

(89) د. الحيدري , جمال ابراهيم ، النماذج الاجرامية للفساد الاداري في قانون العقوبات العراقي، مجلة دراسات قانونية قسم الدراسات القانونية في بيت الحكمة، السنة السادسة العدد ٢٠ ، بغداد، ٢٠٠٧,ص32

(90) نفس المصدر,ص43

(91) "العبيدي: , حسين " الضمانات التأديبية للموظف العام في العراق "،اطروحة دكتوراه غير منشورة،كلية القانون، جامعة بغداد،1991"، ص23.

(92) "علي , عزت عبد المنعم: الانحراف الوظيفي طريق الكسب الحرام، صحيفة الاهرام، العدد 42945، 5يونيو 2004.ص98"

(93) النجار , محمد سالم صالح ، المجتمع المدني ودوره في مكافحة جرائم الفساد، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، بغداد، ٢٠٠٩ .ص87

(94) الاسدي , "حسين محسن علي استقلالية وفعالية أجهزة الرقابة في الوطن العربي ، رسالة ماجستير . كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة بغداد" ، 1983.ص43

(95) د. كريمة علي كاظم , الرقابة المالية , مصدر سابق, 1999.ص62

(96)" د. علي , خليل ابراهيم ، جريمة الموظف العام الخاضعة للتأديب في القانون العراقي ، دراسة مقارنة ، مطبعة الدار العربية ، بلا سنة طبع".ص92

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

حياد القاضي الدستوري في الإثبات إيجاباً وسلبا

ثامر محمد اسماعيل
باحث دكتوراه

(المستخلص)

لاشك إن معظم مجتمعات دول العالم تحكمها دساتير وضعت من قبل المشرع لتنظم العلاقة بين السلطات الحاكمة من جهة وبين الإفراد وتلك السلطات من جهة أخرى مهما يكن المشرع ملماً بالنصوص التشريعية يبقى الكثير من تلك النصوص يكتنفها الغموض واللبس وصعوبة فهم وتطبيق نصوصه ولهذا أنشأت المحاكم الدستورية أو بتسمية أخرى المحاكم الاتحادية العليا أو المحاكم الفيدرالية وأوكلت لها مهام تفسير تلك النصوص الغامضة عَبر قضاة تكون مهمتهم خاصة لهذا الغرض ولكي تكون قرارات تلك المحاكم الدستورية ذات مقبولية من الجميع كونها تنشئ قواعد قانونية ملزمة للجميع يجب إن يكون القاضي الدستوري عند إصداره القرار التفسيري على حياد كامل من كافة الإطراف والجهات لتكون القاعدة القانونية تتمتع بمشروعية و تحافظ على الحقوق والحريات للإفراد ولكون اغلب الدساتير لم تتضمن نصوصها الدستورية صراحة أساس حياد القاضي الدستوري إلا إن اغلبها تضمنت نصوص تشير الى استقلالية القضاء والقاضي وخلال البحث سيتم الخوض بدراسة الأساس الدستوري والقانوني لحياد القاضي الدستوري.

There is no doubt that most of the societies of the countries of the world are governed by constitutions drawn up by the legislator to regulate the relationship between the ruling authorities on the one hand and between individuals and those authorities on the other hand.

And the difficulty of understanding and applying its provisions. That is why the constitutional courts, or by other names, established the Federal Supreme Courts or federal courts, and entrusted them with the tasks of interpreting those ambiguous texts.

Through judges whose mission is special for this purpose, and in order for the decisions of these constitutional courts to be acceptable to everyone, as they establish legal rules that are binding on everyone, the judge must be

The Constitutional Council, when issuing the interpretative decision, was completely impartial on all sides and sides

So that the legal rule enjoys legitimacy and preserves the rights and freedoms of individuals

And since most constitutions did not explicitly include the basis for the impartiality of the constitutional judge, most of them included provisions referring to the independence of the judiciary and the judge.

During the research, the constitutional and legal basis for the impartiality of the constitutional judge will be studied .

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث المتضمن الأساس الدستوري والقانوني لحياد القاضي الدستوري هو ليبان وتوضيح الدور الذي يقوم به في إنشاء القواعد القانونية الملزمة لكافة السلطات والإفراد باعتباره قاضيا خاصا يقوم بهذه المهمة الخاصة بتفسير النصوص الدستورية الغامضة وما يواجهه من مشكلات القصور أو الثغرات الناجمة في أسلوب صياغة النصوص من قبل المشرع والتي لا تنطوي على القدر الكافي من الدقة ومدى التزامه بحيادية التفسير وهنا يستوجب التعمق في دراسة الأسس الدستورية والقانونية لحياد القاضي الدستوري كونه يُعد المراقب الأول لمبدأ المشروعية والمدافع الحقيقي عن الحقوق والحريات وعلوية الدستور.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث لبيان هل هناك أساس دستوري أو قانوني في نصوص الدستور العراقي لسنة 2005 أو في قانون المحكمة الاتحادية العليا في العراق وتشخيص مكامن الخلل والقصور في التشريعات والحلول الدستورية والقانونية لسد ذلك الفراغ التشريعي والقانوني لأهمية موضوع البحث لتعلقه بالحقوق والحريات وللوصول لأهم النصوص الدستورية والقانونية للحفاظ على مبدأ حياد القاضي الدستوري .

خطة البحث

سوف نتناول في بحثنا هذا دراسة كافة الأسس الدستورية والقانونية لحياد القاضي الدستوري في مقدمة ومطلبين الأول يتضمن الأساس الدستوري في العراق والدول المقارنة والمطلب الثاني الأساس القانوني لحياد القاضي الدستوري في العراق والدول المقارنة ثم الخاتمة المتضمنة الاستنتاجات والتوصيات .

المطلب الأول

الأساس الدستوري لحياد القاضي الدستوري في العراق والدول المقارنة

لما كان الهدف من تفسير النصوص القانونية يهدف الى أمرين أولهما إزالة الغموض والخلاف في حكم القواعد القانونية وثانيهما الاجتهاد في سد الفراغ في القواعد الدستورية وبذلك تكمن ضرورة التفسير عندما يكون البرلمان مختصا في سن القوانين للدولة([1]) وتطبيقا لمبدأ الفصل بين السلطات وخروجها بشكل قواعد عامة لها صفة الإلزامحيث يكون دور القاضي هو التطبيق فقط إلا إن اغلب النصوص الدستورية غالباً ما تكون غامضة عند إقرارها من المشرع يأتي هنا دور القاضي الدستوري لإزالة ذلك الغموض بالاستعانة على القرائن لتحديد المعنى الذي أراده المشرع من اللفظ ([2]) وبذلك تكون عملية التفسير ضرورية لأنه من غير الممكن إن يشتمل التشريع على التفصيلات الدقيقة لكل حالة من الحالات وإنما يتضمن التشريع القواعد العامة ويترك التطبيق الى الحالات الواقعية وسيتم الدراسة في هذا المطلب الأساس الدستوري لحياد القاضي الدستوري في العراق لتفسيره النصوص الدستورية باعتباره مبدأ رئيسي في مقبولية ما يصدره من قواعد قانونية ملزمة التنفيذ تحافظ على مبدأ المشروعية و حقوق الإفراد باعتبار إن نظام الحكم القائم في العراق برلماني ويختص البرلمان بسن القوانين وفق الدستور العراقي لسنة 2005 ([3]) .

الفرع الأول

الأساس الدستوري لحياد القاضي الدستوري في العراق

كان العراق من أوائل الدول العربية التي سعت في إنشاء قضاء خاص مهمته تفسير النصوص القانونية من خلال تأسيس محاكم أو هيئات مختصة لهذا الغرض حيث سبق وان اقر القضاء الدستوري في سنة 1925 المادة (81) من القانون الأساسي للدولة وفي المادة (82) تمت الإشارة الى أعضاء المحكمة العليا ([4]) كذلك امتدت المرحلة من سنة 1958 حتى سنة 1968 ولم تنص الدساتير العراقية صراحة أو ضمناً الى الرقابة القضائية على الدستور أو الى مبدأ حياد القاضي الدستوري وكانت تخضع قراراتها الى رغبة الرؤساء مما أدى ذلك الى فقدان القرارات المفسرة الى مبدأ المشروعية وضياع حقوق الإفراد نتيجة عدم الحفاظ على مبدأ حياد القاضي الدستوري لارتباط تعيينهم من السلطة التنفيذية إما دستور سنة 1968 فقد تضمن نص المادة (87)

الخاصة بتشكيل محكمة دستورية عليا تقوم بتفسير إحكام الدستور والقوانين المالية والإدارية وتتولى مهمة النظر بدستورية القوانين وبصدور قانون المحكمة الدستورية العليا رقم (159) لسنة 1968 ([5]) الذي بين إلية تشكيل المحكمة الدستورية ومن خلال الاطلاع على نصوص قانون المحكمة لم نلاحظ أي نصوص تحقق أو تضمن معها حياد واستقلال القضاء الدستوري كذلك انعدم فيها مبدأ المشروعية من خلال منع الإفراد من الطعن إمامها وأفقدتها ضمانة حماية حقوق الإفراد والحريات وان ولاية القاضي الدستوري قابلة للتجديد افقدها الحفاظ على حياد القاضي الدستوري ونأتي الى ما بعد سنة 2003 وما حصل من تطورات سياسية في العراق بإنشاء المحكمة الاتحادية العليا وحسب المادة (43) و(44) من قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية([6]) فقد أقرت بعض المبادئ التي تحفظ للقاضي حياده من خلال النص (القضاء مستقل ولا يدار بأي شكل من الإشكال من قبل الجهة التنفيذية) ومن ضمنها وزارة العدل كذلك إن ما جاء من نصوص قانونية أشارت ضمناً بالحفاظ على مبدأ حيادية القاضي من خلال عدم جواز عزل القاضي ألا في أحوال معينة وهذه تعتبر بعض الضمانات المهمة في شأن تحقق مبدأ حياد القاضي .

إما دستور العراق لسنة 2005 فقد نص صراحة على تشكيل المحكمة الاتحادية العليا وأشار في بعض بنوده ولو بشكل غير صريح على حياد القاضي الدستوري وذلك من خلال إن تكون المحكمة أعلاه هيئة قضائية مستقلة مالياً وإدارياً كما مبين في المادة(92/ أولا) من الدستور العراقي ([7]) وأعطى للمحكمة حقوق الرقابة على دستورية القوانين والأنظمة النافذة وتفسير النصوص الدستورية والفصل في القضايا التي تنشأ عن تطبيق القوانين الاتحادية والقرارات والأنظمة والتعليمات والإجراءات الصادرة عن السلطة الاتحادية ويكفل القانون حق كل من مجلس الوزراء وذوي الشأن من الإفراد وغيرهم حق الطعن المباشر لدى المحكمة وبهذا تحقق مبدأ المشروعية في القرارات الصادرة من القاضي الدستوري وحفظ حقوق الإفراد ما دام قراراته باتة وملزمة للسلطات كافة وأشارت المواد (97 و98) من الفرع الثالث في الدستور العراقي لسنة 2005([8]) بصورة واضحة الى عدم جواز عزل القضاة إلا في الحالات التي حددها القانون الذي يحدد الإحكام الخاصة بهم وينظم مسائلتهم تأديبياً ويحظر على القاضي الجمع بين الوظيفية القضائية والوظيفتين التشريعية والتنفيذية أو أي عمل أخر أو الانتماء الى أي حزب أو منظمة سياسية أو العمل في أي نشاط سياسي وبتلك الاستثناءات تحقق ضمناً مبدأ الحياد حيث انه عندما تكون المحكمة الدستورية هيئة مستقلة مالياً وإداريا وما ذكر أعلاه من تحديد عمل القاضي جعله خارج نطاق الضغوط السياسية أو التشريعية مما تكون قراراته مستقلة تحقق مصلحة الإفراد وذات مشروعية ومقبولة من الجميع وبهذا يكون الدستور العراقي لسنة 2005 رغم وجود الكثير من الثغرات في نصوصه ومنها عدم تضمنه صراحة مبدأ حياد القاضي الدستوري إلا انه ووفق ما جاء في مواده (87 و88 و89 و92 و97 و98) الخاصة بتنظيم السلطة القضائية وعمل القضاة واستقلاليته قد حقق الكثير من متطلبات وجود حياد القاضي الدستوري ولذلك يكون من أفضل دساتير الدولة العراقية منذ تأسيسها إلا انه نرى انه من واجب المشرع العراقي تضمين الدستور نصوص دستورية تشير صراحة الى أساس حياد القاضي الدستوري.

الفرع الثاني

الأساس الدستوري لحياد القاضي الدستوري في الدول المقارنة

أولا : الولايات المتحدة الأمريكية :-

تتكفل المحكمة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية ضمان التطبيق الفعلي والتفسير الموحد للقانون الفيدرالي وبالأخص الدستور وبذلك غالبا ما تكون إعمال المحكمة أعلاه مختصة في مراقبة التزام السلطات بتطبيق القوانين وفق ما جاء به المشرع والحكم بمنع تطبيق القوانين المخالفة للدستور وليس ببطلانها أو إلغائها([9]) حيث يأتي هنا دور القاضي الدستوري الذي يمثل السلطة القضائية الفيدرالية وهي السلطة العليا في استعراض الدستور في تطبيق مبدأ الحياد عند النظر في النزاع المعروض إمامه الحاصل بين الولايات و السلطة التشريعية ولكون ما جاء في الدستور الأمريكي بالتمسك دائماً بقرارات المحكمة العليا باعتبارها الركيزة الأساسية للنظام القضائي منذ عام 1803 ولتحقق مبدأ حياد القاضي الفيدرالي أو الدستوري بالإشارة لما جاء في نص الدستور يجعل السلطة

القضائية سلطة مستقلة تهدف لضمان حقوق الإفراد والحريات ([10]) المادة(3/ الفقرات أولا وثانياً) كذلك انظر التعديل (9 و11) وقد أولى الدستور الأمريكي أهمية خاصة للقضاء والقاضي الدستوري حيث جعل المحكمة العليا هي المؤسسة القضائية الخاصة بالولايات المتحدة واختصاص القاضي الدستوري هو التفسير النهائي للقانون والدستور بالرغم من الجدل السياسي الدائم بين الحزبين الكبيرين (الديمقراطي والجمهوري) في طريقة تعيين قضاتها ([11]) الذين يتم تعيينهم من قبل الرئيس الأمريكي وبتصويت مجلس الشيوخ بالأغلبية ويضل القاضي الدستوري يمارس إعماله مدى الحياة ما دام سلوكه حسناً لا تنتهي خدمته إلا بالوفاة أو الاستقالة أو التقاعد ولكل قاضي منهم صوت واحد في المحكمة العليا البالغ عددهم من رئيس وثمانية أعضاء وحسب ما جاء في المادة الثالثة / الفقرة الأولى الخاصة بمدة ولاية المحكمة العليا وحماية رواتب القضاة وهيكلية المحاكم من الدستور الأمريكي سنة 1789 المعدل سنة 1992 ([12]) وقد أدت هذه المميزات الى حماية مبدأ حياد القاضي الدستوري نوعا ما بالرغم من عدم وجود نصوص دستورية صريحة في الدستور الأمريكي تشير الى مبدأ حياد القاضي الدستوري وذلك من خلال الحفاظ على مبادئ المشروعية والحقوق والحريات ولا يفوتنا إن تعيين قضاة المحكمة العليا والمحاكم الفيدرالية الأدنى يتم بأمر الرئيس الأمريكي و يثبته مجلس الشيوخ وان هذه الأوامر التنفيذية بإمكانها إن تكون أداة قوية بيد الرئيس لتحقيق أهدافه السياسية ([13]) إلا إن وكما ذكر أنفا إن الأساس الدستوري لحياد القاضي الدستوري في الولايات المتحدة الأمريكية يعززها الدستور بطريقتين :

أولا - يعين القاضي الفيدرالي مدى الحياة ولا يمكن إقالتهم إلا بارتكابهم جريمة .

ثانياً - تعويضات القضاة الفيدراليين لا يجوز خفضها طالما هم في مناصبهم .

ثانياً: جمهورية مصر العربية:-

من خلال استقراء نصوص دستور مصر لسنة (2014 و 2019) فقد نص صراحة على مبدأ الحياد في أكثر من مادة من نصوصه الدستورية فقد نصت المادة(186) القضاة مستقلون وغير قابلين للعزل وهم متساوون بالحقوق والواجبات ويحدد القانون شروط تعيينهم وتقاعدهم ومسائلتهم ولا يجوز ندبهم كلياً أو جزئياً إلا للجهات المختصة وفي الإعمال التي حددها القانون وذلك يحفظ استقلال القضاة (وحيادهم)([14]) كما نصت المادة(94) منه على سيادة القانون في أساس الحكم في الدولة وتخضع الدولة للقانون واستقلال القضاء وحصانته (وحياده) وفي المادة (184) اعتبر الدستور إن التدخل في شؤون العدالة والقضايا جريمة لا تسقط بالتقادم وبذلك فقد دلت النصوص الواضحة والصريحة في الدستور المصري لسنة 2014 للأساس الدستوري هو نص المادة (191) باعتبار المحكمة الدستورية جهة قضائية قائمة بذاتها غير خاضعة الى أي سلطة بالإضافة الى إن تكون لها موازنة مستقلة ([15]) وتنص المادة (94) أنفة الذكر بان القضاة غير خاضعين للعزل ولا سلطان على عملهم غير القانون ومن خلال تلك الضمانات التي تشير الى أساس حياد القاضي الدستوري فقد كانت حجية التفسير الصادرة من المحكمة الدستورية العليا في مصر ملزمة للجميع وغير قابلة للطعن([16]) وان تفسيرها لأي نص دستوري يمثل قاعدة قانونية واجبة الإتباع فالتفسير الذي تتولاه المحكمة الدستورية العليا يختلف عن التفسير الذي تعمد إليه المحاكم على اختلاف أنواعها .

المطلب الثاني

الأساس القانوني لحياد القاضي الدستوري في العراق والدول المقارنة

من خلال دراسة قوانين تشكيل المحاكمة الدستورية في العراق والدول المقارنة يتبين لنا إن تلك المحاكم تستند في حجيتها بقوة الإلزام لقراراتها باعتبارها جهة مفسرة لنصوص الدستور وتستند الى قانون اقره الدستور باعتبارها جهة ذات اختصاص معين ومن خلال ذلك يكون لحياد القاضي الدستوري في تفسير النصوص القانونية والقاعدة القانونية مستنداً الى أسس قانونية تحفظ لتلك القرارات حجية الإلزام باعتبارها تحفظ مبدأ المشروعية وحقوق الإفراد وحرياتهم على أن لا يخلط القاضي بين عمله كقاضي دستوري وبين نشاطه في مراقبة القوانين وهنا تكمن أهمية هذا البحث في دراسة الأساس القانوني لحياد القاضي الدستوري ([17]) .

الفرع الأول

الأساس القانوني لحياد القاضي الدستوري في العراق

من خلال استقراء تشكيل المحكمة العليا في العراق في دستور سنة 1925 ([18]) والمحاكم الدستورية في العهد الجمهوري من سنة 1958 ولغاية سنة 2003 يلاحظ أنها شكلت بناءاً على قانون خاص بها اقره الدستور في نصوصه وأوضح صلاحيات تلك المحكمة بدون وجود الضمانات التي تشير الى مبدأ حياد القاضي الدستوري وكما أسلفنا سابقاً لم يكن هناك أي نص دستوري يشير الى ذلك المبدأ .

كذلك من خلال الاطلاع على قانون تشكيل المحكمة الاتحادية العليا في ضل قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية لسنة 2004 الملغى بدأ التنظيم الدستوري عقب التحولات الدستورية الشاملة بتأسيس المحكمة أعلاه فنظم قانون إدارة الدولة العراقية الرقابة القضائية على دستورية القوانين وعند صدور الأمر رقم(30) لسنة 2005 (قانون المحكمة الاتحادية العليا)([19]) أشار الى أعضاء المحكمة وأمر تعيينهم من قبل مجلس الرئاسة دون مجلس القضاء ولم يكن لمجلس القضاء الأعلى دور في اختيار أعضاء المحكمة وبهذا يكون الأساس القانوني لحياد القاضي الدستوري في شبهة لدى الإطراف ذوي العلاقة والإفراد ولا يفوتنا إن الشروط الواجب توفرها في عضو ورئيس المحكمة الاتحادية هي نفسها الشروط الواجب توفرها في القاضي العادل سوى في البند (ثالثاً) الذي يشير الى مبدأ استمرار عضو المحكمة الاتحادية بعمله مدى الحياة قد أعطى فسحة لتوفر مبدأ حياد القاضي الدستوري ([20]) إما عند النظر لتشكيل المحكمة الاتحادية العليا في ضل دستور سنة 2005 والذي ترك أمر تحديد عدد أعضاء المحكمة وطريقة اختيارهم لقانون يصدر لاحقاً بموافقة ثلثي أعضاء مجلس النواب ولم يشرع هذا القانون لحد ألان ولهذا نرى انه لم يكن هناك أسس قانونية لحياد القاضي الدستورية واستندت قراراته الى ضمانات الاستقلال التي أوردها الدستور في المواد(92/الفقرة اولاً) والمادة (88) من الدستور العراقي لسنة 2005 ([21]) ولما ذكر أعلاه نرى وجوب إن يكون قانون المحكمة الاتحادية العليا يتضمن نصوص قانونية صريحة تشير لحياد القاضي الدستوري حيث تلتزم المحكمة الاتحادية العليا وغيرها من مؤسسات الدولة بتطبيق إحكام الدستور وعدم تجاوزه استناداً لإحكام المادة(13) منه ما دام قانونها نافذاً .

الفرع الثاني

الأساس القانوني لحياد القاضي الدستوري في الدول المقارنة

أولا: الولايات المتحدة الأمريكية:-

باعتبار المحكمة العليا الأمريكية أعلى هيئة قضائية في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تأسست سنة 1789([22]) وتتكون من رئيس وثمانية أعضاء يعينهم الرئيس ويوافق عليهم مجلس الشيوخ مهمتها المراقبة والإشراف على دستورية القوانين المعروضة إمامها وقد نص قانون تأسيس المحكمة استناداً الى نصوص الدستور على عدة ضمانات جعلت من مبدأ حياد القاضي الفيدرالي أو الدستوري أساساً في مشروعية قراراتها لكن تبرز مشكلة عدم وجود نص قانوني يشير الى أساس مبدأ حياد القاضي الدستوري .

ثانياً: جمهورية مصر :-

عند استقراء قانون المحكمة الدستورية العليا في جمهورية مصر بناءا على دستور سنة 2014 فقد حددت المادة (12) من القانون قواعد صرف مرتبات أعضاء المحكمة الدستورية وفي المادة(4) منه لا يمنح العضو امتيازات مالية مرتباً أو بدلاً بصفة شخصية ولا يجوز أن يعامل احد الأعضاء بصفة استثنائية ومن هذه النصوص القانونية نرى الأهمية البالغة في عدم التأثير على القاضي الدستوري من خلال منحه امتيازات مالية دون اقرأنه ونص قانون المحكمة أيضاً على إنشاء صندوق له الشخصية الاعتبارية تخصص له الدولة الموارد اللازمة ويكفل تقديم الخدمات الصحية والاجتماعية لأعضاء المحكمة ويلاحظ من هذه النصوص القانونية دعم لحياد القاضي الدستوري وعدم التأثير عليه مطلقاً ([23]) ويرى الباحث ضرورة إدراج هكذا نصوص قانونية في قانون المحكمة الاتحادية في العراق .

1. انظر مفاهيم ومصطلحات كيفية عمل النظام القضائي الأمريكي , د- حسن سيد احمد إسماعيل , النظام السياسي للولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا , ط1 , دار النهضة العربية , سنة 1977 , ص 130 .
2. ينظر في شأن رواتب أعضاء المحكمة الدستورية العليا في مصر د- صلاح الدين فوزي , سنة 2015 , ص24 .

ثالثاً: جمهورية تونس :-

نصت المادة (66) من دستور تونس لسنة 2014 بان تكون المحكمة الدستورية هي من تبت في دستورية القوانين او مشاريع القوانين وخاصةً في دستورية القوانين المالية كذلك نصت المواد(102 و103 و104) بان يكون القضاء سلطة مستقلة تضمن إقامة العدل وعلوية الدستور وسيادة القانون و حماية الحقوق والحريات وان القاضي مستقل لا سلطان عليه في قضائه لغير القانون و يشترط في القاضي الكفاءة ويجب عليه الالتزام بالحياد والنزاهة وكل إخلال منه في أدائه وواجباته موجب للمسائلة ويتمتع القاضي بحصانة جزائية ولا يمكن تتبعه أو إيقافه ما لم ترفع عنه وفي حالة التلبس بجريمة يجوز إيقافه وإعلام مجلس القضاء الراجع إليه بالنظر الذي يبت في مطلب رفع الحصانة([24]) كذلك نصت المواد (106 و107 و109) من الدستور يسمى القاضي الدستوري بأمر رئاسي بناءاً على رأي مطابق من المجلس الأعلى للقضاء ويسمى القضاة (السامون) بأمر رئاسي بالتشاور مع رئيس الحكومة وبترشيح حصري (من المجلس الأعلى للقضاء) و لا ينقل القاضي دون رضاه ولا يعزل ولا يمكن إيقافه عن العمل أو إعفائه إلا في حالة قرار معلل من المجلس الأعلى للقضاء ويحجر كل تدخل في سير القضاء([25]) ولما ذكر أعلاه فأن مبدأ حياد القاضي الدستوري وضماناته قد تحققت نتيجة ما ورد في النصوص الدستورية في الدستور التونسي ونرى إن يحذوا المشرع العراقي حذو المشرع التونسي بإصدار التشريعات والقوانين التي تضمن حيادية القضاة

(الخاتمة)

تشمل الخاتمة على أهم النتائج التي احتوى عليها البحث الخاص بدراسة الأساس الدستوري والقانوني لحياد القاضي الدستوري والتوصيات التي من شأنها إن تكرس وتحافظ على حيدية القاضي الدستوري .

أولا: النتائج :-

1. ثبت من خلال استقراء الكثير من دساتير دول العالم ومنها العراق عدم وجود نصوص دستورية صريحة تشير إلى مبدأ حياد القاضي الدستوري الذي يعتبر من المبادئ المهمة للحفاظ على مبدأ المشروعية وحقوق الفردية وحرياتهم .
2. من خلال دراسة الدستور العراقي لسنة 2005 لوحظ بأنه مشابه لا غلب الدساتير في العالم من قصوره في تضمين نصوصه مبدأ حياد القاضي الدستوري مما جعل التوصل إلى الأساس الدستوري لمبدأ الحيدية يتطلب دراسة كافة النصوص الدستورية التي تؤكد دعم القضاء واستقلاليته وطريقة تعيين القاضي الدستوري او بتسمية أخرى القاضي الاتحادي والتي من شأنها ضمان تحقق مبدأ حياديته والتوصل إلى الأساس الدستوري لهذا المبدأ .
3. من خلال دراسة هذا البحث تم التوصل إن الأساس الدستوري لحياد القاضي ضرورة حتمية للحفاظ على الكثير من المبادئ التي تضمن تحقق العدالة بين إفراد المجتمع.
4. من خلال دراسة القوانين التي تم بموجبها تشكيل المحاكم الدستورية في دول العالم ودراسة قانون رقم(30) لسنة 2005 الخاص بتشكيل المحكمة الاتحادية العليا في العراق لوحظ عدم وجود نصوص قانونية تشير إلى مبدأ حياد القاضي الدستوري .
5. من خلال البحث تم التوصل بان دستور جمهورية مصر العربية لسنة 2014 قد تضمن على نصوص صريحة تؤكد على حيادية القاضي الدستوري لتكون قرارات المحكمة الدستورية ذات مشروعية وملزمة للجميع .

(التوصيات)

1. **يوصي الباحث بضرورة تضمين الدستور العراقي لسنة 2005 نص دستوري يدعم ويرسخ مبدأ حياد القاضي الدستوري خاصة والقضاة بصورة عامة على إن يكون ذلك النص الدستوري يأتي في صلب الوثيقة الدستورية .**
2. **يوصي الباحث بإعادة النظر في مشروع قانون المحكمة الاتحادية العليا وتضمينه نصوص قانونية تضمن حيادية القاضي الدستوري وتضمين القانون أيضاً ضمانات تحقق هذا المبدأ وحقوق وواجبات أعضاء المحكمة .**
3. **يوصي الباحث بتلافي عدم وجود نصوص دستورية صريحة تدعم مبدأ حيادية القاضي الدستوري وجعله ركيزة أساسية لتحقيق العدالة الاجتماعية بإصدار القوانين التي نص عليها الدستور في المادتين (96 , 97) والسعي لتشريع قانون المحكمة الاتحادية العليا المزمع إصداره على إن يتضمن ذلك القانون نصوص قانونية واضحة لضمان مبدأ حياد القاضي الدستوري بصورة خاصة لاختلاف طبيعة القضاء الدستوري عن القضاء العادي**

(المصادر)

أولاً: القرآن الكريم .
ثانياً: الكتب القانونية .

1. **د- إسماعيل مرزة , القانون الدستوري , دراسة مقارنة لدساتير الدول العربية , دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع , ط2 , سنة 2015 .**
2. **د- ألاء محمد الفليكاوي , دور القضاء الدستوري في حماية الحقوق والحريات , دراسة مقارنة , المكتب الجامع الحديث , الإسكندرية , سنة 2018 .**
3. **د- تريعة نوارة , مبدأ الفصل بين السلطات في دول المغرب العربي , دراسة مقارنة , دار الجامعة الجديدة , الإسكندرية , بدون تاريخ .**
4. **د- حميد حنون خالد , مبادئ القانون الدستوري وتطور النظام السياسي في العراق , دار الحكمة للطباعة والنشر, الموصل , سنة 1990 .**
5. **د- سراج الدين شوكت خير الله , دور المحكمة الاتحادية العليا ,ط1 , سنة 2019 .**
6. **د- محمد فوزي نويجي , التفسير المنشئ للقاضي الدستوري , ط1, دار النهضة العربية .**
7. **مكتبة السنهوري , بغداد , سنة 2013 .**
8. **وليد سليم النمر , القانون الدستوري والمبادئ الدستورية العامة , دار الفكر الجامعي , الإسكندرية , سنة 2014 .**

ثالثاً: الدساتير :-

1. **دستور جمهورية العراق سنة 2005 ملحقاً به قرار الإصلاح السياسي للمرحلة القادمة رقم 44 لسنة 2008 .**
2. **دستور جمهورية مصر العربية لسنة 2014 .**

3. دستور الولايات المتحدة الأمريكية لسنة 1789 المعدل سنة 1992 مترجم لغة عربية .

رابعاً : الرسائل والاطاريح :-

1. - عصام سعيد عبد العبيدي , الرقابة على دستورية القوانين , رسالة دكتوراه مقدمة الى جامعة الموصل كلية القانون , سنة 2007 .

2. **علي موسى عاجل , حياد القاضي الدستوري , دراسة مقارنة , رسالة ماجستير , مقدمة إلى معهد العلمين للدراسات العليا , سنة 2020 .**

3. نورا ظافر , الرقابة القضائية على دستورية القوانين في العراق , نشأتها وأفاق تطورها , رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الحقوق جامعة النهرين , سنة 2006 .

الهوامش

[1] انظر د.الأنصاري حسن النيداني ' النظام القانوني للحقوق الدستورية للخصم 'دراسة مقارنة , دار الجامعة الجديدة للنشر الإسكندرية 'سنة 2009 ,ص114 وما بعدها

[2] نظر أ.د.إبراهيم شحاتة ' وظيفة القاضي عند فحص دستورية القوانين ' مجلة مجلس الدولة السنوات 10,9,8- القاهرة سنة 1960 ' ص379.

[3] انظر دستور العراق لسنة 2005 , الباب الثالث , الفصل الأول , الفرع الأول , المادة(61/اولاً) .

[4] انظر المادة (الحادية والثمانون) من الدستور العراقي لسنة 1925 .

[5] انظر المادتان (1و2) من قانون المحكمة الدستورية العليا رقم (59) لسنة 1968 .

[6] انظر المواد (43 و44و24/ب و47) من قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية لسنة 2004 .

[7] انظر دستور العراق لسنة 2005 , ص42 .

[8] د- مها بهجت يونس , إجراءات إصدار الحكم الدستوري , دراسة مقارنة , بحث منشور في مجلة العلوم القانونية , جامعة بغداد , كلية القانون , المجلد/23 , سنة 2008 , ص106 .

[9] حكم المحكمة العليا بولاية فرجينيا الغربية , د- احمد كمال ابو المجد , الرقابة على دستورية القوانين , ص221 .

[10] انظر مجلد مكتبة حقوق الإنسان, جامعة منيسوتا , سنة 1996 , د- فلاح مصطفى صديق , الاختصاص التفسيري للقضاء الدستوري , ط1, سنة 2019 , ص 139 .

[11] الأوراق الفيدرالية , الكسندر هاملتون , جون جاي , ترجمة عمران ابو حجلة , مراجعة احمد ظاهر , دار الفارس للنشر والتوزيع
, سنة 1996 , ص626 وما بعدها .

[12] قانون الولايات المتحدة الأمريكية لسنة 1789 المعدل سنة 1992 , المادة الثانية , الفقرة الأولى , د- احمد كمال ابو المجد , مصدر سابق , ص 94 .

[13] انظر مدونة القاضي أنيس جمعان , مصفوفة قانونية عن النظام الدستوري في الولايات المتحدة الأمريكية, سنة 2001 , ص85.

[14] د- محمد فوزي نويجي , التفسير المنشئ للقاضي الدستوري , دار النهضة العربية , الطبعة الاولى , بدون تاريخ , ص44.

[15] د- محمد عبد العال السناري , ضوابط اختصاص المحكمة الدستورية العليا بتفسير النصوص التشريعية , دار النهضة العربية , بدون تاريخ , ص56 .

[16] د- شاكر راضي شاكر , اختصاص المحكمة الدستورية العليا , رسالة دكتوراه , حقوق القاهرة , سنة 2004 , ص16 .

[17] د – حميد حنون الساعدي , مبادئ القانون الدستوري وتطور النظام السياسي في العراق , دار الحكمة للطباعة والنشر, الموصل سنة 1990 , ص198 .

[18] د- عصام سعيد عبد العبيدي , الرقابة على دستورية القوانين , رسالة دكتوراه مقدمة الى جامعة الموصل كلية القانون , سنة 2007 , ص 96 و97 .

[19] د – فرمان درويش حمد , اختصاص المحكمة الاتحادية العليا في العراق , أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية القانون والسياسة /جامعة سليمانية , سنة 2011 , ص 44 .

[20] وليد سليم النمر , القانون الدستوري والمبادئ الدستورية العامة , دار الفكر الجامعي , الإسكندرية , سنة 2014 , ص586 .

[21] انظر دستور العراق لسنة 2005 , ص41 .

[22] انظر مفاهيم ومصطلحات كيفية عمل النظام القضائي الأمريكي , د- حسن سيد احمد إسماعيل , النظام السياسي للولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا , ط1 , دار النهضة العربية , سنة 1977 , ص 130 .

[23] ينظر في شأن رواتب أعضاء المحكمة الدستورية العليا في مصر د- صلاح الدين فوزي , سنة 2015 , ص24 .

[24] أ . د – عبد الواحد القريشي , مجلة القانون الدستوري والعلوم الإدارية , برلين , العدد الأول , سنة 2018, ص15 .

[25] أ . د – جواد الرباع , مجلة القانون الدستوري والعلوم الإدارية , برلين , العدد الأول , سنة 2018, ص53 .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

الرصد البيئي لتلوث تربة مدينة الناصرية وضواحيها/ العراق

ا.م.د عباس زغير محيسن المرياني
جامعة ذي قار / كلية الاداب / قسم الجغرافية / العراق

المستخلص
تعد مشكلة التلوث البيئي احد أهم المشاكل التي تواجهه الإنسان في العصر الحالي خاصة بعد تطور الحياة وتزايد أنشطة الإنسان المدنية والزراعية والصناعية ، وتمثل النفايات الصلبة احد ابرز مظاهر التلوث البيئي ، آذ آن آثارها الضارة تجتاح كل مكونات الغلاف الحيوي من تربة ومياه ويمتد تأثيرها السلبي ليطال ما تحت الأرض كالمياه الجوفية خاصة عندما يتخلص منها بالطرق الغير صحيحة .
يتناول البحث الحالي دراسة وتحليل للخصائص الفيزيائية والكيميائية لترب مدينة الناصرية التي تقع جنوب العراق ، وقد اعتمدت الدراسة على جمع وتحليل (18) نموذج للتربة للعمق (32سم) ، دون الاهتمام بالموسم ، بعدها تم تحليل النتائج الكيمائية والفيزيائية للعناصر التي جرى اختبارها وفق المنهج الجغرافي وذلك لأجل تحليل التباينات في توزيع العناصر، إضافة الى بناء علاقات ارتباطيه مع القيم والقراءات بالاعتماد على اسلوب التحليل بالاستعانة ببرنامج (ARC GIS10.5) ،وقد بينت الدراسة ارتفاع تراكيز العناصر الفيزيائية والكيميائية في ترب مدينة الناصرية واغلبها كان خارج الحدود المسموح بها بيئيا محليا وعالميا ، حيث سجلت العناصر الثقيلة قيم تركز في التربة معظمها خارج المسموح به ماعدا النحاس كان ضمن الحد المسموح بة والبالغ (5.2) ، ويرجع سبب الشذوذ السلبي في المعدلات عن المحددات الى تداخل مجموعة من العوامل الطبيعية كالتساقط والمناخ بصوره عامة والطبوغرافية والانحدار فضلا عن العامل البشري المتمثل بزيادة المخلفات الصناعية والمدنية .

extract
The problem of environmental pollution is one of the most important problems facing humans in the current era, especially after the development of life and the increase in human civil, agricultural and industrial activities. Under the ground is like groundwater, especially when it is disposed of in the wrong way.
The current research deals with the study and analysis of the physical and chemical properties of the soils of the city of Nasiriyah, which is located in southern Iraq , in order to analyze variations in the distribution of elements, in addition to building associative relationships with values the readings were based on the analysis method using the (ARC GIS10.5) program, and the study showed the high concentrations of physical and chemical elements in the soil of the city of Nasiriyah, and most of them were outside the permissible limits environmentally locally and globally, where heavy elements recorded values of concentration in the soil, most of which are outside the permissible With the exception of copper, it was within the permissible limit of (5.2), and the reason for the negative anomalies in the rates from the determinants is due to the overlap of a group of natural factors such as precipitation, climate in general, topography and gradient, as well as the human factor represented by the increase in industrial and civil waste.

1- المقدمة

يعرف التلوث بأنه أي تغيير مباشر أو غير مباشر في الخصائص الفيزيائية أو الحرارية أو البيولوجية أو الإشعاعية للبيئة بحيث تؤثر في أي استخدام نفعي تأثيرا ضارا مسبباً حالة تتصف بخطورتها أو احتمال خطورتها على الصحة أو السلامة أو الرفاهة العام أو على الكائنات الحية في البيئات البرية أو المائية[1]، اما تلوث التربة بأنه أي تغيير في خصائص التربة الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية عن طريق إضافة مواد إليها أو نزع مواد منها [2] ، وتتمتع برامج نظم المعلومات الجغرافية بخاصية الـ TOPOLOGY وهي تمكن من عمل اكبر قدر من التخمينات المنطقية في نماذج المعلومات بدرجة تحاكي الحقيقة وكذالك فهم العلاقة بين الظاهرات كما تكون في العقل الإنساني وذلك لان إدارة البيانات الجدولية وبيانات خريطة الأساس الرقمية DIGITAL MAP يتم الربط بينهما بما يعرف بالتكويد CODING او الترميز أي تنسب الإحصاءات والأرقام في قاعدة البيانات DATA BASE وجداولها الإلية SPREAD SHEETS لمواقعها المعرفة على الخريطة في شكل غطاء بياني[3] ، وتعد المعالجة الكارتوكرافية Cartographic Manipulation هي واحده من أهم وظائف نظم المعلومات الجغرافية لقدرتها على القيام بمختلف المهام الكارتوكرافية من خلال التعامل مع قواعد المعلومات وبصورة إلية تتميز بالإتقان وسرعة الانجاز خلافا للأسلوب الكلاسيكي ، وهذه المعالجة وتكون بصور عديدة [4]، وقد اتبع البحث المعالجة الكارتوكرافية للبيانات المكانية من نوع المساحات المغلقة والتي التعبير عنها نوعيا وكميا من خلال الاعتماد على اللون والظل فضلا عن تدرجهم حيث تأخذ المناطق القليلة القيمة اللون الفاتح وتتدرج المساحات بعد ذلك باللون حسب القيمة الكمية لتأخذ اكبر المناطق اللون الغامق ، وتم اختيار مدينة الناصرية كموقع للدراسة التي تقع أداريا في الجزء الجنوبي الغربي من العراق وهي مركز محافظة ذي قار ، خريطة (1) ، اما موقعها بالنسبة لموقعها الفلكي فأنها تقع بين دائرتي عرض (31.10-31.50شمالا) وقوسي طول (46.20- 46.29شرقا) ، اما بالنسبة لموقعها الجغرافي فأنها تقع ضمن السهل الرسوبي على جانبي نهر الفرات ، خريطة (2) ، وتمتد بمساحة تصل الى (1766كم) وتظم (45) حيا سكنيا ، خريطة (3) ، بفرضية مفادها (آن الخصائص الفيزيائية والكيميائية في ترب مدينة الناصرية تتباين مكانيا و يرتبط هذا التباين بعوامل جغرافية ، وتستطيع تقنية نظم المعلومات الجغرافية إيضاح هذا التباين من خلال بناء نماذج كارتوكرافية) ، في حين يتلخص هدف الدراسة في توظيف إمكانيات برنامج *الـــGIS* في بناء نماذج كارتوكرافية تحاكي الواقع البيئي لتلوث تربة مدينة الناصرية بالعناصر الفيزيائية والكيميائية ، وذلك لسببين :- الأول : للوقــوف على الأسباب والمسببات البيئية الطبيعة والبشرية ومن ثم إيجاد علاقات ترابطية بين القيم وتحديد تباياتها المكانية ومن ثم مقارنتها مع محددات عالمية ومحلية من اجل الحصول على نتائج حقيقية لتركز الملوثات، والثاني : لكون مدينة الناصرية تفتقر الى مثل هكذا دراسة.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

خريطة (1) موقع منطقة الدراسة من العراق ومحافظة ذي قار.

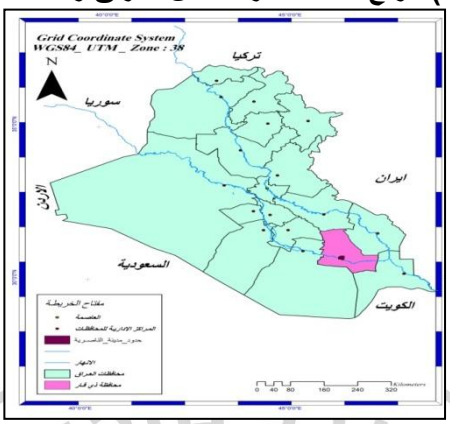

المصدر :- عمل الباحث بالاعتماد على برنامج ARC Gis 10.5

خريطة (2) الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة الدراسة .

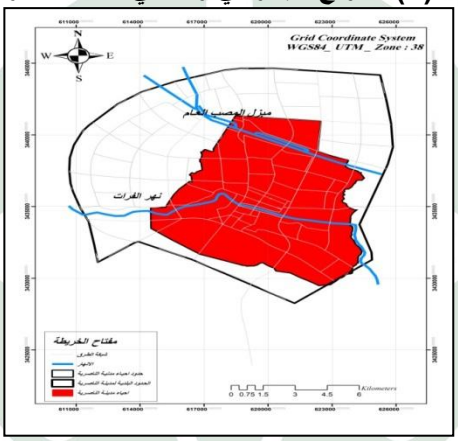

المصدر :- عمل الباحث بالاعتماد على برنامج ARC Gis 10.5

خريطة (3) الأحياء السكنية لمنطقة الدراسة .

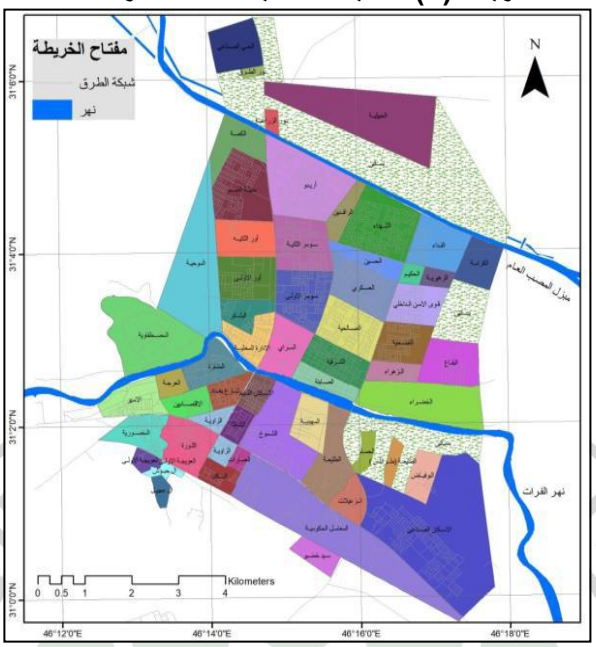

المصدر :- عمل الباحث بالاعتماد على برنامج ARC Gis 10.5

2- طريقة العمل :- لتحقيق هدف الدراسة تضمن العمل عده مراحل وهي :-

2-1- جمع المادة العلمية ، وتمثلت بالكتب والمجلات والبحوث العالمية والمحلية التي لها علاقة بموضوع ومنطقة الدراسة ، إضافة الى الخرائط والمرئيات الفضائية والصور الجوية التي تخدم البحث .

2-2- العمل الميداني :- يعد العمل الميداني العمود الفقري لكل دراسة بحثية علمية بحيث لا يمكن آن توصف الدراسة كاملة آلا أذا آخذت مادتها من الميدان وتضمن العمل الميداني عده فقرات :-

ا- الزيارة الاستطلاعية :- قام الباحث بالعديد من الزيارات الاستطلاعية لمنطقة الدراسة ، صوره (1) وبتواريخ عده وذلك لأجل الوقوف على الواقع البيئي لترب مدينة الناصرية والاطلاع ومشاهده و استحصال المعلومات التي لا يمكن الحصول عليها آلا عن طريق المشاهدة والملاحظة كتحديد نوع وحجم الملوثات الموجودة في المنطقة والامتداد المساحي لها كذلك تحديد المشاكل التي تعاني التربة ووضع الحلول المناسبة لها.

صوره (1) منطقة الدراسة خلال الاستطلاع الميداني.

المصدر:- الدراسة الميدانية بتاريخ 2021/1/4

ب- العمل الحقلي :- تلخص العمل الحقلي بالأساليب والطرق المتبعة في اخذ العينات ، حيث تم اخذ عينات التربة باستعمال الأساليب اليدوية *Hand Dug Method* إضافة الى استخدام حفارة ميكانيكية *Augers* ، صوره (2)، وذلك بعد إزالة طبقة (1سم) من التربة لتجنب وجود ملوثات وعوالق توثر على نتائج التحاليل ، وحفظت النماذج في أكياس نايلون خاصة بها وثبت المعلومات المتعلقة بالموقع والعمق ودرجة الحرارة ورمز العينة بجدول خاصة ورفق مع العينة .

واجهه الباحث عده صعوبات خلال العمل الحقلي وتتجلى بأهمها ، كبر مساحة منطقة الدراسة ،وبُعدها عن منطقة سكنا الباحث ، وصعوبة اخذ العينات بسبب منع المسؤولين في بعض المواقع بحجة انه من ممتلكات البلدية ، إضافة الى كثرة الحشرات الضارة والكلاب السائبه داخل المناطق الملوثة فضلا عن كثره تصاعد الدخان والأبخرة ، بسبب عمليات حرق النفايات من قبل المواطنين صوره (3).

صوره (2) اخذ عينات التربة من منطقة الدراسة .

المصدر:- الدراسة الميدانية بتاريخ 2021/1/4

صوره (3) منطقة ملوثة بالنفايات المطمورة والمحروقة في منطقة الدراسة .

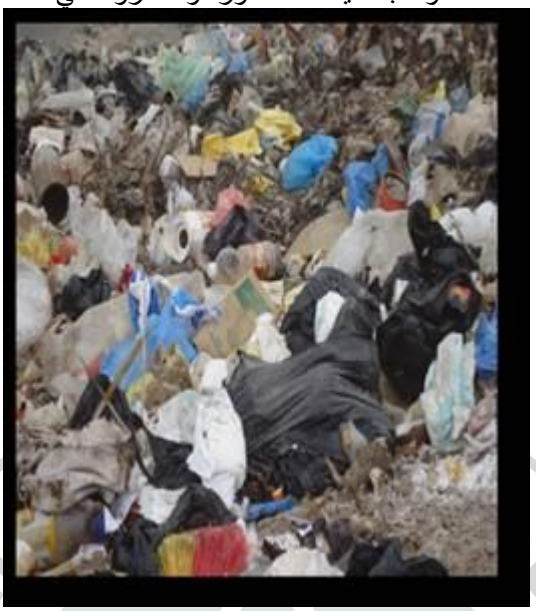

المصدر:- الدراسة الميدانية بتاريخ 2022/7/1

ج - جمع العينات :- تم جمع (18) عينة من التربة حسب متطلبات الدراسة ، خريطة (4) ، جدول (1) ، لغرض قياس تركز الخواص الفيزيائية والكيميائية ، وكانت عملية الجمع بأتباع أسلوب العينة العشوائية المنتظمة Regular random sampling حيث تم تقسيم المنطقة الى (18) مربع متساوية الأحجام والأبعاد ، وتم اختيار من كل مربع نموذج (عينة تربة) ، بالاعتماد على صورة جوية فضائية ملتقطة بتاريخ 2020/11/22 الساعة الواحدة والنصف صباحا ، من برنامج Google earth ، وبعدها تم حفظ مواقع العينات في ملف على برنامج الـ Google earth بصـــــــــيغة الـkzm ، باسم soil samples. .

وبعد تحديد المواقع تم جمع العينات ميدانيا من تاريخ 2021/1/4-2021/9/12م ، وتم اخذ العينات لترب الموقع من عمق (32سم) .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN–2536–0027

خريطة (4) مواقع جمع عينات التربة في منطقة الدراسة.

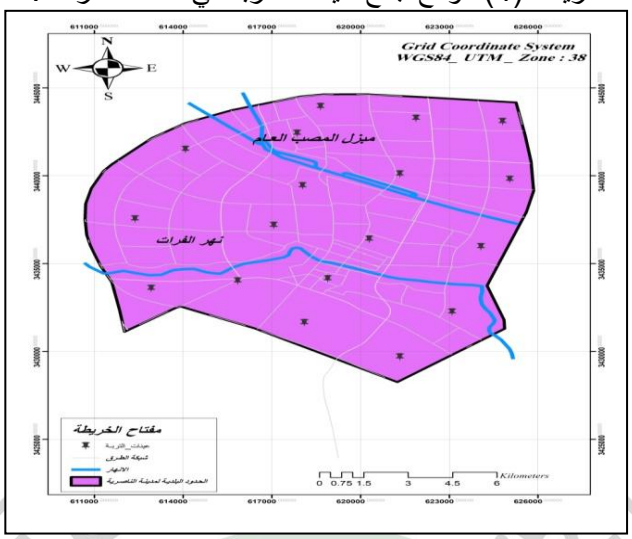

المصدر:- عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــ 10.5ARC GIS.

جدول (1) المعلومات المكانية والزمانية لعينات ترب مدينة الناصرية .

رمز العينة	تاريخ اخذ العينة	الإحداثيات	
		Y	X
S1	2021/1/4	3443077.464	624804.8109
S2	2021/2/11	3439788.631	625048.4282
S3	2021/3/10	3435951.659	624073.9591
S4	2021/3/20	3432236.495	623099.49
S5	2021/4/6	3429678.514	621333.2647
S6	2021/4/25	3431627.452	618105.3358
S7	2021/5/12	3434124.529	618897.0919
S8	2021/5/27	3436377.989	620297.8913
S9	2021/6/20	3440093.153	621333.2647
S10	2021/6/22	3443260.177	621881.4036
S11	2022/7/1	3443930.125	618653.4747
S12	2022/7/16	3442407.517	617861.7185
S13	2022/7/27	3439423.205	618044.4315
S14	2022/8/2	3437169.745	617069.9624
S15	2022/8/6	3434002.721	615851.876
S16	2022/8/27	3433576.39	612928.4687
S17	2022/9/7	3437535.171	612380.3298
S18	2022/9/12	3441493.952	614085.6507

المصدر:- عمل الباحث بالاعتماد على الدراسة الميدانية باستخدام جهاز الـــ GPS .

د- العمل المختبري :- بعد الانتهاء من جمع كل العينات التي تتطلبها الدراسة أجريت لها التحاليل المختبرية في مختبرات كلية العلوم جامعة ذي قار ، ومختبرات مديرية بيئة ذي قار ، وكان التحليل عشوائي دون الاهتمام بمسالة المواسم وذلك لكون الدراسة مستهدفة لتقيم الواقع البيئي وليس أيجاد التباينات الزمانيه لتركز العناصر الفيزيائية والكيميائية ، آذ تم تجفيف عينات التربة ونخلها للتخلص من الملوثات كالزجاج والحديد والنايلون وغيرها ، ثم بعد ذلك تم طحنها بهـــــــــــاون خزفي ، وبعدها تم تجزئتها الى عده أجزاء وأقسام لتهيئتها الى التحليل وإجراء الفحوصات المخـــــــتلفة عليها فالعناصر الثقيلة فجرى حسابها وفق طريقة(D.R. Jackson and A.P1997) [5] ، وحسب الخطوات الموجودة في الدليل ، وبعدها تم اجراء التحليل الخاصة بها باستخدام جهاز الامتصاص الذري (Atomic Absorption Spectrophotometer) (AAS) ، اما الايونات الموجبة والسالبة فقد اتبع الطريقة الموضحة في المراجع (Westermen,1990)[6] و (Walsh and Beation 1973)[7] ، في حين اتبع طريقة العكاره باستخدام محلول كبريتات الباريوم (Verina,1977)[8]، لقياس الكبريتات ، اما الكروم فقد جرى حسابه وفق طريقة الماء الساخن كما موضحة من قبل (Berger and Truog 1939)[9] ، اما الكاربونات فقد جرى حسابه وفق طريقة المعايرة كما موضحة في كل من(FAO,1974)[10](Walkley,1947)[11](Gaudette1974)[12]، اما الأس الهيدروجيني تم قياسه بواسطة جهاز (PH-Meter) موديل 720 ألماني الصنع ، بعدها قدرت درجة الحموضة في التربة وفق طريقة كل من (Mclean1982)[13](Mckeague1978)[14]، وكذلك الإيصالية الكهربائية تم قياسه بواسطة جهاز موديل (COND) 720 ألماني الصنع ، وقد اتبع في طريقة القياس الطرق الموضحة في الكتاب (60) الصادر عن وزاره الزراعة الأمريكية (USD A Handbook 60)، بعدها تم التأكد من دقة التحاليل بإعادة تحليل كل عينة بثلاث مكررات لتحديد مقدار الدقة Precession ، بالطرق الإحصائية والمعادلات الرياضية .

ه- الدقة التحليلية :- يأتي الخطأ في التحاليل الكيميائية المختبرية من عده مصادر منها الأجهزة والأدوات والمواد الكيميائية المستخدمة او من طريقة النمذجة وغيرها من الأخطاء الغير مقصوده أحيانا لذا يفضل حساب الدقة للتأكد من صلاحية النتائج لأجل استخدامها في التفسير والتحليل ، وتم حساب الدقة إحصائيا للتحاليل الكيميائية المستخدمة في الدراسة الحالية كما يلي[15]:-

حيث آن :-

S = الانحراف القياسي.

$\bar{X}$ = المعدل الحسابي.

تعد القيمة المقبولة في قياس الثقة عند مستوى (68%) هي الواقعة بين (5-25%)[16]، وعند تطبيق المعادلة اعلاة لحساب الدقة للعناصر المدروسة عند مستوى تقه (68%) ، تبين آن قياس الثقة تراوح مابين (14.3-0.25) وهي قيم ضمن المقبول ، جدول (2).

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN–2536–0027

جدول (2) حساب وتقدير الدقة التحليلية لنتائج التحاليل الكيميائية لعينات تربة منطقة الدراسة 2021 م .

العناصر	وحدة القياس	تقدير الدقة التحليلية					
		R•1	R2	R3	X	S	P.at68
PH	---	7.5	7.7	7.8	7.6	0.1	**1.23**
E.C	ds/m	88.3	86.9	87.9	87.7	0.5	**0.67**
HCO_3	Mg/L	0.098	0.098	0.093	0.096	0.005	**9.4**
SO4	Mg/L	543.8	554.2	543.3	547.1	22.7	**3.99**
NO3	Mg/L	66.8	56.8	58.9	60.8	1.9	**3.12**
PO4	Mg/L	3.22	2.1	3.54	2.95	0.12	**3.12**
CL	Mg/L	93.1	93.1	93.2	93.1	0.7	**0.78**
Mg	Mg/L	432.8	456.8	452.7	447.4	1.1	**0.25**
Ca	Mg/L	458.6	466.7	456.4	460.5	3.9	**0.829**
K	Mg/L	270.9	288.1	276.1	278.3	6.5	**2.547**
Fe	Mg/Kg	12.1	12.5	11.9	12.1	0.2	**2.857**
Na	Mg/L	487.4	437.8	454.7	459.9	7	**1.789**
Pb	Mg/Kg	22.5	21.1	21.1	21.56667	0.21	**0.93**
Cd	Mg/Kg	0.423	0.463	0.785	0.557	0.09	**14.3**
CU	Mg/Kg	7.65	8.99	9.01	8.55	0.37	**4.55**
Zn	Mg/Kg	21.2	20.9	19.8	20.6	0.5	**2.99**
Cr	Mg/Kg	12.9	12.1	11.7	12.2	0.4	**4.54**
Ni	Mg/Kg	**16.7**	**16.5**	**15.8**	16.3	0.3	**2.8**

المصدر:- عمل الباحث بالاعتماد على نتائج التحاليل الكيميائية 2021 ، ومعادلات الدقة الإحصائية .

3- العوامل والأسباب المؤثرة في الخواص الفيزيائية والكيميائية لترب منطقة الدراسة :- تتعدد وتتنوع العوامل التي تؤثر في ناحيتي السلب والإيجاب على الخصائص الفيزيائية والكيميائية لتربة منطقة الدراسة، وتتمثل بالجيولوجيا والطبوغرافيا والمناخ والنشاط الصناعي والسكان وسنتأول كل واحده منها بشيء من الإيجاز وكالاتي :-

ا-الجيولوجيا:- تم التعرف على جيولوجيا منطقة الدراسة من خلال المكاشف السطحية والمقاطع تحت السطحية وتبين أنها تقع ضمن تكوينات السهل الرسوبي Alluvial plain الذي تغطية ترسبات العصر الرباعي •، تقسم ترسبات العصر الرباعي الى حقبتين رئيستين هما: حقبة البلايستوسين *Pleistocene Period* و حقبة الهولوسين *Holocene Period*[17] ، تكون ترسبات حقبة البلايستوسين غير منكشفة في منطقة الدراسة ، وإنما الترسبات الحديثة التابعة لعهد الهولوسين تغطي المنطقة، وتتمثل بترسبات الأنهار الغرينية والتي هي مزيج من الرمل والطين والحصى وترتفع فيها نسبة الملوحة [18].

ب- الطبوغرافيا :- أن السهل الرسوبي الذي تعد منطقة الدراسة جزء منه يتميز بارتفاع منسوبة بالقرب من مجاري الأنهار ويبدأ بالانخفاض كلما ابتعدنا عن هذه المجاري جانبياً حيث يتكون نطاقان الأول يعرف بنطاق أكتاف الأنهار ويتراوح ارتفاعه (0.5-3) م أما عرضه فيتراوح بين (1.0-2.0) كم ويكون ممتداً بموازاة الأنهار وفروعها ، أما النطاق الثاني فيعرف بنطاق أحواض الأنهار ويشكل باقي مساحة

السهل الفيضي ويكون وضعه الطبوغرافي أوطأ بالنسبة إلى نطاق أكتاف الأنهار[19]، ويغطي الخط الكنتوري (5-9م)[20]، معظم اجراء المنطقة لذلك تكون ذات انحدار عام يبلغ (1%) ، يكون اتجاه من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي.

ج-المناخ :- مناخ منطقة الدراسة شبه جاف والذي يتميز بصيف طويل حار جاف والشتاء قصير الأمد بارد ممطر أحيانا .

بلغ المعدل السنوي لدرجات الحرارة (25.1م) ومجموع الساقط المطري السنوي (117.7ملم) والمعدل السنوي للرطوبة النسبية (40.2%) وبلغ اقل معدل لسرعة الرياح هو (2.6) في شهر كانون الأول وأعلى معدل لسرعة الرياح هو(5.5) في شهر تموز، جدول(3).

د- النشاط الصناعي :- تعد المصانع من أهم الأنشطة البشرية الملوثة للبيئة لما تطرحه من مواد سامة ومخلفات صلبة أخرى مما يؤدي إلى تلوث التربة والمياه السطحية ولا يستبعد أن تتلوث المياه الجوفية أيضاً ، يمثل النشاط الصناعي في مدينة الناصرية بمجموعه من الصناعات التقليدية إضافة الى الصناعات ألكبيره المتمثلة بمحطة توليد الكهرباء ومصفى ذي قار النفطي وشركة أور الهندسية ، ومما لاشك فيه تضيف هذه الصناعات من خلال ما تطرحه من نفايات صلبة من علب معدنية وبلاستيكية ومخلفات ورقية ، والتي بمرور الزمن تتعرض الى التأكسد وبالتالي تلوث التربة بالعناصر الثقيلة ، ليمتد التأثير بعد ذلك الى المياه السطحية والجوفيـة ، والى النباتات أيضا.

جدول(3) البيانات المناخية لمنطقة الدراسة للمدة 1990-2020م.

الأشهر	الحرارة	الرطوبة	الأمطار	الرياح
	مْ	%	ملم	كم/ساعة
أيلول	32.4	25.9	0.8	3.8
تـــشرين 1	26.9	36.8	7.2	3.3
تشرين 2	18.7	53.1	15.9	2.7
كانون 1	14.1	64.2	18.9	2.6
كـــانون2	12.5	66.1	22.1	3.1
شبـــــاط	15.1	56.8	13.7	3.4
آذار	19.5	46.2	21.5	4.2
نيســـــــان	25.2	39.8	14.4	4.1
مايـــــس	30.7	29.1	3.2	4.1
حـــــزيران	35.2	22.1	0	5.4
تمـــــوز	36.7	19.9	0	5.5
آب	34.2	22.7	0	4.6
المعدل السنوي	25.1	40.2	117.7	3.9

المصدر :- جمهورية العراق ، وزارة النقل ، الهيئة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي ، قسم المناخ ، بيانات غير منشورة ،2017.

ه- السكان :- تعاني منطقة الدراسة من مشكلة النفايات الصلبة ومن طرق التخلص منها ، خاصة وان مدينة الناصرية من المدن الكبرى التي يستهلك سكانها مختلف السلع ، حيث تقدر كمية النفايات المطروحة في منطقة الدراسة لعام 2017 بنحو (801طن/يوم)[21]، وترتبط زيادة النفايات الصلبة بالزيادة السكانية بعلاقة طردية ،تشير الإحصائيات الواردة في جدول(4)، آن عدد سكان مدينة الناصرية بلغ نحو (203458نسمة)عام 1987، ويرتفع الرقم ليصل الى (305910نسمة) عام 1997، وبمعدل

نمو(2،4%)،ويرتفع في عام 2007الى (409269نسمة)،وبنسبة (2،25%) من سكان محافظـــــــة ذي قــار .

ونلاحظ آن منطقة الدراسة تشهد زيادة مستمرة في أعداد سكانها ومعدلات نموهم ، ،أذا ارتفع حجم السكان الى (562247 نسمة) عام 2017،بمعدل نمو (5،6)، وزيادة مطلقة بلغت 3،37%، أي آن سكان مدينة الناصرية يزدادون سنويا بنسبة5,622 نسمة حسب الزيادة المطلقة• بالاعتماد على تعداد 2017، ومن المتوقع آن يرتفع عدد السكان في مدينة الناصرية عام 2027الى(3،710820) نسمة استنادا الى معادلة النمو المركب••.

جدول رقم (4) أعداد سكان مدينة الناصرية و معدلات نموها للمدة 1987 – 2017

السنة	مدينة الناصرية		
	عدد السكان	معدل النمو	الزيادة المطلقة
1987	203458	7.6	22.1
1997	305910	4.2	25.8
2007	409269	3.0	25.3
2017	562247	5،6	37،3

المصدر:- جمهورية العراق ، وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للإحصاء ، مديرية إحصاء ذي قار ، تقديرات سكان محافظة ذي قار حسب البيئة والوحدات الإدارية لسنة 2017، بيانات غير منشورة.

4- مناقشة النتائج المختبرية والتحاليل الكيميائية :- جرى مناقشة النتائج وتحليل البيانات بأسلوبين مختلفين الأول جغرافي والثاني كارتوكرافي ، جدول (5) خريطة (5-22) ، وذلك لزيادة الدقة وإعطاء تصور كافي عن مقدار التلوث ، وعلية كانت المناقشة كـما يلي :-

1-الأس الهيدروجيني (PH):- وتبين من النظر للجدول (5) ، آن قيم الأس الهيدروجيني تتراوح مابين (6.89-7.87) أعلى قيمة سجلت للنموذج (4) وأدناها سجلت للنموذج (6) ،خريطة (5) ، في حين بلغ المعدل (7.33) ووفقا لتصنيف الترب حسب درجة الحموضة فأن منطقة الدراسة تعد ضمن الترب ذات القاعدية البسيطة .

2-الإيصالية الكهربائية(E.C):- من النظر للجدول (5) نلاحظ آن المعدل العام للايصالية الكهربائية بلغ (105.0 ديسمنز/م)،ووفقا

جدول (5) نتائج تحاليل بعض الخصائص الفيزيائية والكيميائية لترب مدينة الناصرية لعام 2021م.

Ni	Cr	Zn	cu	Cd	Pb	Fe	Na	K	Ca	Mg	CL	PO4	NO3	SO4	CO3	E.C	PH	التسلسل
19.6	10.2	21.6	1.66	0.33	17.9	15.2	489.6	246.1	413.1	124.8	93.1	3.56	44.3	432.1	0.002	162.3	7.74	1
22.7	16.5	18.9	3.87	0.24	16.5	13.7	478.4	298.6	398.9	149.8	87.7	4.22	32.9	468.9	0.006	58.2	6.96	2
23.1	17.4	19.4	2.49	0.27	18.2	14.9	456.3	312.9	450.6	88.9	79.1	2.19	22.5	590.8	0.009	155.8	7.22	3
16.7	10.1	16.5	9.54	0.43	14.3	12.6	467.7	275.8	329.7	123.6	72.2	3.78	45.0	611.6	0.007	123.9	7.87	4
17.9	12.8	12.6	7.55	0.88	12.4	11.5	411.6	211.9	464.8	245.7	65.1	3.76	12.9	398.8	0.002	111.8	7.77	5
18.3	17.5	13.7	8.23	0.79	14.3	13.6	493.6	366.2	228.6	312.7	72.6	4.21	56.9	523.4	0.003	77.8	6.89	6
12.6	15.3	20.7	3.62	0.51	13.9	15.7	381.6	312.1	392.4	165.9	88.1	2.39	55.3	312.9	0.009	60.6	6.92	7
12.8	13.2	19.6	6.51	0.89	19.7	14.6	390.5	339.5	482.2	189.3	89.3	4.98	48.9	456.9	0.005	87.7	7.23	8
14.2	12.1	16.5	4.83	0.45	17.5	15.2	312.9	244.1	356.1	386.4	99.1	3.93	32.1	321.9	0.004	93.1	7.43	9
15.8	15.4	14.6	5.78	0.67	18.6	11.9	438.3	267.3	247.7	109.6	63.7	2.65	33.9	463.8	0.001	60.4	7.83	10
12.2	17.7	11.9	9.17	0.98	20.1	15.3	410.4	261.2	366.4	278.1	93.2	3.55	54.7	486.1	0.006	98.7	7.12	11
21.8	16.3	12.7	2.45	0.68	22.2	12.6	344.6	219.7	411.3	312.9	91.1	3.28	62.1	600.1	0.008	145.7	6.99	12
22.5	14.1	13.5	3.47	0.75	19.7	13.5	356.8	221.1	291.5	149.5	80.5	3.54	32.6	587.3	0.009	128.5	7.28	13
19.7	12.8	15.7	8.23	0.86	13.7	14.7	482.5	314.2	276.5	145.3	78.9	2.29	44.2	398.7	0.002	136.3	7.39	14
18.4	11.6	19.8	4.18	0.35	20.1	14.8	487.2	367.9	375.9	98.6	66.3	4.65	31.9	528.2	0.003	70.9	7.27	15
15.3	15.7	20.2	6.43	0.29	18.5	13.6	376.3	387.7	483.1	120.5	72.8	4.87	62.7	463.1	0.008	79.3	7.25	16
23.1	13.8	21.3	5.39	0.53	17.6	13.9	325.6	293.1	335.7	267.4	96.7	3.93	60.8	366.5	0.005	85.8	7.29	17
20.6	12.1	15.6	1.87	0.66	22.3	12.7	398.3	222.1	289.4	216.8	94.2	2.21	18.9	498.3	0.006	154.1	7.65	18
18.1	14.1	16.9	5.29	0.58	17.6	13.8	416.7	286.7	366.3	193.6	82.4	3.55	41.8	472.7	0.005	105.0	7.33	*

المصدر:- عمل الباحثة بالاعتماد على نتائج التحاليل الكيميائية في مختبرات كلية العلوم جامعة ذي قار ومختبرات مديرية بيئة ذي قار بتاريخ 2021/1/9-2021/9/11

خريطة (5) التمثيل الكارتوكرافي لتركز الأس الهيدروجيني في تربة منطقة الدراسة.

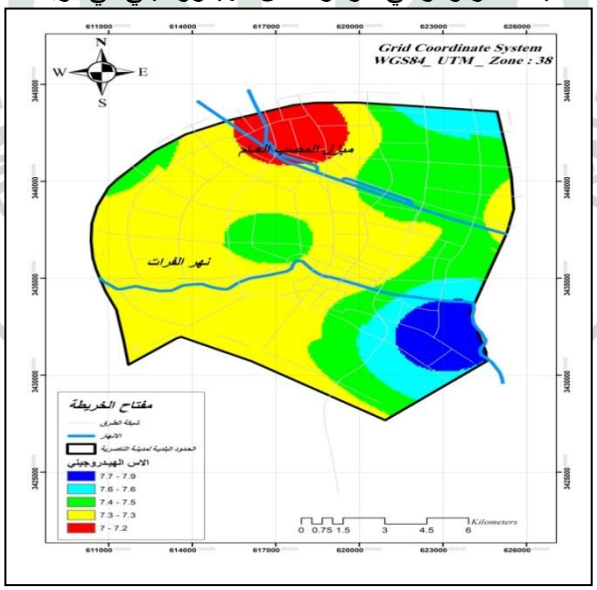

المصدر:-عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــARC GIS 10.5.

لتصنيف المؤسسة العامة لاستصلاح الأراضي لعام 1982 فأن ترب المنطقة تصنف ضمن الترب شديدة الملوحة[22]، وتباينت قيم الإيصالية مابين النماذج ، حيث تراوحت معدلات التركز مابين (162.3-58.2ديسمنز/م) أعلى قيمة سجلت للنموذج(1) وأدناها للنموذج (2) ،خريطة (6) ، ويعزى سبب هذا الانخفاض الى الإمطار وفاعليتها في غسل التربة وتخليصها من الأملاح خاصة الترب السطحية (0-30سم) .

خريطة (6) التمثيل الكارتوكرافي لتركز الإيصالية الكهربائية في تربة منطقة الدراسة.

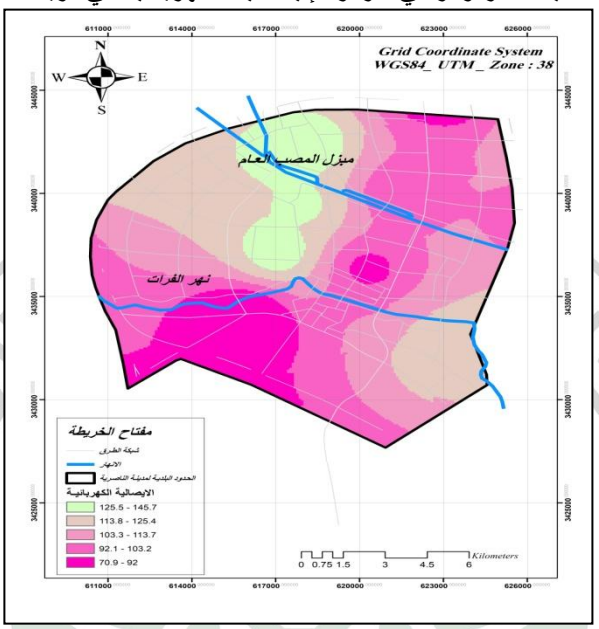

المصدر:-عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــARC GIS 10.5.

3-الكاربونات(CO3):- تراوحت قيم الكربونات في عينات الدراسة مابين (0.001-0.009ملغم/لتر) أعلى قيمة سجلت للنموذج (3 ، 7 ، 13) اما الأدنى سجلت للنموذج (10) ، خريطة (7) ،في حين بلغ المعدل العام للتركز (0.00528ملغم/لتر) ،جدول (5)، أن معظم معادن الكاربونات في الترب العراقية نقلت مع مياه نهري دجلة والفرات وروافدهما بشكل دقائق ناعمة وترسبت مع دقائق التربة الأخرى في السهل الرسوبي[23] ، الذي تعد منطقة الدراسة جزءا منـــــــه.

خريطة (7) التمثيل الكارتوكرافي لتركز الكاربونات في تربة منطقة الدراسة.

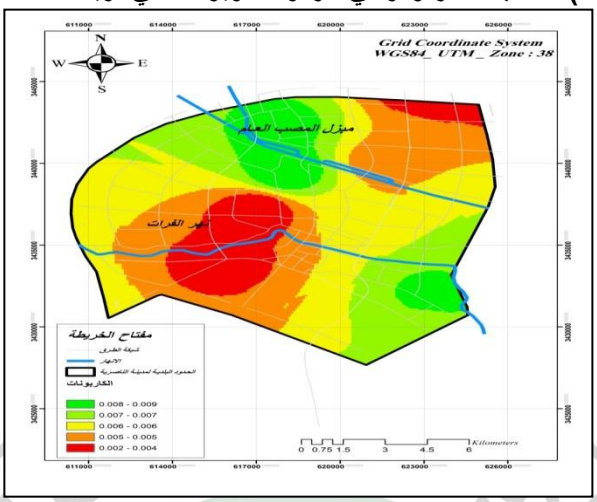

المصدر:-عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــARC GIS 10.5

4-الكبريتات SO4 :- بلغ المعدل العام لتركز الكبريتات في عينات الدراسة وللفصلين (472.7ملغم/لتر) ،ويعزى سبب الارتفاع الى آن الكبريتات تزداد في ترب المناطق الجافة التي تعد منطقة الدراسة واحد منها[24]،آذ أن أعلى تركز سجل خلال فترة الدراسة في النموذج (4) بلغ (611.6ملغم/لتر) اما اقل تركز سجل في النموذج (7) بلغ (312.9ملغم/لتر) ، جدول (5) ، خريطة (8) ومن هنا نلاحظ هناك تباين مكاني في قيم تركز الكبريتات في ترب منطقة الدراسة ويرتبط هذا التباين بالعامل المناخي كدرجة الحرارة والإمطار والتبخر ، الذي يرتبط هو الأخر بوقت اخذ العينات .

خريطة (8) التمثيل الكارتوكرافي لتركز الكبريتات في تربة منطقة الدراسة.

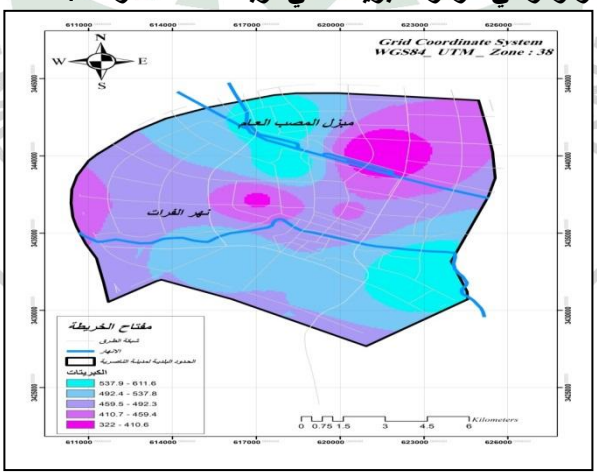

المصدر:-عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــARC GIS 10.5

5- النترات 3NO :- بلغ المعدل العام لتركز النترات في ترب منطقة الدراسة (41.8ملغم/لتر) ، أعلى تركز سجل للنموذج (16) ، اما أدنى تركز سجل للنموذج (5) بلغ (12.9ملغم/لتر)، جدول (5) ، خريطة (9) ، ويعزى هذا التفاوت مابين القيم الى تأثر هذا الايون بعمليات الغسل خلال فصل الشتاء حيث يقل تركزه في الطبقة السطحية ، ويزداد في الأعماق ، لأنه ايون سالب سهل الحركة.

خريطة (9) التمثيل الكارتوكرافي لتركز النترات في تربة منطقة الدراسة.

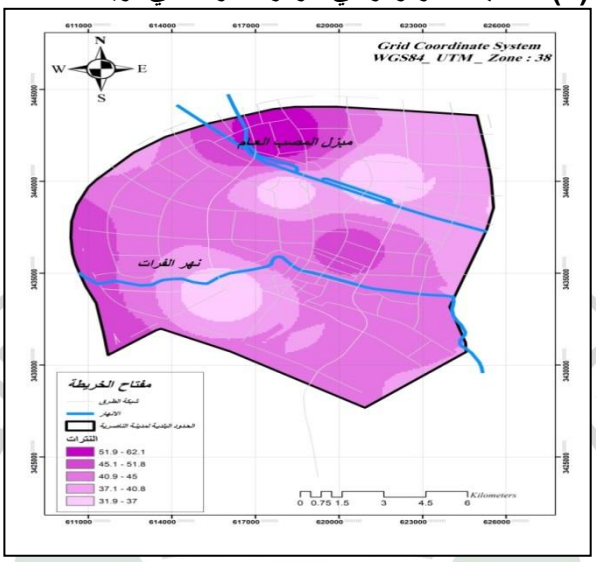

المصدر:-عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــARC GIS 10.5

6-الفوسفات PO4 :- بلغ المعدل العام لتركز الفوسفات في منطقة الدراسة (3.555ملغم/لتر)، و لا يوجد تباين واضح مابين القيم ، حيث سجل النموذج (8) أعلى تركز خلال بلغ (4.98 ملغم/لتر) ، في حين سجل النموذج (3) أدنى تركز بلغ (2.19ملغم/لتر)، جدول (5) ، خريطة (10).

خريطة (10) التمثيل الكارتوكرافي لتركز الفوسفات في تربة منطقة الدراسة.

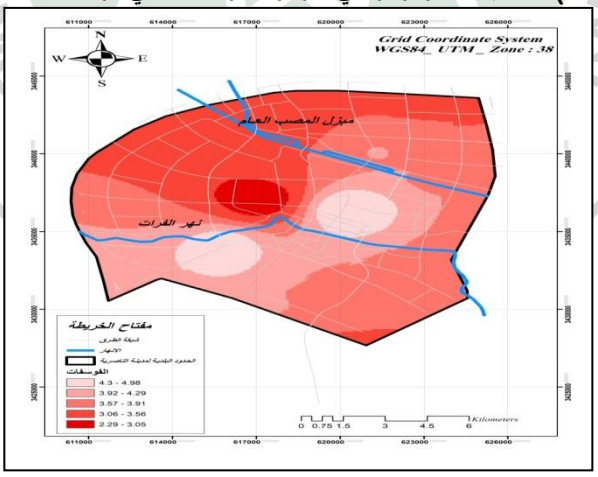

المصدر:-عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــARC GIS 10.5

7- الكلوريد CL :- يتوافر الكلوريد في صخور المتبخرات وفي معادن الصخور النارية مثل الاباتايت والصودالايت فلدسباثويد[25]، تتباين قيم تركز الكلوريد في عينات ترب منطقة الدراسة حيث تراوحت مابين (63.7-99.1 ملغم/لتر) أعلى قيمة سجلت للنموذج (9) وأدنى قيمة سجلت للنموذج (10) في حين بلغ المعدل العام لتركز الكلوريد (82.4ملغم/لتر) ، جدول (5)، خريطة (11) ، ويعزى هذا الارتفاع الى وجود المياه الأرضية الحاوية على تركزات عالية من الكلوريد ، والتي ترتفع الى السطح بفعل الخاصية الشعرية فتتعرض الى التبخر مرسبة كميات من الكلوريد على السطح .

خريطة (11) التمثيل الكارتوكرافي لتركز الكلوريد في تربة منطقة الدراسة.

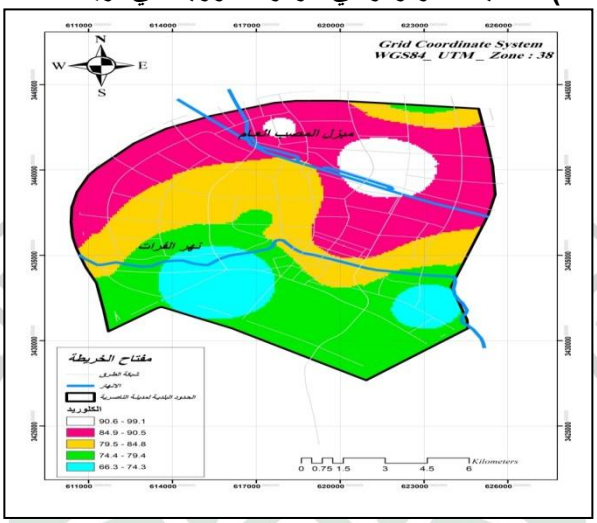

المصدر:-عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــARC GIS 10.5

8-المغنيسيوم Mg :- بلغ المعدل العام لتركز المغنيسيوم في عينات منطقة الدراسة (193.656ملغم/لتر) ، ويعزى سبب وفره هذا الايون في تربة منطقة الدراسة الى وجود معادن الكاربونات وخاصة معدن الدولومايت، وتراوحت قيم تركز هذا الايون مابين (88.9-386.4ملغم/لتر) أعلى تركز سجل للنموذج (9) وأدنى تركز سجل للنموذج (3) ، جدول (5) خريطة (12).

خريطة (12) التمثيل الكارتوكرافي لتركز المغنيسيوم في تربة منطقة الدراسة.

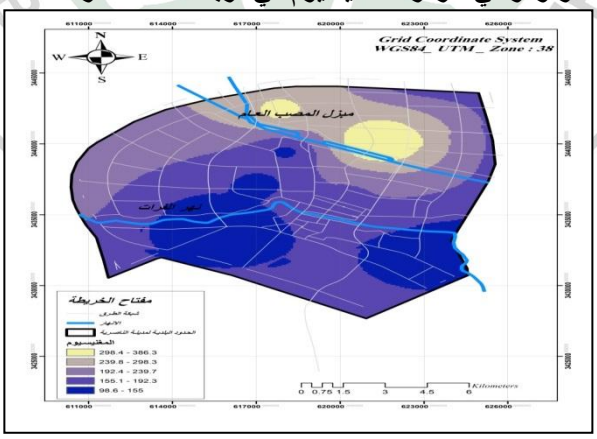

المصدر:-عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــARC GIS 10.5

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

9- الكالسيوم Ca :- بلغ المعدل العام لتركز الكالسيوم (366.32ملغم/لتر) في عينات منطقة الدراسة ، ويعزى سبب هذا الارتفاع الى اتحاد أيونات الكالسيوم المتواجدة في المياه الجوفية مع الكربونات المتولدة من تحلل المواد العضوية[26] ، و تتباين قيم تركز ايون الكالسيوم في ترب منطقة الدراسة ،حيث استحوذ النموذج (16) على أعلى تركز بلغ (483.1ملغم/لتر) ، في حين أدنى تركز سجل في النموذج (6) ، بلغ (228.6 ملغم/لتر)، جدول (5) ، خريطة (13).

خريطة (13) التمثيل الكارتوكرافي لتركز الكالسيوم في تربة منطقة الدراسة.

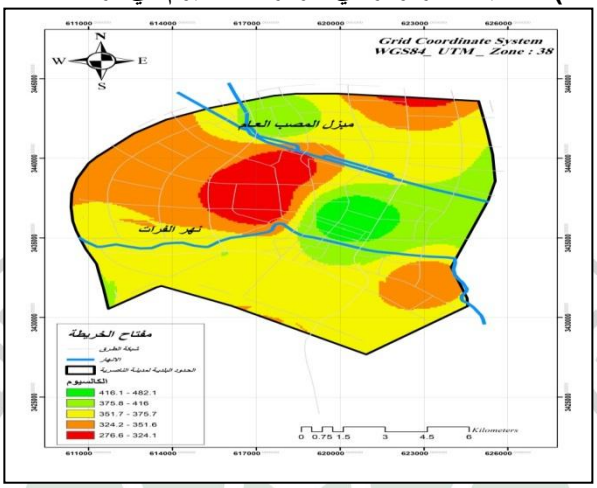

المصدر:-عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــARC GIS 10.5

10- البوتاسيوم(K) :- تراوحت قيم تركز ايون البوتاسيوم في عينات الدراسة مابين (387.7-211.9ملغم/لتر) أدنى تركز سـجل في النموذج (5) ، اما أعلى تركز سجل للنموذج (16) ، في حين بلغ المعدل العام لتركز البوتاسيوم في عينات الدراسة (286.7ملغم/لتر) ، ويعزى سبب ارتفاع البوتاسيوم في ترب المنطقة الى تحلل السماد العضوي من مصادره المختلفة[27] ، جدول (5)، خريطة (14) .

خريطة (14) التمثيل الكارتوكرافي لتركز البوتاسيوم في تربة منطقة الدراسة.

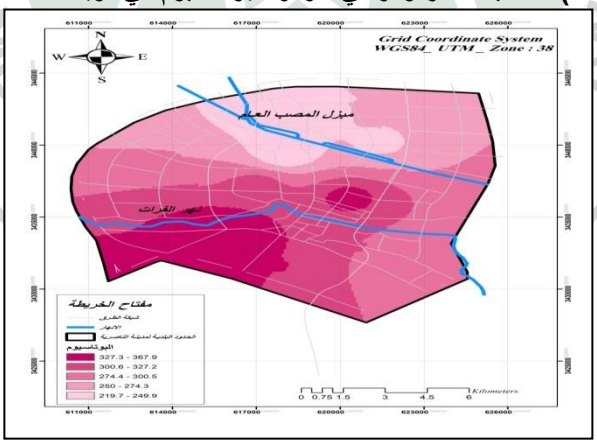

المصدر:-عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــARC GIS 10.5

11- الصوديوم (Na) :- من النظر الى الجدول (5) نلاحظ أن معدل تركز ايون الصوديوم في ترب منطقة الدراسة بلغ (416.7ملغم/لتر) ، ويعزى سبب الارتفاع هذا الى ملوحة المياه الجوفية ، إضافة الى إلى ارتباطه في أجزاء الطين الموجودة ضمن الأيونات القابلة للتبادل الأيوني في المعادن الطينية ،وتراوحت تراكيز الايون للعينات مابين (493.6-312.9ملغم/لتر) أعلى تركز سجل للنموذج (6) وأدناها للنموذج (9) ، خريطة (15).

خريطة (15) التمثيل الكارتوكرافي لتركز الصوديوم في تربة منطقة الدراسة.

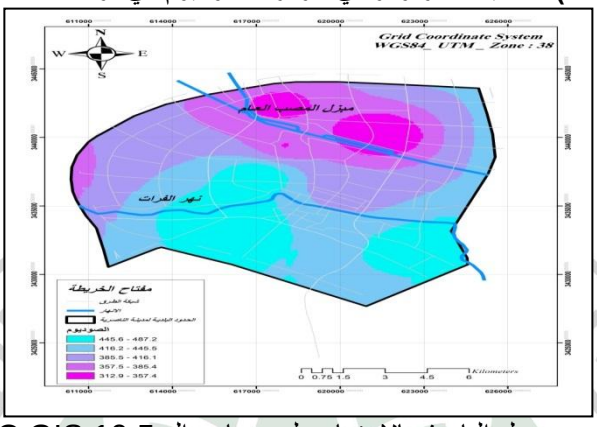

المصدر:-عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــARC GIS 10.5

12- الحديد Fe :- يستخلص الحديد من المعادن الأولية خلال عمليات التجوية وينتقل إلى طور معادن الحديد مثل الهيماتايت والجوثايت ويترافق مع المعادن الطينية أما بشكل محاليل غروية أو بشكل غطاء للمعادن الطينية كأكسيد وهيدروكسيدات[28]، بلغ معدل تركز الحديد في ترب منطقة الدراسة (13.8ملغم/كغم) وتراوحت قيم التركز مابين (15.7-11.5ملغم/كغم) أعلى تركز سجل للنموذج (7) واقل تركز سجل للنموذج (5) ، جدول (5) ، خريطة (16).

خريطة (16) التمثيل الكارتوكرافي لتركز الحديد في تربة منطقة الدراسة.

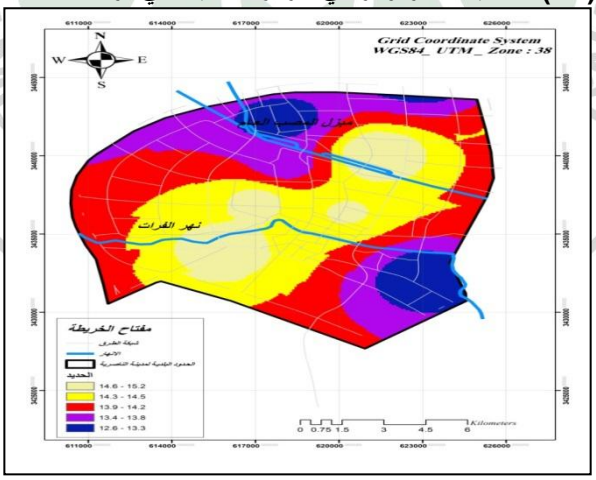

المصدر:-عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــARC GIS 10.5.

13- الرصاص Pb :- بلغ المعدل العام لتركز الرصاص في ترب منطقة الدراسة (17.6ملغم/كغم) ويعزى سبب هذا الارتفاع الى كثرة المخلفات الحربية ومخلفات المعامل وورش السيارات فضلا عن المخلفات المنزلية التي يؤدي تحللها الى زيادة تركز العناصر الثقيلة في التربة[29] ، ومن النظر للجدول (5) نلاحظ آن تراكيز الرصاص تراوحت مابين (22.3-12.4ملغم/كغم) أعلى تركز سجل في النموذج (18) واقل تركز سجل للنموذج (5) ، جدول (5) ، خريطة (17)، وتعزى هذه التباينات الى العوامل المناخية حيث آن للتغيرات الموسمية اثر في سلوكيات العناصر الثقيلة في المحيط الحيوي الذي تتواجد فيه.

خريطة (17) التمثيل الكارتوكرافي لتركز الرصاص في تربة منطقة الدراسة.

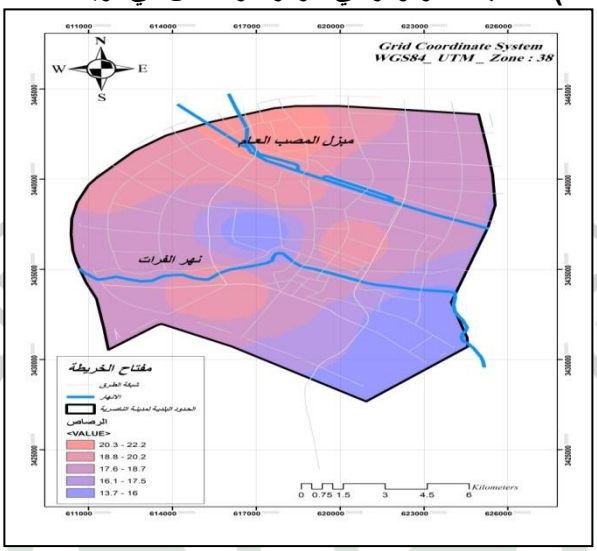

المصدر:-عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــARC GIS 10.5.

14-الكادميوم (Cd) :- بلغ المعدل العام لتركز الكادميوم في التربة (0.58667ملغم/كغم) ، ويعود سبب ارتفاع تركز الكادميوم في ترب منطقة الدراسة الى حرق المواد البلاستيكية آذ تعمل نواتج الاحتراق على زيادة نسبه ترسبه في التربة[30]، وقد تراوحت تراكيز الكادميوم مابين (0.98-0.24ملغم/كغم) أعلى تركز سجل للنموذج (11) ، اما الأدنى سجل للنموذج (2) ، جدول (5) ، خريطة (18).

خريطة (18) التمثيل الكارتوكرافي لتركز الكادميوم في تربة منطقة الدراسة.

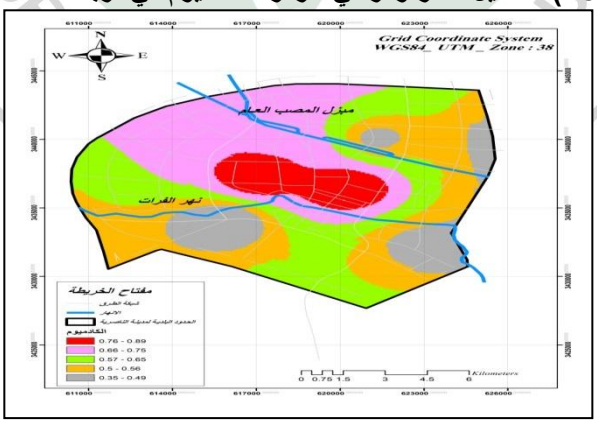

المصدر:-عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــARC GIS 10.5.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

15- النحاس (cu) :- النحاس ثنائي التكافؤ هو السائد في التربة ويوجد الجزء الكبير منه في المركبات العضوية وبصوره كاتيون متبادل على السطوح شبة الغروية للتربة و التراكيز الموجودة منه تتركز في الأجزاء العليا من الرواسب ولذا فأن محتوى الكثير من النحاس يتناقص بازدياد العمق ويعد من العناصر ألمتوسطه الى القليلة الحركة في التربة[31]، تراوحت تراكيز النحاس في عينات الدراسة مابين (1.66-9.54ملغم/كغم) أعلى تركز سجل للنموذج (4) وأدنى تركز سجل للنموذج (1) وهنا يعزى التباين مابين القيم مكانياً ، الى آن موقع النموذج (4) متأثرا بتركز الملوثات الصلبة ، جدول (5) ، خريطة (19).

خريطة (19) التمثيل الكارتوكرافي لتركز النحاس في تربة منطقة الدراسة.

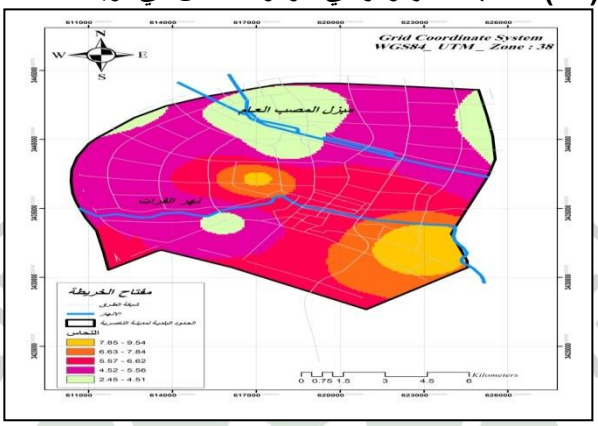

المصدر:-عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــARC GIS 10.5.

16-الزنك (Zn) :- يتضح من النظر الى للجدول (5) ، آن معدل تركز عنصر الزنك خلال بلغ (16.933ملغم/كغم) وتراوحت تركزات الزنك في ترب منطقة الدراسة مابين (11.9-21.6ملغم/كغم) أعلى تركز سجل للنموذج (1) وأدناها للنموذج (11) ، خريطة (20).

خريطة (20) التمثيل الكارتوكرافي لتركز الزنك في تربة منطقة الدراسة.

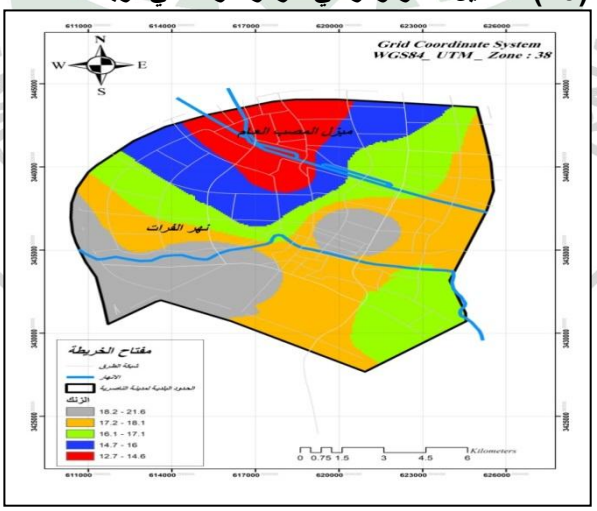

المصدر:-عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــARC GIS 10.5.

17- الكروم (Cr):- آن الكروم من العناصر التي تميل إلى أن تكون سليكات ، وان انتقاليته قليلة في ظروف البيئة القاعدية[32]، التي تعد منطقة الدراسة واحده منها ، بلغ معدل تركز الكروم

(14.1444ملغم/كغم) ، جدول (5) ، تراوحت تراكيز الكروم في ترب منطقة الدراسة مابين (10.1-17.7ملغم/كغم) أعلى تركز سجل للنموذج (11) واقل تركز سجل للنموذج (4) في ، خريطة (21).

خريطة (21) التمثيل الكارتوكرافي لتركز الكروم في تربة منطقة الدراسة.

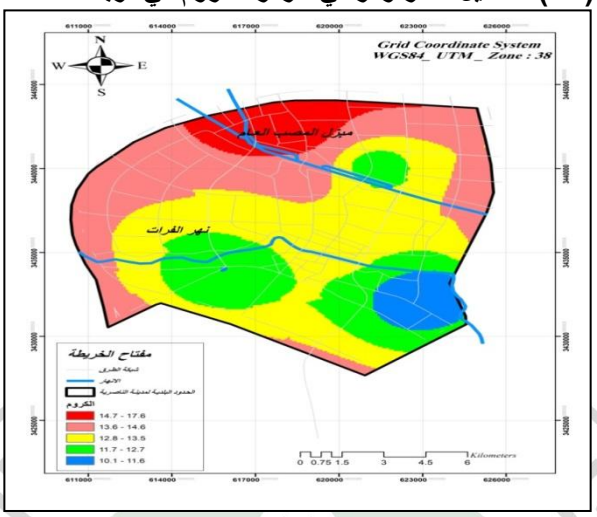

المصدر:-عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــ ARC GIS 10.5.

18- النيكل(Ni) :- تعد المخلفات المنزلية الصلبة مواد معقده التركيب وغير متجانسة ورميها الى الترب يودي الى تحللها وبالتالي يؤثر هذا على زيادة تركز العناصر الـــثقيلة (Pb-Cd-Ni-Cr) في التربة ، ومن ضمنها النيكل[33] ، حيث بلغ المعدل العام لتركز النيكل في ترب منطقة الدراسة (18.133ملغم/كغم) ومن النظر للجدول (5) والخريطة (22) نلاحظ آن قيم تركز النيكل تراوحت مابين (12.2-23.1ملغم/كغم) أعلى تركز سجل للنموذج (3) ، اما اقل تركز فقد سجل للنموذج (11) ، ويعزى هذا التباين الى العامل الطبيعي المتمثل بالإمطار وارتفاع درجات الحرارة ، حيث تعمل الإمطار على غسل التربة وبالتالي انتقال الايون الى الأعماق وانخفاضة في الطبقات السطحية التي أخذت منها العينة ، حيث تزداد انتقالية النيكل بشكل أيوني مما يزيد من سميته بالمقارنة مع الكروم والرصاص التي لها انتقالية قليلة داخل التربة[34].

خريطة (22) التمثيل الكارتوكرافي لتركز النيكل في تربة منطقة الدراسة.

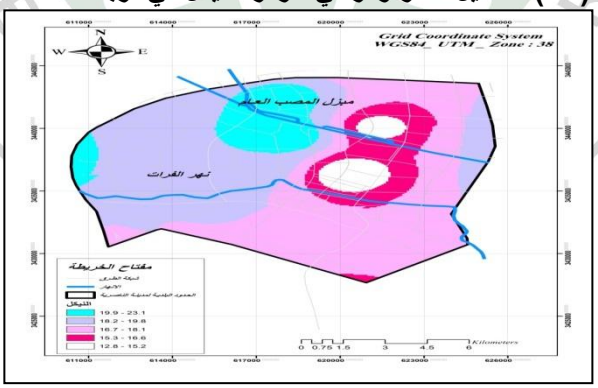

المصدر:-عمل الباحث بالاعتماد على برنامج الـــ ARC GIS 10.5.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

5- مقارنة النتائج الحالية مع المحددات العالمية لتقدير التلوث :- تعتبر العناصر الكبرى المتمثلة بالايونات الموجبة والسالبة غير سامة سواء ارتفعت التراكيز في التربة او انخفضت لا تؤثر، العناصر الصغرى (CU-Zn-Cd-Pb) هي العناصر الأكثر تأثيرا في تلوث الترب ، لهذا تكون المقارنة فقط مع العناصر الصغرى ، واعتمد على المحددات المقررة من قبل (1979Lindsay)[35]، جدول(11).

جدول(6) مقارنة نتائج الدراسة الحالية لترب منطقة الدراسة مع المحددات العالمية.

العنصر	المحدد	المعدل	النتيجة
Pb	10	17.6	خارج الحدود
Cd	0.06	0.58	خارج الحدود
CU	30	5.2	ضمن الحدود
Zn	0.5	16.9	خارج الحدود

المصدر :- عمل الباحث بالاعتماد على التحاليل الكيميائية 2021م

من خلال النظر الى الجدول (6) نلاحظ آن اغلب العناصر كانت خارج الحدود المسموح بها فالنسبة لعنصر الرصاص فقد سجل تركز خارج المسموح بة لجميع العينات ، وكذلك الآمر بالنسبة لعنصر الكادميوم والزنك ، اما النحاس فقد سجل معدلات تركز ضمن المسموح بة لجميع العينات على التوالي.

6- الاستنتاجات Conclusions

1-أثبتت الدراسة آن تقنية نظم المعلومات الجغرافية لها القدرة على تشخيص الظاهرات البيئية بكل دقة ووضوح وتتيح للمستخدم مرونة كبيرة في تمثيل الظاهرات بالطرق التي يراها مناسبة لموضوع الدراسة .

2- آن النماذج الكارتوكرافية التي تبنى بالاعتماد على تقنية نظم المعلومات الجغرافية تعطي تصور واضح للقارئ على امتداد وانتشار الظاهرة ، وتحاكي الواقع الحقيقي بصورة مقاربة جدا .

3- آن الطبيعية الجيولوجية للمنطقة ساهمت بشكل فعال في زيادة تركز بعض العناصر حيث آن ترسبات الأنهار الغرينية والتي هي مزيج من الرمل والطين والحصى آدت الى زيادة نسبة الملوحة في التربة .

4- بينت الدراسة آن مناخ منطقة الدراسة يتميز بصيف طويل حار جاف والشتاء قصير الأمد بارد ممطر أحيانا ، حيث بلغ المعدل السنوي لدرجات الحرارة (25.1م) ومجموع الساقط المطري السنوي (117.7ملم)، ومما لاشك فيه إن درجات الحرارة المرتفعة هذه تساهم في رفع نسب التبخر وجفاف التربة وزيادة نسبة الملوحة وتركز العناصر الفيزيائية والكيميائية .

5- بينت الدراسة آن السكان و ما يلقونه من نفايات سبب رئيس في تفاقم مشكلة تلوث التربة في منطقة الدراسة ، حيث تقدر كمية النفايات المطروحة في منطقة الدراسة لعام 2017 بنحو (801طن/يوم) ، وما يزيد الآمر حدة هو الطرق الخاطئة للتخلص من هذه النفايات .

6- من خلال تحليل 18 نموذج لـــ18 عنصر بواقع ثلاث مكررات لكل عينة آي اجراء 972 تحليل كيميائي تبين آن التحاليل ذات دقة عالية ومستوى الثقة لها تراوح مابين (14.3-0.25) عند مستوى ثقة (68%) .

7- من خلال الاطلاع على ثمانية عشر نموذج كارتوكرافي لتوزيع العناصر الفيزيائية والكيميائية يتبين آن القيم والتركيز اغلبها مرتفعة وخارج الحدود المسموح بها.

8- تبين عند مقارنة قيم العناصر الكبرى مع المحددات العالمية المقرة من قبل 1979Lindsay آن اغلب العناصر كانت خارج الحدود المسموح فقط النحاس فقد سجل معدلات تركز ضمن المسموح بة.

7- المصادر References

1- كاظم عبد الوهاب ألأسدي ، تأثير العوامل المناخية على الصناعات الأساسية في محافظة البصرة وانعكاسها على تلوث البيئة، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1998.

2 - صفاء مجيد عبد الصاحب المظفر ، التباين المكاني لتلوث الترب في محافظة النجف ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، 2007.

[3] - محمد محمد الهادي ، نحو تطوير مصادر المعلومات الالكترونية العربية لمواجهة التحدي الحضاري ، أبحاث ودراسات المؤتمر العلمي الرابع لنظم المعلومات وتكنولوجيا الحاسبات ، المكتبة الأكاديمية للنشر والتوزيع ، جمهورية مصر العربية ، القاهرة ، 1996 .
[4]- محمد أزهر سعيد السماك وآخرون ، جغرافية النقل بين المنهجية والتطبيق ، الطبعة الأولى ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، 2020 .
5- إبراهيم موسى الزقرطي ، معجم المصطلحات والمفاهيم الجغرافية ، الطبعة الأولى ، دار مجدولي للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، 2007 .
[6] - سهل السنوي، وآخرون ، الجيولوجيا العامة (الطبيعية والتاريخية) ، كلية العلوم ، جامعة بغداد ، 1979.
7- مفيد ذنون يوسف ، اقتصاديات السكان ، الطبعة الأولى ، الأكاديميون للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، 2011.
[8]- وزارة الموارد المائية ، الهيئة العامة للمساحة ، قسم انتاج الخرائط ، الخرائط الطبوغرافية لمحافظة ذي قار، بغداد ، بتواريخ مختلفة .
[9]- جمهورية العراق ،وزاره البلديات والإشغال، مديرية بلدية الناصرية ، قسم البيئة ، بيانات غير منشوره ، 2020.

1- كاظم عبد الوهاب ألأسدي ، تأثير العوامل المناخية على الصناعات الأساسية في محافظة البصرة وانعكاسها على تلوث البيئة، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1998، ص151.
2 - صفاء مجيد عبد الصاحب المظفر ، التباين المكاني لتلوث الترب في محافظة النجف ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، 2007 ، ص 8
[3] - محمد محمد الهادي ، نحو تطوير مصادر المعلومات الالكترونية العربية لمواجهة التحدي الحضاري ، أبحاث ودراسات المؤتمر العلمي الرابع لنظم المعلومات وتكنولوجيا الحاسبات ، المكتبة الأكاديمية للنشر والتوزيع ، جمهورية مصر العربية ، القاهرة ، 1996 ، ص 157 .
[4] - محمد أزهر سعيد السماك وآخرون ، جغرافية النقل بين المنهجية والتطبيق ، الطبعة الأولى ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، 2020 ، ص 115 .
[5] -D.R. Jackson and A.P. Watson , Distribution on nutrient pools and transport of heavy metal s in watershed near lead , Vol(6) ,No(4) , 1997.pp 331-332.
[6] - westernman , R.L.(ed) 1990. Soil testing and plant analysis .3rd ed soil .Sci . soc . Am . Madison , WI. USA
[7] - Wals ,L.M , and .J.D.Beaton 1973.. Soil testing and plant analysis . soil .Sci . soc . Am . Madison , WI. USA
[8] - Verina ,B.C . 1977 . An improved turbidimetric procedure for the determination of sulphate in plants and soils , Talanta 24 . 49-50.
[9] - Berger ,K,C , and E. Truog . 1939 . Boron determination in soil and plants Ind Eng Anal Ed . 11: 540-545.
[10] -FAO.1974 . The Euphrates pilot Irrigation Project . Methods of soil analysis , Gadeb soil Laboratory (A laboratory manual) . Food and Agriculture Oganiztion , Rome , Italy.

[11] - Walkley A. 1947 . A critical examination of a rapid method for determining organic carbon in soils : Effect of variations in digestion conditions and of organic soil constituents . Soil sci . 63 : 251-263.
[12] -Gaudette, H.E,et al, An inexpensive titration method for the determination of organic carbon in recent sediments. J. of Sedimentary petrology, 44(1)1974 .
[13] -Mclean E.o . 1982 . Soil Ph and lime requirement .p199-224 , In A.L . Page (ed) , Methods of soil analysis part 2 : chemical and microbiological properties . Am . Soc . Agron , Madison , WI , USA .

[14] -Mckeague , J , A , (ed) . 1978 . Manual on soil sampling and methods of analysis . canadiar Society of Soil Science 66-68 .

[15] - Shaw D . W . Evaluation of data , analytical error & related to topics in geochemistry , in wedephol K . H . (ed .) , Handbook of geochemistry , Springer – Verlag , Berlin , Vol . 1 , 1969 , P . 324 – 330 .

• الانحراف القياسي يقاس وفق العلاقة الآتية :-

$$S = \sqrt{\frac{\sum (x-\bar{x})^2}{n-1}} =$$

حيث آن :-
S : الانحراف القياسي.
x : التركيز لقراءة واحدة.
X : لمتوسط الحسابي للقراءات (المعدل).
n : عدد القراءات لكل نموذج .

[16] -Stanton R . E . Rapid methods of trace element analysis for geochemical Application , Edward Arnold publ ,London 1966.

• تمثل (R) المعدل النهائي لقراءات ثمانية عشر نماذج لكل عنصر.
• يعد الزمن الجيولوجي الرابع آخر الأزمنة الجيولوجية في تاريخ تكوين الأرض ، و يعود الى حوالي 2مليون سنة ولا يزال مستمر الى ألان ، للمزيد الاطلاع على :-
- إبراهيم موسى الزقرطي ، معجم المصطلحات والمفاهيم الجغرافية ، الطبعة الأولى ، دار مجدولي للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، 2007 .
[17] - سهل السنوي، وآخرون ، الجيولوجيا العامة (الطبيعية والتاريخية) ، كلية العلوم ، جامعة بغداد ، 1979.
[18] - Republic of Iraq, Ministry of Industrial and minerals, geological map of Iraq, Scale: 1: 1000000.
[19]-P.Buringh, Soil and Soil Condition in Iraq, Min. of Agriculture, Iraq, 1960.
[20]- وزارة الموارد المائية ، الهيئة العامة للمساحة ، قسم انتاج الخرائط ، الخرائط الطبوغرافية لمحافظة ذي قار، بغداد ، بتواريخ مختلفة .
[21]-جمهورية العراق ،وزاره البلديات والإشغال، مديرية بلدية الناصرية ، قسم البيئة ، بيانات غير منشوره ، 2020.
• - تم حساب الزيادة المطلقة من خلال قسمة عدد السكان الكلي لتعداد 2017على الفرق بين التعدادين وهو 10 سنوات .
•• - تم حساب الزيادة السكانية المستقبلية لمدينة الناصرية اعتمد على معدل النمو Growth Rate وسنة الأساس2017 وفق معادلة النمو المركب التالية :-

pn = po (1+ r) n

حيث آن :-
Pn = عدد السكان المتوقع لسنة المستقبلية.
Po = عدد السكان في آخر تعداد.
R = معدل النمو السنوي بين آخر تعدادين.
N = عدد السنوات الفاصلة بين آخر تعداد والسنة المستقبلية .
للمزيد في مسائل تقديرات السكان الاطلاع على المصدر الآتي :-
- مفيد ذنون يوسف ، اقتصاديات السكان ، الطبعة الأولى ، الأكاديميون للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، 2011.
• جميع وحدات القياس (ملغم/لتر) ماعدا الأس الهيدروجيني بدون وحدة قياس ، والايصالية الكهربائية بوحدة ديسمنز/م ، والعناصر الثقيلة بوحدة قياس (ملغم/كغم) .
[22] -S.Elis and A.Mellor .Soil and Environment .London and Newyork .1995 .p .93.
[23] - Delver, P. Saline soil in the lower Mesopotamian plain .Tech .Bull.No.7 . Ministry of Agriculture , 1962. Iraq .
[24] - Vozbutskya, A.E., 1977, Soil Chemistry , Fishia Shkola Publishers, Moscow.

[25] -Rankama K . & Sahama T . G ., Geochemistry , Univ . of Chicago press , London , , 1950 .
[26] - Sanders, J. E. , Anderson, A.H., & Carola, R., 1976, Physical Geology. (1st ed). Department of Harper & Row Publishers, New York.
[27] - Onweremadu,E.U.2007. Characterization of a Degraded Ultisol Amended with Cassava Peel, Cattle Dung and Poultry Droppings in Southeastern Nigeria. Journal of Plant Sciences 2 (5): 564-569.
[28] - Schwertmann V . & Taloyer R . M . , 1987 , Iron Oxides Dixon abd S . B . Weed (ed .) , Mineral in Soil Environment Ch . 8 , Soil Sci . Am . Madison , Wis , 2nd ed .
[29] - Alwan. A.M (2009) Measuring the concentration of heavy elements Pb,Cd,Ni and uranium in the Soil of Some areas in Baghdad ,M .Sc, thesis,University of Baghdad..
[30] - Baird. C , " Environmental Chemistry"
,University of western Ontario, New York ,
Vol(1),No1 , (2001).
[31] -Lindsay, W. L. 1979. Chemical equilibrium In soils, John wiley and
sons. Lnc. New York.
[32] - Hawkes H . E . & Webb J . S . , 1962 , Geochemical characteristics of the elements . In : Geochemistry in mineral exploration , Harper & Row.
[33] - Bris. F.J, Garnaud. S., Apperry. N., Gonzalez .A, Mouchel. J.M., Chebbo. G. and theVenot D.R ,(1999).,A street deposit sampling method for metal and hydrocarbon contamination assessment, Scitotal Environ, vol (235),pp(211- 220).
[34] - Hana A . A . & M . AL-Hilali , 1986 , Distribution of some chemical elements in the Sediments of Mesopotamian plain , J . Geol . Soc . Iraq , Vol . 19 No . 2 , PP . 255 – 239.
[35] - W.L.Lindsay, "Chemical equilibrium of soil", John Wiley and sons, New York , 1979, p (450).

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

الدلالات التعبيرية للمشهد الثوري في الفن

الباحثة :حنين محمد عبيد سلطاني
أ.د. فاطمة عمران راجي الخفاجي
جامعة بابل/ كلية الفنون الجميلة

ملخص البحث :
لقد تقصى البحث الحالي (الدلالات التعبيرية للمشهد الثوري في الفن)
ولقد تضمن البحث الحالي اربعة فصول، استعرض الفصل الاول الاطار المنهجي للبحث ممثلاً بمشكلة البحث واهميته والحاجة اليه، فضلاً عن هدف البحث الذي يتقصى (الكشف عن الدلالات التعبيرية للمشهد الثوري في الفن)، ثم حدود البحث وتحديد المصطلحات.
اما الفصل الثاني فقد تضمن مادة الاطار النظري والدراسات السابقة، حيث شمل الاطار النظري مباحث : استعرض المبحث الاول: دلالات التعبيرية مفاهيما آما المبحث الثاني يتناول المشهد في العمل الفني واختتمت الباحثة هذا الفصل بمؤشرات الاطار النظري والدراسات السابقة .
اما الفصل الثالث، فقد تمثل بالإجراءات المتعلقة في مجتمع البحث للمدة الزمنية (1950-2000) واختيار عينة البحث والتي بلغت (21) انموذجاً فنياً تم اختيارها بشكل قصدي من اجل تحقيق اهداف البحث الحالي , واعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي من اجل تحليل نماذج العينة مع الافادة من مؤشرات الاطار النظري وتم بناء اداة البحث بصيغتها الاولية والنهائية ، والقيام بتحليل نماذج عينة البحث بعد التأكد من سلامة صدق وثبات الاداة.
وتضمن الفصل الرابع نتائج واستنتاجات البحث وكذلك التوصيات والاقتراحات من خلال ما اسفرت عنه الدراسة التحليلية , فقد لخصت الباحثة الدراسة الحالية بمجموعة نتائج تمثلت اهمها بالاتي :
1- إن استثمار الدلالات التعبيرية وتداعياتها للثورة كآلية اشتغال للبنى التخيلية عند المتلقي من خلال كسر حواجز القانون والثوابت والسلطة للإقصاء الناس بحكم اللون والعرق وثورية التمرد على كل الثوابت لخلق سطح بصري يتجاوز ابجديات المتلقي لينفتح عنده التفكير فيما وراء الصورة التي امامه للكشف عما ورائيات الشكل لخلق أنظمة بنائية جديدة كما في جميع نماذج عينة البحث.
2- لقد ارتبط مفهوم المشهد الثوري بكل ما هو لا واقعي من خلال الاعلاء من الجانب التخيلي وكسر حدود الواقع وتجاوز زمكانيته فنلاحظ أن بعض الفنانين يجنحون إلى اقصاء كل ما هو عقلاني من خلال استعارة القصص الخيالية أو الكائنات الأسطورية وتوظيفها في فضاءات سريالية وهذا نجد اشتغالاته في جميع نماذج عينة البحث.
14- انطلقت فكرة اللامتوقع وارتباطاتها مع الدلالات التعبيرية من خلال الارتكاز على الظروف الابتدائية للحدث فأن فكرة صغيرة يمكن أن تقودنا إلى نتائج كبيرة وغير متوقعة، فأن نقطة الانطلاق التي يبدأ عندها الفنان وهو يريد الدمج بين الواقعي والخيالي بخطوطه المعقلنة أو تجاوز حدود اللوحة تقنياً من

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

خلال محاولات الفنان افراز مكبوتاته نتيجة الصراع الثوري التي تثيره وتأثر به، كما في جميع نماذج عينة البحث .
ومن خلال النتائج توصلت الباحثة الى مجموعة من الاستنتاجات يتلخص أهمها بالاتي.

1- لقد تجسد المشهد الثوري مع الدلالات التعبيرية في الفن مع طروحات اللامعقول والذي يثر القارئ ويهز مسلماته البصرية من خلال توظيف الاشكال الأسطورية في منجزاتهم الفنية محاولين استعادة ثقافتهم الدينية والروحانية التي طمسها الاخر.

2- لقد تجاوز المشهد الثوري بمقتربات فكرية حيز التعبير الفردي عن الحالات الذاتية، لينتشر ويُصبح اسلوباً في التعبير عن كم وحجم ثورة الحياة الإنسانية برمتها في ظل التسارع والصراع المحتدم والتقدم التكنلوجي وتعقد الحياة المعاصرة، فضلاً عن أنها تجاوز الحقائق الكامنة وخلخلة مسلماتها وثباتها وحولتها إلى مفاهيم احتمالية أو نسبية.

المبحث الأول:

عند التفكير في موضوع المشهد نجده ينطوي على مجموعة الأجزاء أو العناصر،وهي المادة الدالة على قوالب البناء الحسية التي يتركب منها العمل،حيث ترتب وتنظم هذه القوالب على نحو معين-هو الشكل. يقول "جون ديوي" نحن نجد في الشكل ((**تنظيما للعناصر المكونة،أو الأجزاء المركبة**)).[1]
فالشكل هو جمع لعدة عناصر متحدة في كيان واحد له قيمة الإدراك العقلي.ويرى "هربرت ريد".. إن لفظة الشكل في الفن تعني((**الهيئة التي اتخذها العمل**)).[2] في حين يفرق "ارنهايم" بين الشكل Form والهيئة Shape، أو المظهر الخارجي للشيء ويقول إن (**الهيئة هي الجوانب المكانية الخاصة بخصائص المظهر الخارجي للأشياء،ولكن لا يوجد نمط بصري يكون عبارة عن ذاته فقط، فلابد من انه يمثل شيئا ما وراء وجوده الفردي،وهذا يشبه القول بان الهيئة ككل هي شكل لمحتوى ما،والمحتوى أو المضمون ليس هو بالطبع مادة الموضوع أو خامته**).[3]
ويعد استخدام (رودولف ارنهييم)* لمفهوم "الشكل" استخدام يتضمن الهيئة والمضمون وعليه (فالشكل بالمعنى الإدراك ضروري للتشخيص الواعي الحسي للمحتوى،أما بالمعنى البنائي فانه يمثل تناغم معين أو علاقة تناسبية للأجزاء مع الكل وكل جزء مع الآخر).[4]
فالشكل يشير إلى طريقة خاصة في النظر إلى الأشياء والإحساس بها من خلال التركيب الخاص للعناصر والتي تعدالجوهر الفعلي أو الموضوع الفني نفسه.
وبهذا فالطابع المميز للهيأة الفنية إنما هو توثيق العلاقات التي تجمع بين الأجزاء، وهذا ما أكده "بارنز" من خلال طرحه للصورة الفنية أي "الشكل" وتأكيد على الامتزاج التام أو الاندماج المتكامل ما بين العناصر. فيقول ((إن التأليف أو الامتزاج الذي يتحقق بين جميع الوسائط التشكيلية إنما بمثابة اندماج انسجامي يتم بينها جميعا)).[5] والواقع إن الكيفيات الحسية هي التي تحمل المعنى،وتكون بمثابة النفس من البدن.
وقد رأى "سانتيانا"[*] في المشاهد (المحصلة النهائية لعناصر مجتمعة،ولا يضعه بمعزل عن المادة والتعبير الذي عدهما المقومات الأساسية لقيمة الشكل الجمالية).[6] وطرح سانتيانا هنا لا يختلف عن طرح "سوزان لانجر" في عد الفن (إبداع أشكال قابلة للإدراك الحسي بحيث تكون معبرة عن الوجدان البشري 0فالفن يبدع مشهدا وهذا المشهد ينبغي أن يكون معبرا،وما يعبر عنه هو الوجدان البشري)[7] وعليه

فالمشاهد تعد عملية تنظيم عناصر مرئية للهيئة الفنية، بحيث تتلاءم كلها لخدمة المشهد العام ،ولابد له أن يحقق هدفا معينا ويخدمه.

على إن "المشاهد " في العمل الفني تتميز فيه النظم الشكلية بوحدة متكاملة تعبر عن موضوع ما، له تركيبته البنائية، وعناصره الأساسية التي لا يستطيع أن يبدو قائما بدونها، لأنها تمثل وحدته المادية التي تجعله مجسدا في موضوع حسي متماسك ومنسجم في مادته ،كما ينطوي على مدلوله الباطني، ويعبر من جهة أخرى عن حقيقة روحية يشعر بها المتلقي وفق قدراته، خارج واقعة الملموس.

وبهذا فأن المشهد هو الصورة المادية المحسوسة والتي تشير إلى صورة ذهنية تتجلى "هذه الصورة" من خلال مادة الشكل. وهنا يكمن حوار الرؤية بين كل من الشكل والمضمون.

وإن الأجزاء أو العناصر الحسية المكونة للمشهد، يمكن لها أن تثير صورا وحالات نفسية .

الفصل الثالث

أولا: مجتمع البحث

بعد اطلاع الباحثة على ما هو منشور ومتيسر من مصورات ونماذج فنية مصورة التي تتعلق في مجتمع البحث الخاصة (دلالات التعبيرية للمشهد الثوري في الفن) استطاعت إحصاء (10)الخاص بهدف البحث.

ثانيا :عينة البحث .

قامت الباحثة باختيار عينة بحثها والتي بلغت عدد(3) وبصورة قصدية وبنسبة 3%

ثالثا: تحليل عينة البحث .

الاتجاه الفني	السوبرياليزم	Superialism
اسم العمل	أرض الوطن	Homeland
اسم الفنان	بو بارتليت.	Bo Bartlett
تاريخ الانجاز	1994	1994
الخامة	زيت على كانفاس	Oil on canvas
القياس	134 × 204 سم	134 cm 204
العائدية	معرض دالاس للفنون	Dallas Art Gallery
المصدر	موقع الفنان بو بارتليت	https://ar.tr2tr.wiki/wiki/Bo_Bartlett

وصف العمل:

في هذا المشهد تشكل صورة بورك وايت الخلفية لمجموعة من التجاويف التي تقوم بإظهار شعارات دائمة وعابرة, والنص في اسفل الإطار مستنسخ من التعاليم اليهودية الدينية, أما بالنسبة للعناصر العضوية في اللوحة والفاكهة المتحللة وساعة الجيب والسمعة المشتعلة التي ربما تكون عبارة عن نصب تذكاري, فإن كل هذه الاشياء تمثل عدم ثبات هذا العالم, ويمثل هذه المشهد خلفية فلاك الدينية والشخصية ,وتقوم اودري فلاك باستخدام التكنولوجيا الحديثة وأساليب العمل في خدمة الاهتمامات الفنية والموضوعات القديمة, وان هذا لمشهد يمثل الحرب العالمية الثانية الذب تتحدث عن التناقضات الثورية مثل ؛ الموت والحياة, والجمال وتظل الرسالة الثابتة لمشهد هي رسالة المرونة والبقاء.

تحليل العمل:

إن الوضوح المتبدّي في مشاهد (اودري فلاك) يمثل استذكاراً لصور فوتوغرافية فحصت بشكل دقيق عناصر وأجزاء وبِنى جانبية غير موجودة في الواقع, وتستخدم الكاميرا لحل المشاكل التصميمية التي تحدث في أثناء التنفيذ, وهذا النوع الذي يندر أن تكشفه الكاميرا لذاتها.

وإن هذه اللقطة المُقرّبة والمزوّمة للمشهد الواقعي تحمل مضموناً دلالياً عميقاً مفاده الهروب من فوضى الحياة بمظهرها الاستهلاكي والعولمي, وإيجاد ملاذ آخر للذات تتمكن من خلاله من لم شتات ما تبقّى من قيم الجمال المندثرة تحت ركام العبث ,وإن الفكرة التصميمية اقتضت تحرّي الإشارات البصرية المنبعثة من المحيط الموضوعي بأسلوب إدراكي ينزع إلى تثبيت تقلبات الصور الواقعية, والبحث في محيطية المقطع التفصيلي للبناء العام من خلال تبنّي تصورات وافتراضات منطقية ممزوجة بطاقة فاعلة للخيال, والتي تستدعي الرغبة في دراسة جوهر الأجزاء الأشكال والصور الجامدة .

وإنّ المشاهد الثورية لتشكيل في الحقل المرئي للمشهد تدل على قصدية (فلاك) في إعطاء اتجاهات الأشكال بصورة تحرك المشهد العام للمسطح التصويري باتجاهات مختلفة, تبعث على الإحساس بديمومة حركية تلك العناصر في اللوحة, لإضفاء نوع من الإيهام البصري, فإلغاؤه لفضاء اللوحة وتكريسه للأشكال قد خدم فكرة الإيهام .

وإن سيادة اللون الأزرق البرّاق لم تكن مكتملة بالرغم من احتلالها للمساحة الكبرى من اللوحة, إذ أن القيمة الصغيرة للمساحة اللونية للون الأحمر ووضعه في أماكن مهمة من المشهد.

وإن إدراك (فلاك) لأهمية الحرف في الشكل, مكّنه من تعزيز السمة الفوتوغرافية, وهو ما يتجلّى في حِرَفيّته في تنفيذ الحرف الموجود في الشكل, والذي تميز عن الحروف الباقية في الأشكال الأخرى الانسيابية والعضوية, إن ما يقدمه هذا المشهد ليست صورة فوتوغرافية ولأشيء بعدها, فهي تصور اللاشيء أو اللامعنى من خلال الشيء, فالكثير مما قدمته السوبرياليزم ليس إلاّ استعراض للمهارات الفنية ومحاولة مجاراة الصورة الفوتوغرافية ومهارات الوصول إلى هذه الصورة, فالمتلقي هنا لا يرى أمامه إلاّ ما يقدم في الصورة وليس المعنى العميق لها, والفنان لا يريد أن يكون هناك إلاّ التعبير عن سطحية المعنى, إن اللامبالاة واضحة هنا بدلالة عدم الاكتراث لما يقدمه الموضوع, فالموضوع المقدم هنا بسيط أو (محتقر / مبتذل) لما اعتاد أن يقدمه فن الرسم أو الفنون التشكيلية الحديثة, وفي الوقت نفسه, ما يقدمه ليس حقيقة, بل هو أساس تشكيك وعدم إيمان بالحقائق والقيم والتقاليد التي يقدمها الفن وعلاقاته وامتداداته مع الذات الإنسانية والمجتمع من خلال تاريخه الطويل, فالنص المحتوي على مجموعة من البنى الصغيرة مكتفية بذاتها ولذاتها, لاحتوائها شرط الوجود من عدمه, إذ لا توجد ضرورة حتمية أو سببية تدعو إلى تكوين الأشكال أو البنى المنفردة على أساس التأثير والتأثر, والنص يمتلك مقومات وجوده واكتفاءه بذاته ولذاته دون أيّة علاقة بالمؤلف، وهذا العمل الفني لا يشترط وجود غاية خارجية فيه، فغايته بذاته ولذاته .

ويتبين مماسبق إن المشاهد الثورية في الفنون المعاصرة – والتي يصورها (فلاك) في مشهده في مجاراة الصورة الفوتوغرافية – هو فعل يحمل صيرورته وديمومته وثورته وفناءه في
داخله, فهو يرتبط بحركية الزمان وتأثيره العميق في كل ما ينتجه الإنسان, والفنان من
فنون, وسلع, ونتاجات مختلفة, فلابد من ملاحقته, وأن يكون الفنان والإنسان جزءً أساسياً وجوهرياً من حركيته ونزعته, التي تشترط اللحظة العابرة والموت داخل الحياة وهكذا, فالزمان والإثارة يتحركان في نسق ثوري .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN–2536–0027

الاتجاه الفني فن الأداء Body Art
اسم العمل ----- -----
اسم الفنان فيث رينجولد. Youri Messen - jaschin
تاريخ الانجاز 1987 1987
الخامة زيت على قماش Color on body
القياس 57,1سم ×72,4سم 72.4 cm 57.1
العائدية متحف الاستوديو في هارلم Studio Museum in Harlem
المصدر موقع الفنانة فيث رينجولد https://ar.jf-maia.pt/if-one-can-anyone-can-all-you-gotta-do-is-try

وصف العمل:
يمثل العمل صورة فوتوغرافية الاجساد مقوسة الى الخلف، وقد نفذت فيث رينجولد المشهد على منطقة الجذع بأشكال تختلف تبعا لاختلاف المساحة المتاحة واختلاف مستويات تلك المساحة, فقد رسمت خطوط مائلة تغير اتجاهاتها تبعا لالتواءات وارتفاعات وانخفاضات الجسد في منطقة البطن والصدر، وقد لونت بألوان مختلفة بينما تكمل الفنانة فيث رينجولد العمل على منطقة الظهر بتغير اشكال الخطوط الى مربعات ومستطيلات متقطعة بمحاور افقية وعمودية تتغير احجامها عند التقائها بالمنطقة الامامية وتم تلوين الاشكال بألوان على خلفية متدرجة بين الاحمر والاصفر,, للإنشاء مشهد متناظر لا متوقع بشكل معقول متراكب فوق عالم واقعي عبثي يمثل الحرب الاهلية ما بين افراد المجتمع الأمريكي.
تحليل العمل :
لقد وزعت الفنانة(فيث رينجولد) الاشكال في هذا المشهد التعبيري التي اجتمعت في بنية قراءاتية واحدة تضفي جمالية ثورية أخذ الجزء الأول من العمل اعلى اليمين خطوط بيضاء تتخللها سوداء وكذلك النصف المناظر لها توحد فيها اللون الأحمر الذي يدل على الدماء السائل بين افراد المجتمع الأمريكي أما المربع الأخير استخدم فيه الفنان خطوط فيه مساحات كأنها للأجساد مموهة, عبث الفنان (فيث رينجولد)

في الوحدة العضوية للموضوع شكلاً ومضموناً ففيه نجد اشكالاً تشكلت من تلك الخطوط لها معاني تنطق بالنزعة الثورية .

وتعمدت الفنانة تكرار الخطوط بامتدادات وانحناءات ملائمة للهيئة التشريحية لمنطقة الصدر والبطن. لتنجز وحدة تكوينية بحركة متموجة الى اعلى، ومتكررة بانتظام تؤدي الى استمرارية حركة الرؤيا من الاسفل الى اعلى ومن ثم الى الخلف.

وحاولت الفنانة (رينجولد) اختيار شكل بصري يفعل الترابط بين اللون والجسد واشكال الخطوط لتحقيق الوحدة داخل كلية سياق العمل تشتت البؤر المهيمنة، ساعية نحو تعدد المراكز لتحقيق التأثيرات البصرية وتحقيق قوة جذب للمتلقي تنسيه الجسد الحامل للعمل واطلاق افق الخيال للبحث عن الدلالات الكامنة خلف الأشكال.

ويعتمد فضاء المشهد الفني على مساحة الجسد وكيفية توزيع العناصر في النظام التكويني للعمل. التي تحقق الثورة الشكلية المحملة بخواص تعبيرية, حيث اعتمد الشكل الامامي على الامتداد بينما تم تقطيع الاشكال في منطقة الظهر وبهذا يكون العمل مبنى على ثنائية جدلية ثورية تتمثل الاستمرار والتقطيع، الخط والمربع، المائل والمستقيم، الامام والخلف.

واصبح وجود الجسد تكميلي لشكل المشهد , فقد استعمل كخامة حاملة للأشكال والالوان المتدرجة التي تتناسب مع المستويات المتحركة, ولكونه سطح ملائم لتنفيذ فكرة الفنانة, إضافة إلى ما يحمله من دلالات سايكولوجية وتعبيرية ثورية.

ولقد تميز هذا المشهد البصري بالدلالات التعبيرية العفوية، وصيغ التكوين التي تمتد على طول اللوحة وعرضها، والتي رسمت باندفاع وبقوة نفسية منبعثة من الداخل، وهي تعبير مباشر عن الحياة الداخلية التي تدفع الفنان نحو العمل، وهذه إشارة إلى الواقع المعاش فعند اهمال الرعية من قبل حاكمهم يتحول المجتمع إلى فوضى عارمة لا يمكن التنبؤ بنتائجها تدق أوساط المجتمع الأمريكي, نتيجة الإهمال واللامبالاة.

وبناءً على ما سبق ترى الباحثة ان الأجساد تتخلى عن روحيتها وحياتها لتصور المشهد الفني وتعبر عن ثورة الاعراق البشرية الى استعارات شكلية وظفت بما يتلاءم مع فكرة المشهد التي تبتعد عن الاهتمام بالأحاسيس والمشاعر الذاتية لحامل العمل وثورة الفن من الاهتمام بكل الثقافات اصبحت اعراق وجنسيات الاجساد هي المعبرة عن تلك الثقافات وتقاليدها, والتي تصور أسلوب الحياة الأمريكي فيما يتعلق بحركة الحقوق المدنية, وهذا المشهد يمثل التفاعلات العرقية من وجهة نظر أنثوية, وتضع قضايا عرقية أساسية في أمريكا, أوضحت أ رينجولد ن اختيارها لمجموعة سياسية يأتي من الجو المضطرب المحيط بها.

الاتجاه الفني	الفن الكرافيتي	graffiti art
اسم العمل	صراع ميشيل ستيوارت.	Michelle Stewart's fight
اسم الفنان	كيث هارينغ.*	Keith Haring
تاريخ الإنجاز	1985 1985	
الخامة	اكرلك على قماش	acrylic on canvas
القياس	29 × 367سم	29 cm 367
العائدية	متحف غوغنهايم مدينة نيويورك	Guggenheim Museum New York City
المصدر	موقع الفنان كيث هارينغ	https://www.guggenheim.org/exhib/basquiats-defacement-the-untold-story

وصف العمل:

يمثل هذا المشهد أشكالاً كارتونية يتضمن شخصية سيتورات المعنفة وجوها وفي الوسط رسم الفنان (كيث هارينغ) مجموعة أشكال إنسانية راقصة بدون توضيح التفاصيل, وتتكرر تلك أشكال الايادي في الأسفل لكن بأعداد أكثر وبأ احجام اصغر يتوسطها مربعان تحويان شكل مدارات الذرة. تحليل العمل :

لقد حاول الفنان (كيث هارينغ) في هذا المشهد تحقيق تجانس خطي ولوني في البنية الشكلية لتكوين المشهد حيث اختزل اشكاله وحاول تبسيطها نتيجة لما مر به من سياق تطوري وتراكم معرفي وتكثيف فكري، استطاع ان يقصي في اشكاله كل ما هو ثانوي امام ما هو جوهري والذي يدعم رسالة المضمون واظهر (كيث) أشكاله داخل أنظمة هندسية تتألف من المربع والدائرة والمنحنيات الخطية, وقد حمل أشكاله طاقة حركية وعفوية التي تبدو بهيئات راقصة عابثة تتخلص من سكونيه المشهد الهندسي وتحاول الانفتاح بالمشهد إلى الخارج لكن الفنان تلاعب بالأشكال الجانبية لتحديدها في أطرها الفضائي الجداري داخل البنية الكلية للتكوين.

وقد حقق الفنان (كيث) التوازن بصريا من خلال إيجاد علاقة للتماثل الشكلي واللوني من خلال تشابه التوزيعات بين الجزء الأيمن والأيسر؛ لإضفاء الشعور بالاستقرار والراحة المعاكسة لفوضى الشارع في مدينة نيويورك مما يؤثر في رؤى المتلقي وتفكيره الذي يحاول ان يجد السكون في وسط ضوضاء المدينة المزدحمة, ومن خلال تكرار الاشكال اسس علاقة ايقاعية في النسق التكويني للمشهد .

ويؤدي الخط دورا فاعلا في تحديد البنى الشكلية لتكثيف المفاهيم الجوهرية, حيث تتميز أشكاله بتحديدها بخطوط غامقة ومن ثم ملؤها بلون واحد وبدون تدرج.

أما من الناحية التقنية فقد اعتمد الفنان (كيث) اصباغ مختلفة من واصباغ السبري باستخدام تقنية (Air Brush) التي تستوجب خراطيم واجهزة رش تتناسب مع حجم المشهد والتي تتضمن سرعة التنفيذ واستخدم اليات اظهار تسطيحيه على الاشكال والتبسيط ومحدودية الألوان حيث ان الفنان (كيث) لم يقحم المشهد بتدرجات وكثافة لونية مختلفة ليؤثر بصورة مباشرة على مدركات المتلقي بدون ان يبعد تفكيره الى الكثير من التفاصيل التي قد تبعده عن معنى المشهد الذي يتطلب السرعة في القراءة نتيجة مروره السريع من ذلك المكان.

وينتمي هذا المشهد الى اتجاه الفن الكرافيتي الذي يعد فناً اعلامياً ينصهر مع ثورات الحياة ولد في الشارع كبديل عن فنون المعارض واهتم بالطبقات المهمشة, لينشر ثقافة صورية تهدف الى توعية تلك الطبقات بالمخاطر الجديدة التي ظهرت في تلك المجتمعات.

ويعتبر هذا الفن نوع من التعبير عن الذات وبصمة على مرورها من هذا المكان الذي يعبر عن شخصية الفنان وميوله, والذي يطلق مشاعره وعواطفه وأفكاره للاستهجان والاستنكار والاحتجاج عن أي وضع يريده لترك أثراً شخصياً يعبر به عن رأيه الحر الرافض للمجتمع,

ويمكن التعرف على أسلوب الفنان (كيث) بسهولة, لما له من خصوصية وتكرارية لرموز شكلية وأسلوبية, والتي حملها مضامين سياسية واجتماعية , ويستعير (كيث) بنية الأشكال التخيلية من الفن الشعبي، وفي مشاهده يظهر الوضوح وروح الدعابة والسخرية حيث تبدو أشكاله تلعب ساخرة لكنها محملة برسائل قوية.

واعتمد (كيث) على أشكال بسيطة جدا لتتحول إلى علامات محملة بالدلالات المختلفة تبعا لمضمون الرسالة التي يبتغي ايصالها الى اكبر شريحة من الجماهير وانجاز اشكال غير محملة بالغموض فهي صريحة واضحة ومفهومة من قبل جميع المستويات، ولا تحتاج إلى تفسير.

وتأثر (كيث) بالمشاهد الاجتماعية واليومية, إضافة الى تأثره بالمسرحيات الهزلية والرسوم المتحركة، لا سيما أفلام والت دزني. وقد كان من المهتمين بأعمال الفنان (ما تيس) و(اندي وارهول). واعماله تقترب من سمات فن البوب، اما علاقاته اللونية الحادة وتبسيط الاشكال فقد كان جراء دراسته الاولية لفن الكرافيك،

ومن ما تقدم نجد ان هذا الفن هو ملك لكل الشرائح، ورد الاعتبار الى هامش المجتمع، اقصى ثقافة النخبة واتجه الى الثقافة الشعبية, ليعلن عن دخول الفن الى الاحياء الفقيرة ويخاطب الجميع بدون استثناء حتى لو كانوا خارجين عن القانون. لا نه اصلا يعتبر فن خارج عن القانون ومتمرد.

الفصل الرابع:

النتائج

1- أن مقاربات مفهوم المشاهد الثورية فكرياً ونفسيا ومعرفياً وثقافياً التي أصبحت أحد دعائم الاتصال مع المتلقين الذين بدورهم يعطون مجموعة من الانطباعات والأفكار والتأويلات كما في جميع عينة البحث الحالي.

2- إن استثمار الدلالات التعبيرية وتداعياتها للثورة كآلية اشتغال للبنى التخيلية عند المتلقي من خلال كسر حواجز القانون والثوابت والسلطة للإقصاء الناس بحكم اللون والعرق وثورية التمرد على كل الثوابت لخلق سطح بصري يتجاوز ابجديات المتلقي لينفتح عنده التفكير فيما وراء الصورة التي امامه للكشف عما ورائيات الشكل لخلق أنظمة بنائية جديدة كما في جميع عينة البحث الحالي.

الاستنتاجات .

1. أن مصطلح النزعة الثورية لا يقتصر على المعنى السياسي اللاسلطوي فقط وإنما له مقترباته الفكرية في ميادين متنوعة (كاللعب، واللامعقول، والجنون، واللامتوقع، والعبث، والعدمية، والتفكيك، والاحتمال ... الخ).

2. تعد السطحية، والهامشية ، والطابع، واليومي، والعابر... معطيات ثورية طارئه ومؤثرة غيرت مسار الخطاب البصري في الفنون المعاصرة .

مصادر البحث .

1- جون ديوي، الفن خبرة، زكريا ابراهيم ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1963 ،ص193.
2- هربرت ريد، تربية الذوق الفني، تر: يوسف ميخائيل اسعد،ص31.
3-هربرت ريد، حاضر الفن،تر: سمير علي،دار الحرية للطباعة،1973، ص89.
3- جون ديوي،الفن خبرة، زكريا ابراهيم، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963، ص 198
4- ttps://books.google.es/books?id=jmRiyN9r63sC&pg=PA452#v=one&q&f=false
5-جورج سانتيانا،الاحساس بالجمال،مكتبة الانجلو المصرية-القاهرة بدون تاريخ،ص120.
6-راضي حكيم، فلسفة الفن عند سوزان لانجر، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص21
7-دي لوس رييس, أوريليو. "الصور المتحركة: 1896-1930." موسوعة المكسيك . شيكاغو: فيتزروي ديربورن 1997, ص 957-964.
8-Figari, P: Arte, estética, ideal, tomos ii y iii, Montevideo: Biblioteca Artigas, 1960, P: 47

(1) جون ديوي، الفن خبرة، زكريا ابراهيم ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1963 ،ص193.

(2) هربرت ريد، تربية الذوق الفني، تر: يوسف ميخائيل اسعد،ص31.

(3) شاكر عبد الحميد،العملية الابداعية في التصوير،المصدر السابق،ص243.

[*] - رودولف ارنهيم - 1904 -2007) Rudolf Arnheim) كاتب ألماني, منظر في الفن وعلم النفس والسينما . أشهر كتبة تتعلق بالفن وعلم النفس ، وكتابة الشهير (Art and Visual Perception) الذي يعتبر واحد من أكثر الكتب تأثيرا على الفن في القرن العشرين

[4] هربرت ريد، حاضر الفن،تر: سمير علي،دار الحرية للطباعة،1973، ص89.

[5] جون ديوي،الفن خبرة، زكريا ابراهيم، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963، ص 198.

[*] جورج أوجستين نيكولاس رويز دي سانتايانا والمعروف بجورج سانتايانا، كان فيلسوفًا وكاتبًا للمقالات وشاعرًا وروائيًا إسبانيَّ الأصل، نشأ ودرس في الولايات المتحدة منذ أن كان في الثامنة من عمره، ويُعرّف على أنّه أمريكي على الرغم من امتلاكه الدائم لجواز سفر أسباني صالح، كتب باللغة الإنجليزية ويعتبر عمومًا مفكرًا أمريكيًا.ينظر:

https://books.google.es/books?id=jmRiyN9r63sC&pg=PA452#v=onepage&q&f=false

[6] جورج سانتيانا،الاحساس بالجمال،مكتبة الانجلو المصرية–القاهرة بدون تاريخ،ص120.

[7] راضي حكيم، فلسفة الفن عند سوزان لانجر، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص21

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN–2536–0027

العراق تحت حكم السلالة السيفيرية الرومانية (192_235م)

م م . مهدي نجم عبيد
دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية – الوقف السني
abwsdyqalysawy@gmail .com

المستخلص:
يهدف هذا البحث الى ازالة الغموض عن حقبة تاريخية مهمة في تاريخ العراق القديم (192 -235م),وهي الفترة التي حكمت فيها عائلة الامبراطور سبتيموس سيفر الامبراطورية الرومانية, كان العراق في تلك الفترة يعيش بين فك كماشة على جانبي الشرق والغرب ,بسبب الصراع بين الامبراطوريتين البارثية في الشرق والامبراطورية الرومانية في الغرب ,وقد اثر ذلك الصراع سلبا على العراق في وضعه الداخلي والخارجي على حد سواء, لأنه اصبح ساحة الحرب بين الجانبين . لذلك سلط هذا البحث الضوء على العراق في تلك الفترة والمعارك التي جرت هناك.

Abstract:
The current research aims to demystifying an important era in the history of Iraq 192 – 235 AD ,the p eriod in which the Siphor family ruled the romam Empire .
Iraq in that period was
Between the jaws of pliers on both sides of the east and west because of the conflict between the Parthian empire in the east and the roman empire in the west
That conflict affected Iraq negatively in its internal and external situation ,furthermore Iraq became battlefield for the two empires .
Therefore ,the research highlighted the circumstances of Iraq in that beriod and the battles happened there .

المقدمة

لقد عاش العراق ردحا من الزمن الحكم البارثي ردحا من الزمن ,واستولى عليه البارثيون في الحرب التي دارت بينهم وبين الرومان زمن الامبراطور كراسوس في سنة 53 ق م ,حيث دارت بينهم معركة سميت بمعركة كارهاي .

ولم يكن الاباطرة الرومان ليتخلوا عن بلاط ما بين النهرين لكن كانوا في انشغال شبه دائم على العرش الامبراطوري جعلهم يؤجلون مواجهاتهم مع الحكم البارثي والاستيلاء على هذه المنطقة المهمة لحين الانتهاء من الصراع الداخلي .

ومن خلال تكرار هذه الحروب بين الطرفين لمرات عديدة ظهر لنا بما يعرف في التاريخ بالحروب الرومانية البارثية ودائما تكون بلاد ما بين النهرين هي مسرح لهذه الحروب والفضاء لهذه المنازعات حتى وان كانت هذه المنطقة ليست طرفا النزاع القائم .

لذلك كله اثرت ان اكتب عن الاهمية التي اولاها قسم من الاباطرة الرومان لمنطقة ما بين النهرين اثناء حروبهم المتواصلة مع الحكم البارثي مع تباين لأهمية هذه المنطقة للجانب الروماني بلاخص وكيف كانوا يتعاملون مع البارثيين اثناء استيلاءهم عليها .

المبحث الاول:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

التعريف بالإمبراطورية الرومانية والدولة الفرثية.

اولا :الامبراطورية الرومانية

يقسم المؤرخون التاريخ الروماني بشكل عام الى ثلاث مراحل وهي .

1_ مرحلة الحكم الملكي ويبدء من بداية ظهور الكيان الروماني في ايطاليا في عام 753 ق م والذي يعده المؤرخون ولادة روما وكانت تحكم بنظام سياسي ملكي واستمر حتى عام 509 ق م حيث كانت جميع السلطات السياسية والدينية والعسكرية تتجمع بيد الملك وكانت الصفة الدينية هي الغالبة على الملك[1].

2_ النظام الجمهوري وقد حدث هذا النظام بعد اضطرابات عدة وثورات غيرة من نظام الحكم الروماني الى النظام الجمهوري بعد عام(509 ق م) واستمر حتى عام (27 ق م).[2]

3_ العصر الامبراطوري بعد انهيار النظام الجمهوري على يد قادة الجيش ظهر النظام الامبراطوري حيث يبدء من(27 ق م) عندما انتهت الحرب الاهلية الثانية بعد سقوط مصر[3] بيد الرومان تحت زعامة الامبراطور الاول اكتافيوس ابن قيصر[4] .

وقد سمي بالإمبراطور لأنه جمع جميع السلطات السياسية والعسكرية والقضائية بيده .

ثانيا: الدولة الفرثية

تقع بلاد الفرثيين جنوب غرب اسيا ويتألف القسم الاكبر من اراضيها من هضبة على شكل مثلث محصور بين منخفضين هما الخليج العربي في الجنوب وبحر قزوين في الشمال ويتراوح ارتفاعها ما بين الف والفين متر مربع [5].

لقد خاض الفرثيون الحرب مع الجانب الروماني لسنين طوال وقد بدأت الحرب فعليا بتاريخ(53ق م) سميت بمعركة فرهاي بمنطقة حران نجح فيها القائد الفرثي سورينا بأنزال نكبة مريعة بالجيش الروماني وقتل فيها معظم الجيش مع الامبراطور كراسوس[6].

المبحث الثاني

الحرب في عهد الامبراطور سبتيميوس سيفيروس

قاد الامبراطور سبتيموس سيفيروس الحرب على الفرثيين لمرتين الاولى كانت في عام(193م) والثانية في عام(198م) تمكن خلالها من عبور نهر الفرات[7] ,مع الاختلاف في الدوافع لكل من الحملتين .

علما ان العراق في فترة الحكم الروماني كان يقع ضمن المنطقة التي تطلق عليها تسمية المنطقة السامية والتي تشمل كل من (سوريا والعراق)[8].

اولا: الحرب في عام(193م)

بعد ان تمكن الامبراطور سيفيروس من الانتصار على خصمه نيجر في معركة انطاكيا[9], وجد نفسه مضطرا لغزو الدولة البارثية وبما انه يملك جيشا منتصرا ومكان وجوده في انطاكيا قريبا من بارثيا, فقد شجعته هذه المعطيات على الغزو معتبرا الوقت مناسب .

باشر الامبراطور بالغزو وسرعان ما عبر نهر الفرات من غير مقاومة تذكر ودخل العاصمة طيسفون وقام جنده باحراق المدينة ونهب خيراتها ثم قام بأنشاء ولاية جديدة لروما عاصمتها مدينة اربيلا واطلق عليها اسم ولاية ما بين النهرين[10].

وقد عمل الامبراطور بالنظام الذي ابتدعه آل سليوكس في القرن الثالث والثاني قبل الميلاد وهو نظام اقامة مستوطنات او دويلات حاجزة بين الامبراطورية الرومانية وبين الدولة الفرثية على الحدود لحمايتها اولا والابلاغ عن اي تحركات معادية ثانيا ,فقام بتوزيع الاراضي المنزوعة من الاعداء على الجنود والضباط من الجيش لاستيطانها وزراعتها لان سياسة احاطة الامبراطورية بحزام من المستوطنات العسكرية كان حلم كثير من الاباطرة الرومان[11] .

لذلك يمكننا القول ان الكثير من الحاميات الرومانية الدائمة انشأت بنهاية القرن الثاني الميلادي ويبدو من التخطيط العمراني لمدينة دورا كمثال لتلك الحاميات حيث ان القسم الغربي منها كان عبارة عن معسكر للجيش وبجوار

المعسكر يوجد مقر القائد وهو منصب قيادي اقليمي بمعنى من المستويات العليا في النظام السياسي الروماني وتحت امرته فيالق مرابطة بشكل دائم تابعة اما لسوريا او لشبه الجزيرة العربية [12].

ثانيا: الحرب في عام(197م).

كانت الدوافع في هذه المعركة تختلف تماما عن سابقتها لان الدافع للحرب هو التهديدات التي تلقاها الرومان من الملك اردشير عند اول استلامه للسلطة في بارثيا حيث اطلق تهديداته لا الى بلاد ما بين النهرين فحسب بل سوريا كلها معلنا ان اسيا الصغرى حتى بحر ايجه ميراث فارسي الشرعي ووصلت مرحلة الخطر لدى الرومان ان بعض الفرق العسكرية الرومانية القاطنة في بلاد ما بين النهرين قد انضمت فعليا الى الملك اردشير وتجرأت على قتل قائدها.[13]

فزحفت الجيوش الرومانية من جديد على الولايات الشرقية وكانوا على علم بجغرافيا المنطقة التي لم يمر وقت طويل على مغادرتها كما انهم كانوا يعرفون جيدا اساليب الحرب مع الجانب الفرثي[14] كل ذلك جعل الجيش يسير خلف القائد الامبراطور سيفيروس بمعنويات عالية وكانوا واثقين بالانتصار .

لذلك تمكن الجيش من عبور الفرات وحاصر طيسفون وتمكن من دخول طيسفون العاصمة الفرثية حيث قام الجند بنهبها واحراقها كعادة الجيوش في ذلك الزمن ثم توجه نحو مدينة بابل التاريخية التي بقيت اطلالا[15] , ودخلها من غير حرب[16].

ثم قام بحصار الحضر التي قاومت بشكل مميت في عهد الملك عبد سميا وتكررت المحاولة واستمر الحصار لمدة عشرين يوما واستطاع الرومان احداث ثغرة في السور لكن الحضريون تمكنوا من سدها فذاع صيت مدينة الحضر بين العرب[17].

المبحث الثالث :الحرب في عهد الامبراطور كراكلا عام(217م).

تابع الامبراطور كراكلا الهجوم على الدولة البارثية لكن اعماله العسكرية يشوبها الغرابة كما طباعه الاخلاقية كما سنرى .

في هذا العام حاول الإمبراطور كراكلا التحرش بالبارثيين لكنه وجدهم غير راغبين في القتال او انهم غير مستعدين وان هذه الفترة كانت بارثيا تعيش حالة العزوف عن الحروب واتجهوا الى الزراعة واعمار الاراضي الزراعية لكن الامبراطور لم يكن له ان يتركهم وشأنهم فأبدى لهم حسن الجوار وحاول استمالتهم الى السلام فاقترح عليهم الزواج بأبنة الملك البارثي (ارتايانوس) تقليدا للملك الاسكندر الاكبر عندما تزوج بأبنة[18] الملك دارا .

ولما رفض[19] الملك هذا العرض سار كراكلا بقواته الى مدينة ميديا العاصمة الفرثية وكان الهجوم على المدينة في خريف عام 217م [20] .

وانتهت هذه الحملة بعد مقتل الامبراطور المذكور فخلفه الامبراطور ماكرينوس فقدم اموالا لشراء السلام من البارثيين لأنه لم يكن على استعداد للحرب ,واعتبر هذا الاجراء اهانة للجيش الروماني وخاصة انه قبل كثيرا من الشروط المجحفة بالجانب الروماني مثل ان يتولى امير بارثي عرش ارمينية[21] مع الاحتفاظ بالولاء الاسمي للرومان[22].

وتجدر الاشارة ان هذه المعاهدة انعقد بعد معركة قرب نصيبين وتعتبر اخر المعارك التي جرت بين الرومان والفرثيين وتم اعادة كل ما أخذه الرومان من الجانب الفرثي من غنائم واسرى وعاد نهر الفرات ليكون حدا فاصلا بين الطرفين[23].

ويظهر لي ان اهتمام الاباطرة ينصب وبشكل خاص على الولايات المجاورة للدول المجاورة التي توضع في خانة الاعداء وكل زاد العداء زاد الاهتمام وهو اي الاهتمام عسكري في جميع جوانبه فلم نرى اهتمام بالجانب الزراعي ولا الصحي ولا اي شيء من غير الجيش والعسكر .

الخاتمة

يتبع العراق في فترة الحكم السيفيري للامبراطورية الرومانية سياسيا لكن هذه التبعية لم تكن خالية من منافس فقد ظهرت القوة الشرقية متمثلة بالدولة البارثية في الفترة التي اختص البحث بها وبقي العراق متأرجحا بين هاتيك القوتين فترة من الزمن ومن الممكن ان نستخلص بعض النتائج من هذا البحث منها :

- كانت ارض العراق تسمى بلاد ما بين النهرين في فترة الحكم السيفيري للامبراطورية الرومانية .
- اطلق الرومان على بلاد ما بين النهرين مع سورية تسمية بلاد الاراميين او المنطقة السامية .
- لم تكن الامبراطورية الرومانية تهتم بهذه المنطقة الا ما كان من الجانب العسكري من اجل الدفاع عن حدود الامبراطورية الرومانية .
- ان الاهتمام بهذه المنطقة يزداد في اوقات الحر ب بينما يختفي في وقت السلم مما يؤدي الى اهمالها اداريا .
- ظلت هذه المنطقة عرضة التخريب والدمار نتيجة الحروب المتكررة بين الطرفين .

ومن الممكن ان نجري دراسات اخرى عن هذه المرحلة تتناول الجانب المتعددة لهذه المنطقة مثل الجانب الاقتصادي او الاجتماعي صحيح ان المصادر قليلة لكن يمكن الاعتماد عليها لاستخراج صورة واضحة عن تاريخ المنطقة بشكل عام

قائمة المصادر

-آ .بتري. مدخل الى تاريخ الرومان وآدابهم وآثارهم, ترجمة ,يوئيل يوسف عزيز,(دار الكتب للطباعة والنشر :العراق, 1977)
-الناصري .سيد احمد علي, تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضاري,ط2,(دار النهضة العربية :مصر,1991)
-عبود. عادل نجم واخرون, اليونان والرومان دراسة في التاريخ والحضارة(دار الكتب للطباعة والنشر: العراق, 1993)
-علي. عكاشة واخرون ,اليونان والرومان ,(دار الامل للنشر والتوزيع :الاردن,1991)
- باتريك. لورو, الامبراطورية الرومانية ,ترجمة جورج كتورة,(دار الكتاب الجديد المتحدة:2008)
-بيتر.ام ادويل ,بين روما وفارس ,ترجمة ,خالد قاسم التميمي,(بيت الحكمة:بغداد,2011)
-العلان .ارواد عدنان ,الدولة الاشكانية(الايرانية)الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية (دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع:2011)
- سويدان. قاسم محمد, تاريخ ملكات الشرق,(دار كنانة للطباعة والنشر:سوريا,2014)
-جودفري. تورتون ,اميرات سوريات حكمن روما (دار مؤسسة رسلان :سوريا ,2017)
-ج.ه .ويلز, معالم تاريخ الانسانية ,ترجمة, عبد العزيز توفيق جاويد,ط4,(الهيئة المصرية العامة للكتاب: مصر 1994)
- مجلة الفيصل .مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية (السعودية:1986).

الرسائل الجامعية

1- الجميلي . احمد حسين ,سورية في العصر الروماني 64ق م – 305م (دراسة تاريخية)(دار المجد :الاردن, 2016).
2- عبيد .مهدي نجم ,طموح العرب في المناصب الرومانية العليا ,(الوراق :العراق ,2020).

(1) بتري . مدخل الى تاريخ الرومان وادابهم , ترجمة يوئيل يوسف عزيز , (جامعة الموصل :العراق ,1977) ,ص9.
2) للمزيد ينظر ,ويلز . معالم تاريخ الانسانية , مجلد 2,ص600.

[1]كانت مصر تحكم من قبل السلوقيي اتباع الاسكندر المقدوني قبل احتلال الرومان لها ,ويلز ,المصدر السابق ,ص448.
[2] علي ,عكاشة واخرون .اليونان والرومان (دار الامل للنشر والتوزيع:الاردن,1991),ص222.
[5] -العلان .ارواد عدنان,الدولة الاشكانية الايرانية الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ,2011,دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع ,ص15.
[6] العلان ,المصدر السابق ,ص24.
[7] عادل نجم .تاريخ اليونان والرومان ,ص336.
[8] باتريك لورو . الامبراطورية الرومانية,ص61.
[9] وقعت هذه المعركة قرب مدينة ابسوس للمزيد ينظر ,عبيد .مهدي نجم ,طموح العرب في المناصب الرومانية العليا ,(الوراق :العراق ,2020) ,ص53..
[10] الناصري ,احمد ,التاريخ الامبراطورية الرومانية ,ص323.
[11] الناصري .الصدر نفسه ,ص343.
[12] بيترام .ايدويل ,بين روما وفارس ,ترجمة ,خالد قاسم التميمي ,(بيت الحكمة ,بغداد ,2011م)ص206.
[13] الناصري .المصدر السابق ,ص343.
[14] عقد سيفيروس معاهدة مع مملكة ارمينية من اجل تأمين الطرق ذهابا وايابا الى الشرق ,للمزيد ينظر ' سويدان .قاسم محمد ,تاريخ ملكات الشرق '(دار كنانة للطباعة والنشر,2014,سوريا)ص244.
[15] لم تعد بابل سيدة العالم في تلك الفترة بل شبح مدينة وخرائب وان ما دفع سيفيروس لدخولها انما هو الاهتمام بالثأر والمدن القديمة فحسب ,للمزيد ينظر,جودفري تورتون .اميرات سوريات حكمن روما ,(دار مؤسسة رسلان ,سوريا,2017)ص92.
[16] عادل نجم .تاريخ اليونان والرومان ,ص336.
[17] مجلة الفيصل .عدد112,ص29.
[18] وهي الاميرة روكسانا ,جودفري تورتون .اميرات سوريات حكمن روما ,ص156.
[19] توجد رواية اخرى تصف كراكلا بانه غادر غدر بالملك بعد ان وافق على زواج ابنته من الامبراطور وكان الميعاد في مدينة اربيلا شمال العراق واعمل فيهم السيف غيلة ونجى الملك البارثي وابنته بصعوبة .تورتون جودفري .اميرات سوريات حكمن روما ,ص157.
[20] الناصري . المصدر السابق , ص333.
[21] تقع هذه الولاية بين اقليم فارس وبلاد الاناضول وهي منطقة حساسة لنفوذ الجانبين. تورتون جودفري, اميرات سوريات حكمن روما,ص148.
[22] الناصري .المصدر نفسه ,ص333.
[23] العلان .الدولة الاشكانية ,ص27.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN–2536–0027

الحماية الفرنسية على كمبوديا (1863- 1925) والموقف الوطني منها

الأستاذ المساعد الدكتور حيدر عبد العالي جبر
كلية الآداب / جامعة ذي قار

الملخص :
تُعد مسألة البحث في موضوع الحماية الفرنسية على كمبوديا من 1863-عام 1925 ، من المواضيع التي ابتعدت عنها أيدي الباحثين ، فجاءت الدراسة للتركيز على السياسة الفرنسية واصلاحاتها داخل النظام السياسي في كمبوديا فضلا عن ردت فعل الأهالي من السياسات الفرنسية المتمثلة باستنزاف خيرات البلد من خلال جعل كمبوديا مستعمرة فرسية، اذ سعت فرنسا الى فرض الضرائب الباهظة على الفلاح الكمبودي لتغطية نفقات الحرب خلال الحرب العالمية الأولى وما تلاها الامر الذي سبب ردت فعل من قبل الشارع الكمبودي وخاصة بالمناطق الريفية وتمثل ذلك بالعديد من الثورات والانتفاضات ضد السياسة الفرنسية التعسفية وأهمها انتفاضة عام 1916 وصولا الى مقتل باردیز
الكلمات المفتاحية : فرنسا - كمبوديا – نورودوم – الفلاحين – باردیز .

Abstract :
The study focused on an important topic, which is the French protectorate over Cambodia from 1863-1925, shedding light on French policy and its reforms within the political system in Cambodia, as well as the people's reaction to the French policies of draining the country's resources by making Cambodia a Persian colony, as France sought to impose taxes. The exorbitant cost to the Cambodian peasant to cover war expenses during the First World War and its aftermath, which caused a reaction from the Cambodian street, especially in rural areas, and this was drunk with the feast of revolutions and uprisings against the arbitrary French policy, the most important of which was the uprising of 1916 all the way to Bardez.
Keywords: France - Cambodia - Norodom – Peasants – Bardez.

المقدمة
جاءت الدراسة عن الحماية الفرنسية على كمبوديا 1863-1925 لتسليط الضوء على طبيعة التطورات الداخلية في كمبوديا في ظل الوجود الفرنسي، وكيف تعاملت السلطات الفرنسية مع المجتمع الكمبودي، وما ردت فعل الشعب الكمبودي إزاء الإصلاحات الفرنسية التي اتخذتها في كمبوديا ، بمعنى اخر التعرف على دوافع السياسة الفرنسية واهدافها في كمبوديا في ظل وجود الملوك الكمبوديين خلال مدة الدراسة فضلا عن التعرف على أوضاع كمبوديا الداخلية .
قسم البحث على عدة مباحث اهما ،التطورات السياسة في كمبوديا قبل الحماية الفرنسية، التي من خلال التعرف عليها يمكننا فهم الأسباب الحقيقة إزاء طلب الملك الكمبودي الحماية، في حين تم التطرق الى

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

سياسة فرنسا من خلال الإصلاحات التي أجرتها في النظام السياسي والاقتصادي في كمبوديا، ومن ثم التعرف على طبيعة ردة فعل الشارع الكمبودي ولاسيما الفلاح الكمبودي الذي تعرض الى ضغوطات كبيرة اسفرت في نهاية المطاف الى اعلان التمرد والوقوف بوجه السلطات الفرنسية ورفضه الواضح لهم.

المبحث الأول : الأوضاع السياسية في كمبوديا[1] قبل الحماية الفرنسية :

تعد الحضارة الكمبودية من اقدم الحضارات التي ظهرت في جنوب شرق اسيا ، وتعد قبيلة فونان (Funan) من أولى القبائل التي نزحت من جنوب الصين في القرن الأول الميلادي واستوطنت سهول كمبوديا [2] ، ، وقد تشكلت مملكة في ذلك الوقت عرفت بمملكة فونان التي حكمت البلاد ما يقارب خمسة قرون [3].

ونتيجة لحالة الفوضى التي حدثت داخل مملكة فونان التي حدثت في أواسط القرن السادس الميلادي تمكنت مملكة شنلا Chenal من استغلال حالة صراع الامراء على تولي العرش، واستطاعت السيطرة عليها ، وقد عرفت المدة الممتدة من 550-800م باسم عهد مملكة شنلا ، وتزامن مع بروز مملكة شنلا وصول قبائل الخمير في القرن السادس الميلادي وقد نزحت من جنوب الصين [4] وتمكنت هذه القبائل _فيما بعد _من القضاء على مملكة شنلا واستطاع افراد هذه القبائل من تأسيس مملكة عرفت "بمملكة الخمير" التي تعاقب على ادرتها ست وعشرون ملكا، اذ تمكن احد ملوكها وهو ياسا فرمان الأول (Yaca Varman Ler) من تأسيس مدينة انجكور توم (Angkor Tom) متخذاً منها عاصمة للخمير وشيد فيها عددا من المعابد ، وقد اعتنق الخمير الديانة الهندوسية وامتد سلطان مملكة الخمير بعد عام 900م الى معظم الأراضي الشرقية من تايلاند ولاوس والكثير من أراضي فيتنام [5].

تعرضت مملكة الخمير عام 1278م الى الاجتياح المغولي الذي استطاع مد نفوذه الى اغلب بلدان اسيا ، وبعد اكثر من عام تقريباً انسحب المغول من مملكة الخمير ، لكن لم يتسن لمملكة الخمير العودة بقوة ، وذلك لبروز اسرة قوية في تايلاند استطاعت مد نفوذها ليشمل معظم أراضي كمبوديا ولاوس وجزءاً كبيراً من أراضي بورما ، وعلى اثر ذلك تقلصت مملكة الخمير لتشمل فقط بعض الأراضي حول عاصمتهم في انجكور توم، وفي الوقت نفسه استمرت تايلاند من توسيع نفوذها على حساب الأراضي المجاورة لها ومن ضمنها كمبوديا [6].

واستطاع الجيش التايلاندي من الدخول الى العاصمة الكمبودية انجكور توم عام 1353 م ونهبوها وانسحبوا منها ليعودا عام 1431 لاحتلالها مرة أخرى مع تدميرها واجبروا سكانها على اعتناق الديانة البوذي بدل الديانة الهندوسي ، الامر الذي أدى دفع السكان من الفرار من العاصمة وتأسيس عاصمة جديدة لهك وتم اختيار بنوم بنه (*Phnom Penh*) عام 1434م لتكون العاصمة [7].

ومع بداية القرن السادس عشر الميلادي دخلت كمبوديا مرحلة تاريخية جديدة ، وذلك عندما اعتلى انغ شان (*AngChan*) عرش كمبوديا 1516-1566، اذ توقفت في عهده الهجمات التايلاندية وحقق العديد من الإنجازات لا سيما بناء عاصمة جديدة هي لوفيك (Lovek) فضلاً عن شهود هذه المرحلة وصول المبشرين الاسبان والبرتغاليين الى كمبوديا))[8].

على الرغم من ايقاف تمدد التايلانديين الا انهم بعد مدة شنوا هجوماً واسعاً استطاعوا خلاله السيطرة على العاصمة لوفيك وتدميرها [9] . لذا شهدت كمبوديا خلال تلك المدة أي استقرار سياسي

وقد ادت السيطرة التايلاندية على لوفيك الى تراجع كبير في ثروات كمبوديا، ومن أهم أسباب هذا التراجع هو استشراف العمالة الذي فرضه الغزاة التايلنديون عندما هجروا آلاف الفلاحين الخمير، والحرفيين المهرة، والعلماء و رجال الدين البوذيين الى عاصمتهم أيوثايا (*Ayutthaya*) ، وهذه

الممارسة كانت شائعة في تاريخ جنوب شرق آسيا ، وقد أعاقت قدرة كمبوديا على استعادة مظهر من مظاهر عظمتها السابقة [10].

بعد تلك التطورات تأسست عاصمة جديدة في أدونغ (*Adong*) جنوب لوفيك، وكان من شروط بقاء ملوكها هو الحفاظ على علاقات التبعية مع التايلنديين والفيتناميين [11].

من الجدير بالذكر انه بحلول أواخر القرن الخامس عشر كان الفيتناميون على عكس شعوب شرق آسيا الآخرين ، فقد صاغوا ثقافتهم وحضارتهم على نهج الثقافة الموجودة في الصين ، وقد تمكن الفيتناميون من هزيمه مملكة تشامبا(*Campa*) القوية في وسط فيتنام فضلا عن هزيمة الخمير الأمر الذي مكن الفيتناميون في أول القرن السابع عشر من الوصول الى دلتا ميكونغ التي كان يسكنها الخمير [12]. لذا أصبح الخمير عرضة لهجمات الفيتناميين المستمرة التي عرفت بالزحف الى الجنوب[13].

كانت كمبوديا حتى نهاية القرن السابع عشر تحت حكم الفيتناميين وقد منعوها من الى الموانئ المطلة على البحر ، الامر الذي جعل من الصعوبة على الكمبوديين ممارسة التجارة الخارجية عن طريق البحار ، ومع ذلك كانت هناك فترات تنفس لكمبوديا في القرنين السابع عشر والثامن عشر عندما كان جيرانها مشغولين بالصراع الداخلي والخارجي ، إذ اندلعت حرب أهلية في فيتنام استمرت حتى العام 1674 ، ولكن بعد انتهائها قاموا بضم مساحات كبيرة من الأراضي الكمبودية المتاخمة في منطقة دلتا ميكونغ ، واستخدم الفيتناميون ولمدة مائة عام بعدها اسلوباً قاسياً من الحكم قائم على سوء المعاملة مع السكان الكمبوديين في الدلتا واستمروا في توسعهم على حساب الأراضي الكمبودية [14].

ومن ثم وسع الفيتناميون سيطرتهم في كمبوديا لتشمل المنطقة التي بضمنها جمهورية فيتنام، أما تايلاند التي كانت تودد لها فيتنام بوصفها حليفاً ضد الغارات الفيتنامية في القرن الثامن عشر ، الا انها كانت متورطة في صراع جديد مع بورما [15] ، الأمر الذي أدى الى تجدد الصراع بين التايلنديين والفيتناميين من أجل السيطرة على كمبوديا في القرن التاسع عشر ، ونتج عنه سيطرة الفيتناميين على كمبوديا ، وتحكموا بملك كمبوديا كيفما شاءوا وسيطروا على الجزء الأوسط من البلاد ، وأجبروا الكمبوديين على تبني العادات الفيتنامية [16].

شهدت المدة بين عامي ١٨٤٠- 1841 عدة احتجاجات كمبودية ضد السيطرة الفيتنامية ، وقد شملت معظم أنحاء كمبوديا ، وبعد سلسة من الاضطرابات والقتال توصلت كمبوديا الى اتفاق مع فيتنام تم بموجبه وضع كمبوديا تحت السيادة المشتركة لتايلاند وفيتنام ، وهو الأمر الذي استمر حتى وصول إنج دوانج (*Ang Duong*) ملكا لكمبوديا ما بين ١٨٤٨ – 1850 الذي تمكن من تحقيق الاستقلال الشكلي لكمبوديا [17].

من خلال ما تقدم يمكن القول أن واقع التحدي وما واجهته كمبوديا من قبل فيتنام تايلاند وفيتنام من سيطرة وفرض إرادة على شعب كمبوديا ، ويتضح بأن هناك فرق بين السيطرة التايلندية والفيتنامية ، واختلافاً جوهرياً بعلاقاتهم مع كمبوديا ، وذلك من خلال مشاركة التايلنديين مع الخمير بدين مشترك ، فضلا عن اشتراكهم أيضاً في الادب والثقافة ، وفي المقابل فإن الفيتناميين كانت لهم مواقف مختلفة اختلافاً جوهرياً فيما يتعلق بعلاقاتهم مع كمبوديا ، إذ نظر الفيتناميون الى شعب الخمير كبرابرة ، واعترضوا على ثقافة الشعب الكمبودي ، وأجبروا الكمبوديين على اتباع عاداتهم ، واعتبر الفيتناميون أن أراضي الخمير الخصبة تعد مواقع استعمار بالنسبة للمستوطنين الفيتناميين ، وعلى الرغم من ذلك التسلط الفيتنامي والتايلاندي ، إلا ان كمبوديا تعرضت بعد ذلك للضغط والسيطرة الغربية .

الثاني : الاستعمار الفرنسي لكمبوديا وفرض معاهدات الحماية (1863- 1884):

إثر التنافس الذي كان قائماً مع بريطانيا أبعدت فرنسا عن الهند ، وبدأت في منتصف القرن التاسع عشر الاهتمام بالهند الصينية [18] ، وسعت الى اقامة تجارة في منطقة تحتوي على ثروة غير مستغلة، وعمل الفرنسيين على إيقاف اضطهاد فيتنام لعدد من السكان الذين اعتنقوا الكاثوليكية في كمبوديا [19].

وخلال التاريخ الطويل للنظام الملكي الكمبودي ، كان الملك هو الرمز لوحدة بلاده سواء كانت صفة الوحدة حقيقية أو شكلية ، وخلال العهد الانغوري كان العاهل الكمبودي هو ديفا راجا(*Diva Raja*) ، وهو ملك يُعد رمز القداسة وكان بصفة إله ، وكان سقوط انغكور في القرن الخامس عشر وما رفقها من سنوات طويلة من التراجع التي اعقبت ذلك الحدث لم تنل من مكانة وهيبة ملوكهم ، وعلى الرغم من الحروب والصراعات التي خاضتها كمبوديا مع تايلاند و فيتنام ، أو من خلال التحديات التي قد واجهها افراد العائلة الملكية الساخطون ضد الملك، وكانت السمة الاساسية للملكية في كمبوديا بعد سقوط انغكور هي استعداد الملك للتميز بين المثالي والواقع[20]، وتعرضت سلطة الملك لعدة تجاوزات ، اذ واجهت كمبوديا تهديدات لوجودها من التايلانديين والفيتناميين[21] ، فأثارت قسوة النظام الذي فرضته فيتنام على كمبوديا انتفاضة كبيرة في عام 1840 ، هددت السلطات الفيتنامية في كمبوديا ، وعلى الرغم من قوة الانتفاضة إلا انها تلاشت في عام 1841[22].

اكدت تايلاند بعد تلاشي الانتفاضة نفوذها وسيطرتها تدريجياً على كمبوديا ، وخلال المدة (1841-1848) تمكنت من دعم وصول مرشحها الملك أنج دوانج الى العرش، وكان دوانج أخر ملك كمبودي يحكم بعيداً عن أي سيطرة اجنبية مباشرة حتى عام 1853، اذ وصف بعض المؤرخين الكمبوديين مدة حكم دوانج بـ "مرحلة الانجازات الكبيرة" ، إلا ان افعاله وانجازاته كانت مقيدة بتبعية للنفوذ التايلاندي والفيتنامي ، وان تلك القيود دفعته الى بذل الجهود لتأمين المساعدة من فرنسا ، للحفاظ على استقلال بلاده [23].

وقد ادت جهود الملك فيما بعد الى تشجيع فرنسا على التفكير في فرض حمايتها على كمبوديا، بعد ان اسست قاعدة استعمارية قوية في جنوب فيتنام ، التي قررت أن تتحكم من خلالها بالهند الصينية كلها [24].

وبعد وفاة الملك دوانج ، وادراك فرنسا ان الوضع في كمبوديا مقلق، لكنه وبحكم ما تمتلكه كمبوديا من موقع مهم بالنسبة لفرنسا فضلا الاعتبارات السياسية كان لزاماً على فرنسا استكمال فرض سيطرتها من خلال فرض خليفة للملك المتوفي دوانج ووجدوا ضالتهم في شخصية نورودوم الأول(*Norodom1*)[25] في عام 1860 ، الذي كان مدعوماً من تايلاند ، وقضى معظم حياته في بانكوك ، وكان ناقماً على كمبوديا كونه يرى ان سلطة ملك تايلاند اعلى من سلطة كمبوديا ، وبعد توليه العرش أراد الابتعاد عن النفوذ التايلاندي ، فتقرب من فرنسا وتحرك لتوقيع معاهدة حماية معها [26].

ومن الجدير بالذكر ان أوضاع كمبوديا بعد وفاة الملك دوانج في عام 1860 شهدت مرحلة عدم الاستقرار، اذ تنافس على العرش ابناء دوانج الثلاثة وهم (انج فودي وسيسواث وسي فوتا)، وعلى الرغم من أن انج هو الاكبر سناً لكنه لم يكن المرشح الأقوى للعرش الكمبودي من وجهة نظر الفيتناميين ؛ لأنه غير مناسب لمخططاتهم في كمبوديا ، وبالتالي ، ان السياسيين لديهم نفوذ اكثر للتدخل في مسألة الحكم في كمبوديا ، وكانوا يشعرون بالغيرة خشية ان تحل فرنسا محلهم (كحامي الخمير) [27].

وبعد توليه العرش ، سعى نورودوم الأول (انج فودي) لأجراء محادثات مع فرنسا بناءً على نصيحة المبشرين الفرنسيين، وقد جاءت الاستجابة بسرعة في 11 آب 1863 ، إذ وقع نورودم الأول معاهدة صداقة وحماية مع فرنسا ، التي كان يمثلها البحار بريتون ، والادميرال بيير دي لاجراندبير (*Pierre de lagrandebre*) [28].

اصر الفرنسيون على اخضاع كمبوديا لهم ، وذلك من خلال الضغط والاصرار على توقيع المعاهدة مع نورودوم الذي اعتقد انه في موقف يمكن الاستفادة منه ، خصوصاً ان شروط المعاهدة كانت في اعتقاده غير ضارة ، وأهم بنودها : كان لفرنسا الحق في وضع سفن حربية وجنود في كواتر براس ، ومنح الكنيسة الكاثوليكية امتيازات خاصة ، وحرية التجارة لفرنسا في جميع مناطق كمبوديا ، وان يقدم المقيم الفرنسي المشورة للملك ، وفي المقابل يمكن للكمبوديين الاحتفاظ بممثل في سايغون ، ويمكنهم التجارة بحرية مع الفرنسين ، وتم ضمان المكانة الخاصة للبوذية كدين للدولة[29].

وبعد توقيع المعاهدة ، أعرب الملك التايلاندي مونغكوت(*Mongot*) عن غضبه جراء توقيع الملك نورودوم للمعاهدة مع فرنسا ، وعَّد هذا الامر نكران من تابعيه، اذ حاول نورودوم ارضاء مونغكوت من خلال بيان ان موقفه من المعاهدة والتوقيع عليها كان جراء اصرار دي جرانديير ، اذ ارهقه من اجل التوقيع عليها قبل ان يتاح له الوقت لقراءة نصها باللغة الخميرية[30].

وبعد توقيعه على المعاهدة ، توج نورودوم رسمياً ملكاً على كمبوديا في حزيران 1864، وحكم نورودوم أربعون عاماً ، واسس فروع نورودوم من العائلة المالكة الكمبودية ، واهتم بالفرق الموسيقية الفلبينية والاكسترا الكمبودية ، والاهتمام بالمباني الخاصة ، ووصف الملك نورودوم بأنه **" طاغية"** لأنه استحوذ على (250) فيلا ، وكثرة العبيد لديه ، واستحوذ على العديد من القوارب والسفن البخارية وعدد من الحراس ، ومن الحريم اربعمائة امرأة ، والأهم من ذلك ان الفرنسيين زادوا بشكل مطرد من مشاركتهم في إدارة كمبوديا خلال القرن التاسع عشر، رداً على ما عدّوه اسرافاً مالياً للملك ، واعربوا عن اسفهم لعزم نورودوم على محاولة الحفاظ على صلاحيته فيما يتعلق بالضرائب [31].

وبعد تتويجه اجبر نورودوم الفرنسيون على ترتيبات جديدة من شأنها ان تؤدي الى تغطية تكاليف الحماية الفرنسية على كمبوديا ، من خلال تولي فرنسا السيطرة على ضرائب الكحول والافيون ، فأدت تلك الاحداث السياسية في كمبوديا الى ان اندلاع انتفاضات عدة ضد الفرنسيين ، أهما التي اندلعت في عامي 1866 و 1870 ، والتي دعمتها المناطق الريفية وسكانها ، واستطاع الأخ غير الشقيق للملك نورودوم هو سيسواث (*Sisoath*)[32] ، الذي قاد قواته الى جانب الفرنسيين في قمع كلا الانتفاضتين ، فضلاً عن ذلك ، حدثت انتفاضة اخرى في عام 1884، التي كانت سبباً في دفع الفرنسيين على فرض معاهدة حماية جديدة على كمبوديا إبان حكم الملك نورودوم الأول ، وذلك في 17 حزيران 1884 والتي سلبت معظم سلطات نورودوم ، وشددت فرنسا سيطرتها على كمبوديا ، والتي على اثرها قام الكمبوديون بمظاهرات في العاصمة بنوم بنه [33] في عام 1885 ، اذ تصدى الجيش الفرنسي لتلك المظاهرات بالقوة ، وأظهرت تلك المظاهرات التحدي الكمبودي للمستعمر[34].

المبحث الثالث : المحاولات الاصلاحية الفرنسية في كمبوديا 1885:

ادركت فرنسا ان تنفيذ أي خطوات في كمبوديا سيكون به نوعاً من الصعوبة ، نتيجة لردود الأفعال المُتبعة من قبل الملك وبعض المسؤولين الكمبوديين الذين كان لهم دوراً مهماً في إدارة البلاد[35].

إذ كانت طريقة نوردوم المفضلة هي المراوغة السياسية ، وكان يوافق على المقترحات الفرنسية بشأن الإصلاح ثم يرفضها ، فطرح الفرنسيون آنذاك برنامج الإصلاح في كمبوديا ، وكانت محاوره تتركز على : أنشاء الملكية الخاصة للأرض ، وإلغاء الرق، أعادة الهيكلية القانونية والإدارية، وخفض الانفاق الملكي ، وعلى الرغم من انهم قد ادركوا بان محاولاتهم قد تفشل ، رغم ذلك سار الفرنسيون على خطى الفيتناميين في القرن التاسع عشر ، الذين اصابهم الاحباط ؛ بسبب محاولاتهم غير المثمرة لإصلاح بيروقراطية الخمير [36].

لم يكن لدى كمبوديا ملكية خاصة للأرض ، اذ كانت الأرض تابعة للتاج ، أي مُلك للملك، الذي لا يمكن تميزه عن الدولة ، وبالتالي عد الفرنسيون هذا بمثابة عائق امام التقدم المادي[37]، وعدوه نظاماً سلبياً بالنسبة للفلاحين الذين يشكلون الغالبية العظمى من الشعب الكمبودي ، اذ لم يشكل قاعدة ضريبية لإيرادات الدولة في ظل النظام الكمبودي، الذي كان شكلاً من اشكال حق الانتفاع ، اذ يمكن لأي شخص تشغيل الأرض بمباركة الملك ، واذا ترك السكان الأرض لمدة ثلاث سنوات دون زراعتها فسيكون من حق أي شخص اخر حرية الاستيلاء عليها في مقابل حق الانتفاع بالأرض ، وكان على الفلاحين تسليم عشر دخلهم العيني للدولة ، وكانوا يقومون بأعمال السخرة ، نظراً لعدد محدد من أيام السنه ، وكان الفلاحون ينزلون الى رغبة المسؤولين المحلين والعمل بالسخرة واجبارهم على العمل في مشاريعهم الخاصة ، كما عزز نظام الضرائب العينية الفساد ؛ لأن جامعي الضرائب يمكن ان يقللوا من كمية المنتجات الزراعية الخاضعة للضريبة في سنة معينة [38].

ومن ناحية أخرى ، كان بإمكان الفلاحين التقليل من انتاجهم الفعلي لتجنب الضرائب من خلال خصخصة الأرض ، فحسب رأي الفرنسيين يمكن فرض ضرائب ثابتة على الأراضي ، والتي من شأنها ان تولد مصدراً ثابتاً لإيرادات الدولة والتي ستكون اقل عرضة للسرقة من قبل المسؤولين غير الأمناء[39].

وكان الهدف الثاني ، هو الغاء العبودية على أسس علمية ، اذ الغت فرنسا العبودية قبل عقود قليلة ، وعدتها جزءاً من حقوق الانسان الواجبة ، اذ اشارت التقديرات انه كان(150,000) شخص من اجمالي عدد السكان الكمبوديين البالغ (900,000) في ثمانينات القرن التاسع عشر عبيداً ، وانقسم أولئك الذين كانوا في العبودية الى فئتين هما ، العبيد بالوراثة وعبيد الديون ، وهناك أيضاً عبيد البلاط الملكي وعبيد المعابد البوذية[40].

على الرغم من أن العبودية لم يكن مُرحباً بها ، إلا انها كانت جزءاً طبيعياً من الحياة اليومية هناك ، ولم تظهر حركات مقاومة لإنهائها ، وعلى أساس ذلك كان من الصعب القضاء عليها.

وكان الهدف الثالث لبرنامج الإصلاح الفرنسي هو استحواذ عناصر الخمير على الجهاز القانوني والإداري للدولة ،اذ نظر اليه الفرنسيون على انه نظام للسطو المرخص به ، وان الغرض الرئيسي للمسؤولين هو الاثراء الشخصي على النفقة العامة ، واعتقد الفرنسيون انه من بين قاعدة الإيرادات المحتملة البالغة خمسة ملايين فرنك ، فإن مليوني فرنك اما اختفى في جيوب المسؤولين المشبوهين ، اولم يتم جمعها [41].

قُسمت البلاد الى (75) مقاطعة ، كل واحدة منها كان يديرها احد افراد العائلة المالكة مع ازدواجية كبيرة في الوظائف بين المقاطعات الحكومية المركزية ، ولم يُفرق هؤلاء المسؤولين بين الثروة العامة والخاصة ، ولم ينجحوا في إدارة مقاطعاتهم ، اذ لم تكن هناك مخططات للعمل والادارة ، ولم يكن هناك نظام تعليمي باستثناء التعليم المحدود الذي أعطاه الرهبان للصبيان في المعابد ، ولم يكن هناك أي مؤسسة للرعاية الاجتماعية او الصحية [42].

وكان النظام القانوني في كثير من الأحيان غير عقلاني وقاسي وغير عادل ، وكانت المدن عبارة عن أماكن متداعية ، وأشبه ما تكون بالقرى ، وكانت الصروح الأكثر فخامة في بنوم بنه ، وكان هناك عدد قليل من بيوت المحلات المبنية من الطوب المبنى على طول النهر[43].

وفي عام 1881 اشتكى مسؤول فرنسي من الوضع السيء في كمبوديا ، وان الاضطراب المالي يتجاوز كل الحدود ، وذلك لعدة أسباب كان من أهمها ، ان الملك يأخذ جميع الإيرادات لاستخدامه الشخصي ، وأمر وزير المستعمرات في باريس السلطات الفرنسية بتولي الشؤون المالية لكمبوديا، والتأكد من ان الملك يعيد بانتظام نسبة من الضرائب الى تكاليف إدارة البلاد[44].

وتأسيساً على ذلك عملت الإدارة الفرنسية على وضع برنامجها الإصلاحي موضع التنفيذ مع معارضة الملك نوردوم الأول له الذي أراد البقاء على سياسته في إدارة البلاد ، لكن الفرنسيين كان لهم موقف اخر ، ففي آذار 1884، أصر الفرنسيون على مراجعة معاهدة 1863 مراجعه شاملة ، الامر الذي رفضه الملك وماطل لمدة ثلاثة اشهر من اجل التهرب من تجديد المعاهدة ، فقام الحاكم تشارلز طومسون *Charles Thompson* ، فقام بالتحرك من سايغون مع جيش صغير من مشاة البحرية الفرنسية ، واخرج طومسون الملك نوردوم من فراشه واجبره اما التنازل عن العرش او التوقيع على المعاهدة الجديدة ، التي الزمت مادتها الأولى الملك بقبول جميع الإصلاحات الإدارية والقضائية والمالية والتجارية التي تراها حكومة فرنسا مفيدة في المستقبل ، ونتيجة لذلك التهديد وقع نوردوم على المعاهدة [45].

ونتيجة للسياسة الفرنسية المتبعة في كمبوديا وتدخلهم في معظم شؤون البلاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ونتيجة لسياسة الملك الكمبودي تجاه شعبه ، ظهرت نتائج كانت سلبية في المجتمع الكمبودي الذي كان المتضرر الوحيد من تعسف السلطة الحاكمة والسيطرة الخارجية ، الأمر الذي دفعهم للقيام بانتفاضتهم في عام 1885 ، التي اطلق عليها الفرنسيون اسم (التمرد العظيم).

المبحث الرابع : الانتفاضة الكمبودية 1885- 1886 ونتائجها :

ساد كمبوديا الترقب للخطوة الفرنسية التالية ، واعتقد الفرنسيون أن باستطاعتهم طرح فكرة ضم كمبوديا ، وتحرك المسؤولون الفرنسيون بثقة لتقديم برنامج الإصلاحات [46] في أوائل كانون الثاني 1885 ، إلا ان بعض الكمبوديين هاجموا عدداً من المواقع العسكرية الفرنسية المعزولة ، معلنين بذلك انتفاضة عامة ، كادت ان تشمل جميع البلاد تقريباً ، وبرزت في تلك الانتفاضة الشخصية المحورية المتمثلة بالأخ غير الشقيق لنوردوم الأمير سي فوتا ، وهو رجل حرب عصابات مخضرم ، وأحد المُطالبين بالحكم الملكي ، وقضى سنوات عديدة بالغابات[47].

وقد وحدت الانتفاضة الفصائل المتباينة من الطبقة الارستقراطية الخميرية في القضية المشتركة والمتمثلة في دفع الفرنسيين الى اسفل نهر ميكونغ وحصلت على دعم عامة الشعب ، وكان نوردوم نفسه بعيداً عن القتال ، لكن في الوقت نفسه ، حصلت الانتفاضة على دعم كبير من عائلة نوردوم ، فضلا عن وجود عناصر من الأقليات الصينية والفيتنامية انضمت الى القتال ضد فرنسا على الرغم من العداوات العرقية بينهم وبين الخمير ، ومثل ذلك درساً للفرنسيين في عدم جدوى شن حرب ضد المقاتلين الذين يعملون في أراضيهم ، وفي الوقت نفسه تمتع الفرنسيون بملاذ طبيعي متمثل في الغابات والمستنقعات والجبل ، اذ ان أربعة الاف جندي فرنسي كانوا مجهزين بالسلاح والمدفعية والزوارق الحربية ومدافع الرماية السريعة ، وبإمكانهم اخماد الانتفاضة[48].

شهدت الانتفاضة سقوط العديد من الجنود الفرنسيين قتلى في المواجهات ، وفي الأمراض التي فتكت بهم تحصنهم في الغابات والحقول ، واستخدم الفرنسيون كل الطرق والوسائل التي كان يفعلها الكثيرون في الحروب الاستعمارية ، اذ قاموا بأحراق القرى وإرهاب الفلاحين الذين اشتبهوا في انهم يساعدون الثوار سراً او من يقومون بحمل السلاح ضدهم [49].

وفي منتصف عام 1886 ، وصل الفرنسيون الى القناعة انه يجب ان يكون هناك حل تفاوضي للنزاع ، سيتضمن التراجع عن الشروط المفروضة على نوردوم في معاهدة 1884، فضلاً عن انه سيتعين على الفرنسيين التماس دعم الملك لأنهاء الانتفاضة ، في المقابل وعد الفرنسيون بأنهم لن يحاولوا فرض سيطرة كاملة على إدارة الخمير ، وافق نوردوم على اصدار اعلان من اجل السلام والسفر في البلاد ليطلب من

الثوار القاء أسلحتهم في غضون ستة أسابيع ، ما ثبت انه مستحيل بالنسبة للفرنسيين ، اذ قلت حدة المقاومة بشكل كبير، على الرغم من ان سي فوتا صمد بعناد في الغابات حتى وفاته سنة 1890[50].

وفي غضون ذلك كانت كمبوديا منهكة ومدمرة ، قدر الفرنسيون ان (10,000) عشره الاف شخص قد قتلوا خلال الانتفاضة ، وهناك احصائيات أخرى تظهر ان عدد السكان الكمبوديين انخفض من (945000) عام 1879 الى (750000) عام 1888، أي خسارة بحدود (195000) شخص ، معظمهم ربما قُتل خلال الانتفاضة ، فضلاً عن هروب العشرات من الفلاحين الى باتامبانج وسيام [51]، او لجأوا الى الغابات مرة أخرى ، ثم اندلعت المجاعة والمرض مع هجر الأراضي الزراعية وتدميرها ، وكانت بمثابة مأساة هائلة أخرى لأرض لم تتعاف من الحروب والمجاعة والترحيل والتمرد[52].

المبحث الخامس : السياسة الفرنسية لتنصيب الملوك في كمبوديا واندلاع احتجاجات الفلاحين 1887-1916 :

في عام 1887 استطاعت فرنسا ضم كل من فيتنام ولاوس [53] وكمبوديا ، وشكلت ما يسمى بـ (وحدة الهند الصينية) ، واصبح الحاكم الفرنسي في هانوي هو صاحب السلطة الحقيقية و له السلطة العليا في الهند الصينية[54].

وحتى بعد تأسيس وحدة الهند الصينية ظل الملك نورودوم ملكاً على كمبوديا حتى وفاته عام 1904، وجاء بعده الملك سيسواث نورودوم (*Sisoath Norodom*) الوريث لعرش أخيه ، وتوج ملكاً وهو في السن الرابع و الستين، وفرضت فرنسا من خلال حاكمها في كمبوديا باول باو (*Paul Bau*)[55] تنصيب الملك ، وعُد تنصيب سيسواث بداية للمرحلة الجديدة بالنسبة للكمبوديين، وذلك من خلال صداقته الجيدة مع الفرنسيين، وبالتالي فإن روح التعاون والعلاقات مع الملك الكمبودي يمكن أن تعكس إيجاباً على طبيعة الادارة الفرنسية في كمبوديا ، فمن خلال زيارته لفرنسا ومقابلة رئيسها ارماند فالير (*Armand Falir*)[56] ، تمكن سيسواث نورودوم من ارجاع منطقتين هما باتمنباغ وسيم ريب اللتين كانتا تحت السيطرة التايلاندية منذ عام 1790[57].

أظهرت المراسلات العديدة للحكام الفرنسيين المتعاقبين في بنوم بنه الذين كانوا يناقشون مؤهلات مختلف المرشحين للعرش، وذلك وفقاً للاحتياجات السياسية الفعلية للحفاظ على مكانة فرنسا في كمبوديا، وكان هناك سبب آخر للاهتمام الذي أولاه المسؤولون للعائلة المالكة ، ولا شك في ان القرار الفرنسي بوضع سيسواث على العرش في عام 1904 بدلاً من احد أبناء نورودوم ، قد وضع أسس التنافس داخل العائلة المالكة[58].

وبمجرد توليه العرش، أوضح سيسواث قلقه من ان يخلفه احد أبنائه في عام 1906، واثناء زيارة لباريس ، قدم ادعاءات ابنه الأكبر، ايسار افونج (Essar Avong) ، لكن ذلك الأمير توفي في العام التالي، وبعد ذلك ، اقترح سيسواث على الحاكم العام للهند الصينية ان تنتقل الخلافة في النهاية الى مونيفونغ (Monifung)[59] ، الذي التحق بأكاديمية عسكرية فرنسية وتم تكليفه برتبة ملازم في احدى الفيالق الفرنسية في عام 1908 ، ولم تقدم السلطات الفرنسية في الهند الصينية أي وعود الى الملك ، ولم يفعل مونيفونغ الكثير للدفاع عن قضيته ، وبمجرد عودته الى كمبوديا شغل مناصب مختلفة في الإدارة الكمبودية لمدة وجيزة، وسرعان ما اختار ابعاد نفسه من بنوم بنه والعيش بهدوء في فيلا وسط الريف، وعلى مدار خمسة عشر عاماً ، جرت العديد من المناقشات والمباحثات والمراسلات بين باريس وبنوم بنه وهانوي حول ما يجب فعله عند وفاة سيسواث، تضاءلت فرص تولي مونيفونغ الحكم ؛ وذلك لنظرة الفرنسيين له بوصفه " رجل مخابرات عادي جداً " ، لكن لم يشتبه في عدم ولائه مثل بعض أعضاء فرع نورودوم من

العائلة المالكة ، وكان الأمير نورودوم يوكانثور (*Norodom Yocanthur*) آنذاك في المنفى في بانكوك، ونفي أمير آخر من فرع عائلة نورودوم وهو الأمير مايورا الى فيتنام في عام 1913 وذلك لنيته للتخطيط للإطاحة بالحكم الفرنسي ، وعلى الرغم من المخاوف الفرنسية التي اثارها اسلوب يوكانثور ومايورا ، فقد اتخذ قرار فرنسي في عام 1916 بأن خليفة سيسواث يجب ان يكون الأمير سوثاروث (*Southruth*) ، وهو احد أبناء نورودوم الأول ، اذ بدأ سوثاروث مطمئناً لما يقرب من احد عشر عاماً من تولي العرش الكمبودي، ومع ذلك فإن ذلك لم يتحقق لأسباب غير واضحة تتعلق بأبعاده من قبل سيسواث، رغم ذلك فقد توقف سوثاروث في نظر الفرنسيين على الأقل، عن كونه منافساً على العرش الكمبودي[60].

كانت الحياة التي عاشها الملك الكمبودي والاداريون الفرنسيون ، والتجار الصينيون الذين هيمنوا على التجارة في العاصمة بنوم بنه مختلفة تماماً عن حياة الناس في الريف والمدينة ، وبالنسبة للفرنسيين كقوة سياسية مهيمنة في كمبوديا، ربما كان الوعي بما كان يحدث في المناطق الريفية يتراجع مع تقدم القرن العشرين[61].

خلال تلك المدة دخل العالم في اتون الحرب العالمية الأولى، لذا أقدمت السلطات الفرنسية على استغلال الأوضاع في الداخل الكمبودي، بغية دعم مجهودها الحربي لذلك اتخذت السلطات الفرنسية سلسلة من الإجراءات التي ارهقت كاهل السكان المحلين، أهمها فرض الضرائب على الفلاحين فضلا عن اخذ الأموال من السكان المحليين كبدل عن اشراكهم في جبهات القتال ولاسيما التجار الكمبوديين وتجنيد متطوعين للخدمة العسكرية [62] وهنا ينبغي الإشارة الى ان الملك الكمبودي سيسواث اعرب عن دعمه الكامل للجهود الفرنسية خلال الحرب[63].

نتيجة للظروف للسياسة الفرنسية التعسفية تجاه الفلاحين والضرائب التي فرضت عليهم تقدم نحو 300 مزارع كمبودي من الشمال بطلب في 15 تشرين الثاني الى الملك بالتدخل لخفض الضرائب التي قام المسؤولون الكمبوديون بجمعها على الرغم من الضرائب التي تم دفعها للفرنسين سابقا ، فتم اللقاء بالملك وقد وعدهم الملك بانهُ سينظر في طلبهم وسيجري التعديلات المطلوبة ومن ثم امرهم بالعودة الى عملهم[64]، وعلى الرغم من الاعتراض الذي قدمة الفلاحون الا ان السلطات المحلية والفرنسية استمرت بساستها التعسفية بجمع الضرائب وارهاق كاهل الفلاح الذي بدأ يتذمر من تلك السياسية فضلا عن ان غالبية السكان كانوا غير راغبين بدعم الفرنسيون في حربهم على عكس الملك الكمبودي ، ونتيجة لذلك بدأ حراك ثوري داخل أوساط الفلاحين واحتجاجات عرفت بانتفاضه الفلاحين عام 1916 وهي نتيجة حتمية لسياسات السلطات الفرنسية التي استنزفت ثروات الكمبوديين لغرض تمويل مجهودها الحربي من خلال فرض الضرائب المختلفة على جميع المنتجات الزراعية [65].

ونتجية لذلك حدث صدامات بين المحتجين والقوات الفرنسية، اذ امر المقيم الأعلى فرانسوا بودان(*Francoi Baudoin*) بفضح الاحتجاجات بالقوة ومطاردة المحتجين والقائهم بالسجون وقد تم قتل عدد من الفلاحين خلال تلك المدة وقد تم اخماد الانتفاضة بالقوة المفرطة من قبل الجانب الفرنسي[66].

وبنهاية عام 1916 ظهر امران مهمان هما:

أولاً: ان الفلاحين قدموا شكواهم للملك بدلاً من الإدارة الفرنسية ، وبطلب من الملك ان يعود الفلاحون الى قراهم ، وعلى الرغم من ان المحمية كانت سارية المفعول لأكثر من خمسة عقود ، وهنا نجد ان سكان الريف الكمبوديين يعتبرون الملك مصدراً للسلطة داخل المملكة .

ثانياً: اكدت قضية 1916 مدى ضعف معرفة المسؤولين الفرنسيين عن أوضاع المناطق الريفية في كمبوديا ، اذ لم يكن لديهم تحذير مسبق بشأن الاحتجاجات ، ولم يتمكنوا ابداً من تحديد السبب المباشر لتلك القضية ، ناهيك عن قيام الفرنسيين بربط الاحداث بتصرفات قادة معينين[67].

وقد حاول بعض المسؤولين الفرنسيين ربط القضية بالأنشطة المفترضة للعملاء الالمان الذين يديرون الاحداث من بانكوك المحايدة ، لكن ذلك الاحتمال بعيد عن الوطنيين الكمبوديين؛ لأن حقيقة حدوث تلك القضية واسبابها في نظر الوطنيين كما يصفها العديد من المؤرخين تكمن في صعوبة معرفة الطبيعة الحقيقية للحياة الريفية في كمبوديا[68].

ويمكن القول ، أنه بالنسبة للعديد من الفلاحين ان عملهم اليومي ينطوي على عمل بدني مُتعب ، فضلاً عن المديونية التي يتحملوها لتجار الأرز الصينين، و خطر السطو أو القتل على ايدي قطاع الطرق الذين يجوبون الريف ، ولم يكن الفرنسيون وحدهم يعرفون القليل من الفلاحين ، اذ ان القليل من افراد العائلة المالكة الذين يعرفون أو يهتمون بالأحداث التي تحدث خارج العاصمة، اذ تعد العائلة المالكة وخصوصاً الذكور بعيدة عن ممارسة واجباتهم تجاه افراد شعبهم، لانشغال بعضهم بالمناصب العليا في الإدارة الكمبودية التقليدية أو في حالات أخرى حيث اصبحوا ضباطاً في القوات المسلحة الفرنسية[69].

كانت حياة مختلف أفراد العائلة المالكة الكمبودية مصدر قلق مستمر وانبهار للمسؤولين الفرنسيين ، الذين عملوا في كمبوديا الى درجة فاقت ما كان مخطط في ذهنهم للتعامل مع الوضع الكمبودي، اذ أعربت الأجيال المتعاقبة من الإداريين الفرنسيين عن قلقها من ان اميراً او اخر قد يخطط لتقويض السيطرة الفرنسية على المملكة ، وان تفسير ذلك القلق و للمصلحة التي اثارتها العائلة المالكة بشكل عام يحتاج الى مراعاة عدد من العوامل. على المستوى الاوسع كان المسؤولون في الهند الصينية اقل ثقة بكثير من ديمومة حكمهم الاستعماري مما كان معترفاً به في العادة ، وعكست مخاوفهم الى حد ما أنماط المقاومة المستمرة التي واجهها الفرنسيون في فيتنام، والتي كانت اهم ممتلكاتهم الاستعمارية في الهند الصينية ، وعلى الرغم من عدم وجود مقاومة مماثلة في كمبوديا او لاوس قبل ، إلا انه كان هناك خوف دائم في اذهان الفرنسيين من الاضطرابات في فيتنام قد تمتد الى ما تبقى من الهند الصينية[70].

ان عدم فهمهم لطبيعة المجتمع الكمبودي أدى إلى تهديد سيطرتهم على كمبوديا ، وذلك ما كان يخشاه الفرنسيون، سواء كان الفلاحون أو المجتمع الملكي، كان الفرنسيون يدركون انهم لو أرادوا السيطرة الكاملة على كمبوديا يجب ان تكون نظرتهم في التعامل مع مختلف شرائح المجتمع الكمبودي نظرة واحدة، اذ كان المسؤولون الفرنسيون على وعي بأنهم لم يتمكنوا من تحميل المسؤولية عن انتفاضة 1885-1886 ، بينما ظل الظهور المفاجئ لقضية عام 1916 أمراً محيراً لهم[71].

المبحث السادس : التطورات السياسية في كمبوديا واغتيال المقيم الفرنسي باردیز عام 1925:

لطالما كان ينظر الى الشخصيات الملكية التي حكمت كمبوديا خلال العقد الثاني من القرن العشرين على انها متوافقة بشكل مناسب مع تطورات السياسة ، اذ كان الملك سيسواث يتمتع بنظرة ثاقبة تجاه أحداث العالم ، وكان مهتما بمجد النظام الملكي اذ كان مؤيدا قويا للبوذية ، للحفاظ على العادات القديمة داخل القصر الملكي ، مع معاملته باحترام واهتمام من قبل الإدارة الفرنسية، فلم يجد صعوبة حقيقية في إعطاء سلسلة التغيرات التي تم تنفيذها ببطء مع وجود القوة الاستعمارية التي اجلسته على عرش المملكة[72].

وبع ان انقضت أربعين عاماً بين فرض الحماية الفرنسية وموت الملك نورودوم الأول، فإن المدى الذي بلغه النظام الفرنسي في جميع انحاء كمبوديا بحلول القرن العشرين كان اكثر تركيز للسلطات الفرنسية في ادارة كمبوديا، وكل المعطيات أشارت الى ان السيطرة الفرنسية الواضحة تحققت قبل نهاية عهد نورودوم

الأول، فقد ركزت السلطات الفرنسية ادارتها المباشرة على جميع مناطق كمبوديا التي قسمت إدارية الى 24 مقاطعة [73].

وتجدر الاشارة بأنه من الواضح من النظام السياسي في الإدارة الكمبودية آنذاك انه يوجد ادارتان في كمبوديا ، الإدارة الكمبودية التقليدية : تحت حكم الملك ، والهيكلية الفرنسية الجديدة التي تدار من قبل المقيم الفرنسي ، وكان المقيم الفرنسي حاضراً في جميع اجتماعات مجلس الوزراء الذي يعقد الملك، مما مثل السيطرة الفرنسية الفعلية على القرار السياسي الكمبودي، فضلا على تعيين مقيمين فرنسيين للخدمة في المقاطعات الكمبودية[74].

أدت التطورات السياسية التي حدثت خلال عهدي سيسواث الى التقليل التدريجي لأهمية البنية الإدارية التقليدية داخل النظام الكمبودي[75]، ومنذ عام 1904 وما بعده، كان المقيم الفرنسي في المقاطعات هو مصدر القرارات في جميع المسائل الإدارية والقضايا الرئيسية، اذ تحول مصطلح **" المحمية "** الذي يطلق على الوضع الفرنسي داخل كمبوديا، ليصبح الفرنسيون مشاركين فعليين في إدارة البلاد[76].

وعلى الرغم من ان مفهوم "الحماية الفرنسية" كان واقع حال فرضته فرنسا على كمبوديا، ليتطور ذلك الوضع فيما بعد ، حتى ان الإدارة الفرنسية في بنوم بنه لم تتردد في استخدام تعبير مستعمرة عند الإشارة الى كمبوديا، خلال ذلك اخذ المسؤولون الفرنسيون في الاعتبار الواقع للوضع، و تسليط الضوء على البلاد بطريقة مباشرة، اذ لم يأخذ بالاعتبار سوى القليل من الهيكل الإداري الكمبودي من خلال استخدام الفيتناميين في الرتب الدنيا من الإدارة الفرنسية[77].

ولم يسمح للكمبوديين بشغل مناصب عليا في النظام الفرنسي حتى لو كانت متاحه، الا ان الإدارة الفرنسية فضلت اشراك الفيتناميين ولاسيما الذين يملكون قدرات كتابية يضاهون بها قدرات الكمبوديين، اذ دعمت إدارة فرنسا القدرات الكتابية للفيتناميين، وكانت تهدف الى تشكيل قاعدة مهمة لتدعيم سيطرتها في كمبوديا هذا أولا ، اما الهدف الثاني هو إدراكها للمدى الذي اتسمت به العلاقة بين الكمبوديين والفيتناميين بدرجة من الكراهية والعرقية في كمبوديا ، لذا فضلت الاستعانة بالخبرات الفيتنامية من الذين سبق وان تعاملت معهم [78].

وعبر المسؤولين الفرنسيين في بنوم بنه عن آمالهم في تحديث الإدارة الكمبودية التقليدية، والمراسيم الصادرة التي صممت لتحقيق ذلك، وهو ما تم بعد عام 1904 ، اذ أُتخذت سلسلة من القرارات التي كان لها الأثر في التغير الذي طرا على الهيكل الإداري لـ(البلدية) الكمبودية والتي تُعد الوحدة الأساسية للإدارة[79].

وعمدت الإدارة الفرنسية على فرض حدود جغرافية جديدة الهدف منها هو فرض الرسوم الجمركية، وتم اتخاذ حدود رسومية للمقاطعات بين عامي 1908-1925، في حين كانت هذه القرارات مهمة فيما بعد بوصفها الأساس التي قامت عليها كمبوديا المستقلة بإنشاء هيكلها الإداري الخاص بها، الا انها لم تكن ذات صلة بالكمبوديين في الوقت الذي كانوا فيه تحت الحماية الفرنسية، وفي ظل الحماية الفرنسية كانت مثل هذه القرارات لن تؤثر على علاقات كمبوديا الخارجية، لان مثل هكذا قرارات كانت من مسؤولية الإدارة الفرنسية التي كانت صاحبة القرار آنذاك[80].

جسدت فرنسا سياستها في الإدارة داخل كمبوديا من خلال تأسيس هيئة المفترض تمثل ذروة التطلعات السياسية الكمبودية (الجمعية الاستشارية للسكان الأصليين)، وكما يوحي اسمها لم يكن للجمعية وظيفة تشريعية، اذ تم انتخاب بعض أعضائها على أساس امتياز مقيد للغاية، وهي خاصية ضمنت بالاقتران مع

ترشيح الأعضاء الاخرين ان تكون الجمعية سهلة الانقياد وعلى استعداد لقبول الحضر المفروض على المناقشة بشأن أي مسائل تُعد " سياسية " في طبيعتها[81].

أقدمت السلطات الفرنسية في كمبوديا على اتخاذ سلسلة من الإجراءات السياسية والاقتصادية لغرض تغير الاوضاع العامة في كمبوديا واستثمار تلك التغيرات خدمه لمصالحهم، فبحلول عام 1920 حرص الفرنسيون على توسيع صناعة المطاط في كمبوديا، اذ تم انشاء مزارع لإنتاج المطاط في المزارع الكمبودية وقد تمكن الفرنسيون لاحقا من تحقيق مكاسب اقتصادية جراء هذا الإنتاج مما دفع السلطات الفرنسية الى استحداث شركة خاصة لهذا الغرض عرفت شركه المطاط الكمبودية [82].

من جانب اخر اقدم الفرنسيون على تأسيس متحف للأثار الكمبودية في عام 1920 من خلال تجميع العديد من التحف والفخار الموجودة في المعابد الهندوسية [83] والبوذية [84] وسعى الفرنسيون الى إعادة احياء الإرث الحضاري لمدينة انكور [85] من خلال ترميم بعض المعالم الحضارية هناك ، من جانب اخر سعى الفرنسيون الى ترتيب العلاقات السياسية الكمبودية الفيتنامية بشكل يتلاءم مع المصالح الفرنسية، ففي عام 1921 اصدر اعمام لترتيب العلاقات الاقتصادية والسياسية بين البلدين بأشراف فرنسي مع توسيع دورهم الرقابي على المؤسسات القضائية [86].

وعلى الرغم من القرارات المختلفة التي صدرت خلال عهدي الملك سيسواث ، الا أن الإدارة السياسية للمستعمر الفرنسي كانت ترى ان الكمبوديين غير قادرين على إدارة شؤونهم الداخلية وغير قادرين تماما على الاطلاع بمهام والحكومة ومسؤلياتها ، لذلك فضل الفرنسيون الاكتفاء بدورهم الاستشاري، في حين وجدت الإدارة الفرنسية بانة طالما الإدارة الكمبودية التقليدية لم تشكل أي مشكلة كبيرة لها، فقد كانوا راضين ولا يجدون مشكلة في استمرارها [87].

وهنا تجدر الإشارة الى ان السلطات الفرنسية القت على عاتق الكمبوديين مهمه جمع الضرائب وخاصة الضرائب المفروضة على انتاج الرز في العاصمة والمناطق الاخرى فضلا عن انشاء مطاحن ومصنع للأرز [88].

وقبل وفاة نورودوم الأول أدت الضغوط الفرنسية الى ترقية عناصر معينة لتكون واجهه لها في مناصب معروفه داخل السلطة الحاكمة في كمبوديا، و اشهر هذه الشخصيات هو ثيوم (*Thiom*)، الذي هو من أصول مختلطة كمبودية وفيتنامية ، اذ اصبح محل ثقه للفرنسيين داخل القصر الملكي قبل وفاة نورودوم، وظل كذلك طوال مده حكم سيسواث [89].

استمرت الطبقة السياسية في السيطرة على غالبية المناصب الإدارية في السلطة داخل القصر الملكي رغم فرض الفرنسيين بعض الشخصيات مثل (ثيوم) الذي ذُكر سابقاً، لكن ظهرت عدة تغييرات على الساحة الكمبودية من أهمها هو انشاء مدرسة الإدارة، التي تعود مراسيم انشائها الى سنة 1917، لكنها لم تكن تعمل حتى عام 1922، اذ وجدت الإدارة الفرنسية في كمبوديا وضع بعض خريجين تلك المدارس في مناصب إدارية في الحكومة الكمبودية ، ونصت تلك المراسيم على تولي المسؤولين الاقليمين الكمبوديين بعض السلطات التي كانت في السابق من اختصاص الفرنسيين، لاسيما خريجي كلية الإدارة الكمبوديون الذين اجتازوا دوراتها وقد بدأوا بشغل مناصب المسؤولية فيما بعد[90].

كان للكمبوديين موقف واضح من مسالة التعليم في كمبوديا ،اذ سعت السلطات الفرنسية على ادخال التعليم الحديث الامر الذي لاقى معارضة شعبية واسعة ولاسيما الرهبان البوذيين الذين كانوا تقليديا علماء ومعلمين للمجتمع، وانتقدوا التعليم الذي ترعاه فرنسا وتم التغلب على هذا الاستياء ببطء لدرجة ان "مدارس الباغودا" تضمنت بعض التعليم الابتدائي الحديث في مناهجها الى جانب المزيد من الدراسات

التقليدية ، وتقدم " مدارس الباغودا " هذه توضيحا صارخا لأهمية الديانة البوذية ، اذ بينت الاحصائيات ان التلاميذ الذين التحقوا بمدارس الرهبان اكبر من أولئك الذين كانت تديرهم الإدارة الفرنسية[91].

برزت قضايا مهمة على الساحة الكمبودية آنذاك وكان لها الأثر على الساحة السياسة وهي ظهور سون نجوك ثانه (*son ngok thana*)[92] بوصفه شخصية سياسية مهمه الذي شكل فيما بعد المعارض الرئيس للسلطات الفرنسية، فضلا عن الأهمية الرمزية المعطاة للفلاحين من قبل السلطة السياسية واستياء الفلاحين من قضية عام 1916 ، ومطالبتهم بفرض ضرائب بصورة عادلة على الفلاحين ورفض اعمال السخرة بالنسبة لهم كل هذه العقبات شكلت ثغرة في التعامل بين الفلاح والسلطة أدت الى اندلاع نشاط فلاحي لاحقاً عام 1925 ، وأدت الى مقتل المقيم الفرنسي في كمبوديا باردیز (*pardiz*) عام 1925 [93].

ففي أواخر عام 1923 ابلغ المقيم الفرنسي في بري فينغ (Prey Veng) [94] فيليكى لويس باردیز (FelixLewis Bardis) السلطات الفرنسية ان هناك تراجع كبير في إيرادات الضرائب وقد علل هذا التراجع حسب اعتقاده بوجود ثلاثة أسباب وراء انخفاض الايصالات الضريبية وهي : الخمول التام للمسؤولين الكمبوديين، وعدم سعيهم للاهتمام بمساله الضرائب والافتقار الى الاشراف على المتابعة للنظم الإدارية التي يتم من خلالها تحصيل الضرائب ، واوجه التقصير في إجراءات التحصيل الضريبي[95].

وقام باردیز خلال عام 1924 بتحسين إجراءات تحصيل الضرائب في المقاطعات ، واظهر ان النظام يمكن ان يكون اكثر إنتاجية من خلال العمل بجدية[96]وكانت الفئتان اللتان ارتفعت فيهما إيرادات الضرائب اكثر من غيرهما هما ضرائب الأرز وضرائب الراس الصينية ، وهاتان الفئتان بالتحديد يمكن زيادتهما على الفور ، لذا سعى باردیز بتنفيذ سياسته الجديدة وقد حصل على جميع التسهيلات من السلطات الفرنسية في كمبوديا وقد اتسطاع تحقيق ايرادات كبيرة نالت استحسان مرؤسية[97].

اثار النجاح الذي حققه باردیز في (بري فينيج) انتباه رؤسائه ، وفي أواخر عام 1924 تم نقله بموجب أوامر صدرت من قبل كبار المسؤولين ليكون مقيماً في (كوفنغ تشانغ) ، التي لطالما كانت عرضه للصوص وانخفاض عائدات الضرائب، وتزامن وصول باردیز مع اصدار ضريبه تكميلية لدفع تكاليف منتجع (بوكور الجبلي)[98] الذي قرر المقيم الفرنسي فرانسوا بودوين *Francois Bodin* إنشاءه ليكون بمثابة منتجع سياحي ، إلا انه وجد صعوبة الحصول على الأموال اللازمة ، وذلك لان الايرادات المستحصلة من الضرائب التي تجبى من قبل المسؤولين الكمبوديين كانت قلية وبطيئة في الوصول ، فضلا عن أسلوب المعاملة التي كان يعامل بها جامعو الضرائب من قبل الأهالي ، اذ تعرض احد المسؤولين الذين حاولوا تحصيل الضرائب الجديدة للضرب المبرح من قبل القرويين في المنطقة في أوائل عام1925 [99].

وصلت تقارير الى باردیز في 18 نيسان 1925 أفادت ان هنالك قرية أخرى وهي (كرانج ليف) متأخرة في سداد مدفوعاتها ، وزار باردیز القرية بنفسه وبرفقته مترجم ورجل مسلح كمبودي ، واستدعى دافعي الضرائب الى قاعة قرية اوسالا (*Aosala*) ، وقام بتقييد ايدي العديد منهم وهددهم باقتيادهم الى السجن - على الرغم من انهم لم يأخذوا غرامات جنودهم - لمده ثلاثة اشهر ، واستخدم باردیز أسلوباً قاسياً، ضدهم اذ حرمهم من تناول الغذاء داخل السجن وهم في حاله يرثى لهم من قله الغذاء والمأوى [100].

اشتد غضب القرويين من تصرفات باردیز وزاد نفورهم الى درجة قيامهم بالهجوم على باردیز في 18 نيسان 1925 ومن معه وهم المترجم والمسلح الكمبودي ، وضربهم بالكراسي والواح السياج ومقابض

الفؤوس حتى اردوهم قتلى ، وسار الكمبوديون الذين كانوا تحت قبضة باردیز الى (كومبونغ تشانغ) [101] للمطالبة بإعفائهم من الضرائب ، لكن بعد ساعات قليلة ، خمدت حماستهم ، وتفرق المتظاهرون وفرقتهم جماعات مسلحة متعاونة مع الإدارة الفرنسية قبل ان يصلوا الى وجهتم[102].

صدمت انباء مقتل باردیز الجالية الفرنسية في بنوم بنه ؛ لكونها المرة الأولى التي يتعرض لها مسؤول فرنسي رفيع المستوى الى القتل على ايدي قرويين اثناء الخدمة ، صحيح ان هناك مسؤولين تعرضوا للقتل من قبل قطاع الطرق ، لكن لم يقتل أي منهم اثناء تحصيل الضرائب ، ونتيجة لذلك مارست فرنسا ضغطاً على العائلة المالكة لمعرفة الجناة ومحاسبتهم ، اذ قام الملك سيسواث بإرسال ابنه الأكبر مونيغونج ، الى منطقة الحادث مع مستشار سياسي ، فرنسي للتعبير عن استيائه ، وذلك من خلال اصدار مرسوم ملكي بتغير اسم القرية من كرابنج لاف الى "ديريشان" ، وأجبر المرسوم القرويين على القيام بخدمات تمجيد لباردیز في ذكرى مقتله خلال السنوات العشر القادمة ، كانت تهمة جماعية موجهة من قبل المرسوم وان ذنب قتل باردیز ذنب جماعي ، ووجهت التهمة الى ثمانية عشر رجلا من القرويين تم اعتقالهم بتهمة قتل باردیز ، لكن النيابة العامة رفضت ما جاء في اعلان مرسوم وربط التهمة في هؤلاء المذنبين ، اذ رات خطرا في ربط قضية مقتل باردیز بأي نوع من أنواع السخط السياسي[103].

بدأت محاكمة المتهمين بارتكاب جرائم القتل في بنوم بنه في كانون الأول 1925 ، وبعد نشرها على نطاق واسع بالصحافة ، أخذت هذه القضية ابعاد أخرى واهمها ، ان القضية زادت الشعور المناهض للاستعمار في انحاء مختلفة من الهند الصينية ارادت النيابة في المحاكمة ابعاد التهمة الموجهة للرجال الثمانية عشر المتهمين بقتل باردیز وذلك من خلال اثبات أن المتهمين كانوا قراصنة من خارج القرية ودافعهم لهذا العمل هو السرقة [104].

وعلى الرغم من اختفاء الضرائب التي جمعها باردیز في (ميلية) ، الا ان محفظة النقود الخاصة به لم تمس ، وهذا الأمر دل على ان القرويين هم الذين كانوا قد هاجموا باردیز وقتلوه ، وكان الواقع حقيقيا ان الضرائب كانت تمس حياتهم الشخصية ، وان روح الحماسة والنزعة الوطنية التي دفعت هؤلاء القرويين جراء تصرفات المقيم الفرنسي تجاههم وطريقة تعامله في اذلالهم للحصول على الضرائب كانت وراء ما قاموا به [105].

وقد شبهت حادثة اغتيال باردیز الى حد كبير قضية عام 1916 ، اذ كشفت ان اليات الحكم الاستعماري الفرنسي لم يكن لها واقعية واضحة لمعرفة الشخصية الكمبودية رغم مدة الاستعمار الطويلة التي أقامها المستعمر داخل كمبوديا ، والدليل ان باردیز وبعد خمسة عشر عاما في كمبوديا ، كان غير قادر على التحدث بلغة الخمير ، فكيف يعرف ما يفكر به الناس العاديون، اذ كان الاستعمار في وادي وعامه الكمبوديين في وادي اخر [106].

الخاتمة :

توصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج تلخصت بما ياتي:

1- لقد شكلت كمبوديا بالنسبة للسلطات الفرنسية أهمية كبيرة، وذلك لموقعها الجغرافي المميز الذي يرتبط مع فيتنام ولاوس ،وبذلك يساعد فرنسا في تحقيق أهدافها بما يعرف بوحدة الهند الهندية الصينية. فضلا عن ان هذه المرحلة شهدت صراعا استعمارياً بين بريطانيا وفرنسا بالاستحواذ على اكبر قدر ممكن من المستعمرات في اسيا بصوره عامة وجنوب وجنوب شرق اسيا على وجه الخصوص.

2- ان كمبوديا هي التي بادرت لطلب الحماية الفرنسية ويرجع السبب الى رغبتها في التخلص من الهيمنة التايلاندية الفيتنامية ، فقد شهدت فترة ما قبل الحماية عمليات سيطرة وتوسع على حساب الأراضي الكمبودية من قبل مملكة تايلاند ومملكة فيتنام ،لذا سعى الملك نوردوم الأول للتخلص من تلك الهيمنة من خلال طلب الحماية الفرنسية .

3- بعد الموافقة الفرنسية على الحماية سعت السلطات الفرنسية الى اتباع سياسة استعمارية من خلال الاعتماد الكلي على المقيم الأول في إدارة كمبوديا ولم تعط أي مسؤولية للكمبوديين فقد وجدت ان الكمبوديين غير مؤهلين في تلك المدة الى إدارة شؤونهم الداخلية وبذلك تحول الساسة الفرنسية من الحماية الى المستعرة .

4- أقدمت السلطات الفرنسية على اجراء العيد من الإصلاحات داخل كمبوديا الا ان تلك الإصلاحات لم تأتي اوكلها بسبب طبيعة المجتمع الكمبودي وخاصة بالمناطق الريفية ،فضلا عن استخدام السلطات الفرنسية أساليب قاسية في مسالة جمع الضرائب، لاسيما عند دخولها الحرب العالمية الأولى، اذ اخذت السلطات الفرنسية بنهب خيرات كمبوديا من خلال الضرائب او من خلال اعمال السخرة واستثمارها خدمة لمجهودها الحربي .

5- أدت السياسة التعسفية الفرنسية الى ردت فعل من قبل السكان الكمبوديين المتضررين من تلك السياسة ولا سيما الفلاح الكمبودي، مما ولد لدية الرغبة بالتخلص من الفرنسيين وبذلك شكل البذرة الأولى لنمو الروح الوطنية الداعية للتخلص من الفرنسين وتمل ذلك على شكل ثورات فلاحية ضد السلطات الفرنسية .

6- عدم فهم السلطات الفرنسية لطبيعة المجتمع الكمبودي ، فالمجتمع الكمبودي مجتمع متمسك بعاداته وتقاليده، فضلا عن ذلك كان الشعب الكمبودي ينظر الى الملك بانه رمز القداسة والوحدة الوطنية لذلك نجد ان جميع إصلاحات فرنسا فشلت .

7- كانت السلطات الفرنسية كانت تخشى حدوث انتفاضة كبيرة تشمل جميع كمبوديا بدليل ان السلطات الفرنسية بعد مقتل باريز لم تشر الى الفاعل الرئيس بالقضية وانما اوعزته الى قطاعين الطرق وحاولت لملمة القضية بصورة سريعة .

الهوامش :

([1]) اشتقت لفظة كمبوديا من اللغة السكنسرتية (كمبوشيا) التي تعني (مولد الماء) ، وتاريخياً مشتقة من أسم كمبودجا (Kambodja) التي شيدها الخمير عام 435 م ، وهذه القبائل تعد من أهم الجماعات البشرية التي يتألف منها سكان كمبوديا حالياً . للمزيد ينظر : محمد خميس الزوكة ، آسيا دراسة في الجغرافية الاقليمية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ٢٠٠٩ ، ص٣٠٠.

([2]) فايز صالح أبو جابر ، الاستعمار في جنوب شرق آسيا ، ط1 ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان ، 1990 ، ص81.

([3]) David chandler , Genocide prevention : Genocide Education project published Documentation center of Cambodia phonon Penn , 2009 , p.2. by

([4]) الخمير: هو الاسم الاصلي للشعب الكمبودي وتعني كلمة الخمير باللغة الكمبودية (الفلاح). ويطلق عليهم أيضًا بالكمبوديين، أو الكمبوتشيين، وهم مجموعة إثنية لغوية تشكل معظم سكان كمبوديا. يعيش عدد أقل من الخمير أيضا في جنوب شرق سيام (تايلاند) ودلتا نهر ميكونغ في جنوب فيتنام. إن الخمير هم في الغالب من السكان الزراعيين. للمزيد من التفاصيل ينظر:

-The Encyclopedia Britannica, 2019. http://www.britannica.com ؛ Philippe Taylor, Cambodge :l'invasion Vietnamienne continue, in: Kith Chamroeun and Chhum Daravudh, Vietnam and the Cambodian Tragedy, Published Research,Cambodian Perspective Review, December, 2013, P. 92 . ؛John Tully, Op. Cit., P. 93 ؛ .Ben Kiernan and Others, External and Indigenous Sources of Khmer Rouge Ideology," in The Third Indochina War: Conflict between China, Vietnam and Cambodia, Genocide Studies Program, Yale University, 2006, PP.1-2.

([5]) ماهر جاسب حاتم ، التطورات السياسية الداخلية في كمبوديا 1945-1954 والموقف الفرنسي منها ، منشورات أيكار ، بغداد ، 2019 ، ص13.

([6]) ماهر جاسب حاتم ، المصدر السابق ، ص14 ؛ فايز صالح أبو جابر ، المصدر السابق ، ص81-82.

([7]) ماهر جاسب حاتم ، المصدر السابق ، ص15.

([8]) فايز صالح أبو جابر ، المصدر السابق ، ص82.

([9]) ماهر جاسب حاتم ، المصدر السابق ، ص16.

([10]) Sacagawea Hideo , Colonial Discourses in The Cambodian Court Dance Southeast, Asian studies, Vol.4, March, 2005, pp.419-420.

([11]) Russell . R.Ross, Cambodia A Country Study , Research Completed , 1987, p.51.

([12]) Ooi Keat Gin, Southeast Asia : A Historical Encyclopedia , from Angkor Wat to East Timor , Santa Barbat , California , 1977 , p.34.

([13]) مدينة هو تشي منه : سميت بهذا الاسم نسبة الى القائد الثوري الفيتنامي هوشي منه ، وهي من أكبر مدن فيتنام ، وعرفت سابقاً باسم سايغون وبري نوكور ، وفي عام ١٦٢٣ تم فصل المنطقة عن كمبوديا وانضمت رسميا لفيتنام ، وشكلت سايغون عاصمة المستعمرة الفرنسية السابقة كوشينشينا، وكذلك عاصمة فيتنام الجنوبية (قبل الاتحاد) بين سنتي ١٩٥٤ و ١٩٧٥، وفي سنة 1976، بعد سقوطها في أيدي الشيوعيين اندمجت سايغون مع جيا دينه وأصبح اسمها منذ ذلك الوقت هو تشي منه (رغم أن البعض لا زال يناديه باسمها القديم سايغون) ، وتبعد بـ 60 كم عن بحر الصين . للمزيد ينظر : منير البعلبكي ، موسوعة المورد الجنوبي و ١٧٦٠ كم جنوب هانوي عاصمة فيتنام العربية ، مج ٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ، ص1275.

([14]) Russell .R .Ross, op .cit, pp.44-45.

([15]) Donald f.Busky, Communis in History and Theory "Asia" Africa, and 9 the Americas, prea - Ger, London, 2015, pp.78-79.

([16]) Ibid , p.79.

([17]) Russell .R.Ross, op .cit, p.46.

([18]) الهند الصينية : تعبير اطلقه الفرنسيون على خمس مستوطنات في جنوب شرق اسيا عام ١٨٨٧ حتى عام 1945 وتشمل تلك المستوطنات هي (انام) والتي تمتعت فرنسا بحقوق التجارية عليها واصبحت محمية فرنسية عام ١٨٨٤ و(كوتشين) الصينية وتشمل سايغون التي تم التنازل عنها لصالح فرنسا عام ١٨٦٢ و(كمبوديا) التي اصبحت محمية فرنسية عام 1863 فضلا عن (تونكينغ) التي اصبحت محمية فرنسية عام ١٨٨٤ ، و(لاوس) التي اصبحت دولة تابعة منذ عام 1963 ، وانتهى نهائيا دور فرنسا في الهند الصينية بموجب اتفاقية جنيف الموقعة في ٢٠ تموت ١٩٥٤ للمزيد ينظر : آلان بالمر ، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩- 1945 ، ج1 ، ترجمه : سوسن فيصل السامر ويوسف احمد أمين ، بغداد ، 1992 ، ص389-390.

([19]) John Tully , Ashort History of Combodia , Allen UN win , Australia , 2005 , P.18

([20]) Milton Osporne, Politice and Power in combodia the siganouk years, long man Australia, 1973 , P.9.

([21]) John Tully, OP. cit ,P.19.

(22) ك.م.بانيكار، اسيا والسيطرة الفرنسية ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد، دار المعارف، القاهرة، 1962، ص227.

(23) Milton Osporne , Politice and Power . . . ,P.11.

(24) Aun youvor, The policy refarn of Cambodia after the France – Khmer theaty 11 Augusts 1863 to 1927, Phd thesis, Royal univer sity of Phnom Penh, une 2014, P.P.3-4

(25) مونو نونغ نورودوم الأول (1834– 1904) : ويسمى ايضاً أنغ فودي (Ang Vodey) ملك كمبودي, وهو الابن الاكبر للملك انغ دوانغ ، في الوقت الذي أصبح فيه والدهِ أنغ دوانغ ملكًا، كان السياميين حريصين على تهيئتهِ ملكاً خلفاً له. للمزيد من التفاصيل ينظر:

–Justin Cornfield, The History of Cambodia- The Greenwood Histories of the Modern Nations, Santa Barbara, California , 2009, P. 20.

(26) Aun youvor , OP.cit , P.9.

(27) Milton Osporne , sihanouk prince of darkness , published in north America by university of Hawaii ,1994, P.P.14-15.

(28) ك.م بانيكار ، المصدر السابق ، ص 227

(29) Aun youvor , OP.cit , P.P.12-13.

(30) Milton Osporne , sihanouk prince . . . , P.P.17-18.

(31) Ibid ,P.16-17.

(32) سيسواث (1840– 1927): ويسمى ايضاً سي سوفاتا (Si Sofata)، او سيسوفات (Sisyphus) ملك كمبودي استلم السلطة بعد اخيه الملك مونو نونغ نورودوم الأول في عام 1904, وبقي فيها حتى وفاته عام 1927. للمزيد من التفاصيل ينظر:

–The Encyclopedia Britannica, 2020. http://www.britannica.com.

(33) بنوم بنه : عاصمة كمبوديا ، وأهم مدنها ، تقع في الجزء الأوسط الجنوبي من كمبوديا ، وتُعد المدينة مركز تجاري وصناعي للبلاد ، إذ تضم العديد من الصناعات مثل مصانع النسيج ومعامل القنطير وطواحين الأرز ، وبلغ عدد سكانها عام 1971 400 ألف نسمة ، أما حاليا فيزيد على المليون نسمة حسب تعداد عام ١٩٨٧. للمزيد ينظر : حسام الدين إبراهيم عثمان ، موسوعة مدن العالم ، ط٢ ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، ٢٠١٤ ، القاهرة ، ص53.

(34) Russell R .Ross , , P.215.

(35) Marco R.Deyasi, Indochina, Greater france and the 1931, Hestory workshop Journal Issue 80, oxford university, 2015, P.123.

(36) Aun youvor, Op .cit , P.P3-4.

(37) Ibid , P.9.

(38) John Tully, OP. cit, P.P. 85-86.

(39) Penny Edwards, Cambodge : The Cultivation of anation 1860- 1945 , Honolulu , France in indo China , 2007 , P.11.

(40) Jean christophe , he combodin and the formalization of land rights: historical overiew and current issues , Phd thesis, Hanoi university of Agriculture (HMA), 2015, P,16.

(41) Aun youvor, OP.cit, P.P. 7-8.

(42) John Tully, OP.cit , P.P. 57-58.

(43) jean Christophe and Daived Dupuis, the peasants in Turmoil: Khmer Rouge, state formation and the control of land in northwest Cambodia, the journal of peasant studies 41, 2014, P.P. 5-6.

(44) Ibid , p.6.

(45) John Tully, Op .cit, P.P.88-89.

(46) اشتملت تلك الاصلاحات على :

1- إعطاء السيطرة الفرنسية على الإدارة والمالية في كمبوديا، لأن اغلب موارد الدولة تذهب الى ملوك الخمير والعائلة المالكة .

2- إلغاء العبودية، وتأسيس ملكية الأراضي الخاصة.

3- وضع الفرنسيين (المشرفين) في المقاطعات الكمبودية لتنظيم الإدارة فيها. للمزيد من التفاصيل ينظر:

-Kerry Jacobs, Op. Cit., P. 8.

([47]) Guilermo Garcia, OP .cit, P.27.

([48]) Ibid , P.P. 28-29.

([49]) OOI keat GIN, OP .cit , P.24.

([50]) John Tully, OP .cit, P.89.

([51]) سيام اسم (تايلاند) الرسمي حتى عام 1939. للمزيد من التفاصيل ينظر:

-Charles F. Keyes and Others, Religion and the Modern States of East and Southeast Asia, University of Hawaii Press, Honolulu, 1994, P. 47 ؛Christine Malumphy and B.J. Pierce, Cambodia's Search for Justice, Opportunities and Challenges for the Extraordinary Chambers in the Courts of Cambodia, February 2009, P. 1.

([52]) Ibid , P.90.

([53]) لاوس : دولة مغلقة تحيط بها اليابسة من كل الجهات ، إذ تحدها يونان (Yonnan) الصينية من جهة الشمال ، وبورما (ميانمار) من الشمال والشمال الغربي ، وتحاذيها فيتنام من جهة الشرق 6 وتايلاند من الغرب ، وكمبوديا من الجنوب . للمزيد ينظر : ماهر جاسب حاتم ، المصدر السابق ، ص١١.

([54]) فايز صالح أبو جابر ، المصدر السابق ، ص96.

([55]) باول باو : ولد في 26 كانون الثاني 1857، درس القانون ، عمل في أيار 1880 في الخدمة الدبلوماسية الفرنسية ، ثم في وزارة الخارجية الفرنسية في باريس ثم في سفارتها في روما ، عين سفيراً لبلاده في الصين عام 1901 ، لكنه عاد الى باريس في حزيران 1902، و في تشرين الأول من العام نفسه صار الحاكم الفرنسي العام في الهند الصينية ، ظل هذا المنصب لغاية شباط 1907 ، توفي في 14 شباط 1926 في بيته في باريس ، للمزيد ينظر : ماهر جاسب حاتم ، المصدر السابق ، ص18 ؛

Justin cornfield, Historical Dictionary of Ho chi Minticity , Published by An them press, New York,2014,P.20.

([56]) ارماندفاليز: ولد في 6 تشرين الثاني 1841، وبدأ مهامه الأولى عضو في المجلس البلدي في منطقة نيراك (Nerac) في عام 1871،دخل عضويه مجلس النواب في عام 1876 شغل منصب لمرات عده منها وزير للداخلية خلال 1882.1883 وصار رئيس مجلس الوزراء في 29 كانون الأول 1883 لكن حكومته لم تستمر اكثر من 21 يوما اذ استقال من مجلس النواب الفرنسي ، دخل مجلس الشيوخ في حزيران 1890 وصار رئيسا له في اذار 1898.1906 ، وانتخب رئيساً للجمهورية الفرنسية في 18 شباط 1906، وبقي رئيسا لغايه 18 شباط 1913 توفي في22 حزيران 1931 . للمزيد ينظر : www.Enycolopedia.Britannica.com .

([57]) Gullermo Garcia , OP.cit , P.P24-25.

([58]) Milton osporne, politice and power in combodia , P.P.13-14.

([59]) سيسواث ميونيغونغ : ملك كمبودي، ولد في بنوم بنه في 27 كانون الأول 1875، اصبح ولياً للعهد في عام 1904 ، ودخل الكلية العسكرية الفرنسية في عام 1906 وتخرج منها بعد سنتين .، وعاد الى كمبوديا في عام 1909، وحصل على الكثير من الألقاب والمراتب العسكرية ، واعتلى عرش مملكة كمبوديا في 9 آب 1927 ، وكان متعاوناً مع الفرنسيين ، وبقي حتى وفاته في مدينة كامبوت في 24 نسيان 1941 عن عمر يقارب 65 عام .للمزيد ينظر: ماهر جاسب العهد ، المصدر السابق ص20.

([60]) John S. Bowman, Op. Cit., P. 428. ؛ David Chandler, Op. Cit., P. 154.

([61]) John Tully, Op. Cit., P. 95.
([62]) Justin Corfield, Op. Cit., PP. 30-31.
([63]) John Tully, Op. Cit., P. 96 ؛Lucy Keller, UNTAC in Cambodia – from Occupation, Civil War and Genocide to Peace, Koninklijke Brill N.V., The Netherlands, 2005, P. 130.
([64]) David Chandler, Op. Cit., P. 153.
([65]) John Tully, Op. Cit., P. 97.
([66]) Ibid, P. 31.
([67]) John S. Bowman, Op. Cit., P. 428. ؛ David Chandler, Op. Cit., P. 154.
([68]) John Tully, Op. Cit., P. 95.
([69]) Justin Corfield, Op. Cit., P.P. 30-31.
([70]) John Tully, Op. Cit., P. 96. ؛Lucy Keller, UNTAC in Cambodia – from Occupation, Civil War and Genocide to Peace, Koninklijke Brill N.V., The Netherlands, 2005, P. 130.
([71]) David Chandler, Op. Cit., P. 153.
([72]) John Tully, Op. Cit., P. 97.
([73]) Keo.C.R. Broad hurst and T. Bouhours, Inside the Cambodia correctional system, British Journal of community Justice B (No3), 2011, P.4.
([74]) Martin F.Herz, OP.cit, P.60.
([75]) Ibid, P.63.
[76])(John Tully, OP.cit, P.108.
([77]) Sur EFlo, Lare from edeal Politique all cambodge apres le traite France-Khmer 11 a out 1863-1927m Baccalaureat enjourna Lisme, university royalede phnom penh, 2014, P.P 13-14.
([78]) Sach Sher, oP.cit P.P. 15-16.
([79]) Kate long. oP.cit , P.P 19-20.
([80]) Sur Eflo, oP.cit, P. 113.
([81]) Milton Osborne, politics and power in Cambodia, oP .cit, P.P 25-26.

([82]) للمزيد من التفاصيل عن الزراعة في المملكة الكمبودية ينظر:

-Jeffrey Himel, Khmer Rouge Irrigation Development in Cambodia, Published Research, Documentation Center of Cambodia, 11 April 2007, PP. 3-12 ؛ .The Author is Unknown, Agricultural Water Management Planning in Cambodia, Published Research, International Water Management Institute (IWMI), June, 2013, PP. 4-10.

([83]) الهندوسية: تُعد من اقدم الديانات التي نشأت في شبه القارة الهندية, وتضم عدة أنظمة متنوعة للفلسفة والمعتقدات والطقوس. للمزيد من التفاصيل ينظر:

-The Encyclopedia Britannica, 2020. http://www.britannica.com ؛The Columbia Encyclopedia, The Columbia University Press. 2018. www.questia.com ؛ .Alexandra Kent and David Chandler, People of Virtue Reconfiguring Religion, Power and Moral Order in Cambodia Today, Nordic Institute of Asian Studies, Malaysia, 2008, PP. 2-3.

([84]) البوذية : تُعد من الديانات الرئيسة في العالم، اذ تطورت من تعاليم بوذا (سيدهارتا غوتاما) (Siddhartha Gautama). انتشرت من الهند إلى وسط وجنوب شرق آسيا والصين وكوريا واليابان. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Encyclopedia Britannica https://www.britannica.com ؛ Steven Michael DeBurger, The Khmer Rouge and the Re-Visioning of the Khmer Empire: Buddhism encounters Political Religion, Published Research, Department of Political Science, University of Hawai`i at Manoa, 2011, PP. 2-4 ؛ .Alexandra Kent, Recovery of the collective spirit: The role of the revival of Buddhism in Cambodia, Published Research, Department of Social Anthropology, Goteborg University, June, 2003, PP. 3-24.

([85]) انكور: هي مدينة تقع شمال غرب كمبوديا على بعد 4 أميال (6 كم) إلى الشمال من مدينة سيام ريب الحديثة. وهي عاصمة إمبراطورية الخمير (الكمبودية) من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر. ويوجد فيها مجمع معابد أنكور وات الذي يعود إلى القرن الثاني عشر. للمزيد من التفاصيل عن الحضارة الانكورية ينظر:

-The Encyclopedia Britannica, 2019. http://www.britannica.com.

([86]) Justin Corfield, Op. Cit., P. 30.

([87]) Ibid , P. 31.

([88]) David P. Chandler, Op. Cit., P. 12. ؛ Wendy Lambourne, The Khmer Rouge Tribunal: Justice for Genocide in Cambodia?, Published Research, Centre for Peace and Conflict Studies, University of Sydney, 2008, P. 3.

([89]) Linda, OP.cit, P.P 4-5.

([90]) Milton osporne, sihanouk prince … , Op .cit , P.22-23.

([91]) Sam Rany, OP.cit, P.P 228-229.

([92]) سون يخوك ثانه : سياسي كمبودي ولد في يوم 7 كانون الاول1908 من عائلة تنتمي لأقلية اخمير كروم (khmer keom) القاطنة في محافظة ترافنه في المعهد البوذي في كمبوديا ، وساهم بمحبه صديقه سيم فار (Sim Var) وباج تشون (pach chone) ، في تأسيس اول صحيفة في كمبوديا في عام 1936 ، عرفت (ناغارفاتا) والتي تعني مدينتنا . بعد السيطرة اليابانية على الهند الصينية في عام1942 شارك في ثورة 20 تموز 1942 على اداره فيشي الفرنسية في كمبوديا هذه الثورة التي عرفت باسم (ثورة الشمسيات) revoit of the sunsh adesc بسبب رفع خمسمائة راهب بوذي شمسيات خلال الثورة ، اصبح وزير الخارجية كمبوديا في حكومة اذار 1945 ، برئاسة سيهانوك ثم صار رئيسا لوزرائها خلال (اب . تشرين الأول) 1945 وبعد عودة الفرنسيين الى كمبوديا اعتقل ونفي الى سابغون ثم الى فرنسا ، عاد الى كمبوديا في 30 تشرين الأول 1951 ورفض العمل الى جانب الحزب الديمقراطي وحزب الاحرار وفضل العمل مع حركه الخمير اسارك .وفي 20 تموز 1970 بعد ضلع سيها نوك عن العرش عاد الى بنوم بنه ، وعمل مستشارا للزعيم لون نول ، ثم صار رئيسا للوزراء خلال 20 اذار 1972 . 14 تشرين الأول 1972 ، اعتقل في عام 1975 من جانب فيتنام وبقي حتى يوم 8 اب 1977 في السجن الفيتنامي حتى اعلن عن وفاته في السجن عن عمر ناهز ال (69) عاما : للمزيد ينظر : ماهر جاسب فهد ، المصدر السابق ص32.

([93]) Milton Osprne ,Politics and Powrin combodia , OP.cit, P.P.28.29.

([94]) بريي فينغ: مدينة تقع في جنوب كمبوديا, وتتصل بالعاصمة الكمبودية بنوم بنه بشكل مباشر عبر طريق سريع. للمزيد من التفاصيل ينظر:

-The Encyclopedia Britannica, 2020. http://www.britannica.com.

([95]) David Chandler A History of Cambodia westiew Press ,AMember of The Perseus Book Group, Monash university ,2008 ,P.187.

([96]) John Tully , OP.cit , P.98.

([97]) Ibid. pp.98 -99.

([98]) منتجع (بوكور الجبلي): وهو احد المحطات السياحية الذي يتواجد في كمبوديا على قمة جبل يقع يطل على الخليج سيام خلف كامبوث ، وعلى ارتفاع 100 متر ويحتوي المنتجع على فندق كبير وكازينو وملاعب تنس ، وكان محط تنافس بين الفرنسيين والبريطانيين ، اذ امر المقيم البريطاني بعد الحرب العالمية الأولى (سوبريور فرانسو بودان) ، ببناء فندق في هذا المنتجع ليكن محطة استراحة له لأجل المتعة وقد كلف البناء هذا المنتجع حياة الكثيرون من الكمبوديين الذين استغلوا بناء الطرق الذي انطلق عبر سفوح الجبال المكسوة بالغابات من كامبوت ، وكان الفلاحون قد دفعوا الثمن بالدم والعرق والضرائب ،

وعدت قضية (بوكور الجبلي) احدى اهم القضايا الأخرى التي الوسط السياسي والاجتماعي الكمبودي ، للمزيد ينظر : John Tully, OP .Cit .P.99.

([99]) David chandler OP.Cit, P.188.
([100]) Arrowood . Jant , OP.Cit .P. 8.
([101]) كومبونغ شنانغ: مدينة تقع في وسط كمبوديا غرب نهر تونلي ساب (Tonle Sap) مباشرة ، وتتصل بالعاصمة الكمبودية بنوم بنه عبر طريق سريع وسكة حديد. للمزيد من التفاصيل ينظر:

–The Encyclopedia Britannica, 2020. http://www.britannica.com.

([102]) Simon Springer ,cambodiass Neoliberal order violence , author tarianism ,and The cntestation of public Space Routlge , London , PP. 15-16.
([103]) David chandler ,OP.cit. P.18.
([104]) Milton Osborne , Politcs and Powre in combodia , OP.cit pp.29-30.
([105]) simon Springer ,OP. Cit , P.17.
([106]) Sasagwa Hideo ,OP.Cit ,PP.421-422.

قائمة المصادر :

أولاً : الكتب العربية والمعربة :

1. آلان بالمر ، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩– 1945 ، ج1 ، ترجمه : سوسن فيصل السامر ويوسف احمد أمين ، بغداد ، 1992 ، ص389–390.
2. حسام الدين إبراهيم عثمان ، موسوعة مدن العالم ، ط٢ ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، ٢٠١٤ ، القاهرة ، ص53.
3. فايز صالح أبو جابر ، الاستعمار في جنوب شرق آسيا ، ط1 ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان ، 1990 ، ص81.
4. ك.م.بانيكار ، اسيا والسيطرة الفرنسية ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد، دار المعارف، القاهرة، 1962، ص227.
5. ماهر جاسب حاتم ، التطورات السياسية الداخلية في كمبوديا 1945–1954 والموقف الفرنسي منها ، منشورات أيكار ، بغداد ، 2019 ، ص13.
6. محمد خميس الزوكة ، آسيا دراسة في الجغرافية الاقليمية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ٢٠٠٩ ، ص٣٠٠.
7. منير البعلبكي ، موسوعة المورد الجنوبي و ١٧٦٠ كم جنوب هانوي عاصمة فيتنام العربية ، مج ٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ، ص1275.

ثانياً : الكتب الأجنبية :

1. Alexandra Kent and David Chandler, People of Virtue Reconfiguring Religion, Power and Moral Order in Cambodia Today, Nordic Institute of Asian Studies, Malaysia, 2008.
2. Alexandra Kent, Recovery of the collective spirit: The role of the revival of Buddhism in Cambodia, Published Research, Department of Social Anthropology, Goteborg University, June, 2003.
3. Aun youvor, The policy refarn of Cambodia after the France – Khmer theaty 11 Augusts 1863 to 1927, Phd thesis, Royal univer sity of Phnom Penh, une 2014.
4. Ben Kiernan and Others, External and Indigenous Sources of Khmer Rouge Ideology," in The Third Indochina War: Conflict between China, Vietnam and Cambodia, Genocide Studies Program, Yale University, 2006.

5. Bernard K. Gordon , Cambodia : Shadow aver Angkor , Vol , University of fornig press , 1968.
6. Charles F. Keyes and Others, Religion and the Modern States of East and Southeast Asia, University of Hawaii Press, Honolulu, 1994 .
7. Christine Malumphy and B.J. Pierce, Cambodia's Search for Justice, Opportunities and Challenges for the Extraordinary Chambers in the Courts of Cambodia, February 2009.
8. David chandler , Genocide prevention : Genocide Education project published by Documentation center of Cambodia phonon Penn , 2009.
9. ————————, A History of Cambodia westiew Press ,AMember of The Perseus Book Group, Monash university ,2008.
10. Donald f.Busky, Communis in History and Theory "Asia" Africa, and 9 the Americas, prea - Ger, London, 2015.
11. Jean christophe , he combodin and the formalization of land rights: historical overiew and current issues , Phd thesis, Hanoi university of Agriculture (HMA), 2015.
12. jean Christophe and Daived Dupuis, the peasants in Turmoil: Khmer Rouge, state formation and the control of land in northwest Cambodia, the journal of peasant studies 41, 2014 .
13. Jeffrey Himel, Khmer Rouge Irrigation Development in Cambodia, Published Research, Documentation Center of Cambodia, 11 April 2007.
14. John Tully , Ashort History of Combodia , Allen UN win , Australia , 2005.
15. Justin cornfield, Historical Dictionary of Ho chi Minticity , Published by An them press, New York,2014.
16. Justin Cornfield, The History of Cambodia- The Greenwood Histories of the Modern Nations, Santa Barbara, California , 2009.
17. Keo.C.R. Broad hurst and T. Bouhours, Inside the Cambodia correctional system, British Journal of community Justice B (No3), 2011.
18. Lucy Keller, UNTAC in Cambodia – from Occupation, Civil War and Genocide to Peace, Koninklijke Brill N.V., The Netherlands, 2005.
19. Marco R.Deyasi, Indochina, Greater france and the 1931, Hestory workshop Journal Issue 80, oxford university, 2015.
20. Milton Osporne, Politice and Power in combodia the siganouk years, long man Australia, 1973.
21. _____ , sihanouk prince of darkness , published in north America by university of Hawaii ,1994.
22. Ooi Keat Gin, Southeast Asia : A Historical Encyclopedia , from Angkor Wat to East Timor , Santa Barbat , California , 1977.
23. Penny Edwards, Cambodge : The Cultivation of anation 1860- 1945 , Honolulu , France in indo China , 2007.
24. Philippe Taylor, Cambodge :l'invasion Vietnamienne continue, in: Kith Chamroeun and Chhum Daravudh, Vietnam and the Cambodian Tragedy, Published Research,Cambodian Perspective Review, December, 2013 .
25. Russell . R.Ross, Cambodia A Country Study , Research Completed , 1987 .

26. Sacagawea Hideo , Colonial Discourses in The Cambodian Court Dance Southeast, Asian studies, Vol.4, March, 2005.

27. Simon Springer ,cambodiass Neoliberal order violence , author tarianism ,and The cntestation of public Space Routlge , London.

28. Steven Michael DeBurger, The Khmer Rouge and the Re-Visioning of the Khmer Empire: Buddhism encounters Political Religion, Published Research, Department of Political Science, University of Hawai`i at Manoa, 2011.

29. Sur EFlo, Lare from edeal Politique all cambodge apres le traite France-Khmer 11 a out 1863-1927, Baccalaureat enjourna Lisme, university royalede phnom penh, 2014.

30. The Author is Unknown, Agricultural Water Management Planning in Cambodia, Published Research, International Water Management Institute (IWMI), June, 2013.

31. Wendy Lambourne, The Khmer Rouge Tribunal: Justice for Genocide in Cambodia?, Published Research, Centre for Peace and Conflict Studies, University of Sydney, 2008.

ثالثاً : الموسوعة البريطانية :

1- The Encyclopedia Britannica, 2019. http://www.britannica.com
2- The Encyclopedia Britannica, 2020. http://www.britannica.com.

رابعاً : الموسوعة الكمبودية :

1- The Columbia Encyclopedia, The Columbia University Press. 2018. www.questia.com.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

العلاقة السببية بين الخطأ والضرر في انتاج و توزيع المواد الخطرة

برزان جياد جاسم
ماجستير في القانون الخاص

المستخلص

ان التقدم العلمي والتكنلوجي الذي خاضه العالم المتقدم اسفر عن نتائج مهمة في شتى المجالات، لأنه مكن الانسان من استعمال الأرض والاستفادة من مواردها وثرواتها المتجددة وغير المتجددة واستحدث مصادر جديدة للطاقة، فأصبح تقسيم العالم اليوم على دول متقدمة وأخرى نامية يعتمد بالدرجة الأولى على مستوى التقدم العلمي والتكنلوجي الذي بلغته هذه الدول".

واصبح استخدام التكنلوجيا المتطورة السمة البارزة في اقتصاديات الدول المتقدمة، ولهذا الاستخدام التكنلوجي مضار متعددة منها انتاج المصانع مواد خطرة منها معامل انتاج المواد الطبية والتي تؤدي الى إصابات خطيرة بسبب خطأ في مرحلة من مراحل الإنتاج او انتاج مواد خطرة في المختبرات خاصة تلك التي تستخدم في انتاج بذور صناعية محورة جينياً تؤدي الى إصابات جسدية بالغة الخطورة، وكذلك انتاج طائرات معيبة تؤدي الى الاضرار بالراكبين جراء سقوطها او اجراء عمليات نقل المواد الخاصة بالتنظيف والتي تحتوي على مركبات سامة او اكلة للجلد الانسان.

وهذه المنتجات جميعاً تلحق مخاطر جسيمة بحياة وصحة الانسان والحيوان واضرار بيئية متعددة.

ولعل واهم واخطر المشاكل البيئية في الوقت الحاضر التي نتجت عن التقدم العلمي والتكنلوجي هي مشكلة انتاج وتوزيع المواد الخطرة، والتي تهدد البيئة والانسان معاً.

وان توافر العلاقة السببية بين الخطأ المنتج والموزع للمواد الخطرة، والضرر الذي يصيب البيئة او الانسان تولد عليه المسؤولية المدنية التي تستوجب التعويض.

فقيام العلاقة السببية بين الخطأ والضرر هنا وتوليدها للمسؤولية يكون باتجاهين، الاتجاه الأول وهو المسؤولية المدنية عن التلوث البيئي، حيث تنهض هذه المسؤولية عندما يولد النشاط الإنتاجي للمصنع او صاحب المشروع عند انتاجه للمواد الخطرة او توزيعها او نقلها من مكان لاخر او حتى اثناء تخزينها ضررا بالبيئة، سواء كان هذا الضرر أصاب التربة ام المياه ام الهواء".

فلا يهم نوع الضرر البيئي وانما ما يهم هنا هو جسامة هذا الضرر، فجسامة الضرر هي التي تحدد نوع التعويض ومقداره، فاذا كان الضرر جسيما يقرر تعويضاً عالية، حيث يحسب التعويض على أساس جبر الضرر وارجاع الحال الى ما كان عليه قبل حدوث الضرر.

وبالرغم من ذلك فلم تنل مشكلة قيام المسؤولية المدنية عن خطأ المنتج والموزع للمواد الخطرة نصيباً وافراً في الدراسات القانونية على الرغم من خطورتها ومن زيادة الاهتمام العالمي بها في الوقت الحاضر.

وكذلك تشعب الاثار الناجمة عن هذه المواد في جوانب الحياة كلها، الشخصية منها والمجتمعية، ولعل ما موجود من دراسات في هذا الموضوع قد تناولته على نحو واسع، ففصلت بين المسؤوليات المتعددة التي قد تثار نتيجة قيام العلاقة السببية بين الخطأ والضرر في انتاج وتوزيع المواد الخطرة ما بين مسؤولية مدنية عن ضرر بيئي ومسؤولية مدنية ناتجة عن اخلال بعقد بيع مواد معيبة الى المستهلكين او الاخلال بالتزام تعاقدي قانوني وفق قانون حماية المستهلك.

Abstract

The scientific and technological progress that the advanced scientist left behind had important results in various fields, because it enabled human beings to use the land and use its renewable and non-renewable resources and wealth, and to create new sources of energy. Therefore, the division of the world today between developed and developing countries is basically based on the level of scientific progress. And the technology that these countries have acquired. "And the use of advanced technology has become one of the prominent features in the economies of developed countries, and this technological application has many disadvantages, including factories for the production of hazardous materials, including factories for the production of medical materials, which due to errors in one stage of production." Or the production of hazardous materials in laboratories, especially in the production of genetically modified artificial seeds that result in very dangerous bodily injuries, as well as the production of defective aircraft that injure passengers as a result of their crashes, or the transfer of clean materials Containing toxic or corrosive compounds to human skin and all these products pose many risks to human life and health and animals and various environmental damage. Perhaps the most important and dangerous environmental problem today due to scientific and technological advances. , Is the problem of production and distribution of hazardous materials that threaten the environment and human beings.The existence of a causal relationship between the error produced and the distribution of hazardous materials and damage to the environment or humans leads to civil liability entitled to compensation. Between error and damage d It is defined here and its responsibility is two-sided, the first is civil liability for environmental pollution, because this responsibility arises when the production activity of the factory or the project owner produces, distributes or transports hazardous materials from one place to another. Or even create them during storage and harm the environment. Whether damaged by soil, water or air" .

The type of environmental damage does not matter, but what matters here is the severity of the damage. The severity of the damage determines the type and amount of compensation. If the damage is severe, a lot of compensation is decided, because the compensation is calculated based on the compensation and the situation is the same before the damage, and despite that, the problem of civil liability due to the fault of the manufacturer and distributor of hazardous materials Despite their risk and growing global interest in legal studies, it has not gained much of its share at the moment. Likewise, the effects of these substances on all aspects of life, both personal and social, are fragmented, and perhaps existing studies in this field have dealt extensively with it and the many responsibilities that may result from the causal relationship. Separates between errors and damage in the production and distribution of hazardous materials. Between civil liability for environmental damage and civil liability for breach of contract for the sale of defective materials to consumers or breach of contractual obligation under the Consumer Protection Act.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

المقدمة

أولا: موضوع البحث

"لا يستطيع احد ان ينكر ان التقدم العلمي والتكنلوجي الذي خاضه العالك المتقدم اسفر عن نتائج مهمة في شتى المجالات، لانه مكن الانسان من استعمال الأرض والاستفادة من مواردها وثرواتها المتجددة وغير المتجددة واستحدث مصادر جديدة للطاقة، فأصبح تقسيم العالم اليوم على دول متقدمة وأخرى نامية يعتمد بالدرجة الأولى على مستوى التقدم العلمي والتكنلوجي الذي بلغته هذه الدول".

حيث شهد القرن الحادي والعشرين سباقاً حثيثاً لتحقيق اقصى صور الارتقاء العلمي ليصل الانسان الى ما هو افضل من اجل رفاهيته وسعادته واستقراره.

"واصبح استخدام التكنلوجيا المتطورة السمة البارزة في اقتصاديات الدول المتقدمة، ولهذا الاستخدام التكنلوجي مضار متعددة منها انتاج المصانع مواد خطرة منها معامل انتاج المواد الطبية والتي تؤدي الى إصابات خطيرة بسبب خطأ في مرحلة من مراحل الإنتاج او انتاج مواد خطرة في المختبرات خاصة تلك التي تستخدم في انتاج بذور صناعية محورة جينياً تؤدي الى إصابات جسدية بالغة الخطورة، وكذلك انتاج طائرات معيبة تؤدي الى الاضرار بالراكبين جراء سقوطها او اجراء عمليات نقل المواد الخاصة بالتنظيف والتي تحتوي على مركبات سامة او اكلة للجلد الانسان.

وهذه المنتجات جميعاً تلحق مخاطر جسيمة بحياة وصحة الانسان والحيوان واضرار بيئية متعددة.

واذا كان الفقهاء القانوني المدني يتفق على ان المسؤولية المدنية لا تنهض بدون ضرر فأن مسؤولية المنتج اضرار منتجاته الخطرة لا تحقق ايضاً بدون ضرر.

لكن الضرر هنا ينقسم في قسمين، ضرر يصيب المستخدم او المستهلك لهذه المواد الخطرة، وخطر يصيب البيئة، فقد جلب التقدم التكنلوجي والصناعي العديد" من المشاكل البيئية التي باتت تهدد الإنسانية قاطبة في صميم وجودها وقوام حياتها، ويكفي ان نشير في هذا الصدد الى حادثة مصنع بوبال في الهند عام 1984، وحادثة انفجار مصنع تشرنوبيل في الاتحاد السوفيتي سابقاً عام 1986، وما يعاني منه نهر الدانوب من تلوث كبير.

ثانياً: أهمية موضوع الدراسة

لمسؤولية المنتج عن منتجاته المعيبة أهمية كبيرة ومتميزة في التشريعات دول العالم المتقدم اذ ينصب التوجه التشريعي اولاً على حياة الانسان وصحته، واصبح النظر الى البيئة والحيوان والنبات بقدر عال من الاهتمام لانعكاس ذلك على صحة الانسان.

لم تنل مشكلة قيام المسؤولية المدنية عن خطأ المنتج والموزع للمواد الخطرة نصيباً وافراً في الدراسات القانونية على الرغم من خطورتها ومن زيادة الاهتمام العالمي بها في الوقت الحاضر.

وكذلك تشعب الاثار الناجمة عن هذه المواد في جوانب الحياة كلها، الشخصية منها والمجتمعية، ولعل ما موجود من دراسات في هذا الموضوع قد تناولته على نحو واسع، ففصلت بين المسؤوليات المتعدة التي قد تثار نتيجة قيام العلاقة السببية بين الخطأ والضرر في انتاج وتوزيع المواد الخطرة ما بين مسؤولية مدنية عن ضرر بيئي ومسؤولية مدنية ناتجة عن اخلال بعقد بيع مواد معيبة الى المستهلكين او الاخلال بالتزام تعاقدي قانوني وفق قانون حماية المستهلك.

ثالثاً: هدف الدراسة

تهدف الدراسة الى التوصل الى صياغة قانونية تتناغم من اخر التطورات التشريعية العالمية وتكون ملائمة للتطبيق في المجتمع العراقي، تنظم وتبين الأطر القانونية لمسؤولية المنتج عن مواده الخطرة، وتنسجم مع التوجهات المشرع العراقي في قانون حماية المستهلك.

رابعاً: منهجية الدراسة

ستكون دراستنا لموضوع قيام العلاقة السببية بين الخطأ والضرر في انتاج وتوزيع المواد الخطرة دراسة تحليلية تأصيلية، فبالتحليل نعتمد الى دراسة تحديد المسؤولية المدنية ناتجة عن خطأ المنتج، وتحليل القواعد القانونية لأحكام ومبادئ القانون المدني المتعلقة بالمسؤولية المدنية .

إضافة الى استخدام المنهج المقارن في مقارنة القانون العراقي ببعض القوانين المقارنة الأخرى، مبينين أوجه التشابه والاختلاف في معالجة موضوع الدراسة بينهما، وبيان ما هو الأوجه والاصح بين هذه القوانين.

المبحث الأول

مفهوم المواد الخطرة

" تصنف البضائع التي يتم التعامل فيها ، من حيث طبيعتها ، أما إلى بضائع اعتيادية أو بضائع ذات صفة خاصة وهو ما يصطلح عليها بالبضائع الخطرة ، وهذه الصفة (الخطورة) تتصف بها هذه البضائع كونها مواد خطرة، وبالتالي تحتاج الى تعامل خاص واهتمام خاص من حيث التنظيم القانوني لها وكيفية التعامل معها بشكل يتلائم مع طبيعتها الخطرة، كون خطورة هذه المواد تشمل البيئة والبشر معا، فهي قد تملك خاصية الانتشار في الجو، وبالتالي قد تسبب حرق وتسمم واضرار للبيئة وعدد كبير من البشر ولمساحات كبيرة".

لذلك كان توجه الدول والمجتمع الدولي لوضع توجهات عامة وارشادات وقوانين تنظم عمليات التي تتضمن مواد خطرة من انتاج وتوزيع واستهلاك وغيرها.

المطلب الأول

تعريف المواد الخطرة وخصائصها

سنقسم هذا المطلب الى فرعين، سنتناول في الفرع الأول تعريف المواد الخطرة، إما الفرع الثاني فسيكون بعنوان خصائص المواد الخطرة وما يأتي:

الفرع الأول : تعريف المواد الخطرة

"أن وضع تعريف محدد للمواد الخطرة ليس بالأمر السهل لان مفهومها ومحاولة حصرها أمر قد يتعذر نتيجة للتطور الحاصل في الجانب الاقتصادي [1] ، وقد تعددت التعريفات في هذا المجال فمنها ما كان يندرج ضمن نصوص القوانين ومنها ما تناولته التعليمات لمعالجة حالات خاصة ضمن نقل هذا النوع من البضائع ، فقد عرف قانون حماية وتحسين البيئة في الفقرة الثالثة عشر من نص المادة (٢) منه بالقول إنها: (المواد التي تضر بصحة الإنسان عند إساءة استخدامها أو تؤثر تأثيرا ضارا في البيئة مثل العوامل الممرضة أو المواد السامة أو القابلة للانفجار أو الاشتعال أو ذات إشعاعات المؤينة أو الممغنطة)، هذا التعريف أورده المشرع العراقي تحت مصطلح (المواد الخطرة) وأورد تعاريف أخرى تحت مسميات النفايات) و (النفايات الخطرة وان كان من باب أولى الاكتفاء بمصطلح (المواد الخطرة لكونه من الممكن أن يندرج تحته مفهوم النفايات" .

"ومن الجدير بالذكر إن المشرع قد أورد هذه المواد على سبيل المثال لا الحصر ، إيمانا منه إن هذا التعداد لا يمكن حصره وإنه قابل للتطور بتطور الاقتصاد العالمي المنظم لهذا النوع من البضائع ، ولم تغفل التشريعات العربية عن هذا الأمر فقد وضعت الإمارات العربية المتحدة تعريفا للمواد الخطرة مبينا بأنها (تلك المواد الصلبة أو السائلة أو الغازية ذات الخواص الضارة بصحة الإنسان أو التي تؤثر تأثيرا ضارا على البيئة ، مثل المواد السامة أو القابلة للانفجار أو للاشتعال أو ذات الإشعاعات المؤينة) [2] ، وكذلك القانون اليمني رقم 26 لسنة 1995 الذي نص في الفقرة 30 من المادة الاولى منه على: (30- المواد الخطرة : هي المواد ذات الخواص السمية أو الإشعاعية أو القابلة للإنفجار أو إحداث التآكل أو أية خصائص أخرى تضر بالإنسان أو الكائنات الحية أو البيئة)" .

كما عرفت المواد الخطرة بأنها : ((هي أي مادة صلبة أو سائلة أو غازية قد تؤذي البشر أو الكائنات الحية الأخرى أو الأملاك أو البيئة)).[3]

ان تعريف البضائع الخطرة وان اختلف من حيث المنطوق أو من حيث التعداد أو الصياغة إلا أنها اتفقت على فكرة أساسية وهي إن البضائع الخطرة ضررها يصيب الإنسان والبيئة وهذا فيه دلالة على جسامة خطرها لهذا نجد معه أن العديد من التشريعات تناولتها بنوع من التفصيل والتنظيم ووصلت إلى حد فرض العقوبات والتي تتصف بالقسوة تناسبا مع حجم الخطر الصادر .

وعليه يمكن لنا تعريف المواد الخطرة بأنها : ((تلك المواد التي تسبب خطرا شديداً او آثاراً فى الأرواح والممتلكات والبيئة عند تصنيعها ، تعبئتها ، تداولها ، نقلها او تخزينها مالم تتخذ كافة احتياطات واشتراطات السلامة في كل خطوه)).

الفرع الثاني : خصائص المواد الخطرة

"تتعدد خصائص المواد الخطرة بالاعتماد على العناصر المكونة لها الأمر الذي يدفعنا بالنتيجة إلى القول إن هذه الدراسة تقود إلى البحث في خواص هذه المواد لنعرف ما إذا كانت المواد التي تتألف منها المواد يصح أن نطلق عليها هذا الوصف من عدمه [4] ، وقد تناولت العديد من الدراسات والقرارات والأنظمة العربية والأجنبية المواد الخطرة من حيث تصنيفها وخواصها بالإضافة إلى كيفية التعامل معها إلى حين الوصول إلى آخر مرحلة من مراحل التعامل مع المواد الخطرة من حيث تحولها إلى نفايات ، فقد أخذت العديد منها على عاتقها بيان الية التخلص منها من حيث تقديم التسهيلات المتعلقة بكيفية نقلها ومكان دفنها" [5] .

أولا : خاصية الانفجار

تعد خاصية الانفجار واحدة من أهم الخواص التي تتصف بها بعض المواد الخطرة ، ويعد هذا الخطر من احد الخواص الفيزيائية والكيميائية للمادة ويندرج ضمنه خطر الحريق الذي يعد من هذه الصفات أيضا ، وتوصف هذه المواد بأنها من الممكن أن تنفجر وتحدث ضررا إما عند الارتطام أو الاحتكاك أو التسخين أو الحرق دون حاجة إلى وجود الأوكسجين الجوي، الأمر الذي يدعو إلى أن تعامل هذه المواد بطريقة خاصة جدا مع الإشارة إلى ضرورة أن يكون الشخص الذي يتعامل مع هذه المواد لديه تدريبات مسبقة عن كيفية التعامل معها وذلك منعا لظهور هذه الخاصية فإذا كانت البضائع هي عبارة عن مواد تحمل هذه الصفة فهذا يعني إننا أمام بضائع خطرة ، بحيث تكون إجراءات الأمن والسلامة واجبة التطبيق ومن المراحل الأولى للتعامل إلى حين الوصول إلى المراحل الأخيرة ، حيث إن المراحل الأولى المتمثلة بشحن البضائع من الميناء إلى السفينة الخاصة بالنقل ومن ثم خلال مرحلة النقل إلى حين إيصال البضائع إلى المرسل إليه وهي المرحلة الأخيرة فالانفجار من الممكن أن ينجم عن تفاعل شديد للمادة حيث إن العمل كما أسلفنا مع هذه المواد بشكل خاص يحتاج إلى المعرفة والخبرة العملية وإجراءات السلامة خاصة ويجب أن يتم التعامل مع هذه المواد بكميات قليلة في التخزين أو العمل" .[6]

ثانيا: "أما الخاصية الثانية من خواص المواد الخطرة

هي القابلية للاشتعال المتوافرة في بعض اصنافها ونكون في هذه الحالة أمام فرضين الفرض الأول إن هناك من المواد الخطرة ما يعرف ب (المواد شديدة الاشتعال) والفرض الثاني نكون أمام ما يعرف ب (المواد القابلة للاشتعال الذاتي) ، ففي الفرض الأول تكون هذه المواد درجة اشتعالها منخفضة تحت الصفر المئوي وفي حال التعامل معها يدعو الأمر إلى أن تذكر الدرجة التي تجعلها قابلة للاشتعال ، في حين لو تناولنا الفرض الثاني والمتمثل بالمواد القابلة للاشتعال الذاتي فنجد إن هذه الخاصية توجد في مواد تكون قابلة للتسخين أو للاشتعال الذاتي في ظروف اعتيادية أو تكون لها نقطة إيقاد منخفضة وتعرف هذه المواد بان لها القدرة على إنتاج غازات قابلة للاشتعال الشديد تحت تاثير الرطوبة .[7]

ومن أهم العوامل التي تؤثر فيها هي الحرارة والأوكسجين وكثافة المادة ، كذلك من الخصائص التي من الممكن وجودها في هذا النوع من البضائع هي ما يعرف بالمواد الأكالة وهي مواد ذات خصائص حامضية وقاعدية تتسبب في أكل المعادن التي توضع فيها الأمر الذي يؤدي إلى أن تنقل هذه المواد بوسائط نقل معدة لهذا الغرض بالذات وتعد من المواد المدمرة للأغشية فهي تأكل كذلك الجسد عند ملامسته عن طريق تدمير الأغشية الحية ، ومن المواد

المدمرة للأغشية أيضا ما يعرف بالمواد المحسسة ويكون عملها ذات العمل الذي تقوم فيه المواد الأكالة فهي تحدث التهابات عند ملامستها للجلد".[8]

وقد تكون من خصائص بعض المواد الخطرة على الصحة إنها سامة ، وتختلف درجة السمية باختلاف المادة التي تحمل هذه الخصائص فهي إما أن تكون مواد سامة جدا أو أن تكون مواد سامة أو تكون مواد ضارة ولا فرق في أن تنتقل هذه السمية عن طريق الاستنشاق أو عن طريق الملامسة أو البلع ، هذا و يمكن أن نخلص من كل ما تقدم الى أن خواص المواد الخطرة إما أن تكون من قدرتها على الانفجار والحريق وهنا تكون خواص كيميائية وفيزيائية ، أو أن تكون خطرة على الصحة أي إنها تحتوي على خصائص سمية للكائنات الحية أو إنها تكون ذات خطورة مزدوجة [9].

ثالثا: القدرة على الحركة والانتشار

"وتعرف القدرة على الحركة بانها من الخواص الفيزيائية للمادة والتي تشير إلى شكل الترابط بين جزئياتها وتنطبق هذه الخاصية على الغازات هي ثاني أهم شيء في حالات المادة (بعد طاقة البلازما) ونظرة الزيادة طاقة حركة الغازات فإن جزيئات و ذرات الغازات تميل لأن تجتاز أي سطح يحتويها ، ويزداد هذا النشاط بزيادة طاقتها الحركية اما الانتشار في الفيزياء والكيمياء هي عملية توزيع جزيئات أو ذرات أو حبيبات بشكل متساو في فراغ أو في حيز متاح أو تخللها خلال حاجز غشائي . ويتم الانتشار بانتقال الجزئيات أو الذرات من منطقة ذات تركيز عالي إلى منطقة ذات تركيز أقل حتى يتساوى تركيز الجزيئات في المنطقتين وتنشأ ظاهرة الانتشار بسبب الحركة الحرارية العشوائية لجزيئات المادة التي تصطدم مع بعضها البعض وتتباعد لتشغل جميع الحيز المتاح لها".[10]

رابعا: التراكم الحيوي:

المطلب الثاني

مفهوم المنتج

أن تحديد "مفهوم المنتج بشكل عام له أهمية كبيرة كونه الشخص الذي سوف تنطبق عليه قواعد المسئولية المدنية عن المنتجات المعيبة فكلما توسع المشرع في معنى المنتج كلما حقق حماية أعلى المستهلك وكلما تقلص مفهوم المنتج كلما تعرض المستهلك لانتهاك حقوقه في التعويض. ولابد لنا من الإشارة إلى معنى المنتج في التشريعات المقارنة وكما يأتي:

أشارت الفترة الأولى من المادة الثالثة من التوجيه الأوربي إلى معنى المنتج حيث نصت على أن : (المنتج يعني : منتج المنتوج النهائي و منتج المادة الأولية أو جزء منه أو الأجزاء المركبة له وكذلك كل من يقدم نفسه برضيع أسمه على المنتوج أو علامته أو أية أشارة أخرى مميزة له وكل من يستورد المنتوج إلى دول الاتحاد الأوربية لأغراض" تجارية)

إما معنى المنتج في القانون المدني الفرنسي - جاء فيه نص متطابق مع نص التوجيه الأوربي وذلك في المادة 1386 . والى هذا المعنى أتجه الفقه والقضاء والتشريعات الخاصة في فرنسا [11] .

وتعريف المنتج" في القانون الأمريكي ، لا يختلف معنى المنتج عما هو عليه الحال في النظام القانوني للإتحاد الأوربي [12] و جاء في المادة (12) من مشروع القانون الأمريكي الموحد المسؤولية المنتج الصادر سنة 1979 فيه أن المنتج (أي شخص طبيعي أو قانوني بتعاطي على وجه الاحتراف بيع المنتجات سواء أكان البيع لغرض اعادة البيع أو لغرض الاستعمال أو الاستهلاك .

وهذا التعبير يشمل الصانع تاجر الجملة تاجر التجزئة ، والموزع للمنتوج ذات العلاقة . كما أن التعبير يشمل أيضا الطرف الذي يتعاطى على وجه الاحتراف أعمال الإيجار و الإيداع" لمثل هذه المنتجات .

وقد أستبعد النص" عددا من الأشخاص من الخضوع النظام مسؤولية المنتج إلا بموجب شروط وقيود محددة ومن بين هؤلاء الأشخاص الذين استثناهم النص ، بائع الملكية العقارية و مجهز الخدمات المهنية ، وبائع الأشياء المستعملة [13] .

أما تعريف المنتج في القانون العراقي والتشريعات العربية فهو كما يأتي : بين قانون حماية حق المستهلك العراقي في المادة الأولى فقرة سادسا المجهز ((كل شخص طبيعي أو معنوي منتج أو مستورد أو مصدر أو موزع أو بائع سلعة أو مقدم خدمة سواء أكان أصيلا أم وسيطة أم وكيلا))، وجاء في قانون حماية المستهلك المصري رقم 67 لسنة 2000 في المادة الأولي بأن المورد هو : ((كل شخص يقوم بتقديم خدمة أو بإنتاج أو استيراد ، أو توزيع أو عرض أو تداول أو الاتجار في أحد المنتجات أو التعامل عليها ، و ذلك بهدف تقديمها إلى المستهلك أو التعاقد أو التعامل معه عليها بأية طريقة من الطرق)) ".

إما قانون حماية المستهلك اللبناني رقم 13068 في 2004 فقد عرف المنتج تحت مسمى المحترف بأنه ((المحترف " هو الشخص الطبيعي أو المعنوي ، من القطاع الخاص أو العام ، الذي يمارس ، باسمه أو الحساب الغير ، نشاطا يتمثل بتوزيع أو بيع أو تأجير السلع أو تقديم الخدمات كما يعتبر محترفا ، لغرض تطبيق أحكام هذا القانون . أي شخص يقوم باستيراد السلعة بهدف بيعها أو تأجيرها أو توزيعها وذلك في إطار ممارسته لنشاطه المهني المصنع " هو الشخص الذي يحول أو يجمع المواد الأولية أو الوسيطة)).

المطلب الثالث

مفهوم الخطا

إما الخطأ ففي اللغة يعرف الخطأ: خَطْءُ وخَطَأٌ وخَطَاءُ: ضِدُّ الصَّوابِ، وقد أَخْطَأَ إِخْطَاءً وخاطِئَةً، وتَخَطَّأَ وخَطِئَ، وأَخْطَيْتُ: لُغَيَّةٌ رَدِيئَةٌ، أو لُثْغَةٌ. خَطِيئَةُ: الذَّنْبُ، أو ما تُعُمِّدَ منه، كالخِطْءِ،[14]

وقيل اخطأ يخطئ، اذا سلك سبيل الخطأ عمداً او سهواً، ويقال أراد ففعل غيره او فعل غير الصواب: أخطأ.[15]

وقيل ان خاطئة الرامي: لم يصبه، وفي عمله: حاد عن الصواب، والطريق: عدل عنه ضالاً.[16]

إما فقهاً فهنالك اختلاف في تعريف الخطأ يرجع بذلك الى اندراج اعداد لا حصر لها من السلوك الإنساني ضمن نطاقه، لذلك يبدو الصعوبة بمكان وضع تعريف يفصل بين ما يعتبر خطأ وما لا يعتبر كذلك في سلوك الانسان بما يستوجب قيام المسؤولية المدنية، لذلك كان تحديد معنى الخطأ وفقاً لكل تلك السلوكيات معاً يختلف من وجهة نظر كل فقه عن الاخر، مما أدى الى اختلاف تعريف كل فقه عن الاخر.[17]

فعرف بأنه ((الاخلال بالتزام سابق وهذا الالتزام السابق هو الالتزام بعدم الاضرار بالغير)).[18] ويلاحظ على هذا التعريف انه لم يحدد الالتزامات التي تعتبر الاخلال بها خطأ كما لم يضع معياراً لتحديدها، وهذا ما حاول أصحابه تلافيه لاحقاً بأن حصروا هذه الالتزامات في أربعة تتمثل: الامتناع عن العنف، الكف عن الغش، الاحجام عن عمل لم تتهيأ له الأسباب من قوة او مهارة، واليقظة في تأدية واجب الرقابة على الأشخاص او على الأشياء، ويلاحظ على هذا الحصر انه تعداد لأنواع الخطر وليس تعريفا له.[19]

كما انتقد البعض هذا التعريف في انه عبر عن العنصر المادي في الخطأ الا وهو التعدي كعنصر من عناصر الخطأ متجاهلا العنصر المعنوي المتمثل في عنصر التمييز كعنصر ثانٍ من عناصر الخطأ، اذ لا خطأ بدون تمييز.[20]

وقد شاع قديما رأي ثالث يعرف الخطأ بانه: ((العمل الضار غير المشروع)).[21] أي العمل الضار المخالف للقانون، ويلاحظ على هذا التعريف انه يستلزم معرفة ما هي الاعمال التي تلحق الضرر بالغير ويمنعها القانون، وفي حال نصوص تحدد بعض هذه الاعمال.[22] فأن اكثرها لم يرد فيها نص بما يستلزم رسم ضوابط لتعيينها مع ما يوجبه ذلك من صعوبة.[23]

كما ان تحديد الالتزامات التي تشكل خرقها خطأ ان صحل لتحديد الخطأ الجنائي وفقاً لقاعدة " لا جريمة ولا عقوبة الا بنص" الا انه لا يصلح لتحديد الخطأ المدني التقصيري، حيث يستحيل تحديدها لكثرتها وتنوعها وتجددها.[24]

وان تحديدها في القانون يترتب عليه تضييق المسؤولية المدنية حيث لا يحظر القانون الا الاعمال التي تتسم بخطورة جسيمة، وما دون ذلك فلا يرد بشأنه نص صريح بما يهدد تحقيق العدالة وضمانات حماية المضرور.[25]

تعريف الخطأ قانوناً: حيث يعد الخطأ أو الفعل غير المشروع العنصر الأساسي في المسؤولية التقصيرية ، فالأصل أن الإنسان له حرية التصرف والاختيار بشرط أن لا يلحق أذى بغيره من الأشخاص أو ممتلكات هؤلاء الأشخاص أو أموالهم ، ولكن متى تسبب فعله غير المشروع بضرر للغير فإن هذا الشخص ملزم بالتعويض وهذا ما أكدته المادة (112) من القانون المدني الكويتي ، وهذا بخلاف القانون المدني الأردني الذي أقام المسؤولية المدنية التقصيرية على أساس الإضرار ، وهذا ما يؤكده نص المادة (256) من القانون، إما القانون المدني العراقي فقد اقام على عنصر الخطأ كأساس للمسؤولية التقصيرية المدنية ، حيث نص في المادة (204) على : ((كل تعد يصيب الغير بأي ضرر آخر غير ما ذكر في المواد السابقة يستوجب التعويض)).[26]

المبحث الثاني

قيام المسؤولية التقصيرية لمنتج وموزع المواد الخطرة

تنشأ "المسؤولية التقصيرية "الفعل الضار"؛ بسبب الإضرار غير المشروع بالغير، سواء أكان هذا الضرر يسيرًا أم جسيمًا، فالمسؤولية التقصيرية تنشأ بعيدًا عن الالتزام العقدي، ويكون مصدر الالتزام بها القانون، أي الإخلال بواجب فرَضَه القانون، فعندما يضرّ شخصٌ ما شخصًا آخرَ فإنّه يلزم على أثر هذا الضرر التعويض للشخص المتضرر من فعله.

أنّ المسؤولية التقصيرية تنشأ نتيجة الإخلال بواجب فرضه القانون، وهو عدم الإضرار بالغير سواء في أموالهم أم انفسهم أم سمعتهم وغير ذلك، فيكون الإضرار غير المشروع سببًا رئيسًا لقيام المسؤولية التقصيرية، وفي نطاق بحثنا فالمسؤولية التقصيرية تنشأ من خلال قيام العلاقة السببية بين خطأ المنتج وموزع المواد الخطرة مع المستهلك لها بدون ان تكون بينهم علاقة عقدية، بسبب فعل ضار للمستهلك صدر من المنتج" والموزع.

المطلب الأول

الخطأ في المسؤولية التقصيرية لمنتج وموزع المواد الخطرة

لدراسة الخطر في المسؤولية التقصيرية لمنتج وموزع المواد الخطرة، سنقسم هذا المطلب الى فرعين، الفرع الأول (الخطأ التقصيري لمنتج وموزع المواد الخطرة)، والفرع الثاني (اثبات الخطأ التقصيري). وكما يأتي:

الفرع الأول : الخطأ التقصيري لمنتج وموزع المواد الخطرة

أن تحديد "مفهوم المنتج بشكل عام له أهمية كبيرة كونه الشخص الذي سوف تنطبق عليه قواعد المسئولية المدنية عن المنتجات المعيبة فكلما توسع المشرع في معنى المنتج كلما حقق حماية أعلى المستهلك وكلما تقلص مفهوم المنتج كلما تعرض المستهلك لانتهاك حقوقه في التعويض. ولابد لنا من الإشارة إلى معنى المنتج في التشريعات المقارنة وكما يأتي:

أشارت الفترة الأولى من المادة الثالثة من التوجيه الأوربي إلى معنى المنتج حيث نصت على أن : (المنتج يعني : منتج المنتوج النهائي و منتج المادة الأولية أو جزء منه أو الأجزاء المركبة له وكذلك كل من يقدم نفسه برضيع أسمه على المنتوج أو علامته أو أية أشارة أخرى مميزة له وكل من يستورد المنتوج إلى دول الاتحاد الأوربية لأغراض" تجارية)

إما معنى المنتج في القانون المدني الفرنسي - جاء فيه نص متطابق مع نص التوجيه الأوربي وذلك في المادة 1386 . والى هذا المعنى أتجه الفقه والقضاء والتشريعات الخاصة في فرنسا [27] .

وتعريف المنتج" في القانون الأمريكي ، لا يختلف معنى المنتج عما هو عليه الحال في النظام القانوني للإتحاد الأوربي [28] و جاء في المادة (12) من مشروع القانون الأمريكي الموحد المسؤولية المنتج الصادر سنة 1979 فيه أن المنتج (أي شخص طبيعي أو قانوني بتعاطي على وجه الاحتراف بيع المنتجات سواء أكان البيع لغرض اعادة البيع أو لغرض الاستعمال أو الاستهلاك .

وهذا التعبير يشمل الصانع تاجر الجملة تاجر التجزئة ، والموزع للمنتوج ذات العلاقة . كما أن التعبير يشمل أيضا الطرف الذي يتعاطى على وجه الاحتراف أعمال الإيجار و الإيداع" لمثل هذه المنتجات .

وقد أستبعد النص" عددا من الأشخاص من الخضوع النظام مسؤولية المنتج إلا بموجب شروط وقيود محددة ومن بين هؤلاء الأشخاص الذين استثناهم النص ، بائع الملكية العقارية و مجهز الخدمات المهنية ، وبائع الأشياء المستعملة [29] .

أما تعريف المنتج في القانون العراقي والتشريعات العربية فهو كما يأتي : بين قانون حماية حق المستهلك العراقي في المادة الأولى فقرة سادسا المجهز ((كل شخص طبيعي أو معنوي منتج أو مستورد أو مصدر أو موزع أو بائع سلعة أو مقدم خدمة سواء أكان أصيلا أم وسيطة أم وكيلا))، وجاء في قانون حماية المستهلك المصري رقم 67 لسنة 2000 في المادة الأولي بأن المورد هو : ((كل شخص يقوم بتقديم خدمة أو بإنتاج أو استيراد ، أو توزيع أو عرض أو تداول أو الاتجار في أحد المنتجات أو التعامل عليها ، و ذلك بهدف تقديمها إلى المستهلك أو التعاقد أو التعامل معه عليها بأية طريقة من الطرق)) ".

إما قانون حماية المستهلك اللبناني رقم 13068 في 2004 فقد عرف المنتج تحت مسمى المحترف بأنه ((المحترف " هو الشخص الطبيعي أو المعنوي ، من القطاع الخاص أو العام ، الذي يمارس ، باسمه أو الحساب الغير ، نشاطا يتمثل بتوزيع أو بيع أو تأجير السلع أو تقديم الخدمات كما يعتبر محترفا ، لغرض تطبيق أحكام هذا القانون . أي شخص يقوم باستيراد السلعة بهدف بيعها أو تأجيرها أو توزيعها وذلك في إطار ممارسته لنشاطه المهني المصنع " هو الشخص الذي يحول أو يجمع المواد الأولية أو الوسيطة)).

ومما تقدم يتضح "لنا تقارب مفهوم المنتج في كل من التشريعات العربية ومنها القانون العراقي مع مفهوم المنتج في التوجيه الأوربي والقانون الأمريكي والقانون الفرنسي في تبني المفهوم الواسع للمنتج فالمعني يشير إلى مسؤولية كل من أسهم في العملية الإنتاجية لتوفير أقصى حماية المستهلك بحيث أن تعدد المسؤلين ستتوفر خيارات قانونية ضامنة للرجوع عليهم في التعويض من قبل المستهلك.

إما الخطأ ففي اللغة يعرف الخطأ: خَطْءُ وخَطَأُ وخَطَاءُ: ضِدُّ الصَّوابِ، وقد أَخْطَأَ إِخْطَاءً وخاطِئَةً، وتَخَطَّأَ وخَطِئَ، وأَخْطَيْتُ: لُغَيَّةٌ رَدِيئَةٌ، أو لُثْغَةٌ. خَطِيئَةُ: الذَّنْبُ، أو ما تُعُمِّدَ منه، كالخِطْءِ،[30]

وقيل اخطأ يخطئ، اذا سلك سبيل الخطأ عمداً او سهواً، ويقال أراد ففعل غيره او فعل غير الصواب: أخطأ.[31]

وقيل ان خاطئة الرامي: لم يصبه، وفي عمله: حاد عن الصواب، والطريق: عدل عنه ضالاً.[32]

إما فقهاً فهنالك اختلاف في تعريف الخطأ يرجع بذلك الى اندراج اعداد لا حصر لها من السلوك الإنساني ضمن نطاقه، لذلك يبدو الصعوبة بمكان وضع تعريف يفصل بين ما يعتبر خطأ وما لا يعتبر كذلك في سلوك الانسان بما يستوجب قيام المسؤولية المدنية، لذلك كان تحديد معنى الخطأ وفقاً لكل تلك السلوكيات معاً يختلف من وجهة نظر كل فقه عن الاخر، مما أدى الى اختلاف تعريف كل فقه عن الاخر.[33]

الفرع الثاني : اثبات الخطأ التقصيري

حين تكون" المنتجات المصنوعة خطرة بطبيعتها، يكون على المنتج ان يتخذ كل ما يمكن من الاحتياطات التي من شانها الحيلولة دون تحقق الخطأ الكامن في هذه المنتجات.

اذا ما ثبت عليه تقصير في هذه الناحية كان مسؤولا عن التعويض ما يحدث للمستهلكات او المستعمل من اضرار فان كان هذا الاخير من الغير في العلاقة بالمنتج عندنا رجوعهم يكون على اساس المسؤولية التقصيرية اما ان كان يربطه به عقد بيع هذا الرجوع يتأسس على" اساس المسؤولية العقدية.[34]

والخطأ في المسؤولية وفق قواعد القانون المدني العراقي يقوم على اساس الخطأ الواجب الاثبات في المسؤولية عن الفعل الشخصي.[35]

والمسؤولية على اساس الخطأ المفترض في المسؤولية عن فعل الغير(مسؤوليه متولي الرقابة، مسئولية المتبوع عن اعمال تابعه) والمسؤولية الناشئة عن الاشياء(حارس الشيء، حارس الحيوان)[36].

تنهض "مسؤولية المنتج بموجب القاعدة العامة في المسؤولية التقصيرية، اذ يجبر المتضرر من المنتوج الخطر ان يقيم الدليل على الخطأ المنتج والموزع او اهماله. ولكي يثبت المتضرر الخطأ الناتج عن اخلال السابق قد يجد صعوبة خاصة في تطور الصناعي في طرق الانتاج وتعقد تركيبات المنتجات بما يتعذر على اقامه الدليل على وجود اخطاء، وتختلف مدى صعوبة اثبات الخطأ تبعا لطبيعة هذا الاخير سواء كان خطا عادي او خطا فني، الخطأ العادي يظهر في حاله تقصير المنتج والموزع لواجباته في تجنب الاضرار بالغير، وفي هذه الحالة يستطيع المتضرر المطالبة بالتعويض مجرد اثبات ان المنتج قد اهمل التحقق من شروط السلامة الأولية التي تدخل في صناعة منتجاته او سارع على طرح هذه المنتجات للتداول وتوزيع قبل اجراء الكشف عليها ومرجع عدم صعوبة اثبات الخطأ هو ان المنتج قد قصره في" ابسط واجبات الحيطة.[37]

اما الأخطاء" الفنية فهي مرتبطة بفن العملية الإنتاجية نفسها، التي يرتكبها المنتج والموزع اثناء ممارسه مهنته مخالفا بذلك القواعد العلمية والفنية التي تلزمه بذلك، كالخطأ في التصميم او عملية التعبئة مما يجعل مهمه المتضرر في الاثبات اصعب".

وقد تدخل قضاء ليسهل على المتضرر الحصول على التعويض في المواجهة المنتج والموزع بإثبات خرق المنتج والموزع لقواعد المهنتيهما او اثبات اخلالهما للالتزامات التعاقدية، وتنشرح كل منهما بالتفصيل كما يلي:

أولا: اخلال المنتج والموزع لقواعد المهنة

ان المنتج والموزع الذي لا يحترم قواعد المنظمة لمهنته الواجب اتباعها، وتقوم بذلك مسؤوليته.[38]

ثانياً: اثبات اخلالهما للالتزامات التعاقدية

ينفصل الخطأ العقدي "عن الخطأ التقصيري في ظل القواعد التقليدية المنظمة للمسؤولية التعاقدية وفقا لمبدا نسبيه العقد، الا ان الرغبة في تحقيق حماية لغير المتعاقدين من اصحاب المصالح المرتبطة بالعقد نتيجة الاخطاء التعاقدية عجل ذلك في تغيير النظرة التقليدية للعقد، حيث اصبح الخطأ العقدي مصدر نشوء الخطأ التقصيري الذي يقوم على اساس المسؤولية التقصيرية.[39]

المطلب الثاني

الضرر في المسؤولية التقصيرية لمنتج وموزع المواد الخطرة

سندرس في هذا المطلب الركن الثاني من المسؤولية التقصيرية للمنتج والموزع المواد الخطرة وهو الضرر التقصيري وكيفية اثباته، لذا سندرس في الفرع الأول (الضرر التقصيري لمنتج و موزع المواد الخطرة)، إما الفرع الثاني فسيكون بعنوان (اثبات الضرر)، وكما يلي:

الفرع الأول : الضرر التقصيري لمنتج وموزع المواد الخطرة

مما لاشك" فيه إن تطور الحياة في مختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية ألقى بضلاله على الجانب القانوني المنظم لذلك التطور وقدا صبحت الإضرار التي تنتج عن استخدام المواد الخطرة لمواكبة ذلك التطور غير مقتصرة على شخص او أشخاص معينين الذين تعاقدوا مع المنتج والموزع او الغير بالذات بل تمتد على نطاق واسع لتمس المجتمع بأسره أو تودي إلى تلوث البيئة التي يعيش فيها الإنسان".

وعليه فأن الضرر التقصيري لمنتج وموزع المواد الخطرة يكون بشكل ضرر بيئي يصيب المجتمع بشكل عام وضرر شخصي وهو تعدي غير المشروع على حقوق الغير.

فالضرر البيئي : ((هو إي تغير غير مرغوب فيه في الصفات الفيزيائية او الكيميائية او الحياتية للتربة والهواء والماء والذي سيؤثر على حياة الإنسان وظروف معيشته))[40]

وذهب رأي" أخر إلى انه الأذى الحال او المستقبل الذي ينال من إي عنصر من عناصر البيئة والمترتب على نشاط الإنسان الطبيعي او المعنوي او فعل الطبيعة المتمثل بالإخلال بالتوازن البيئي سواء كان صادرا من داخل البيئة الملوثة أم وارد إليها[41]. بينما ذهب اتجاه ثالث إلى إن للضرر البيئي مفهومان:-

المفهوم الأول: هو الضرر الذي يتركز في أصابه الطبيعة نفسها او عن طريق شي طبيعي او نظام بيئي فالعملية البيئية متداخلة فضلا عن الاستقلال المستمر لنوع او لنظام بيئي معين من شانه إن يتدخل في الأمر ايضاً[42].

المفهوم الثاني: فيذهب إلى إن الضرر البيئي يشمل كل أذى ترتب على التلوث فالصفة البيئية لا تتوقف على طبيعة الضرر بل على مصدر الضرر وذلك لأنه قد يترتب على تلوث البيئة الطبيعية او البيئة الاصطناعية اضراراً نسميها بالإضرار البيئية ولكنها في الواقع" اضراراً اقتصاديه [43].

من كل ما تقدم "يمكن إن نضع للضرر البيئي تعريفا بأنه (الأذى الذي يترتب على مجموعة من الأنشطة الطبيعية او الإنسانية التي تغير من صفات المحيط البيئي لمجموعة من الأشخاص بصوره مباشرة او غير مباشره يعرضهم للإصابة في أجسامهم او أموالهم او يؤذيهم معنويا وان يلحق الأذى بكائنات أخرى حية أم غير حية)".

وعلى الرغم مما "يتمتع به الضرر البيئي من خصوصية معينه إلا انه يشترك مع شروط الضرر كركن من أركان المسؤولية وان كان جانبا من الفقه المدني والتشريعات المقارنة لم تتفق على موقف موحد من عدد تلك الشروط وعموما ينبغي إن يكون الضرر موضوع البحث محققا لا احتماليا سواء كان ذلك الضرر حالا او مستقبلا[44].

فالضرر البيئي" إذا كان احتماليا لا تعويض عنه , فمثلا لا تعويض عن احتمال انتشار الإمراض المختلفة التي يمكن إن يصاب بها الإنسان نتيجة لتلوث البيئة مستقبلا كإمراض السرطان او اضطرابات القلب او التهاب الدماغ وضيق التنفس وينبغي كذلك إن يكون الضرر البيئي مباشرا إي توجد علاقة سببية بينه وبين الخطأ الذي ادى إليه، ويوصف الضرر بأنه مباشرا إذا كان نتيجة طبيعية للإخلال بالالتزام سواء كان ذلك الالتزام عقديا أم لا وسواء كان الإخلال قد اتخذ صورة عدم التنفيذ او التأخر فيه او كون التنفيذ جاء معيبا" إي بغير تلك الصورة المتفق عليها[45]

إما إذا كان الضرر غير مباشر إي ليس نتيجة طبيعية للفعل الضار فان المدعى عليه لا يكون مسؤولا عنه لانقطاع العلاقة السببية بين الخطأ والضرر [46].

علما وضع معيار" للتميز بين الضرر المباشر وغير المباشر يكتنفه الغموض لذا ذهب جانبا من الفقه الى القول انه مسالة ذوق وفطنة أكثر من كونه مسالة فقه وقانون وإنها مسألة وقائع يفصل فيها القاضي تبعا لما يراه من الظروف لكل مسالة على" انفراد [47].

ونتيجة لما تقدم "نجد إن جانبا من الفقه طرح فكرة التميز بين الضرر العادي وغير العادي حيث لأيتم الأخذ بنظر الاعتبار الشيء الذي سبب الضرر العادي او غير العادي, وهذا الرأي منتقد كونه لا يقدم تحليلا علميا وقانونيا للتفرقة بين الإضرار العادية وغير العادية وهذا بدوره سيؤدي الى المساواة مثلا بين صاحب مصنع حريص على الالتزام بالضوابط والإجراءات اللازمة لمنع تأثير الأدخنة والنفايات على الإنسان والبيئة وبين صاحب مصنع مهمل إذا يستطيع الأخير دفع مسؤوليته عن فعله الضار لتفاهته او عدم جسامة الإضرار التي أصابت المضرور هذا من جهة ومن جهة أخرى إن القول المتقدم يجعل القاضي مختص بنظر الدعوى هو المتحكم ويقيم مسؤولية الأول (الحريص) على اعتبار إن الضرر غير" عادي [48].

الفرع الثاني : اثبات الضرر

يقع على "المدعي عبء إثبات جميع أركان المسئولية, من ضرر وخطأ علاقة السببية بين الخطأ والضرر. ويحصل هذا الإثبات بجميع الطرق, بما فيها القرائن والشهادة. ولا يعفى المدعي من هذا الإثبات إلا إذا كان القانون قد افترض وجود أحد هذه الأركان, سواء أكان هذا الافتراض قابلا لإثبات العكس أو غير قابل لذلك. إن المخبر إن أخبر بما على نفسه فهو مُقر وإن أخبر بما على غيره لنفسه فهو مُدع.

والقانون في المسؤولية التقصيرية قد يفترض وجود الضرر افتراضا لا يقبل الإثبات العكسي. مثال ذلك ما نصت عليه المادة (202) من القانون المدني العراقي التي نصت على : ((كل فعل ضار بالنفس من قتل او جرح او ضرب او أي نوع آخر من انواع الايذاء يلزم بالتعويضات من احدث الضرر)). فإذا فرضنا أن المضرور ومرتكب العمل غير المشروع قد اتفقا على مقدار التعويض الذي يدفعه الثاني للأول, فان فوائد التأخير تستحق دون حاجة لإثبات الضرر, وليس للمنتج او الموزع أن يثبت عدم وجود ضرر.[49]

وقد يكون افتراض الضرر قابلا لإثبات العكس، مثال ذلك أن يتفق المضرور ومرتكب الفعل الضار على إعادة الشيء إلى أصله, ويضعا لذلك شرطا جزائيا, ومعلوم أن اشتراط شرط جزائي هو تعويض اتفاقي عن ضرر يصيب

المتضرر, قدر المتخاصمين مداه وقيمته, هنا يستحق المتضرر التعويض دون أن يكون عليه إثبات الضرر, فثمة قرينة قانونية يعفيه ذلك من إثبات الضرر، ولكنها قرينة يجوز إثبات" عكسها, فللمدين (المنتج والموزع) أن يثبت عدم وجود الضرر.[50]

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

المبحث الثالث

الاثار المباشرة لقيام العلاقة السببية بين الخطأ والضرر في انتاج وتوزيع المواد الخطرة

ان الضرر الذي" يسببه خطأ المنتج والموزع للمواد الخطرة يتمثل ملما قلنا سابقا بضرر بيئي وضرر شخصي، وفي كلتا الحالتين لابد من رفع دعوى ضد المنتج والموزع للمواد الخطرة، من اجل تحميل المنتج والموزع المسؤولية المدنية عن الضرر الذي أصاب البيئة وأصاب الشخص، خاصة بعد ثبوت قيام العلاقة السببية بين خطأ المنتج والموزع وبين الضرر الذي أصاب الشخص او البيئة.

المطلب الأول

الجوانب الإجرائية لدعوى الضرر البيئي

عند توفر" العلاقة السببية بين خطأ المنتج والموزع والضرر الناتج، تقوم مسؤولية المنتج والموزع وتترتب على توفر اركان المسؤولية حق المضرور برفع دعوى امام المحاكمة للحصول على التعويض الملائم له (وهذا التعويض الملائم سندرسه في المبحث الثاني من هذا الفصل)، لذا فعلى القاضي النظر الى هذه الدعوى كأنها دعوى اعتيادية من حيث الإجراءات والشكلية والتقادم" وغيرها.

الفرع الأول : الصفة

الصفة هي "السلطة التي بمقتضاها يمارس شخص الدعوى أمام القضاء ، و تكون عادة لصاحب الحق المدعي به أو لمن تلقي هذا الحق بالإرث أو بأي طريق قانوني آخر ، كما تكون لمن يمثل صاحب الحق أو لمن أحله القانون محله في الادعاء ، وهي تعود كذلك في حالات للنيابة العامة بمقتضى سلطتها الوظيفية ، و تعد الصفة شرطا لازما لوجود الحق في الدعوى ، شأنها في ذلك شأن المصلحة و ينتج عن تخلفها عدم وجود الحق في الدعوى و هو ما يجري عليه العمل بعدم القبول ، و من المعلوم أن عناصر البيئة التي يلحقها التلوث تتضمن كلا من العناصر التي تتبع شخصا معينا خاصا أو عاما ، كما تتضمن أيضا عناصر عامة مشتركة ينتفع بهما جميع أفراد المجتمع ، وعلى ذلك فإنه يثور التساؤل عن الشخص الذي تكون له صفة الدفاع أو التقاضي عن البيئة أو أحد عناصرها ، والذي يدافع عن تلك المصالح الجماعية ، إذ يمكن أن يعهد هذا الدور إلى الأفراد العاديين ، كما يمكن أن يكون هذا الحق لجمعيات الدفاع عن البيئة ، و قد يترك هذا الأمر إلى السلطات العامة في الدولة.[51]

من الملاحظ أن دعوى الجمعيات الخاصة بحماية البيئة أمر ضروري ، يبرره التطور و التقدم الهائل الذي تشهده التكنولوجيات الحديثة في مجال الاقتصاد و الصناعات ، و نظرا لعدم التكافؤ بين طرفي الدعوى حين يكون المضرور مجرد شخص طبيعي في مواجهة شركة عملاقة ذات إمكانيات هائلة ، ومؤهلة لامتلاك الوسائل و الإمكانيات الضرورية من خبرات فنية و قانونية لا يستطيع المضرور مجاراتها في مجال المنازعات القضائية و خصوصا البيئية منها ، نظرا لكلفتها الكبيرة بحيث يعجز معه الأشخاص العاديين عن تحمل نفقاتها ، و هنا يأتي دور الجمعيات للدفاع عن المصالح الجماعية ، والتي بلا شك يحددها نظامها الأساسي فتحمل هي التكاليف المتابعة السير في مثل هذا النوع" من الدعاوى.[52]

إن المهتمين بالبيئة" و الحفاظ عليها قد طالبوا مرارا و تكرارا على الصعيد الدولي الحكومات المعنية في إعلان ريو (RIO) بضرورة وجود مثل تلك الجمعيات و المنظمات التي يكون فيها الحق في الدفاع عن الأضرار التي تلحق بالثروات الطبيعية ، و كل ما يتعلق بعناصر البيئة بحد ذاتها.[53]

مع تزايد الاهتمام بقضايا البيئة ، نشهد ظهورا و تكاثرا للجمعيات المدافعة عن البيئة ، مما يعكس رغبة الجمهور في حماية الثروة الطبيعية من الآثار الخارجية وباتت الجمعيات البيئية تشكل تهديدا حقيقيا للشركات غير المسؤولة من خلال قدرتها على تعبئة الرأي العام ، و قد يصل الأمر إلى حد رفع دعاوى قضائية في المحاكم ضد هذه الشركات .[54]

لقد كان لصدور قانون بارنيي (BARNIER) الفرنسي بتاريخ 28 فبراير 1969 الأثر البارز في تفعيل دور الجمعيات البيئية ، حيث أنه قبل صدور هذا القانون كان القاضي يتمتع بالسلطة التقديرية لوضع معيار يتولى على أساسه قبول دعوى الجمعية ، فمثلا يراعي في قبول ادعائها إن كانت تتمتع بصفة تمثيلية أكثر من غيرها كأساس

حتي يمنحها هذا الحق ، وقد تتحدد هذه الصفة التمثيلية سواء على قدم الجمعية المقصودة ، أو صفتها الدولية و المحلية ، أو مدى استقلالها أو عدد أعضائها .[55]

هذا فإن الجمعيات لا تملك عند غياب النص التشريعي الصريح سوى الدفاع عن مصالحها الخاصة فقط ، مادية كانت أو معنوية ، و رغم انعقاد اتفاقية لوجانو التي كان من بين مكاسبها أن أعطت الحق في الادعاء المدني للجمعيات المعنية في المجال البيئي ، إلا أن حقها يبقى قاصر على الجانب الوقائي ، ومعنى ذلك أنه ليس لها الحق في المطالبة بالتعويضات المستحقة عن الأضرار البيئية ، فوفقا لهذا التصور فيكون الهدف من الدعوى ليس تعويض الضرر ، و إنما فقط منع حدوثه أو على الأقل منع تفاقمه عند" تحققه .

نتيجة لهذا" التحليل فإن إثبات وقوع الضرر لا يعد ضروري لقبول الدعوى يمكن تضييق مجالها من خلال التشريعات الداخلية للدول أعضاء الاتفاقية ، حيث أن هذه الاتفاقية تركت لهذه التشريعات الحق في تحديد الحالات التي يمكن أن تكون فيها الدعوى مقبولة .[56]

أولا : الصفة في إطار القانون الداخلي

الصفة هي السلطة التي بمقتضاها يمارس شخص الدعوى أمام القضاء ، وهي تكون عادة الصاحب الحق المدعي به أو لمن تلقي هذا الحق منه بالإرث أو بأي طريق قانوني آخر .[57] كما تكون لمن يمثل صاحب الحق أو لمن أحله القانون محله في الادعاء . وهي تعود كذلك في حالات للنيابة العامة بمقتضى سلطتها الوظيفية .[58]

و يجب لمعرفة من له الصفة في الخصومة ، البحث عن صاحب الحق موضوع النزاع ، ولا يقبل من غير ذي الحق أن يقاضي عنه لحساب غيره ، بحيث إذا نجح في الدعوى انتفع ذلك الغير بالحكم الصادر فيها لمصلحته ، و إذا فشل لا يضار ذلك الغير بفشله ، و ليس أحد ملزما أن يباشر الدفاع في الدعوى تجرد رافعها من صفة التقاضي . و إذا تبين فقدان الصفة كانت الدعوى غير مقبولة .[59]

والتحقق من الخصومة من الدفوع الموضوعية في الدعوى، ويكون من حق أطراف الدعوى التمسك بهذا الدفع، مثلما يحق للمحكمة أن تثيره من تلقاء نفسها، ولو كانت الخصومة غير متوجهة تحكم المحكمة برد الدعوى دون الدخول في أساسها أي دون بحث نتيجتها، حيث يشترط القانون أن يكون المدعى عليه خصماً يترتب على إقراره حكم، والخصومة تنصرف الى الطرفين حيث لا يعقل أن يعفى المدعي منها باعتباره هو الذي يطالب بالحق" في الدعوى .[60]

كما يشترط "في الدعوى المقامة أن يكون للمدعي في الحق المدعى به مصلحة معلومة وحالة وممكنة ومحققة ، مع قبول المصلحة المحتملة وكذلك الحق المؤجل بشرط مراعاة الآجل عند الحكم .[61]

فكل شخص أصابه ضرر من الغير له الحق في رفع دعوى ضد هذا الأخير، فالمدعي في دعوى التعويض يكون هو المضرور، فإذا كان ناقص أو عليم الأهلية ترفع الدعوى بواسطة ممثله القانوني كالولي أو الوصي أو القيم، و يمكن أن يمثله في ذلك قانونا دائنه عندما يستعمل الدعوى غير المباشرة نيابة عنه أو اتفاقيا كالوكيل بصفة عامة . و إذا توفي المضرور انتقل حقه في التعويض إلى ورثته كل بقدر نصيبه في الميراث ، إذ يجوز لهم رفع الدعوى للمطالبة بالضرر المادي والمعنوي الذي أصابهم .[62]

ويثير القاضي تلقائيا انعدام الصفة في أحد أطراف الخصومة إذا لم يثرها أحد الخصوم ، ويجب التنويه أن شرط الصفة مطلوب في أطراف الخصومة عبر جميع مراحل الدعوى إلى غاية الفصل فيها .[63]

ومن المعلوم أن الشخص المضرور تتوافر له الصفة في دعوى المسؤولية إذا أصابه التلوث بضرر شخصي مباشر في شخصه أو في أمواله جراء المواد الخطرة بما في ذلك عناصر البيئة التي يكون له حق خاص عليها حيث تتوافر له المصلحة الشخصية المباشرة و لا صعوبة في هذه الحالة ، و لكن تبدو الصعوبة بالنسبة للأضرار التي تصيب البيئة ذاتها أو أحد عناصرها غير المملوكة لأحد و التي تعد ذمة مالية جماعية للمجتمع بأسره ، أي أشياء مباحة Resnullius ، كمياه الأنهار والبحيرات و البحار و الهواء الجوي و الغابات و المراعي" العامة ، حيث تظهر" الصعوبات المتعلقة بمشكلة الصفة في التقاضي لاسيما و أنه يلزم توافر الضرر الشخصي المباشر في شخص المدعي.

فالضرر البيئي المحض le dommage ecologique pur هو بالضرورة ضرر جماعي، إذ البيئة ملك للجميع و ليس ملكا لفرد دون آخر . وعلى ذلك فإن ما يصيب هذه البيئة من أضرار ، فإنه يصيب المجتمع ككل و ليس فردا بعينه. و معنى ذلك أن المصلحة المضرورة في هذه الحالة تكون مصلحة جماعية ، الأمر الذي يستبع بالضرورة البحث عن مدافع عن هذه المصلحة.[64]

وقد ورد بالمبدأ الأول من إعلان ستوكهولم عام 1974 ، من أن : " لكل إنسان حق أساسي في الحرية و المساواة و الظروف الملائمة للحياة في بيئة من نوعية تسمح بحياة كريمة و ملائمة " ، و حق الإنسان في البيئة هو حق كل إنسان في العيش في وسط حيوي أو بيئي متوازن و سليم و التمتع و الانتفاع بموارد الطبيعة على نحو يكفل له حياة لائقة و تنمية متكاملة الشخصية دون إخلال بما عليه من واجب صيانة البيئة و مواردها و العمل على تحسينها و تنميتها ، ومكافحة مصادر تدهورها و تلوثها . و وعاء ذلك الحق هو الطبيعة و عناصرها و مواردها الحية و غير الحية ، المتجددة و غير المتجددة ، كالماء و الهواء و أشعة الشمس و النبات والحيوان و التربة ، ومن غير ذلك الوعاء لا محل لوجود ذلك الحق .[65]

و عليه يثور التساؤل حول ما إذا كان الاعتراف للأشخاص بالحق في بيئة سليمة و نظيفة وخالية من التلوث ، يعني توافر الصفة هم في رفع دعوى المسؤولية قبل المعتدي على البيئة التي تشكل تراثا مشتركا للمجتمع و في ذات الوقت وعاء للحق في البيئة ؟ و بمعنى آخر ، هل توجد دعوى شعبية Action popularise ترمي إلى حماية البيئة كقيمة مشتركة للجميع بحيث يكون لكل شخص استعمالها استقلالا عن وقوع ضرر مباشر له أو الممتلكاته التقرير مسؤولية مرتكب أفعال التلوث و الحصول على تعويض عما لحق البيئة و عناصرها من أضرار" باعتبارها وعاء للحق" المقرر له في البيئة سواء كان مرتكب التلوث منتج او موزع للمواد الخطرة ام شخص عادي؟

في سبيل الإجابة على هذه التساؤلات انقسم الفقه إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول : و يذهب إلى رفض الدعوى الشعبية ، بمقولة أن القانون لا يعرف فكرة الدعوي الشعبية . فالدعوى المنظمة قانونا معروفة وهي دعوى مسماة و محددة و ليس من بينها تلك الدعوى الجماعية أو الشعبية. [66]

و مفاد ذلك أنه يمتنع على الشخص رفع دعوى على أسس عامة ، بغرض منع التلوث الضار بالبيئة بوجه عام أو بغرض منع صدور قانون أو قرار أو وقف نشاط ذو أثر سلبي أو ضار بالبيئة أو للمطالبة بالتعويض عن الأضرار البيئية التي تلحق بعناصر البيئة ، إذ من الأصول المقررة في قانون المرافعات أن الدعوى لا تكون مقبولة ما لم يكن لصاحبها مصلحة مباشرة ، أما مجرد المصلحة العامة في الحفاظ على البيئة ، فلا يعد أساسا قانونيا لقبول الدعوى . وعلى ذلك إذا حدث تلوث للهواء الجوي أو لمياه البحار أو الأنهار فليس هناك اعتداء على حق محدد لشخص معين يستتبع توافر الصفة له في تحريك الدعوى ضد من قام بممارسة النشاط الملوث .

ومن ناحية أخرى ، إذا كانت البيئة و عناصرها تعتبر هي وعاء حق الأشخاص في البيئة ، فإنه لا يمكن القول بأن الاعتداء عليها بشكل اعتداء على حق الأشخاص في البيئة ، ذلك بأن الاعتراف بحق شخص في البيئة لا يعني المضرور من التلوث من عبء أن الضرر الأيكولوجي الذي أصاب البيئة أو عناصرها و الذي يستند إليه قد سبب له ضرر شخصي ومباشر ، فالشخص لا يستطيع أن يستفيد من دعوى التعويض عن الضرر البيئي المحض . فنظرا لروح الفردية التي يتشبع ما القانون المدني والي انعكست على المسؤولية المدنية فإن الضرر البيئي لا يتيح الفرصة في التعويض إلا إذا كان قد أصاب شخصيا ومباشرة الشخص الذي" يستند إليه في دعواه ، و في الغالب يصيب الضرر البيئي عناصر البيئة دون أن يكون له تأثير مباشر على الأفراد. [67]

أما الاتجاه" الثاني : فيمثله البعض من الفقه[68] الدولية و ينتقد الاتجاه السابق على أساس أنه لا يستجيب لمقتضيات العمل من أجل الحفاظ على البيئة و حمايتها ، و يرى أن الطريق ليس مغلقا تماما أمام قبول ما يسمى بالدعوى الجماعية أو الشعبية ، على المستوى الدولي . ويستدلون على ذلك بأن محكمة العدل الدولية لم تتخذ موقفا رافضا رفضا مطلقا لفكرة الدعوى الشعبية ، لأنها اعترفت في دعاوى أخرى بأن هناك أنواعا من الحقوق قمم الدول جميعا بحث إذا وقع اعتداء عليها كان لكل دولة المصلحة و الصفة القانونية في الدفاع عنها و تحريك المسؤولية ضد

الدولة المعتدية و هو ما يصدق على عناصر و موارد البيئة التي لا تخضع لسيادة أي دولة و التي يمكن أن تضار بفعل بعض الأنشطة الضارة ، كالتجارب النووية .

ثانيا : الصفة في إطار القانون الدولي

نظرا للطابع المنتشر للأضرار البيئية و عبورها لحدود الدول ، خاصة عملية انتاج ونقل المواد الخطرة من مصانعها الى دول أخرى او الى مناطق أخرى، فيمكن هنا أن تثور دعوى المسؤولية المدنية عن الأضرار البيئية التي تنشأ بفعل النشاطات الملونة من قبل بعض الدول ، فهنا يمارس الأجنبي المضرور دعواه في إطار الحماية الدبلوماسية ، حيث تعتبر هذه الأخيرة في مفهوم القانون الدولي أداة تحريك المسؤولية الدولية من الدولة التي تأتي أعمالا إيجابية أو سلبية أو أنشطة تضر برعايا دول أخرى ، من أجل إصلاح تلك الأضرار بالنظر إلى قواعد القانون الدولي .[69]

من المبادئ المستقرة في القانون الدولي أنه لكي تمارس الدولة حقها في الحماية الدبلوماسية و التي تعد مظهرا من مظاهر المطالبة بحقوق رعاياها ، ينبغي أن تتوافر شروط هذه الحماية و هي شرط الجنسية التي يتمتع بها المضرور ، شرط استنفاذ وسائل التقاضي الداخلية .

1 - شرط تمتع المضرور بجنسية الدولة

لا تستطيع الدولة أن تباشر الحماية الدبلوماسية إلا لمصالح مواطنيها ، أي الأشخاص الطبيعيين أو المعنويين الذين يرتبطون بها برابطة الجنسية ، و هذه الرابطة القانونية هي التي تسمح للدولة بتأكيد اختصاصها الشخصي ومباشرة الحماية الدبلوماسية لمواطنيها .[70]

و لقد ورد في" ديباجة معاهدة لاهاي العام 1930 الخاصة بالجنسية على : " أن تحقيق الصالح العام للمجموعة الدولية يتطلب أن يكون لكل شخص جنسية . . . كما أن المثل الأعلى الذي يتطلب من كل دولة السعي لتحقيقه يتمثل في السعي لإلغاء حالات انعدام الجنسية و حالات ازدواجية الجنسية " .

إن آثار" الأنشطة المسببة للتلوث والناتجة عن انتاج او توزيع ونقل المواد الخطرة لا تلحق عادة الأشخاص بصفاتهم ، بل تلحق بكل ما هو موجود في إقليم الدولة ، و ينبغي الإشارة إلى أنه حتى و إن لم يوجد شخص قد لحقه الضرر من بين سكان الإقليم ، فإن الدولة صاحبة الإقليم يلحقها الضرر من جراء الأنشطة الملوثة التي تأتيها من الخارج و يكون فيها بالتالي الحق في تحريك المسؤولية الدولية قبل الدولة التي قامت بتلك الأنشطة البيئية أو التي يتبعها الأشخاص الذين قاموا بتلك الأنشطة ، و بالتالي فإن الدولة وفقا لهذه الحالة تريد تأكيد اختصاصها الإقليمي الذي انتهك بالأنشطة المسببة للتلوث ، والتي وقعت في الخارج وليس مجرد تأكيد اختصاصها الشخصي الذي تمارسه لصالح أحد من رعاياها. [71]

كذلك فإن الاتفاقية الخاصة بالمسؤولية الدولية عن الضرر الذي تسببه أجسام الفضاء قد تطرقت المسألة جواز قيام الدولة التي تلحقها أو تلحق أشخاصها الطبيعيين أو المعنويين أضرارا ، مطالبة الدولة المطلقة بالتعويض عن تلك الأضرار ، كما أنه إذا لم تقدم دولة الجنسية أية مطالبة جاز لدولة أخرى أن تقدم مطالبة للدولة المطلقة ، و ذلك عن أضرار يكون قد تكبدها في إقليمها أي من الأشخاص الطبيعيين أو المعنويين ، فإذا لم تتقدم دولة الجنسية و لا الدولة التي وقعت في إقليمها الأضرار بأية مطالبة ، جاز لدولة أخرى أن تقدم مطالبة للدولة المطلقة و ذلك عن أضرار يكون قد تكبدها أشخاص مقيمون فيها بصورة دائمة .[72] ووفقا لهذه الاتفاقية فإن عدم تطلب شرط الجنسية لرفع الدعوى يشكل خروجا على القواعد العامة في المسؤولية الدولية ، مما يبرهن على خصوصية المسؤولية الدولية الناتجة عن أضرار البيئة" .

2 - شرط استنفاذ وسائل التقاضي الداخلية

لكي تمارس" الدولة حقها في حماية رعاياها بالطرق الدبلوماسية يجب أن يكون الشخص الذي تطالب له بالحق قد استنفذ كافة الوسائل الداخلية ، و هذا يقتضي أن يلجأ الشخص الأجنبي المتضرر إلى السلطات و يحاكم الدولة المدعى عليها بالمسؤولية ، و في هذا إعطاء فرصة للدولة بأن تعوض الشخص المتضرر و تنهي النزاع ، أو أن

تحكم السلطات المختصة بعدم أحقيته في ذلك ، وعلى الشخص المتضرر أن يستأنف الحكم إن كان لذلك محل ، ولا يقصر في اتخاذ أي طريق تتيحها له النظم و القوانين الدولة المدعى عليها .[73]

الفرع الثاني : المصلحة

عرفت المصلحة بانها: ((الفائدة العملية التي تعود على رافع الدعوى اذا حكم له بطلبه، فحيث لا تعود رفع الدعوى فائدة على رافعها فلا تقبل دعواه))،[74] كما عرفت بأنها: ((المنفعة او الفائدة التي تعود على المدعي من رفع الدعوى امام القضاء سواء اكانت تلك الفائدة تتمثل بحماية حقه او انقضائه او الاستيثاق له او الحصول على تعيض)).[75]

حتى" تقبل الدعوى بشكل عام يجب أن تعود بالنفع على صاحبها الذي يقيمها ، فالقول بأن الشخص له مصلحة في التقاضي ، يعني أن الادعاء الذي قدمه قادر على تغيير و تحسين وضعه القانوني . و يكون شرط توافر المصلحة في الدعوى القضائية شرطا خاصا بالمدعي فيها باعتبار أنه الخصم الذي يقيمها ، فينبغي أن تكون له سلطة إقامتها ، أما المدعى عليه فلا يلزم توافر المصلحة لديه ، لقبول الدعوى المرفوعة ضده ، و تحب المصلحة لدى المدعي ، سواء أقام الدعوى بنفسه أو أقامها الغير عنه باسمه .[76]

إن إثبات المصلحة المشروعة في التقاضي ليس بالأمر السهل ، و ذلك لوجود جملة من الصعوبات الواقعية تتعلق بإثارة ذرائع المصلحة الاقتصادية و التنمية و التشغيل لعرقلة حق ممارسة الادعاء ضد المنتجين والموزعين وشركات انتاج وتوزيع المواد الخطرة ، و يزيد الأمر صعوبة انتشار آثار التلوث و انتقاله إلى مناطق أخرى ، مما لا يشجع المتضررين أنفسهم على رفع دعاويهم خشية تعرضها للرفض .[77]

غير أن الضحية ستواجه معوقات من شأنها أن تصعب إثبات شرط المصلحة ، إذ أن الضرر الحقيقي الذي سيصيب البيئة هو ذلك الذي يصيب توازنها الطبيعي ، ومن خلاله سيصعب معه تحديد شخص الضحية . فالمصالح الجماعية للمجتمع هي المتضررة ، بل و في بعض الأحيان يتأخر ظهور الضرر إلى الأجيال المستقبلية.[78]

ومن ثم فإن المفهوم الكلاسيكي للمصلحة والتعامل مع حرفية النصوص لا يسمح للضحية باللجوء إلى القضاء و الادعاء للمطالبة بالتعويض . وفقد توصل القضاء الفرنسي إلى اعتبار المصلحة التي تستند إلى استعمال قانوني ثابت لعين ما (Fonde) أو ما يعرف ب " ارتباط المصلحة بالعين " يمكن أن تكون أساسا لمباشرة حق الادعاء . و قياسا على ذلك لا يمكن أن تقبل دعوى شخص عابر أو سائح أو متره لأنه لا يستطيع أن يثبت الاستعمال القانوني الثابت لعين ما.[79]

ولتمكين الضحايا من التعويض فقد اعتبر جانب من القضاء الفرنسي أن المصلحة المتعلقة بالعين لا يمكن أن تتصف بالثبات ، و في سياق مخالف فقد أيدت محكمة النقض الفرنسية رفض محكمة الاستئناف الدعاوى المتضررين بحجة عدم وجود مصلحة ثابتة و مشروعة في دعوى تقدم بها أحد الصيادون و المباشر الخصام بنفسه و لحسابه بالرغم من انتسابه بصفة نظامية إلى جمعية الصيد وتربية المائيات بدعوى أنه لم يستطع أن يبرر ثبات المصلحة التي يدعي وجودها ، و ذلك بالرغم من أنه عضو في جمعية ممارسة الصيد و تربية المائيات و له حق ممارسة جزء من الصيد لكنه ليس حاملا لحق الصيد.[80]

فمن خلال" هذا القرار القضائي يتضح بأن القضاء الفرنسي لم يعتبر المصلحة ثابتة في حق الطاعن ، لأن شرط ثبات المصلحة يتحقق من خلال إثبات الطاعن ارتباطه بالعين محل التلوث كان يمون مستأجرا لجزء من الساحل . ومن هذا المنطلق فإن جانب من الفقه الفرنسي يعتبر بأن شرط مشروعية" المصلحة و ونبثاقا من هذه الكيفية يعد نتيجة منطقية للقيود المفروضة على الضحايا ، لاستبعاد المصالح غير الواضحة أو غير المتماسكة و المبعثرة . و بالتالي فإنه لا يمكن إغفال الآثار السلبية التي يتسبب فيها شرط " ثبات المصلحة و ارتباطه بالعين " على حماية عناصر البيئة التي تخرج بطبيعتها عن التعامل سواء عن طريق التملك أو الحيازة . فإذا طبق هذا الشرط بصرامة " ارتباط المصلحة بالعين " يعني استبعاد قبول الدعاوى التي يمكن أن توجه لحماية الأضرار الإيكولوجية الخالصة ، أي التي تضر بعناصر البيئة الغير مملوكة لأحد ، لأنه يستحيل إثبات ارتباط المصلحة بالعين المتضررة.[81]

ويعطي هذا التشدد في موقف القضاء الفرنسي (باشتراطه ارتباط المصلحة بالعين) انطباعا بأن القضاء لم يركز أو يستند في فحصه للمصلحة المترتبة عن الأضرار الإيكولوجية على أهمية حماية البيئة كهدف محوري ، و إنما كان في أغلب الأحوال يراعي وضعية و مصالح المدعي أيا كان شخصا عاما أو خاصا من خلال حماية حقوقه الشخصية ، و التي يمكن أن تتوافق مع مصالح حماية البيئة في بعض الحالات و لا تتوافق في أحوال أخرى و بالتالي يتعذر هنا ضمان توفير الحماية القضائية" لعناصر البيئة محل الاعتداء. [82]

المطلب الثاني

القواعد الإجرائية للنزاع البيئي

إن مجموع" المبادئ التي تحكم القواعد الإجرائية تهدف على اختلافها إلى تحقيق هدف واحد ، وهو حماية حق المواطن في الحصول على محاكمة عادلة ، ونظرا للطبيعة الخاصة للأضرار الناتجة عن التلوث البيئي بسبب المواد الخطرة و تداخل الجوانب الإجرائية فيه فإننا سنعالج أهم المسائل في هذا الموضوع و المتمثلة في المحكمة المختصة بالدعوى" البيئية (الفرع الأول) ، و تقادم الدعوى (الفرع الثاني)، وكما يلي:

الفرع الأول : المحكمة المختصة بالدعوى البيئية

أولا : الاختصاص القضائي على المستوى الدولي و الوطني .

1 - على المستوى الدولي :

يستطيع" أطراف النزاع من أشخاص القانون الدولي عرض قضاياهم على محكمة العدل الدولية إذا قبلوا ولايتها ، وفقا للقواعد المنظمة لاختصاص المحكمة ومن ناحية أخرى يمكن للمحكمة أن تفصل في المنازعات البيئية المتعلقة بتفسير أو تطبيق الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحماية البيئة وهناك العديد من الاتفاقيات الدولية التي منحت الاختصاص للمحكمة بفض المنازعات التي تثور خصوص تفسيرها أو تطبيقها ، نذكر منها اتفاقية قانون البحار لعام 1982 حيث تنص المادة(287 /1) منها على ما يلي : " تكون الدولة عند توقيعها أو تصديقها على هذه الاتفاقية أو انضمامها إليها في أي وقت بعد ذلك حرة في أن تختار بواسطة إعلان مكتوب واحد أو أكثر من الوسائل التالية لتسوية المنازعات المتعلقة" بتفسير هذه الاتفاقية أو تطبيقها . . . . " .

وقد نصت المادة (21) من النظام الأساسي للمحكمة على أنه : " يشمل اختصاص المحكمة جميع المنازعات و جميع الطلبات المحالة إليها وفقا لهذه الاتفاقية وجميع المسائل المنصوص عليها تحديدا في أي اتفاق آخر يمنح الاختصاص للمحكمة " .

والجدير بالذكر أن اختصاص المحكمة الدولية لقانون البحار وبالمقارنة بينها و بين محكمة العدل الدولية نجد أن هذه الأخيرة لا تنظر سوى المنازعات بين الدول و أشخاص القانون الدولي، أما المحكمة الدولية لقانون البحار يمكن أن تختص بمنازعات أشخاص أخرى غير الدول والمنظمات الدولية ، كما أن هذه المحكمة تختص كذلك بكل اتفاقية أخرى على صلة هذه الاتفاقية و تعتبر القرارات التي تصدرها المحكمة قطعية و على جميع الأطراف النزاع الامتثال لها .[83]

2 - على المستوى الوطني :

من حيث الاختصاص" الإقليمي فإنه طبقا للأحكام العامة الواردة في المادة (37) من قانون المرافعات العراقي يؤول الاختصاص إلى محكمة الموطن المدعى عليه أو محكمة مكان وقوع الفعل الضار في حال المطالبة بالتعويض عن الأضرار الناشئة من جناية أو جنحة أو مخالفة ، و في دعاوى الأضرار الحاصلة بفعل الإدارة ، أمام الجهة القضائية التي وقعت بدائرة اختصاصها تلك الأضرار .[84] أما الدعاوى المرفوعة ضد شركة في شكل منشأة ملونة فيؤول الاختصاص إلى الجهة القضائية التي تقع في دائرة اختصاصها إحدى مؤسساتها .[85]

أما في حالات الأضرار البيئية التي يتدخل فيها عنصر أجنبي فعلينا أن نلتمس الحلول في مثل هذه المنازعات في قواعد القانون الدولي الخاص وفقا لقواعد التنازع الدولية[86] ، كما حددها اتفاقية بروكسل الموقع عليها في 27 سبتمبر 1968 و المتعلقة بالاختصاص القضائي و تنفيذ الأحكام في المزاد المدنية و التجارية و التي

حددت العنصر الأجنبي الذي يدخل في المنازعة القضائية بالنظر إلى وقوع النشاط الضار ، أو إلى عنصر الجنسية ، أو موطن إقامة أطراف المنازعة البيئية ، أو موقع المال أو الممتلكات التي أصابها التلف والدمار ، وقد حاولت هذه الاتفاقية توفير أنسب السبل لتداعي المتضررين أمام المحكمة التي يقع في دائرة اختصاصها محله أو موطنه" .

إن الاختصاص" بشأن المنازعات البيئية الناتجة عن المواد الخطرة ينعقد للمحاكم الوطنية وفقا للقواعد العامة على أن يكون للمضرور من عمليات التلوث قبل أن يلجأ إلى القضاء لرفع دعوى التعويض أن يوجه استدعاء إلى الطرف المدعى عليه لإجراء توفيق أو تسوية سليمة للنزاع بينهما ، وذلك وفقا لما جاء به القرار رقم 381 / 78 الصادر في 20 مارس 1978 في فرنسا بشان اللجوء إلى الوسائل السلمية لحل النزاع عن طريق محكمين على أن يعترف بهذا التصالح أمام حكام المقاطعات و القضاء ، و في حالة الإخفاق في حل النزاع سلميا فإنه يرفع الأمر إلى القضاء عن طريق الدعوى ، على أنه في مجال الأضرار الناشئة عن التلوث الإشعاعي للمواد الخطرة فقد عالجت الاتفاقيات الدولية بشأن المسئولية المدنية عن الأضرار النووية - و التي تعتبر أضرار التلوث الإشعاعي أحد مخاطرها المحتملة - هذا الاختصاص ، وأعطت لكل من اتفاقية باريس المنعقدة عام 1980 و اتفاقية فيينا 1963 الاختصاص لمحكمة مكان وقوع الفعل المتسبب في الحادث الذي نتجت عنه عمليات التلوث ، أي أن الاختصاص القضائي لهذه المنازعات ينعقد للمحكمة التي يقع في دائرتها مكان الحادث ، و ليست محكمة مكان ظهور نتائج الحادث أي وقوع الضرر ، و إذا ما تقرر تحديد مكان الحادث فينعقد الاختصاص المحكمة مكان المنشأة النووية التي يعتبر مستغلها هو المسئول عن هذه العمليات[87] .

وبالنسبة لاتفاقية بروكسل المنعقدة في عام 1962 فإن محكمة الدول المسلمة للرخصة - العلم - المستغلي البواخر النووية ، و محكمة مكان وقوع الضرر هما المختصتان ، أما الاتفاقية 29 نوفمبر 1969 م بشأن المسئولية المدنية عن تلوث المياه بالزيوت فقد أسندت" الاختصاص القضائي لمحكمة مكان وقوع الضرر أو لمحكمة المكان الذي تتخذ فيه إجراءات الوقاية و الحد من عمليات التلوث أو المحكمة مكان وجود صندوق الضمان . [88]

كما أن "اتفاقية الأمم المتحدة للبحار لسنة 1982 اتسمت بإيجاد التوازن في المصالح المختلفة بين الدول تمنحها اختصاصات التنفيذ للدول الساحلية ، و دول العلم ، و دول الميناء ، في حين أعطت المادة السادسة من اتفاقية جنيف 1958 لأعالي البحار الاختصاص المانع لدول العلم ، و يلاحظ أن اختصاص دولة العلم يبدوا أكثر بروزا في مجال التلوث الحاصل من السنن في إطار تنفيذها للقوانين والمعايير الدولية و الوطنية في هذا النوع ، حيث يتعين عليها بموجب المادة(217 /2) من اتفاقية الأمم المتحدة للبحار الالتزام باتخاذ التدابير والإجراءات القانونية و الإدارية اللازمة لضمان ذلك التنفيذ .

ثانيا : المسائل الأولية .

إن ممارسة بعض الأنشطة الملوثة قد يكون في شكل منشآت مصنفة تعمل وفق التدابير والإجراءات الموضوعة من قبل الإدارة ، و بالتالي فهي تمارس نشاطاتها بشكل مشروع وفق رخصة قانونية ، و إزاء هذا الوضع فإن المدعى عليه قد يدفع المسؤولية عنه بالاحتجاج بأنه يمارس نشاطه بشكل قانوني و بترخيص من الإدارة و بالتالي فإن رقابة مشروعية القرارات الإدارية تخرج من دائرة اختصاص القضاء العادي ، مادام أن الاختصاص القضائي في العراق يقوم على مبدأ دستوري يكرس الفصل بين القضاء العادي و القضاء الإداري فمن حيث الشكل بعد توزيع الاختصاص بين القضاء العادي و القضاء الإداري من النظام العام ، يمكن للقاضي أن يثيره من تلقاء نفسه و بمعزل عن طلب الأطراف ، و قد يواجه القاضي العادي عند نظره الدعوى مدنية مسألة تتعلق بتقدير مدى مشروعية قرار إداري ، فهنا تثار مسألة أولية و يتوقف البت في القضية لحين الفصل في هذه المسألة ، و تقس الأمر يثار أمام القاضي العراقي" و ذلك في "حاله إثارة مسألة أولية أمامه يتعلق بتقدير مشروعية بعض القرارات التنظيمية أو تفسيرها عند مخالفتها لتدابير الاحتياط الواجب اتخاذها من قبل المنشآت الملوثة . [89]

وفي هذا فصلت محكمة النقض الفرنسية في قضية Avranches و اعتبرت أنه من المهام الموكلة اللقاضي الجزائي أن يفصل في النقاط المتعلقة بتطبيق أو عدم تطبيق العقوبات ، مما يخوله ليس فقط صلاحية تفسير القرارات الإدارية و إنما أيضا تقدير مشروعية هذه القرارات.[90]

ونظرا لما تستوجبه هذه المنازعات البيئية من تخصص و معرفة فنية حول إجراءات سير هذه المنشآت و عمل المنتجين للمواد الخطرة، وأسلوب عمل الموزعين لها ، فإن ذلك يتطلب نظر القضية من قبل القاضي الإداري مما يجيز للقاضي العراقي التوقف عن الفصل في الدعوى لحين فصل القاضي الإداري في المسائل الأولية المعروضة عليه و بالتالي فإذا واجه القاضي المدني أو الجزائي دفعا أوليا من طرف المدعي عليه لوقف الفصل في النزاع فإنه يتوقف عن البت في النزاع و الفصل في الجريمة ، أو في دعوى التعويض ، إلى حيث فحص القاضي الإداري في مدى مشروعية الرخصة التي يمارس بموجبها المدعى عليه نشاطه الذي تسبب في التلوث ، وهذا يؤدي إلى تضافر الجهود بين مختلف الجهات القضائية بمختلف اختصاصاتها و إلى تأسيس دعامة قوية في مواجهة كل مخاطر و أضرار التلوث و كذا حفظ" حقوق المتضررين.[91]

الفرع الثاني : تقادم الدعوى

التقادم هو "جزاء تهاون الشخص الذي امتنع مدة من الزمن عن التمسك بحقه ، كما يستدعي استقرار المعاملات أيضا إبقاء الأوضاع القانونية المكتسبة من مدة و التي لم يبادر صاحب الحق إلى إنمائها ، و كذلك قد يتوخى من التقادم وضع حد لأوضاع قانونية غامضة و غير مستقرة .[92]

قوانين التقادم هي القوانين التي تصدرها الهيئات التشريعية في القانون العام لتعيين مدة الوقت الأقصى لبدء أي إجراءات قانونية بعد حادثة. عندما تمر الفترة الزمنية المحددة لقانون التقادم، لا يمكن رفع دعوى قضائية، أو إن تم رفعها مسبقاً بأنها عرضة للطعن فيعد بذلك القائم بالدعوى متخلياً من تلقاء نفسه وحقه ساقط بمرور المدة الزمنية المحددة في القانون.[93]

و مهما يكن فإن الدفع بالتقادم من الدفوع القانونية التي تثار كثيرا على مسرح النزاعات الإقليمية و الدولية سواء من قبل الأفراد أو من قبل الدول والمنظمات الدولية و يتبين لنا من خلال الرجوع للنصوص القانونية المتعلق بحماية وتحسين البيئة العراقي أن المشرع لم يتطرق إلى مسألة التقادم في هذا المجال و بالتالي فإن تقادم دعوى التعويض عن الأضرار البيئية يخضع للقواعد العامة في القانون المدني حيث جاء في نص المادة (429) والتي نصت على: ((الدعوى بالالتزام اياً كان سببه لا تسمع على المنكر بعد تركها من غير عذر شرعي خمس عشرة سنة مع مراعاة ما وردت فيه احكام خاصة)).

وعليه فلا تبدأ مدة تقادم دعوى المسؤولية في السريان" إلا من اليوم الذي يثبت فيه علم المضرور علما حقيقيا أو مفترضا – بالأمرين معا - الضرر و المسؤول عن الضرر ، أي مشغل المنشأة محدثة عمليات التلوث ، لكن بفضل نظام الترخيص الإداري الذي تخضع له معظم المنشآت فإن مسألة علم المضرور بشخص منتج المنشأة التي تسببت في عمليات التلوث لا تثار في الغالب لأن قواعد الترخيص الإداري بما تضمنه من إجراءات دقيقة تؤدي إلى تمكين المضرور من التعرف على المشغل للمنشأة.

يجب التنويه على أنه في مجال البيئة وتلوثها بالمواد الخطرة فقد يتأخر ظهور الضرر دون أن يؤثر ذلك على كونه ضررا حقيقيا ، بالإضافة لما قد يترتب عليه من آثار بالغة الخطورة ، ونتيجة لذلك و هدف حماية المضرور والبيئة ، يجب التعويل على تاريخ ظهور الضرر و ليس تاريخ الفعل المنشئ له كمعيار محدد لبدء تقادم دعوى المسؤولية في هذا المجال .

تطبيقا لذلك "فقد حكم القضاء الفرنسي بأن بداية حساب مدة تقادم دعوى المسؤولية هو يوم تحقق الضرر و ليس يوم صدور الفعل المنشئ له ، وعلى ذلك حكم بقبول دعوى " ville d dax " باعتبارها مالكة المساحة المنكوبة و حقها في طلب التعويض عن فعل المسؤول الذي حدث في الفترة من 1928 إلى 1956 ما دام أن الضرر لم يظهر إلا في عام 1957 .[94]

أما وقد حددت مدة معينة يمكن ممارسة الدعوى خلافا فلا يمكن قبول الدعوى بعد مدة 3 سنوات ، و يبدأ حساب هذه المدة من التاريخ الذي يعلم فيه أو يفترض أنه قد علم بوجود الضرر و بشخصية المشغل مصدر الضرر ، قد

أضافت الفقرة الثانية من نفس المادة أنه لا يقبل الدعوى تحت أي ظرف بعد مضي 30 عاما من تاريخ وقوع الفعل المنشئ للضرر .

كما أن الاتفاقية الدولية المتعلقة بالمسؤولية المدنية المترتبة عن أضرار الزيت الموقعة ببروكسل بتاريخ 1969 تنص في المادة الثامنة منها على أنه : " تدفع حقوق التعويض بموجب هذه الاتفاقية ، ما لم ترفع الدعوى خلال 3 سنوات من تاريخ حدوث الضرر ، ومع ذلك لا يتخذ أي إجراء بأي حال من الأحوال بعد 6 سنوات أخرى متتالية ، و تحسب مدة الست سنوات من تاريخ الحادث الأول " ، ففي هذه المعاهدة تقرر موعد سقوط دعوى التعويض الناشئة عن أفعال التلوث بالزيت ب 3 سنوات ، و لكن إزاء تأخر ظهور الآثار و الأضرار الناجمة عن حادث أو إلقاء الزيت أو تأخر معرفة المسؤول عنه ، فإن الاتفاقية تحدد تاريخا آخر للسقوط و هو 6 سنوات من تاريخ وقوع الحادث بمعنى أنه إذا وقع الحادث ولم يظهر الأضرار أو يعرف مرتكب الفعل الضار إلا بعد 5 سنوات فإن الدعوى تسقط بمضي سنة واحدة فقط أي المدة المكملة لستة سنوات من تاريخ الحادث ، و إذا كان الحادث من الحوادث متتالية ، فتحسب مدة 06 سنوات من تاريخ الحادث الأول .[95]

كذلك نجد أن الاتفاقية المتعلقة بمسؤولية مستغلي السفن النووية لعام 1962 نصت على سقوط حقوق التعويض في حالة عدم إقامة الدعوى في غضون 10 سنوات من تاريخ الحادث النووي ، و يجوز للقانون المحلي للدولة المانحة للترخيص أن تنص على فترة تقادم أطول ، إذ أنه من الممكن أن تكون مسؤولية المشغل مغطاة بالتأمين أو بأية ضمانات مالية أخرى ، أو بتعويض مقدم من الدولة. الفترة أطول من 10 سنوات ، ولكنها لن تتجاوز الفترة التي تغطيها المسؤولية تقتضى قانون الدولة المانحة للترخيص .

هذا و قد أجازت الاتفاقيات الدولية المنظمة للمسؤولية المدنية في مجال الأضرار النووية للتشريع الوطن أن يحدد مدة التقادم أو السقوط بما لا يقل عن سنتين وفقا لاتفاقية باريس[96] ، أو عن ثلاث سنوات طبقا لاتفاقيتي فيينا و بروكسل[97] و ذلك اعتبارا من الوقت الذي يعلم فيه المضرور أو كان من المفروض عليه أن يعلم بالضرر و بالشخص المسؤول" .

الخاتمة

وفي نهاية دراستنا هذه توصلنا لعدد من النتائج والتوصيات وهي:

أولا: النتائج:

1- تعد دراسة العلاقة السببية بين الخطأ والضرر في انتاج وتوزيع المواد الخطرة من الدراسات الحديثة والقيمة والهامة، حيث حظيت بأهتمام كبير من الفقه والقضاء الوطنيين والدوليين.

2- تحتل مسؤولية المنتج حيزا قانونياً ضمن نطاق المسؤولية المدنية، وذلك خلال تقويض قاعدة نسبية اثر العقد في دائرة المسؤولية العقدية، وقاعدة الخطأ في دائرة المسؤولية التقصيرية ، لحماية المتضررين من خطر المنتجات الخاصة بالمواد الخطرة، سواء كانوا مع المنتج او من الاغيار.

3- ان الاضرار التي تلحق الأشخاص في اجسامهم دون الاضرار التي تلحق المنتوج ذاته، والذي يعتبر من الاضرار التجارية المتعلقة بعقد البيع الناجم عن عدم الاستفادة من المبيع او المنتوج وما يتبع ذلك من فسخ العقد والتعويض عن المصاريف الناشئة عنه.

4- ان العيب في المنتجات هو المعيار القانوني في تحديد خطورتها، التي يتم اخضاعها الى القواعد الخاصة لمسؤولية المنتج والموزع، فالعيب يعد ذلك العيب التقليدي الذي ينقص من صلاحية المبيع للانتفاع به على النحو يخالف الغرض الأساسي من التعاقد، بل اصبح الذي لا يحقق السلامة والامن المرغوبين شرعا للمستهلك.

5- ان القصور لقواعد العامة وعدم استجابتها للتحولات الجديدة في ميدان الإنتاج وحماية المتضررين من المنتجات الخطرة، دفع بإيجاد نظام خاص و موحد بالمسؤولية عن الإنتاج، يستهدف حماية ضحايا اضرار المنتجات المعيبة والخطرة، بغض النظر عن علاقتهم بالمنتج او الموزع لها. حيث تقوم المسؤولية بمجرد

ثبوت الضرر ولا يكلف المتضرر باثبات خطأ المنتج بل يقع على المنتج نفي تعيب المنتوج، وهي مسؤولية مفترضة بحكم القانون، لانها ترتكز على قاعدة جديدة هي قاعدة العيب في المنتوج.

ثانياً: التوصيات

1- من اجل تعويض عادل للمستهلك والبيئة، يجب توسيع دائرة المنتج لتشمل بقية المتدخلين وليس المنتج والموزع فقط، وان يكون تعويض الدولة عن الاضرار التجارية بجانب الجسمانية، بحكم المسؤولية عن التعويض المجهول.

2- يجب ان يكون هنالك انسجام وتناسق وتكامل بين التشريعات المنظمة للمسؤولية سواء كان القانون المدني او قانون حماية المستهلك او قانون حماية البيئة.

3- يجب تطويع قواعد المسؤولية المدنية للمنتج من الوظيفة التعويضية الى الوقائية، وذلك بتوسيع الاضرار القابلة بالتعويض عن طريق الاخذ بمبدأ الحيطة الذي يفرض على المنتج التزاما بالمتابعة من اجل تقليص مفهوم عد التوقع ومخاطر التطور.

4- وضع نظام موحد وشامل لتقدير التعويض النقدي والنص عليه في قانون حماية وتحسين البيئة عن اضرار المنتج والموزع بالبيئة، على ان يكون هذا النظام شامل وكافي كما هو مقرر في التشريعات المقارنة لدول العالم.

المصادر

القران الكريم

اولاً: الكتب

1. أحمد جمال ظاهر، حقوق الانسان، ط 2، عمان، 1993.
2. أحمد شوقي عبد الرحمن ، النظرية العامة للالتزام ، العقد والإرادة المنفردة في الفقه وقضاء النقض المصري والفرنسي.
3. احمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة الإسلامي مقرنا بالقوانين الوضعية، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1996.
4. احمد محمود الجمل، حماية البيئة البحرية من التلوث في ضوء التشريعات الوطنية والاتفاقيات الإقليمية والمعاهدات الدولية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1988.
5. احمد محمود سعيد، استقراء لقواعد المسؤولية المدنية في منازعات التلوث البيئي ، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، 1994.
6. انور العمروسي، أصول المرافعات الشرعية، ط2، شركة الإسكندرية للطباعة والنشر، دون تاريخ نشر.
7. أنور سلطان ، مصادر الالتزام في القانون المدني ، دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، سنة ٢٠١٠ .
8. أي بي – اودم – أسس علم البيئة ترجمت محمد عمار الراوي و أكرم خير الدين خياط، الجزء الثاني، مطابع دار الحكمة للطبع والنشر ، 1990.
9. بلحاج العربي، النظرية العامة للالتزام في القانون المدني الجزائري، ج2، الواقعة القانونية (الفعل غير المشروع الاثراء بلا سبب والقانون)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
10. توفيق حسن فرج ، النظرية العامة للالتزام ، مصادر الالتزام مع مقارنة بين القوانين العربية ، الدار الجامعية.
11. جلال محدين، الحماية القانونية للبيئة البحرية من تلوث بالزيت، الدار الجامعية الجديدة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2001.
12. حبار محمد، القانون الدولي الخاص، الرؤى للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الجزائر، 2013.
13. حسن عكوش ، المسؤولية المدنية في القانون المدني الجديد : مكتبة القاهرة الحديثة ، ط 1 ، 1957.

14. حسين فرحي، المسؤولية المدنية للمنتج، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة العربي بن مهيدي، 2014.
15. وليد خالد عطية ، مسؤولية الناقل البحري الناشئة عن نقل البضائع الخطرة ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، 2014.
16. بودالي محمد الالتزام بالنصيحة في نطاق عقود الخدمات (دراسة مقارنة) ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2005.
17. احمد أبو الوفا، المرافعات المدنية والتجارية، ط4، دار المعارف، مصر، 1956.
18. حسن عبد الباسط جميعي، مسؤولية المنتج عن الاضرار التي تسببها منتجاته المعيبة، دار النهضة العربية، 2000.
19. ذنون يونس صالح المحمدي، تعويض الاضرار الواقعة على حياة الانسان وسلامته وسلامة جسده (دراسة مقارنة)، منشورات زين الحقوقية، ط1، 2013.
20. سالم محمد رديعان العزاوي، مسؤولية المنتج – في القوانين المدنية والاتفاقيات الدولية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، الإصدار الأول، 2008.
21. عبد الحكم فودة، الدفع بانتفاء الصفة او المصلحة في المنازعات المدنية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2007.
22. عبد المجيد الحكيم، الموجز في شرح القانون المدني العراقي، الجزء الاول، مصادر الالتزام ، الطبعة الخامسة، مطبعة النديم ، بغداد ، 1977.
23. علي سيد حسن، الالتزام بالسلامة في عقد البيع (دراسة مقارنة) ، دار النهضة العربية، 1990.
24. محمد سامي عبد الرزاق، مسؤولية منتج الدواء عن مضار منتجاته المعيبة(دراسة مقارنة) ، دار النهضة العربية، القاهرة، 2002.
25. محمد شكري سرور، مسؤولية المنتج عن الاضرار التي تسببها منتجاته الخطرة، ط1، دار الفكر العربي، 1998.
26. عامر قاسم احمد القيسي، مشكلات المسؤولية الطبيعية المترتبة على التلقيح الاصطناعي -دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي والقانون الوضعي ، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، عمان، 2001.
27. رمزي سيف، قانون المرافعات المدنية والتجارية وفقاً للقانون الكويتي، جامعة الكويت، كلية الحقوق والشريعة، 1974.
28. زهية حورية سي يوسف، المسؤولية المدنية للمنتج، دار هومة، الجزائر، 2009.

ثانياً: والبحوث

1. أحمد ابو الوفا، تأملات حول الحماية الدولية للبيئة من التلوث (إشارة لبعض التطورات الحديثة)، المجلة المصرية للقانون الدولي، العدد 49، 1993.
2. احمد عبد الكريم سلامة، نظرات في الحماية الدبلوماسية ودور فكرة الجنسية في المسؤولية الدولية عن الاضرار البيئية، العدد 52، مجلة المصرية للقانون الدولي، 2002.
3. القاضي كاظم عبد جاسم الزيدي، الاختصاص العام الدولي للمحاكم العراقية، بحث منشور على الانترنت على الموقع: https://www.hjc.iq/view.32/.
4. أمل جاسم، تصنيفاتها حسب معايير الأمم المتحدة، بحث منشور على الموقع http://www.beatona.net/ar/knowledge-hub/article/content-39428.
5. بحث منشور على موقع اكاديمية EHS Academy ولمزيد من التفاصيل قم بزيارة موقع الاكاديمية

6. بن قو أمال، التعويض العيني عن الضرر البيئي، مجلة البحوث العلمية في التشريعات البيئية، مخبر البحث في تشريعات حماية النظام البيئي، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة ابن خلدون، تيارت، العدد السابع، جوان 2015.
7. اكرم محمود حسين البدو، ايمان محمد ظاهر، الالتزام بالإفضاء وسيلة الالتزام بضمان السلامة، بحث منشور في مجلة الرافدين للحقوق، مجلد 1، العدد 24، 2005.
8. زهية حورية سي يوسف، الالتزام بالإفضاء عنصر من ضمان سلامة المستهلك، المجلة النقدية للقانون والعلوم السياسية، العدد2، سنة 2009.
9. زهير كاظم عبود، مسار الدعوى المدنية في قانون المرافعات المدنية من عريضة الدعوى الى اكتساب الحكم الدرجة القطعية، بحث منشور على الانترنت على الموقع: https://www.hjc.iq/view.2475/.
10. صديقي سامية، المسؤولية المدنية عن الأضرار البيئية في القانون الدولي، بحث منشور على الانترنت على الموقع: https://democraticac.de/?p=41713#_ftn31.
11. صفوان محمد احمد، مسؤولية المنتج عن الاضرار التي تسببها منتجاته المركبة، مجلة جامعة تكريت للحقوق، المجلد 4، العدد 29، السنة 2008.
12. صلاح ، اساليب التعامل مع المواد الخطرة ، بحث منشور على الموقع slide › slideplayer.ae.
13. محمد أبوكاف، البيئة والصحة، بحث منشور على موقع البيئة للمدن العربية، على الرابط، http;\\ www.envi rocitiesmag. Com.
14. محمد حاج بن علي، مسؤولية المحترف عن اضرار ومخاطر تطور منتجاته المعيبة، الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 2ن 2004، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح

1. بوفلجة عبد الرحمن، المسؤولية المدنية عن الاضرار البيئية ودور التأمين، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2016.
2. حدوش فتيحة، ضمان سلامة المستهلك من المنتوجات الخطرة في القانون الجزائري على ضوء القانون الفرنسي، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق جامعة امحمد بوقرة بومرداس، 2010.
3. حساني علي، الاطار القانوني للالتزام بالضمان في المنتوجات- دراسة مقارنة- أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة ابي بكر بلقاسم تلمسان، 2012.
4. ساوس خيرة، حق المنظمات غير الحكومية في التقاضي، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الحقوق جامعة سيدي بلعباس، 2013.
5. سهام المهر، المنتج بالسلامة، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق جامعه أبو بكر بلقايد تلمسان، 2009.
6. طلال بدر عبد الله الحمداني، دور برنامج الأمم المتحدة للبيئة في حماية البيئة الدولية، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق، جامعة النهرين، 2014.
7. عبد الرحمن كساب، المسؤولية المدنية الناشئة عن تلوث البيئة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الأردن، 2006.
8. عبير عبد الله احمد، المسؤولية المدنية عن مضار الجوار غير المألوفة الناجمة عن تلوث البيئة في فلسطين – دراسة مقارنة، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق والإدارة العامة، جامعة بيرزيت، 2014.
9. علي عبيد عودة الجيلاوي ، العلاقة السببية بين الخطأ والضرر، رسالة ماجستير، كلية القانون-جامعة بغداد، 1977.

رابعاً: القوانين والاتفاقيات الدولية

1. اتفاقية الأمم المتحدة للبحار لسنة 1982.

2. الاتفاقية الخاصة بالمسؤولية الدولية عن الضرر الذي تسببه اجسام الفضاء.
3. اتفاقية باريس المنعقدة عام 1980
4. اتفاقية جنيف 1958 لأعالي البحار.
5. اتفاقية فيينا 1963
6. اتفاقية لوجانو الصادرة بتاريخ 21 جوان 1993.
7. البيان التقريري للجمعية العامة لاتحاد من اجل المتوسط، لجنة الطاقة والبيئة (euromed).
8. تعليمات الموانئ العراقية رقم (1) لسنة (١٩٩٨).
9. توصيات الأمم المتحدة لنقل البضائع الخطرة ومنها ما يعرف ب (iata) اتحاد النقل الجوي الدولي.
10. توصيات بشأن نقل البضائع الخطرة (لائحة تنظيمية نموذجية) المجلد الأول الطبعة المنقحة الخامسة عشره الأمم المتحدة نيويورك وجنيف ٢٠٠٩.
11. القانون الدولي البحري للبضائع الخطرة (IMDG).
12. القانون المدني العراقي رقم 41 لسنة 1951.
13. القانون المدني الفرنسي.
14. قانون المرافعات المدنية العراقي ذي الرقم 83 لسنة 1969.
15. قانون الموجبات والعقود اللبناني.
16. قانون النقل العراقي رقم (٨٠) لسنة (١٩٨٣).

خامساً: المصادر الأجنبية

1-Georges wiederkhehr Dammage Ecologlqnen et Responsablitite civil Edition Frision_Reoch Paris 1988. .

2-Gilles J . Martin , Reflexion sur la définition du dommage à lenvironnement le dommage.

3-Marine Friant-Lc Jude judiciaire et protection de L enuironnent Memoire de D.E.A. Nates 1993.

4-Taylor, Penny. "Transporting and Disposing of Dangerous Goods in the US: What You Need to Know

Volume 7 , presse universitaire écologique " pur " , collection de laboratoire de théorie juridique , France , 1995.

([1]) [1]د . وليد خالد عطية ، مسؤولية الناقل البحري الناشئة عن نقل البضائع الخطرة ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، 2014 ، ص ١٣ .

([2]) قانون حماية البيئة وتنميتها رقم (4) لسنة ١٩٩٩ والذي يعرف ب (نظام تداول المواد الخطرة والنفايات الخطرة والنقابات الطبية)

([3])Taylor, Penny. "Transporting and Disposing of Dangerous Goods in the US: What You Need to Know ."، مؤشف في 04 مارس 2016. اطلع عليه بتاريخ 28 ديسمبر 2020

([4]) توصيات بشأن نقل البضائع الخطرة (لائحة تنظيمية نموذجية) المجلد الأول الطبعة المنقحة الخامسة عشره الأمم المتحدة نيويورك وجنيف ٢٠٠٩.

([5])تعليمات الموانئ العراقية رقم (1) لسنة (١٩٩٨) .

([6]) أمل جاسم، تصنيفاتها حسب معايير الأمم المتحدة، بحث منشور على الموقع http://www.beatona.net/ar/knowledge-hub/article/content-39428، وقت الزيارة :pm3:00 .

([7]) بحث منشور على موقع اكاديمية EHS Academy ولمزيد من التفاصيل قم بزيارة موقع الاكاديمية www.ehs-academy.com وقت الزيارة 11: 49 pm.

([8]) م.م. صلاح ، اساليب التعامل مع المواد الخطرة ، بحث منشور على الموقع slideplayer.ae › slide وقت الزيارة 11: 55 pm.

([9]) المصدر السابق نفسه.

([10]) محسن البيرماني، الكيمياء الفيزيائية الحركية، ط، وزارة التعليم العالي، بغداد، 1984، ص75.

([11]) د. محمد سامي عبد الرزاق، مسؤولية منتج الدواء عن مضار منتجاته المعيبة(دراسة مقارنة) ، دار النهضة العربية، القاهرة، 2002، ص76؛ د. سالم محمد رديعان العزاوي، مسؤولية المنتج – في القوانين المدنية والاتفاقيات الدولية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، الإصدار الأول، 2008، ص80-92.

([12])أنظر الدكتور محمد سامي عبد الرزاق ،المصدر السابق نفسه ، ص 84 .

([13]) سالم رديعان العزاوي ، مصدر سابق، ص 11 .

([14]) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزي، قاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بأشراف محمد نعيم العرقسوسي، طبعة فنية منقحة مفهرسة، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005، ص39.

([15]) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص1193.

([16]) لويس معلوف، المنجد في اللغة، ط19، المطبعة الكاثوليكية، بيرت، ص186.

([17]) هلا عبد الله السراج، مدى لزوم الخطأ كركن من اركان المسؤولية التقصيرية، دراسة تحليلية مقارنة في القانون المدني الأردني والقانون المدني الفلسطيني، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم القانون الخاص بجامعة الازهر، غزة، 2013، ص3.

([18]) تعريف الاستاذ الفرنسي بلانيول، اشار اليه د. عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، نظرية الالتزام- مصادر الالتزام، مصدر سابق، فقره 526،ى ص777؛ كما اشار اليه سمير عبد السيد تناغو، مصادر الالتزام، 200، ص226.

([19]) سمير عبد السيد تناغو، مصدر سابق، ص226.

([20]) سليمان مرقص، الوافي في شرح القانون المدني، المجلد 2، ط5، بدون دار او مكان نشر، 1998، ص188؛ محمد زهدور، المسؤولية عن فعل الأشياء غير الحية ومسؤولية مالك السفينة في القانون البحري الجزائري، ط1، دار الحداثة للطبع والنشر والتوزيع، 1990، ص34.

([21]) د. احمد عبد الرزاق السنهوري، مصدر سابق، ص1081؛ عبد المنعم فرج الصده، مصادر الالتزام، دار النهضة العربية، 1986، ص449؛ عبد المنعم حسني، الموجز في النظرية العامة للالتزام ، 1991، ص75.

([22]) ومن ذلك قوانين المرور ووضعها الحد الاقصى لسرعة المركبات في بعض الطرق.

([23]) حيث يترك ذلك لاجتهاد الفقه والقضاء لتبيان متى يعد الشخص مخطئاً من عدمه، ويتم تحديد ذلك على ضوء مقاييس تحقق القدر اللازم من الانضباط للقواعد القانونية، واستخلص الفقه والقضاء ضرورة توافر واجب عام مفروض على الكافة بمراعاة التبصر وعدم الاهمال في السلوك، يعتبر الاخلال به خطأ يستوجب المسؤولية، للمزيد ينظر: محسن عبد الحميد البيه، النظرية العامة الالتزامات، ج2، مكتبة الجلاء الجديدة، ص40.

([24]) عدنان السرحان، نوري الخاطر، شرح القانون المدني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2008، ص359.

([25]) حسام الدين كامل الاهواني، النظرية العامة للالتزام، ج1، مصادر الالتزام، مجلد 2، 1998، ص92؛ عبد الله مبروك النجار، مصادر الالتزام الارادية وغير الإرادية، ط2، دار النهضة العربية، 2002، ص209.

([26])ةهلا عبد الله السراج، مدى لزوم الخطأ كركن من اركان المسؤولية التقصيرية، دراسة تحليلية مقارنة في القانون المدني الأردني والقانون المدني الفلسطيني، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم القانون الخاص بجامعة الازهر، غزة، 2013، ص5.

([27]) د. محمد سامي عبد الرزاق، مسؤولية منتج الدواء عن مضار منتجاته المعيبة(دراسة مقارنة) ، دار النهضة العربية، القاهرة، 2002، ص76؛ د. سالم محمد رديعان العزاوي، مسؤولية المنتج – في القوانين المدنية والاتفاقيات الدولية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، الإصدار الأول، 2008، ص80-92.

([28])أنظر الدكتور محمد سامي عبد الرزاق ،المصدر السابق نفسه ، ص 84 .

([29]) سالم رديعان العزاوي ، مصدر سابق، ص 11 .

([30]) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزي، قاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بأشراف محمد نعيم العرقسوسي، طبعة فنية منقحة مفهرسة، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005، ص39.

([31]) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص1193.

([32]) لويس معلوف، المنجد في اللغة، ط19، المطبعة الكاثوليكية، بيرت، ص186.

([33]) هلا عبد الله السراج، مدى لزوم الخطأ كركن من اركان المسؤولية التقصيرية، دراسة تحليلية مقارنة في القانون المدني الأردني والقانون المدني الفلسطيني، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم القانون الخاص بجامعة الازهر، غزة، 2013، ص3.

([34]) لقد بينا ذلك في الفرع السابق.
([35]) ينظر نص المواد (176-217) من القانون المدني العراقي ويقابل هذه النصوص المادة(1382-1383) من القانون المدني الفرنسي؛ المواد (123-124) من قانون الموجبات والعقود اللبناني.
([36]) نصت المادة (221) من القانون المدني العراق على: ((جناية العجماء جبار فالضرر الذي يحدثه الحيوان لا يضمنه صاحبه الا اذا ثبت انه لم يتخذ الحيطة الكافية لمنع وقوع الضرر)). ويقابلها المادة (130) من قانون الموجبات والعقود اللبناني .
([37]) محمد شكري سرور، مصدر سابق، ص56.
([38]) لقد بينا الواجبات الفنية للمنتج والموزع في الفصل الأول .
([39]) زهية حورية سي يوسف، المسؤولية المدنية للمنتج، دار هومة، الجزائر، 2009، ص222.
([40]) أي بي – اودم – أسس علم البيئة ترجمت محمد عمار الراوي و أكرم خير الدين خياط، الجزء الثاني، مطابع دار الحكمة للطبع والنشر ، 1990 ، ص 819.
([41]) احمد محمود سعيد، استقراء لقواعد المسؤولية المدنية في منازعات التلوث البيئي ، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، 1994 ص61-64.
([42])Georges wiederkhehr Dammage Ecologlqnen et Responsablitite civil Edition Frision_Reoch Paris 1988,P 410.
([43]) محمد احمد رمضان، المسؤولية المدنية عن الإضرار في بيئة الجوار-دراسة مقارنه بين الفقه الإسلامي والقوانين الوضعية، أطروحة دكتوراه مقدمه إلى مجلس كليه القانون ، جامعه بغداد، 1993 ، ص 53.
([44]) لمزيد من التفصيل: دكتور سعدون العامري ، تعويض الضرر في المسؤولية التقصيرية، مركز الدراسات والبحوث القانونية، بغداد، 1982 ، ص 14-15. وقد أكدت ذلك محكمة التمييز في العراق في حكم لها جاء فيه (إن الضرر المطالب به يجب ان يكون محققا ولا يكفي إن يكون محتمل الوقوع)؛ قرار رقم 64/1462/في 27 /1965/2-قضاء محكمة التمييز، المجلد الثالث /1965، تصدر عن المكتب الفني في محكمة التمييز، وزاره العدل سابقا(مجلس القضاء الأعلى حاليا) ، ص 55
([45])علي عبيد عودة الجيلاوي ، العلاقة السببية بين الخطأ والضرر، رسالة ماجستير، كلية القانون-جامعة بغداد، 1977 ، ص35 هامش رقم63.
([46])د. عبد الرزاق السنهوري ، الوسيط ، ج1 ، ط2، دار النهضة العربية، 1994 ، ص 1033.
([47])د. سعدون العامري ، تعويض الضرر في المسؤولية التقصيرية، مصدر سابق، ص 34.
([48]) د.عامر قاسم احمد القيسي، مشكلات المسؤولية الطبيعية المترتبة على التلقيح الاصطناعي -دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي والقانون الوضعي ، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، عمان، 2001 ، ص154.
([49]) عبد الرحمن كساب، المسؤولية المدنية الناشئة عن تلوث البيئة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الأردن، 2006، ص54.
([50]) عبير عبد الله احمد، المسؤولية المدنية عن مضار الجوار غير المألوفة الناجمة عن تلوث البيئة في فلسطين – دراسة مقارنة، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق والإدارة العامة، جامعة بيرزيت، 2014، ص86.
([51]) ساوس خيرة، حق المنظمات غير الحكومية في التقاضي، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الحقوق جامعة سيدي بلعباس، 2013، ص160.
([52]) ياسر محمد فاروق المنياوي، المسؤولية المدنية الناشئة عن تلوث البيئة، بدون طبعة، دار الجامعة الجديدة، 2008، ص 468.
([53]) المبدأ العاشر من مبادئ الإعلان الصادر عن ريو دي جانيرو بالبرازيل المتعلق بالبيئة والتنمية لسنة 1992.
([54]) محمد عادل عياض، دراسة نظرية لمحددات سلوك حماية البيئة في المؤسسة، مجلة الباحث، العدد6، جامعة ورقلة، 2010، ص17.
([55]) ياسر محمد فاروق، مصدر سابق، ص474.
([56]) ينظر المادة (20) من اتفاقية لوجانو.
([57]) د. عبد الحكم فودة، الدفع بانتفاء الصفة او المصلحة في المنازعات المدنية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2007، ص15.
([58]) نصت المادة (4) من قانون المرافعات المدنية العراقي ذي الرقم 83 لسنة 1969 على: ((يشترط ان يكون المدعي عليه خصماً يترتب على اقراره حكم بتقدير صدور إقرار منه وان يكون ملزما بشيء على تقدير ثبوت الدعوى)).
([59]) د. احمد أبو الوفا، المرافعات المدنية والتجارية، ط4، دار المعارف، مصر، 1956، ص118.
([60]) منير القاضي، شرح أصول المرافعات المدنية والتجارية، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1957، ص92.
([61]) زهير كاظم عبود، مسار الدعوى المدنية في قانون المرافعات المدنية من عريضة الدعوى الى اكتساب الحكم الدرجة القطعية، بحث منشور على الانترنت على الموقع: https://www.hjc.iq/view.2475/. وقت الزيارة pm9:58.
([62]) بلحاج العربي، النظرية العامة للالتزام في القانون المدني الجزائري، ج2، الواقعة القانونية (الفعل غير المشروع الاثراء بلا سبب والقانون)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص167.

(63) انور العمروسي، أصول المرافعات الشرعية، ط2، شركة الإسكندرية للطباعة والنشر، دون تاريخ نشر، ص567.
(64) عطا سعد محمد حواس، المسؤولية المدنية عن اضرار التلوث البيئي في نطاق الجوار، دراسة مقارنة، الدار الجامعية الجديدة، الإسكندرية، 2011، ص648-649.
(65) احمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة الإسلامي مقرنا بالقوانين الوضعية، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1996، ص76.
(66) المصدر السابق نفسه، ص353-354.
(67) عطا سعد محمد حواس، مصدر سابق، ص653.
(68) منهم احمد عبد الكريم سلامة، مصدر سابق، ص355 وما بعدها.
(69) بوفلجة عبد الرحمن، مصدر سابق، ص134.
(70) حبار محمد، القانون الدولي الخاص، الرؤى للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الجزائر، 2013، ص263.
(71) احمد عبد الكريم سلامة، نظرات في الحماية الدبلوماسية ودور فكرة الجنسية في المسؤولية الدولية عن الاضرار البيئية، العدد 52، مجلة المصرية للقانون الدولي، 2002، ص100.
(72) المادة (8) من الاتفاقية الخاصة بالمسؤولية الدولية عن الضرر الذي تسببه اجسام الفضاء.
(73) بلوفجة عبد الرحمن، مصدر سابق، ص136.
(74) رمزي سيف، قانون المرافعات المدنية والتجارية وفقاً للقانون الكويتي، جامعة الكويت، كلية الحقوق والشريعة، 1974، ص144.
(75) علي الشيخ إبراهيم ناصر المبارك، المصلحة في دعوى الإلغاء دراسة مقارنة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2009، ص52؛ وبنفس المعنى ينظر: عبد الرحمن العلام، قواعد المرافعات، شرح مقارن لنصوص قانون أصول المرافعات المدنية والتجارية رقم 188 لسنة 1956 وتعديلاته، ج1، مطبعة شفيق، بغداد، 1961، ص22.
(76)بلوفجة عبد الرحمن، مصدر سابق، ص148.
(77) وناس يحيى، الاليات القانونية لحماية البيئة في الجزائر، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2007، ص246.
(78)Gilles J . Martin , Reflexion sur la définition du dommage à l ' environnement le dommage
volume 7 , presse universitaire écologique " pur " , collection de laboratoire de théorie juridique , France , 1995 , P247.
(79)Gilles J . Martin , op . cit. P247.
(80) نقلا عن وناس يحيى، مصدر سابق، ص247.
(81) المصدر السابق نفسه، ص248.
(82) واعلي جمال، الطبيعة الخاصة للاضرار الناجمة عن نشاط الملوث البيئي وتاثيرها على قواعد التعويض المدني، مجلة الدراسات القانونية بجامعة أبو بكر بلقايد، العدد 7، 2010، ص225.
(83) محسن افكيرين، مصدر سابق، ص426.
(84) نصت المادة (36) من القانون المرافعات العراقي رقم 83 لسنة 1969 على : ((تقام الدعوى في محكمة محل العقار إذا تعلقت بحق عيني . وإذا تعددت العقارات جاز اقامة الدعوى في محل أحدها .))؛ كما نصت المادة (41) من القانون ذاته على : ((إذا لم يكن للمدعى عليه موطن ولا سكن في العراق فتقام الدعوى في المحكمة التي يقع في دائرتها موطن المدعى أو سكن . فإن لم يكن للمدعى موطن ولا سكن في العراق فتقام الدعوى في محاكم مدينة بغداد)).
(85) نصت المادة (38) من القانون المذكور على : ((1 – تقام الدعوى في المسائل المتعلقة بالأشخاص المعنوية القائمة أو التي في دور التصفية بالمحكمة التي يقع في دائرتها مركز ادارتها الرئيسي .2 – إذا كانت الدعوى ناشئة عن معاملة مع فرع الشخص المعنوي جاز اقامتها بمحكمة مركز الادارة أو المحكمة التي يقع بدائرتها ذلك الفرع)).
(86) موحند إسعاد، القانون الدولي الخاص، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص37.
(87) بلوفجنة عبد الرحمن، مصدر سابق، ص159.
(88) عبد الجليل عبد الوارث، حماية البيئة البحرية من التلوث في التشريعات الدولية والداخلية، المكتب الجامعي الحديث، 2006، ص143.
(89) القاضي كاظم عبد جاسم الزيدي، الاختصاص العام الدولي للمحاكم العراقية، بحث منشور على الانترنت على الموقع: https://www.hjc.iq/view.32/. وقت الزيارة 10:47pm.
(90) وناس يحيى، مصدر سابق، ص243.
(91)محمد عبد الصاحب الكعبي، المسؤولية المدنية عن أضرار الكوارث الطبيعية: (دراسة مقارنة)، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2020، ص337.

([92])حيث تنص المادة 2270 مدي فرنسي على أن : " دعوى المسؤولية المدنية غير التعاقدية تقادم تمضي 10 سنوات من تاريخ
ظهور الضرر أو تفاقمه " ، أما المادة 2262 مدني فرنسي فتنص على أنه : " بالنسبة للمسؤولية العقدية في حالة غياب شروط محددة المدة التقادم تكون مدة تقادم الدعوى 30 سنة من وقت إبرام العقد ".
([93])منال داود العكيدي، انواع التقادم وشروطه، بحث منشور على الانترنت على الموقع:
http://altaakhipress.com/viewart.php11:00 وقت الزيارة pm .
([94]) ياسر محمد فاروق المنياوي، مصدر سابق، ص986.
([95]) احمد محمود الجمل، حماية البيئة البحرية من التلوث في ضوء التشريعات الوطنية والاتفاقيات الإقليمية والمعاهدات الدولية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1988، ص133-134.
([96]) ينظر المادة (3/8) من اتفاقية باريس.
([97]) ينظر المادة (3/6) من اتفاقية فينا، والمادة (5) و (3) من اتفاقية بروكسل.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

دراسة طيف الفلوة بالحث بالليزر LIF للأوساط الفعالة الليزرية

الاستاذ المشرف د. لازم حسين عبود السيلاوي
الباحثتان : رغد ستار كريم عبدالله / هدى كريم شوجان عبود دانه
جامعة بابل /كلية العلوم للبنات / قسم فيزياء الليزر

الملخص

تم في هذا البحث دراسة اهم الخصائص الطيفية مثل الاشعة المرئية (فوق البنفسجية واطياف الانبعاث طيف انبعاث الفلورة , حيث وجد أن الفلورة تتعامل مع الانتقالات من المستوى المتهيج الى المستوى الارضي على عكس عملية الامتصاص التي تتعامل مع التحولات من المستوى الارضي الى المستوى المتهيج. وابرز اطياف الانبعاث هي الفلورة والفسفرة حيث ان الاطوال الموجية التي يعتمدها المصدر في مدى الاشعة الفوق البنفسجية والمرئي هي (900-200 nm). وتبين عند استخدام الليزر كمصدر لمطياف الفلورة يحدث نوعين من الانتقالات (الاشعاعية الاولى هي الامتصاص والثانية هي انبعاث فوتون (فلورة ونلاحظ عند استخدام الليزر كمصدر لمطياف الفلورة يعطي شدة للفلورة عالية ودقيقة والطيف الناتج يكون حاد. اما عند استخدام مصدر اعتيادي لمطياف الفلورة تكون الشده قليلة وطيف الفلورة يكون عريضوتبين ان العوامل التي تؤثر على طيف الفلورة الناتج بالأضافه الى التركيز هو الكبح وزاوية السقوط والنفاذية.

1-١: المقدمة

عملية التفلور هي ظاهرة ضوئية تحدث لبعض المركبات العضوية نتيجة لاثارتها بطول موجي محدد فتنتج ضوء ينبعث من هذه الجزيئات نفسها متبعثرا في جميع الاتجاهات نتيجة لامتصاص الطاقة من الكتروناتها فتتهيج وعند رجوعها الى مستوى الاستقرار بنفس البرم تعطي طول موجي اقل من الطول الموجي المستخدم للاثارة. وعادة تكون الاثارة في طول موجي معين لكن الانبعاث يحدث في طول موجي اطول اي يحدث خسارة بالطاقة فاذا كان الانبعاث في طول موجي ضمن المنطقة الفوق بنفسجية او المرئية فتسمى عملية تفلور وان حدث انتقال الكتروني بعكس البرم فيحدث فقدان حراري فتسمى بعملية التفسفر او التلألؤ.

يوجد عدد قليل نسبيا من المركبات التي لها خاصية التفلور ، مثل :- مركبات الأفلاتوكسينات aflatoxins ، والريبوفلافينriboflavin ، والمركبات الهيدروكربونية الأروماتية العديدة الأنوية polynuclear aromatic hydrocarbons . وهذه المركبات يمكن كشفها بواسطة مطياف الوميض.

أما المركبات التي لا تمتلك خاصية الوميض ، مثل :- الأمينات الأليفاتية aliphatic amines ، أو الأحماض acids يمكن تحويلها الى مشتقات فلوريسينية fluorescent derivatives باضافة مجموعة فلوروفور اليها fluorophore group

وقد ساهم استخدام هذا المطياف بنجاح في الكشف عن العديد من المركبات العضوية الأروماتية العديدة الأنوية في المياه المتخلفة عن المصانع waste water ، وفي تقدير المواد الفعالة في الأدوية والعقاقير ، وفي رصد وتتبع السموم الفطرية mycotoxins في الفول السوداني ومنتجاته وكذلك منتجات الحبوب المخزونة والتوابل والأعلاف الحيوانية وغيرها .

وعموما يستخدم مطياف الوميض في مجال الأبحاث الكيميائية ، والبيوكيميائية ، والطبية لتحليل المركبات العضوية ، كما يستخدم في تمييز الأورام الجلدية الحميدة والخبيثة.

اما الفلورة المستحثة بالليزر هي وسيلة تحليلية مطيافية تعتمد على إثارة ذرة أو جزيء إلى مستوى طاقي أعلى نتيجة امتصاص الليزر؛ ثم بحدوث انبعاث تلقائي للطاقة على هيئة فلورية. كان ريتشارد زير وزملاؤه أول من وصف هذه الطريقة التحليلية سنة 1968.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN–2536–0027

وسوف نتناول في هذا البحث أهم الخصائص الطيفية مثل طيف الاشعة المرئية فوق البنفسجية وأطياف الانبعاث طيف انبعاث الفلورة والتعرف على ظاهرة الفلورة بالحث بالليزر)

2-1: طيف امتصاص الاشعة المرئية - فوق البنفسجية

يشير التحليل الطيفي للأشعة فوق البنفسجية أو الطيف المرئي للمنطقة فوق البنفسجية (UV-Vis) إلى التحليل الطيفي للامتصاص أو التحليل الطيفي للانعكاس في المنطقة الطيفية للأشعة فوق البنفسجية المرئية . هذا يعني أنه يستخدم الضوء في النطاقات المرئية والمجاورة القريبة من (الأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء القريبة). يؤثر الامتصاص أو الانعكاس في المدى المرئي بشكل مباشر على اللون الملحوظ للمواد الكيميائية المعنية في هذه المنطقة من الطيف الكهرومغناطيسي ، تمر الجزيئات بالانتقالات الإلكترونية. هذه التقنية مكملة لطيف الفلورة ، حيث هذه الفلورة تتعامل مع الانتقالات من المستوي المتهيج الى المستوي الارضي ، بينما يقيس الامتصاص التحولات من المستوي الارضي إلى المستوي المتهيج [1].

عندما يمر الإشعاع المستمر عبر مادة شفافة ، قد يتم امتصاص جزء من الإشعاع. إذا حدث ذلك ، فإن الإشعاع المتبقي ، عندما يمر عبر الموشور ، ينتج طيفًا به ثغرات يُطلق عليه طيف الامتصاص. نتيجة لامتصاص الطاقة في الوسط ، تنتقل الذرات أو الجزيئات من مستوى الطاقة المنخفضة المستويات الأولية أو (الأرضية إلى مستوي الطاقة الأعلى (المستويات المثارة) الشكل (1-1) يوضح عملية الإثارة ، والتي يتم تقديرها كمياً. يمتلك الإشعاع الكهرومغناطيسي الذي يتم امتصاصه على طاقة تساوي تمامًا الفرق في الطاقة بين المستوي المثار والأرضي.

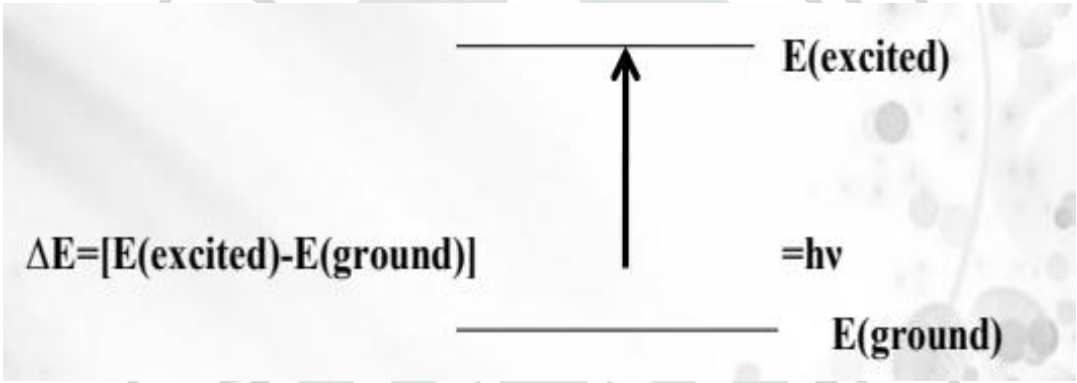

شكل (1-1) عملية التهيج [1].

في حالة التحليل الطيفي للأشعة فوق البنفسجية والمرئية ، فإن الانتقال الذي ينتج عنه امتصاص الإشعاع الكهرومغناطيسي في هذه المنطقة من الطيف هو الانتقال بين مستويات الطاقة الإلكترونية. وبما أن الجزيء يمتص الطاقة ، فإن الإلكترون يتم ترقيته من المدار المشغول إلى المدار غير المشغول ذي الطاقة الكامنة الأكبر. بشكل عام ، يكون الانتقال الأكثر احتمالا من أعلى المدار الجزيئي المشغول (HOMO) إلى أدنى مدار جزيئي غير مشغول (LUMO).[2]

تختلف فروق الطاقة بين المستويات الإلكترونية في معظم الجزيئات من (125-650) kgol/mol بالنسبة لمعظم الجزيئات ، فإن المدارات الجزيئية التي تشغل أقل طاقة هي المدارات سيكما ، والتي تتوافق مع روابط سيكما [1].

من خلال طيف الامتصاص يمكن الحصول على معامل الامتصاص (وهو نسبة النقصان في الحزمة الساقطة على المادة مع المسافة من خلال العلاقة الرياضية التالية :

$$\alpha 0 = 2.303(A/d)$$

وكذلك يتم الحصول علو معامل الانكسار من خلال العلاقة الرياضية التالية :

N=(4R/R01)2 –K2)1/2 –(R+1/R-1)

K: is extinction coefficient

3-1: أطياف الانبعاث

تقسم أطياف الانبعاث إلى أنواع متعددة بحسب الظاهرة الفيزياوية لانبعاثها وبحسب المدى الطيفي لها ومن ابرز أطياف الانبعاث هذه طيف انبعاث الفلورة أو الفسفرة في مدى الأشعة الفوق البنفسجية والمرئية (900-200nm) وطيف رامان في مدى الأشعة تحت الحمراء المتوسطة($400-200\ cm^{-1}$).[3].

1-4 طيف انبعاث الفلورة

عند امتصاص المادة للإشعاع الكهرومغناطيسي فأنها سوف يحدث لها أثارة مما يؤدي إلى زيادة طاقتها، وأن هذه المادة المثارة يمكن ان تبث فوتونات بطاقات مختلفة إلى أن تصل إلى حالة الاستقرار، أي انه عندما تعود تلك الجسيمات إلى مستويات الطاقة الأقل فأنها سوف تبعث فوتونات ذات طاقة محددة وطول موجي محدد، و في بعض الأحيان إلى أثارة بعضا فأن النظام المشع يمتص كم طاقة عالي وهذا يؤدي إلى أثارة بعضاً من الالكترونات إلى مستويات الطاقة التي تكون أعلى بكثير من مستوى الاستقرار للجزيء ، وفي هذه الحالة ون أعلى بكثير م ، الاستقرار المجرية يمكن للنظام أن يعود الى مستوى الاستقرار مباشرة بواسطة أطلاق فوتونات ذات طاقة نفس طاقة الفوتونات الممتصة أو يمكن للإلكترونات أن تعود الى الحالة المستقرة على مراحل متسلسلة وذلك بإطلاق فوتونات ذات طاقة مقابلة لفرق الطاقة بين مختلف المراحل

أي ذات طاقة اقل وطول موجة اطول من الممتصة اصلا وهذه الحالة يمكن تعريفها بالفلورة (florescence).[2,3]

حيث أن الفلورة تحدث عند الانتقال من المستوى الاهتزازي للحالة الالكترونية المتهيجة الأولى (S_1) إلى واحد من المستويات الاهتزازية للحالة الالكترونية الارضية (S_0) والفلورة يمكن تحديدها بزمن العمر (lifetime) الذي يكون بحدود (10^{-9}) ثانية لجزيئات الصبغة العضوية [4] . لكن بعض المركبات العضوية يحدث فيها انبعاث الفلورة من أوطأ مستوى للحالة الالكترونية المتهيجة الثانية (S_2) إلى احد المستويات الاهتزازية للحالة الأرضية (S_0) وذلك بسبب فجوة الطاقة (S_2 - S1) تكون كبيرة لهذه المركبات العضوية وبسبب هذا يحصل نقصان في معدل التحول الداخلي من S_2 إلى S_1. [5]

إن التركيب الجزيئي للصبغات العضوية يلعب دور مهم في كفاءة الفلورة حيث تزداد في الجزيئات ذات التركيب الصلد (rigid Structure) وكذلك عند امتلاك الجزيئة لفواصل طاقية بين المستويين S_1 و T_2 إذ يؤدي ذلك إلى نقصان في معدل العبور البيني ((inter System Crossing.[6]

5-1 الأسترخاء الاهتزازي

عندما يمتص الجزي فوتونات ذات طاقة كافية لانتقاله إلى أحد المستويات الالكترونية فيمكن للجزي أن ينتقل إلى أي من مستويات الطاقة المختلفة في المستوى المثار (مستوى الطاقة الالكتروني الأساسي مستوى الطاقة الاهتزازي الأول ، مستوى الطاقة الاهتزازي الثاني ... أو أي من مستويات الطاقة الدورانيه المصاحبة لكل مستوى اهتزازي) وذلك تبعاً لطاقة الفوتون الذي تم امتصاصه ، إلا أن الزمن الذي يقضيه الجزي في أي من مستويات الطاقة الاهتزازية أو الدورانية يكون قليلاً للغاية ويصل إلى حوالي ١١-١٠ من الثانيه وعليه فإن الجزيئات المثارة

تميل بشكل طبيعي إلى أن تكون في المستوى الالكتروني الأساسي المثار كون زمن تلك الحالة المثارة أكبر بكثير ، وعادة ما يفقد الجزي الطاقة الاهتزازية للوصول إلى المستوى الالكتروني الأساسي المثار وذلك عبر عملية ، يطلق الاسترخاء الاهتزازي وفي هذه الحالة يتم ، فقد الطاقة على صورة كميات غير محسوسة من الحرارة.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN–2536–0027

١-٦ :عملية التحول الداخلي

هو انتقال النواة من مستوى اثارة الى مستوى اقل اثارة بدون انبعاث اشعة كاما (فوتون) .. وفي هذه العملية تتفاعل المجالات الكهرومغناطيسية لمتعدد القطبية في النواة مع الكترونات الذرة مما يؤدي الى خروج احد تلك الالكترونات .

١ – ٧: الفسفرة

هذه العملية غير مسموحة (انتقالات غير مباشرة حسب قوانين الميكانيك الكمي لأنها تحدث بين المستويات ذات التعددية المختلفة (different multiplicity) ، حيث أنها تتطلب تغير في البرم المغناطيسي للإلكترون العائد إلى المستويات الاحادية . وأن الفسفرة تحدث عندما تنتقل جزيئات الصبغة من المستوى الاهتزازي الاوطأ للمستويات الثلاثية T إلى المستويات الاهتزازية المختلفة . وبما أن طاقة المستويات الاحادية (So) أعلى من طاقة المستويات الثلاثية (T) لذلك فان طيف الفسفرة يلاحظ عند الاطوال الموجية الاطول من طيف الفلوره [7] .

إن العمر الزمني المقاس (life-time) للفسفرة (τ_F) يكون طويل نسبياً (1x10msec) .حيث إن عملية الفسفرة سوف تتأثر سريعاً بعمليات التصادم عند درجات الحرارة الواطئة . ومن خصائص الفسفرة أنه بسبب العمر الزمني الطويل لمستوى الثلاثي فأن الانبعاث يستمر حتى بعد إزالة مصدر التهيج لذلك فإن عملية الفسفرة تكون عملية غير مناسبة للفعل الليزري [8].

١ – ٨: كيفية تحديد الأطوال الموجية للإثارة والانبعاث

بداية لا بد من القول أن الإثارة والانبعاث هما عمليتان متعاكستان فعملية الاثاره ما هي إلا انتقال الالكترون من الحالة الأرضية الأحادية اما عملية الانبعاث عكس ذلك تماما . لهذا من المفروض أن يكون طيف الانبعاث مرآة لصورة طيف الإثارة كما في الشكل تقريبا

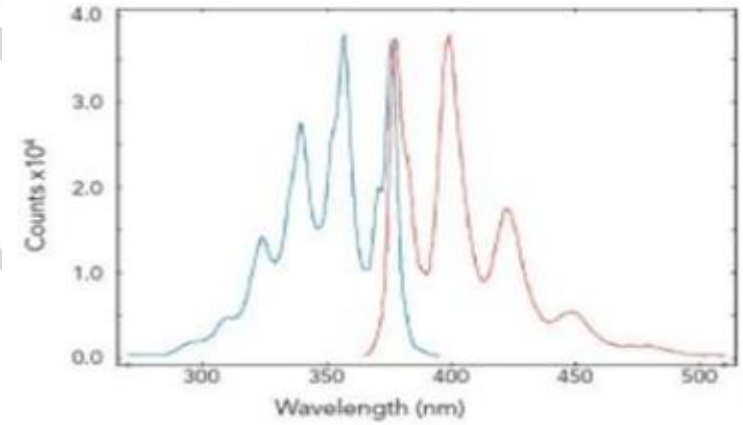

(2-1) كيفية تحديد الأطوال الموجية للإثارة والانبعاث

لكن ندرا ما يكون الاثنان صورة متطابقة عن بعضهما وذلك عادة لأسباب تتعلق بعيوب في تصنيع الجهاز أو وجود شوائب لها خصائص مختلفة عن العينة ، إن تحديد و الطول الموجي المناسب للإثارة والطول الموجي المناسب لقياس شدة الفلورة يعتبر عاملا في غاية الأهمية للحصول على نتائج جيدة ، وللأسف لاتوجد خطوات موحدة ومتفق عليها للحصول على تلك المعلومات التي أعتبرها من أبسط وأسرع الطرق . وتتلخص الطريقة بداية بقياس طيف الامتصاص للمادة التي نرغب في دراستها باستخدام جهاز (scanning UV-Vis spectrophotometer) واعتبار الطول الموجي الأعلى للامتصاص (λ_{max}) هو الطول الموجي اللازم للإثار واستخدامه لضبط (excitation monochromator) بصورة أولية ومن ثم نستخدم ال

emission monochromato لعمل مسح scan ابتداءا من ذلك الطول الموجي ، (10nm) وحتى نهاية منطقة الضوء المرئي وبذلك نحصل على طيف الانبعاث ومنه نحدد قيمة الطول الموجي الذي يعطي أعلى انبعاث I_{em} بعد ذلك نضبط

excitation monochromator على على الطول الموجي الذي تم تحديده من الخطوة السابقة ثم نقوم بعمل مسح scan باستخدام ال excitation monochromator ابتداء من بداية منطقة الأشعة فوق البنفسجية ووصولا إلى ذلك الطول الموجي (λ_{em}) مطروحا منه 10nm وبذلك نحصل على طيف الإثار ومنه نحدد قيمة الطول الموجي الذي يعطي أعلى إثار (Ie) وبهذه الطريقة نحصل على كلا الطولين الموجيين اللازمين للمباشرة بالعمل.

9-1 : مطياف التفلور

هذا المطياف يحلل الاستضواء الناتج عن العينة عند امتصاصها قدر من الطاقة ، ثم تعيد بثه مرة أخرى ، و يطلق على مطياف الوميض أسماء عديدة منها :-

Fluorescence spectrometer OR Spectrofluorimeter كما في الشكل التالي

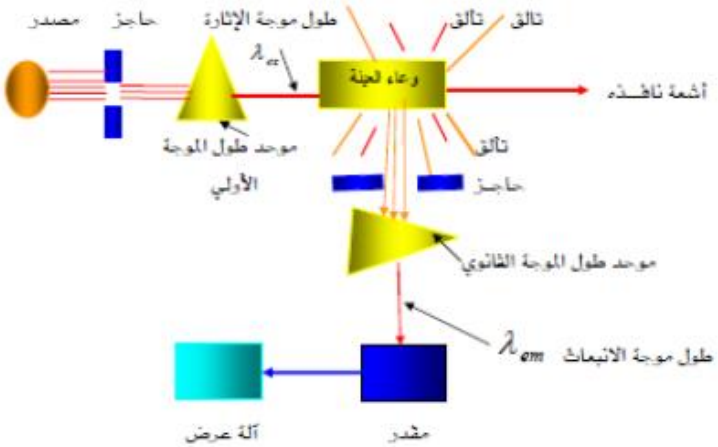

وفي هذا المطياف يتم استخدام حزمة من الضوء - عادة ما تكون في نطاق الأشعة فوق البنفسجية – تمر هذه الحزمة على العينة ، فيحدث امتصاص absorption لهذا الطيف مما يترتب عليه حدوث اثارة للإلكترونات excitationفي جزيئات المركب نتيجة الطاقة الممتصة ثم تعود هذه الإليكترونات الى الحالة المستقرة مرة أخرى state groundوذلك عن طريق اعادة بث أو انبعاث الطاقة الممتصة مرة أخرى emissionفي صورة وميض fluorescence ولكن الطاقة المنبعثة تكون أقل من الطاقة الممتصة وكذلك يكون طول موجة الطيف المنبعث أكبر من طول موجة الطيف الممتص ، فبينما يكون الطيف الممتص في نطاق الأشعة فوق البنفسجية نجد أن الطيف المنبعث قد يصل الى نطاق الطيف المرئي والذي يتم كشفه بواسطة كشاف الوميض

مكونات مطياف الوميض: يتكون مطياف الوميض من الوحدات التالية:

١ مصدر للطاقة Energy Source
٢. موحد موجات الاثاره Excitation monochromator
خلية العينة Sample cell
٤. موحد موجات الانبعاث Emission monochromator
5. الكاشف Detector
٦. المسجل Recorder

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN–2536–0027

10-1: تطبيقات الفلورة

هناك العديد من التطبيقات التي تعتمد على قياس الفلورة ومنها ما هو مباشر كقياس شدة الفلورة حيث يتناسب التركيز مع شدة الفلورة ومنها أيضا تقدير التراكيز بشكل غير مباشر ، حيث تتفاعل بعض العناصر مع بعض ال ligands المختلفة لتعطي مركبات تنبعث منها الفلورة بكفاءة وبالتالي فإن شدة الفلورة تتناسب مع تركيزات العناصر المعنية . فعلى سبيل المثال يتفاعل الألمنيوم مع ال hydroxyquinolione-8 ليعطي مركبا تنبعث منه الفلورة بكفاءة وكذلك الزنك مع مركب ال benzoin ليعطي أيضاً مركباً متفلورا بشكل فعال يسمح بقياس تركيز الأيون كما يمكن استخدام خاصية تقليل الفلورة لتعيين بعض المواد quenching (fluorescence) فمثال من المعروف ان الفلورة تقل في وجود الأكسجين والذرات الثقيلة مثل اليود والبروم ، ومن الممكن استخدام النقص في شدة الفلورة لتقدير تركيزات تلك المواد كما توجد العديد من التطبيقات البيولوجية والطبية للفلورة حيث أمكن الاستدلال على سرطان الجلد باستخدام الفلورة الناتجة عن استخدم ام الليزر) حيث تتركز بعض المركبات المتفلورة في الخلايا السرطانية كما أمكن استخدام الفلورة لتحديد حجم الجزيئات البيولوجية ، وكذلك التداخل فيما بينها وأمكن كذلك دراسة الأنواع المختلفة من البكتيريا عن طريق دراسة أطياف الوميض المنبعث منها أضيف الى ذلك استخدام هذه التقنية في التمييز بين الفطريات وتحديد سلالتها . وتشير الدراسات إلى أن الفلورة قد تكون أداة تشخيصية جديدة للكشف عن الفيروسات والعدوى الفيروسية اضافة الى استخدام الفلورة لتشخيص لأجسام المضادة والانتجينات والتداخلات فيما بينها.

2-1: طيف الفلورة المحتث بالليزر

هو أنبعاث (تلقائي) من الذرات أو الجزيئات التي تم تحفيزها بواسطة الأشعاع (الليزر) . شوهدت ظاهرة (LIF) و مناقشتها في عام 1905 من قبل R.W.Wood [9] قبل عدة عقود من أختراع الليزر المخطط في الشكل (2-2) يوضح العملية.

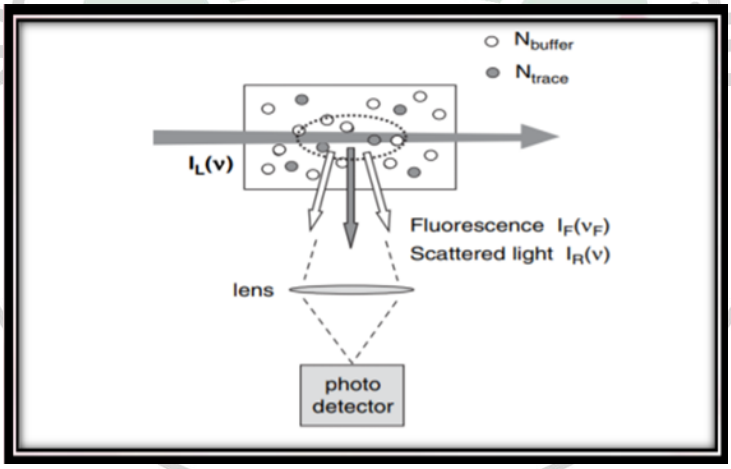

الشكل (2-1) : مبدأ انبعاث الفلورة من جزيئات في خليط الغاز بعد امتصاص ضوء الليزر [13]

أذا امتص جسيم ما فوتونا من حزمة الليزر سوف ينتقل الجسيم الى مستوى طاقة متهيج مثل هذه الحالة غير مستقرة و ستتحلل تلقائيا وتصدر فوتونا مرة أخرى بعد أنتهاء العمر الزمني للمستويات المتهيجة فأن الالكترونات سوف تعود الى مستويات الطاقة السفلى بأتجاهات عشوائية . ويجب أن تكون الزاوية بين مصدر الليزر والكاشف 90° [10].

يتم قياس الامتصاصية عن طريق الاشعة النافذة من المادة والمشكلة الرئيسية هي في الشدة الضعيفة لأنه يجب توفر كاشف حساسيته عالية جدا لكشف مقدار شعاع الليزر النافذ من العينة [11].
عند استخدام تقنية LIF يحدث نوعين من الانتقالات الاشعاعية الاولى هي الامتصاص والثانية هي أنبعاث فوتون (فلورة).
من العوامل التى تؤثر على طيف الفلورة الناتج بالاضافة الى التركيز هو الكبح وزاوية السقوط والنفاذية.
يمكن وصف الأنبعاث الطيفي للفلورة المقدم كميا بشرط معرفة أو تقدير المعلمات الطيفية والتجريبية التي تؤثر عليه [12].

2-2: مبادئ طيف الفلورة المحتث بالليزر

لدراسة مبدأ عمل (LIF) تم اختيار مستويين للطاقة كما موضح بالشكل (2-2) . إذا كان الجسيم محفز بواسطة مصدر الليزر الجسيم سوف يمتص طاقة الفوتون hv_{12} مما يؤدي الى رفع الجسيم الى الحالة المتهيجة. سوف يحدث كل من الانبعاث التلقائي والمحفز وتكون محددة بالانحلالات الزمنية للمستويات المتهيجة، حيث ان العلاقة النسبية بينهما تحدد بشدة أشعة الليزر [10].

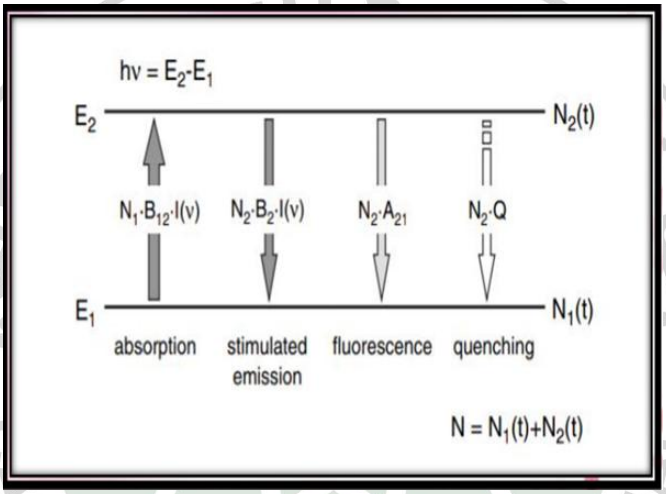

الشكل (2-2) : العمليات الإشعاعية و غير الإشعاعية في نظام ثنائي المستويات[10].

كما هو موضح في الشكل (2-2) . ان عملية الانبعاث المحفز تعتبر خسارة على منظومة (LIF) لان اتجاه انتقال الفوتونات بنفس اتجاه حزمة الليزر الساقطة وتسبب في كبح الفلورة للمستويات المتهيجة ويمكن التخلص من الكبح او التقليل منه في حالة التفريغ العالية . حيث ان الزمن بين التصادمات اطول من العمر الزمني الاشعاعي.[13]
تحدث عملية الاستطارة للضوء الساقط عندما يكون الطول الموجي مقارب لحجم الجسيمة ويمكن التمييز بين الضوء المستطار وعملية الفلورة . اذ ان عملية الاستطارة تحدث أنيا بينما عملية الفلورة تعتمد على العمر الزمني للمستوي المتهيج العلوي . عند حدوث التفاعل الكيمياوي للغازات المستويات الالكترونية تنشطر الى مستويات ثانوية هي مستويات اهتزازية ودورانية وتحدد بالاعداد الكمية الاهتزازية (Vi=(i=0,1,2….) والاعداد الكمية الدورانية ji(i=0,1,2,…..) على التوالي [13]

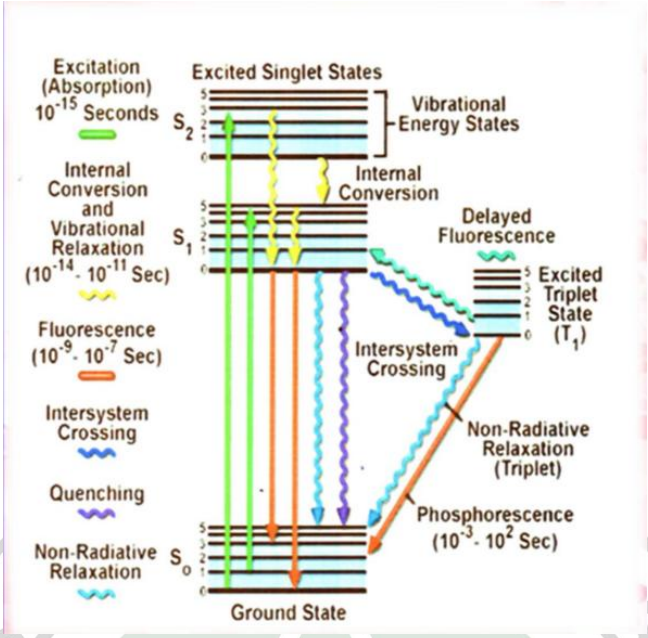

في الشكل (2-3) نلاحظ ان حدوث عملية الامتصاص من المستوي السفلي الى المستوي المتهيج الأول وبعد انتهاء العمر الزمني تحدث عملية الفلورة الى المستويات السفلى عن طريق الانتقالات المسموح بها. ويمكن ان يكون الانتقال غير مشع (non radiative) حيث يتم تحويل الطاقة الى مستويات متهيجة فرعية ضمن المستوي المتهيج [13].

٢-٣ الفلورة بالحث بالليزر

هي طريقة طيفية يتم فيها تهيج ذرة أو جزيء إلى مستوى طاقة أعلى بامتصاص ضوء الليزر متبوعا بانبعاث تلقائي للضوء. [14] تم الكشف عنها لأول مرة بواسطة Zare وزملاء العمل في عام ١٩٦٨ والفلورة المستحثة بالليزر هي وسيلة تحليلية مطيافية تعتمد على إثارة ذرة أو جزيء إلى مستوى طاقي أعلى نتيجة امتصاص الليزر؛ ثم بحدوث انبعاث تلقائي للطاقة على هيئة فلورية.[15]

٢-٤ تطبيقات الفلورة بالحث بالليزر

يستخدم LIF لدراسة بنية الجزيئات ، والكشف عن الأنواع الانتقائية وتصور التدفق والقياسات وغالبًا ما يتم اختيار الطول الموجي ليكون هو الذي يكون فيه النوع الأكبر في المقطع العرضي. سوف تقوم الأنواع المتهيجة بعد مرور بعض الوقت عادة بحدود اقل من النانوثانية إلى المايكرو الثانية ، بتوقف التهيج وانبعاث ضوء بطول موجة أطول من طول موجة الإثارة. يتم تسجيل ضوء الفلورة هذا عادةً باستخدام أنبوب المضاعف الضوئي (PMT) أو الثنائيات الضوئية المفلترة [16].

المصادر

1. L. Pavia, M.Lampman, S. Kriz, "Introduction to Spectroscopy"Department of Chemistry, Western Washington University, Bellingham, Washington, 2001.

2. Krolenko S. A., Adamyan S. Y., Belyaeva T. N., Mozhenok TP.,"Acridine orange accumulation in acid organelles of normal and vacuolated frog skeletal muscle fibres", Journal: Cell BiolInt, 2006.
3. Musso H.,"Orcein and litmus pigments: constitutional elucidation and constitutional proof by synthesis", PlantaMedica, Vol. 8, p. 431-446., 1960.
4. R. Sastre et al.," Laser performance of Coumarin 540A dye molecules in polymeric host media with different viscosities: From liquid solution to solid polymer matrix ", J. Appl. Phys., Vol.83, No.2, pp.650-660, 1998.
5. Nadia Hussein Sahib," Spectroscopic Study for Some Organic Dyes", A Thesis, Al-Mustansiriya University, College of Sciences, 2005.
6. RaidaJburHamood Al-Hamadani," Spectroscopy Study and Manfacturing of An Active Polymeric Laser Medium", A Thesis, University of Baghdad, College of Science for Women, 2006.
7. Parker, C.A., "Photo Luminescence of Solutions". Elsevier and Leishing Compa- ny, vol. 15, 1961.
8. J. A. Baritrop and J. D. Coyle, "Excited States in Organic Chemistry", John Wiley and Sons, London. New York. Sydney. Toronto, 1975.
9. Wood,R.w,phil,mag,vol. 10, NO.513,1905.
10. John W. Daily, "Laserinduced fluorescence spectroscopyinflames", Pergamon, Vol. 23, pp. 133-199, 1997.
11. Ramez E. N. Shehada, Vasilis Z. Marmarelis, Warren S. Grundfest, "METHOD AND DEVICES FOR LASER induced fluorescence attenuation spectroscopy", Vol. 6, pp. 124- 597,2000.
12. David R.Ceosley, Gregory P.smith, "Laser induced fluorescence spectroscopy for combustion diagnostics ",Vol.22, NO.5, PP. 545-553,1983.
13. Laser chemistry :spectroscopy, dynamics and Applications, Helmut H.Telle, Angel Gonzalez Ueena & Robet].Donovan.
14. Kinsey, JL, "Laser-Induced Fluorescence", Annual Review of Physical-Chemistry. Vol.28, No. (1),pp.(349,372), 1977.
15. Tango, William J, "Spectroscopy of K2 Using Laser-Induced Fluores-cence", The.Journal.of.Chemical.Physics, vol.49, no.(10), pp.42644268. 1968 .
16. Zare, R. N, "My Life with LIF: A Personal Account of Developing Laser-Induced Fluorescence". Annual Review of Analytical Chemistry, Vol. 5,pp. (1-14), 2012.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

شكاوى أهالي ولاية الإحساء ضد تجاوز الولاة والإداريين العثمانيين (دراسة من خلال الوثائق العثمانية في البلاد العربية للفترة: 957-972هـ/ 1550-1565م)

الدكتورة / رابعة مزهر شاكر
كلية القانون/ جامعة الفراهيدي
dr.rabeashaker@uoalfarahidi.edu.iq

الملخص

كشفت وثائق الأرشيف العثماني لا سيما الأوامر والأحكام السلطانية الصادرة من الديوان الهمايوني إلى مختلف الولايات العربية العثمانية، معلومات قيمة تتعلق بإدارة الدولة العثمانية مع البلدان التي انطوت تحت سيطرتها والتي أطلق عليها في تلك الفترة باسم الإيالات (الولايات) العثمانية.

ونظراً لأهمية تلك الوثائق، جاءت هذه الدراسة في تحليل المعلومات الواردة في الوثائق المتعلقة في ولاية الإحساء حصراً، والتي جاء معظمها في سنجق (لواء): الحسا (الإحساء)، القطيف، العيون، العقير. وجميع هذه الالوية تقع اليوم ضمن حدود المملكة العربية السعودية.

ومن خلال هذه الوثائق تمكنت من معرفة بعض جوانب الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها ولاية الإحساء في أواسط القرن 10هـ/ 16م، وهي فترة امتداد الحكم العثماني على المنطقة، فقد كشفت عن مدى معاناة الرعايا من الظلم الذي تعرضوا له من قبل الإداريين والمسؤولين العثمانيين من حيث اغتصاب الأراضي والأموال والموارد الغذائية والملبوسات مع تعسف جباة الضرائب، ولم يقف تجاوز الإداريين عند هذا الحد؛ بل جاء على الدولة نفسها من خلال اختلاس أموال خزينة ولاية الإحساء والوقوف مع الأمراء الثائرين ضد الدولة العثمانية وصولاً إلى قيام حملة عسكرية على البلدان المجاورة دون أخذ أذن مسبق من الدولة، مما أثر سلباً على الناحية الأمنية والاجتماعية والاقتصادية في المنطقة، وبالمحصلة وقع جميع ذلك على عاتق رعايا الإحساء الذين لم يقف أمامهم إلا رفع أصواتهم للاستغاثة مستنفرين من ظلم الإداريين العثمانيين لما ألحقوا بهم من تشرد في البلدان المجاورة والمعاناة من البؤس والفقر على الرغم من ثراء المنطقة اقتصادياً لا سيما من الناحية الزراعية والتجارية.

كما أبرزت الوثائق موقف الدولة العثمانية والمتمثل بالأحكام الصادرة من الديوان الهمايوني إزاء هذه التجاوزات التي نمت في مجملها عن ضعف الجهاز الإداري للدولة، محاولة بذلك فرض الأمن والاستقرار لجميع أرجاء ولاياتها.

ـ المقدمة:

جمع الأرشيف العثماني في اسطنبول العديد من الوثائق المتعلقة بتاريخ البلاد العربية، وقد جذبت تلك الوثائق الباحثين والدارسين لاسيما المهتمين بتاريخ بلدانهم في فترة الحكم العثماني، لما تحتويه من

معلومات قيمة تتعلق بإدارة الدولة العثمانية مع البلدان التي انطوت تحت سيطرتها والتي أطلق عليها في تلك الفترة باسم الإيالات (الولايات) العثمانية.

كما كشفت وثائق الأرشيف العثماني عن سياسة الدولة الإدارية في كل ولاية، والتي أمكن الاستنتاج من خلالها الكثير من المعلومات التي تفيد في معرفة الأوضاع الإدارية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تمر بها لا سيما الولايات العربية العثمانية آنذاك.

وقد جاءت هذه الوثائق والتي تعد بالملايين[1]، والمكتوبة باللغة العثمانية ـ لغة الدولة الرسمية – اللغة العثمانية – لم يكن من اليسير عملية البحث والعثور على الوثائق المتعلقة بالبلاد العربية بين هذا الكم الهائل من الوثائق، إضافة الى صعوبة الاطلاع على هذه الوثائق من قب اللذين لا يتقنون اللغة العثمانية.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات قدم العديد من الباحثين خدمة للعلم باستخراج البعض من هذه الوثائق ومن ثم ترجمتها ووضعها بين أيدي الباحثين والدارسين للإفادة منها، ومن أبرز هؤلاء: كتاب "من وثائق الإحساء في الأرشيف العثماني 1288-1331هـ/ 1871-1913م" لسهيل صابان، وكتاب "بلاد الشام في الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة 951-979هـ/ 1544-1572م" لفاضل بيات، وكتابه الآخر "البلاد العربية في الوثائق العثمانية"، وهو محور هذه الدراسة، ترجم فيه البيات لعدد كبير من وثائق الأرشيف العثماني منذ النصف الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حتى أواخر عهد السلطان سليمان القانوني (ت 974هـ/1566م) [2]، وقدمه في ثلاث مجلدات ضخمة، جمع فيه الأوامر والأحكام السلطانية الصادرة من الديوان الهمايوني إلى مختلف الولايات العربية العثمانية.

ونظراً لأهمية تلك الوثائق، جاءت هذه الدراسة في تحليل المعلومات الواردة في الوثائق المتعلقة بتجاوز الإداريين والمسؤولين العثمانيين على الدولة والرعايا، وفي ولاية الإحساء حصراً، والتي جاء معظمها في سنجق (لواء): الحسا (الإحساء)، القطيف، العيون، العقير. وهي جميع هذه الالوية تقع اليوم ضمن حدود المملكة العربية السعودية.

ومن خلال هذه الوثائق تمكنت من معرفة بعض جوانب الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها ولاية الإحساء في أواسط القرن 10هـ/ 16م، وهي فترة امتداد الحكم العثماني على المنطقة، ولا يخفى على الباحثين أنها فترة حرجة لم تمدنا المصادر المعاصرة لها إلا بمعلومات شحيحة جداً عنها، هذا بالإضافة إلى أنها بعيدة عن أهواء المؤرخين، فقد كشفت عن مدى معاناة الرعايا من الظلم الذي تعرضوا له من قبل الإداريين والمسؤولين العثمانيين من حيث اغتصاب الأراضي والأموال والموارد الغذائية والملبوسات مع تعسف جباة الضرائب، ولم يقف تجاوز الإداريين عند هذا الحد؛ بل جاء على الدولة نفسها من خلال اختلاس أموال خزينة ولاية الإحساء والوقوف مع الأمراء الثائرين ضد الدولة العثمانية وصولاً إلى قيام حملة عسكرية على البلدان المجاورة دون أخذ أذن مسبق من الدولة، مما أثر سلباً على الناحية الأمنية والاجتماعية والاقتصادية في المنطقة، وبالمحصلة وقع جميع ذلك على عاتق رعايا الإحساء الذين لم يقف أمامهم إلا رفع أصواتهم للاستغاثة مستنفرين من ظلم الإداريين العثمانيين لما ألحقوا بهم من تشرد في البلدان المجاورة والمعاناة من البؤس والفقر على الرغم من ثراء المنطقة اقتصادياً لا سيما من الناحية الزراعية والتجارية.

كما أبرزت الوثائق موقف الدولة العثمانية والمتمثل بالأحكام الصادرة من الديوان الهمايوني إزاء هذه التجاوزات التي نمت في مجملها عن ضعف الجهاز الإداري للدولة، وإن جاءت أغلب الأحكام لصالح الرعايا، محاولة بذلك فرض الأمن والاستقرار لجميع أرجاء ولاياتها، ومع هذه المحاولات يبقى السؤال:

هل بالفعل طبقت الأحكام التي جاءت لصالح الرعايا في ظل تواجد إداريين تجاوزوا على الدولة والرعايا معاً؟ وهو ما تجيب عليه هذه الدراسة، ثم انتهت بخاتمة لأبرز النتائج التي توصلت إليها.

ـ ولاية الإحساء: الموقع، الأهمية، التقسيمات والتشكيلات الإدارية في منتصف القرن 10هـ/16م:

بدأت أشرعة السفن العثمانية تظهر بصورة تدريجية في مياه المحيط الهندي مع بداية القرن 10هـ/ 16م، وما أن حل منتصف القرن حتى أصبح لهم وجود ومركز فيه، لاسيما بعد سيطرتهم على البصرة سنة 953هـ/ 1546م، ومنها توجهت القوات العثمانية إلى الإحساء لتدخل هي الأخرى تحت سيطرتها سنة 954هـ/ 1547م، وبذلك أصبحت الإحساء لواء تابع لولاية البصرة، وأول خط دفاع ضد هجمات البرتغاليين حيث مركزهم في خليج هرمز، إضافة إلى نقطة انطلاق رئيسة للسيطرة على القطيف والبحرين لاحقاً، وبعد مرور ثلاث سنوات تم طرد البرتغاليين من القطيف والسيطرة عليها سنة 957هـ/ 1550م، لتصبح هي الأخرى لواء تابع لولاية البصرة[3]، ثم شهدت المنطقة تطورات سياسية وإدارية أدت إلى إعلان كامل منطقة الإحساء بما فيها لواء القطيف ولاية عثمانية مستقلة بذاتها سنة 961هـ/ 1554م[4].

أما حدود ولاية الإحساء، فقد شكلت كمصطلح إداري كافة الأراضي الواقعة على الجهة الغربية من الخليج العربي، والممتد من ولاية البصرة في الشمال إلى جهة الجنوب من خور العديد[5]، وتشمل المنطقة في الوقت الحالي أراضي واسعة من الكويت وشرقي المملكة العربية السعودية وقطر وأجزاء من الإمارات العربية المتحدة، مما يلاحظ أن الحدود الإدارية لولاية الإحساء تتوافق تقريباً مع التحديد الجغرافي لإقليم الإحساء والذي يمتد ما بين صحراء الدهناء في الغرب، والخليج العربي في الشرق، ومن البصرة في الشمال إلى الربع الخالي في الجنوب، ويضيق ذلك الإقليم عند اقتراب قاع قوس الدهناء من الخليج العربي مقابل ميناء العقير، ويزداد اتساع الإقليم شمالاً عند انحراف الدهناء تجاه الغرب، وكذلك في الجنوب حيث ينتهي امتداد الدهناء في صحراء الربع الخالي[6].

ولهذا الموقع أهمية إستراتيجية، فقد شكل إقليم الإحساء جزءاً هاماً من أراضي الجزيرة العربية وذلك لخصبة أراضيه ووفرة مياهه، بالإضافة إلى كونه ملتقى الطرق التجارية الهامة التي كانت تربط الجزيرة العربية بفارس والهند، وبلدان شرق أفريقيا، وبعبارة أخرى، كانت الإحساء أحد نوافذ الجزيرة العربية على مياه الخليج العربي، وكانت موانئها كالقطيف والعقير من أهم موانئ شرق الجزيرة العربية.

أما ثرواتها فمتعددة وأهمها الثروة النباتية التي تعتمد على خصب التربة ووفرة المياه، حيث تشتهر الإحساء بزراعة أشجار النخيل، وتمرها هو المحصول الرئيسي فيها، إضافة إلى الحبوب (الحنطة والشعير)، وعدد من أنواع الفواكهه، كما تشتهر بالثروة الحيوانية، من خيول عربية أصيلة والإبل والأبقار والأغنام، ومن أشهر ثرواتها الطبيعية اللؤلؤ، فقد كان صيده يجلب فوائد جمة[7].

أما التنظيم الإداري للولاية، فقد شكلت الولاية أوسع الوحدات في التقسيمات الإدارية، ثم يأتي بعدها السنجق (اللواء)، ثم قضاء، ثم ناحية، ثم قرية[8]، وقد ضمت ولاية الإحساء عدة ألوية اختلف عددها من فترة لأخرى، حيث لم تبق تقسيمات الألوية العثمانية على حالها دائماً؛ إذ كان يجري تغييرها من حين لأخر لدرجة يصعب متابعتها[9]، فقد ورد سنة 987هـ/ 1580م أن عدد الألوية في ولاية الإحساء (12) لواء[10]، ومع نهاية القرن 10هـ/ 16م، بلغ عددها (16) لواء وهي: لواء الحسا (الإحساء)، وهو مركز الولاية ومقر الحكومة المحلية في مدينة الهفوف، وفيها القلعة الرئيسة التي يقيم فيها البكلبركي؛ ولواء القطيف، وهو ثاني لواء بعد لواء الإحساء في الولاية من حيث المساحة والأهمية السكانية والاقتصادية، ويعتبر ميناء القطيف من أهم المراكز السكانية والتجارية[11]، حيث أهاليها أغنياء جداً بسبب قرب مغامس

اللؤلؤ، إضافة إلى قربها وتوسطها في البحر بين البنادر الأخرى التي على ساحله، ويجتمع فيها أيام الغوص كبار تجار اللؤلؤ من الإحساء والبحرين وغيرهما[12]، فقد كانت تجارته رابحة خاصة عندما كان تجار الإقليم يقومون بتبادله مع البضائع الأجنبية الأخرى[13]؛ ولواء العيون، وهو ذات قدر من الأهمية والإمكانات الزراعية، وذلك لوفرة المياه وخصوبة التربة فيه، فقد كان اللواء ينتج قدراً كبيراً من المحاصيل الزراعية؛ لواء العقير، وهو مهم من الناحية البحرية أيضاً، إذ يعتبر ميناء العقير من أهم موانئ الولاية، حيث يتم فيه استقبال الحجاج القادمين من الهند وكافة المناطق الواقعة إلى الجنوب الشرقي للخليج العربي، إضافة إلى دوره التجاري الفاعل في حركة الاستيراد والتصدير.

وهذه الألوية الأربعة، هي من أهم وأبرز ما تطرقت إليه في هذه الدراسة، أما الألوية الباقية، فهي: لواء المبرز، لواء التهمية (التيمية)، لواء صفوى، لواء الظهران، لواء الحبشة، لواء الجوف، لواء جبرين (يبرين)، لواء البادية، لواء غريب، لواء الجفر، لواء نخيلين ولواء رحيمة[14]، وجميعها لا تقل أهمية عن الأخرى من حيث المساحة والكثافة السكانية، إضافة إلى الأهمية الاقتصادية والتجارية.

أما التشكيلات الإدارية لتسيير أمور الولاية، فقد كان أعضاء هيئة ديوان الولاية من أبرز الإداريين فيها، وهو صورة مصغرة عن الديوان الهمايوني في اسطنبول، المجلس المخول لحكم الدولة العثمانية، أما رأس الحكم في الولاية هو البكلربكي، ويعني: أمير الأمراء (حاكم الولاية)، صاحب الصلاحيات الإدارية والعسكرية معاً، ومقر عمله في ديوان الولاية، حيث تتم فيه مناقشة جميع المسائل والشؤون المتعلقة بالولاية، منها التي تعرض على الديوان الهمايوني لاستصدار قرار بشأنها، ومنها القرارات التي يبلغ فيها الأهالي، كما كان الديوان مفتوحاً لشكاوي الأهالي وطلباتهم، وكانت مشاكل التيمارات وشؤونها تتصدر موضوعات الشكاوي.

أما أبرز مهام البكلربكي، فهي حماية الرعايا، وتحقيق النظام بين الجنود، والقضاء على الظلم فإذا تعرض شخص أو عدة أشخاص من أهل الولاية لظلم أو جور توجهوا بأنفسهم إلى البكلربكي أو ديوان الولاية لتقديم شكواهم، وتتم محاكمة الأطراف المعنية في ديوان الولاية، وهو ما سيلاحظه القارئ في ثنايا هذه الدراسة، ومن مهامه أيضاً توزيع التيمارات على مستحقيها وتعيين الموظفين، أما عملية توفير الأمن والاستعداد للحرب فقد كانت من مهامه الأساسية.

وفي حالة تجاوز البكلربكي لحدود صلاحيات عمله سواء كان تجاوزاً على الدولة أو الرعايا، وهو ما كشفت عنه بعض وثائق الأرشيف العثماني في ثنايا هذه الدراسة، فيمكن للقاضي والمفتي والعلماء تقديم شكواهم ضده إلى السلطنة أو الديوان الهمايوني مباشرة، ليتم عزله أو معاقبته أو مصادرة أمواله، الأمر الذي يفرض على البكلربكي أن يتصرف بعدل وإنصاف، ومع كل ذلك، كان البكلربكي أعلى سلطة من جميع هؤلاء من حيث الدرجة والترتيب الوظيفي[15]، ومن البكلربكيين الذين تعاقبوا على حكم ولاية الإحساء في فترة الدراسة (957-972هـ/ 1550-1565م)[16]:

- محمد باشا: كان أميراً على لواء الإحساء سنة 957هـ/ 1550م، وعندما تم إعلان الإحساء ولاية أصبح بكلربياً، حكم للفترة (961-963هـ/ 1554-1556م).
- مصطفى باشا (الأول)، حكم للفترة (963-965هـ/ 1556-1558م).
- مصطفى باشا (الثاني)، حكم للفترة 965-966هـ/ 1558-1559م[17].
- عثمان بكى (تكليف مؤقت)، حكم للفترة (966-967هـ/ 1559م).
- مراد باشا، حكم للفترة (966-698هـ/ 1559-1560م).
- علي باشا، حكم للفترة (968هـ/ 1560م).

- غضنفر باشا، حكم للفترة (971-972هـ/ 1654-1565م).

كما ضم ديوان الولاية تحت رئاسة البكلبركي، كل من دفتردار الخزانة (أمين الأمناء)، وهو المسؤول عن الشؤون المالية؛ ودفتردار التيمار، وهو المسؤول عن أمور التيمارات في الولاية، والقاضي الذي ينظر في شؤون الشرع والقانون؛ والجاويشية، المسؤولين عن حراسة الولاية، إضافة إلى الكتبة، والمحضرين، والمترجمين الذين يترجمون طلبات وشكاوي الأهالي للديوان، ثم ترجمة قرارات الديوان للأهالي.

أما الإداريين والمسؤولين من خارج أعضاء هيئة ديوان الولاية، فيمكن الإشارة إلى أبرز ما تطرقت إليه في هذه الدراسة، ومنهم أمير اللواء، وهو المسؤول الأول عن إدارة لواءه؛ والمتسلم، وهو نائب البكلبركي أو نائب أمير اللواء؛ والصوباشي (مدير الشرطة)، وهو المسؤول الأول عن الأمن في الولاية، والمحصل، المسؤول عن جمع الضرائب؛ ومحافظ القلعة، المسؤول عن حراسة القلاع؛ وإلى جانب هؤلاء كان هناك عدد من التشكيلات العسكرية العاملة في الولاية، ومنهم الإنكشارية (قابى قولرى)، وهم من قوات المشاة، والسباهية، وهم أصحاب التيمارات المسؤولين عن فلاحة الأراضي الزراعية، وجمع الضرائب؛ وقوات المتطوعة (كوكللولرى)؛ وقوات المتفرقة، وهم المسؤولين عن حراسة البكلبركي والاهتمام بشؤون ديوان الولاية، وجميع هذه التشكيلات كان يرأسها آغاوات (قادة العسكر)، مثل آغا الإنكشارية، آغالق كوكللو وغيرهم[18].

- تجاوز الولاة والإداريين العثمانيين في ولاية الإحساء:

لقد أكدت كتب الحكم والسياسة على أن بقاء الدولة لا يتحقق إلا بالعدل مع الرعايا[19]، ومن هنا نجد أن الدولة العثمانية سعت إلى تطبيق فريضتين أساسيتين هما: إحقاق الحق للعباد بإجراء العدل، وحماية حدودها من الخطر الخارجي[20].

وقد شهدت الدولة العثمانية منذ نشأتها إلى منتصف القرن 10هـ/ 16م، تطوراً كبيراً لا سيما في الجهاز الإداري والقضائي، بالإضافة إلى أنها وصلت إلى أوج اتساع لها في عصر السلطان سليمان القانوني، ومما لا شك فيه أن هذا التطور صاحبه عدد من العوامل التي أضعفتها، فقد أجمع المؤرخون على أن ضعف المؤسسات العثمانية وتدهور تشكيلاتها الأساسية بدأ يظهر منذ النصف الثاني من القرن 10هـ/ 16م وذلك من خلال إرسال الفرمانات (الأوامر والأحكام السلطانية)، إلى المسؤولين بلغة متزنة لافتة أنظارهم إلى هذا الضعف والتهاون في تطبيق القوانين، آمرة إياهم بالتمسك بالقانون، والواقع أن هذه الفرمانات ما هي إلا أمور جرى التثبت منها اعتماداً على الآراء والشكاوى القادمة من جهات متعددة، ثم صيغت في شكل فرمانات وأوامر[21].

وتأتي هذه الدراسة كنموذج للاطلاع والتعرف على الفرمانات المرسلة إلى بكلبركي الإحساء (حاكم الولاية)، وتحديداً الأوامر والأحكام المتعلقة بتجاوز الإداريين والمسؤولين العثمانيين فيها، كما أشرت سابقاً.

تعرض رعايا ولاية الإحساء إلى تجاوز الإداريين والمسؤولين العثمانيين فيها بدءاً من البكلربكى إلى اصغر مسؤول فيها، وقد جاءت أغلب هذه التجاوزات من قبل البكلربكيين حكام الولاية، ومنذ عهد محمد باشا أول بكلربكي تولى حكم ولاية الاحساء، فقد أرسل يبلغ الديوان الهمايوني، أن رعايا الإحساء عند بداية الفتح العثماني لها تركوا أراضيهم وبساتينهم وكرومهم. ثم جاء الرد من الديوان الهمايوني، يقضي ببيع بساتين الرعايا إلى غيرهم من الرعايا؛ غير أن محمد باشا تجاوز على الحكم الصادر من الديوان الهمايوني بعدم تنفيذه، حيث قام ببيع الأراضي والبساتين إلى جانب اعضاء هيئة ديوان ولاية الإحساء وغيرهم،

والمتمثلين بالإداريين والمسؤولين العثمانيين العاملين في الولاية من الآغاوات والمتفرقة والجاوشية وسائر منتسبي وحدة الإنكشارية في الإحساء، حتى أن محافظ قلعة الإحساء حسين بن عبد الله أخذ من بساتين الرعايا ما يقارب ثلاثمائة بستان وكرم بسعر ثلاثمائة ألف أقجة[22]، وقياساً مع مرتبه اليومي الذي كان يتقاضاه (أربعون أقجة) ما يعادل 1200 أقجة شهرياً، يلاحظ أنه اشترى البساتين والكرم بأقل الأثمان، هذا وقد استغل هذه الأراضي لمدة سبع إلى ثمان سنوات، على الرغم من أن الرعايا حاولوا جاهدين استعادة أراضيهم بعد عودتهم إلى أماكنهم إلا أنها لم تعاد لهم، مما أجبرهم على معاودة ترك ديارهم متشردين في المناطق المجاورة من البصرة والبحرين ونجد وهرمز وعُمان.

وكما يلاحظ أن معاناة الرعايا أستمرت الى ما يقارب الثمان سنوات، حتى عهد البكلربكي مراد باشا، حيث عاد الأهالي بمطالبة أراضيهم من محافظ القلعة حسين بن عبد الله، فقام مراد باشا بإجراء مرافعة في ديوان الولاية مع الإداريين والمسؤولين العثمانيون الذين أخذوا أراضي الرعايا، فكان قولهم: أننا أخذنا هذه البساتين من الديوان، وهي ملكنا؛ وإلا فأعيدوا لنا ما دفعناه لأجل ذلك. فرد ديوان الولاية عليهم: أنكم تتصرفون بموارد البساتين المذكورة مدة خمس إلى ست سنوات، وهي لم تملك بأقيامها (سعرها الحقيقي). غير أن هذه المحاولة لم تأت بنتيجة، فعرض مراد باشا جميع ذلك على الديوان الهمايوني، مؤكداً على عدم الحكم لأي من الطرفين، فإذا ما تم الحكم لصالح الرعايا بالقوة قد يؤدي ذلك إلى قيام العسكر من طائفة القول والكونوللية بإثارة الفساد والاضطرابات، مشيراً إلى أن البلاد لا يمكن إعمارها من غير إعادة بساتين الرعايا إلى أصحابها، وفي حالة عدم ذلك يمكن للرعايا المتبقية أن يتشردوا.

أما موقف الديوان الهمايوني، فقد أرسل حكم موجه الى بكلبر كي الإحساء[23] (مراد باشا)، بتاريخ 18 شعبان 967هـ/ 14 أيار 1560م، يقضي بإعادة البساتين والأراضي إلى أصحابها من الرعايا، بعد إعادة ما تم دفعه إلى الإداريين والمسؤولين العثمانيين الذين اشتروا هذه الأراضي، وذلك لعدم وقوع خلاف بين الطرفين قد يؤدي إلى عواقب وخيمة في المنطقة[24].

ومما تقدم يلاحظ أن تجاوز الإداريين والمسؤولين العثمانيين جاء على الدولة والرعايا معاً، وذلك من خلال عدم تنفيذ الأحكام الصادرة من الديوان الهمايوني، مما يشير إلى أن هذه الأحكام لم تكن تنفذ لاسيما التي جاءت لصالح الرعايا في تلك الفترة.

هذا بالإضافة إلى أن رعايا الإحساء تعرضوا للظلم منذ أول بكلبركي عثماني حكم الولاية (محمد باشا) الأمر الذي أثر سلباً على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية مما أدى إلى تشرد الرعايا في المناطق المجاورة مع معاناتهم من الظلم والفقر على الرغم من ثراء المنطقة، ولأكثر من سبع إلى ثمان سنوات حتى تم حسم الأمر في عهد البكلربكي مراد باشا، الذي كشف عن الفساد الإداري في ولاية الإحساء، حيث عرضت أغلب شكاوي الرعايا وأوضاع الولاية على الديوان الهمايوني في عهده، محاولاً اصلاح الاوضاع الامنية والاجتماعية والاقتصادية.

لقد حرصت الدولة العثمانية في الأحكام الموجه إلى ولاتها، بعدم ظلم الرعايا والعمل على حمايتهم، منها الحكم الموجه الى بكلربكي الاحساء (محمد باشا)، يقضي بعدم أخذ أي شيء من الرعايا دون الحقوق الديوانية (الضرائب)؛ غير أن رعايا ولاية الإحساء عانوا من الظلم الكبير لاسيما من البكلربكى المسؤول الأول عن حمايتهم، ليأتي البكلربكي مصطفى باشا (الثاني)، بالاستيلاء على أملاك جمعة بن رحال وبعض أقاربه في لواء القطيف باسم الميري[25]، ولما كان جمعة بن رحال من كبار تجار اللؤلؤ المشهورين، قام بترك البلاد والإقامة في البحرين آخذاً معه سفن صيادي اللؤلؤ التابعة له، فأصبح اللؤلؤ معدوم الوجود في المنطقة، مما أثر سلباً على التجارة البحرية في الإحساء.

وقد استمرت تلك المعاناة لأكثر من سنتين، حتى عرضت على الديوان الهمايوني من قبل البكلربكي مراد باشا، فجاء الرد من الديوان الهمايوني في حكم موجه الى بكلربكي الإحساء (مراد باشا)، بتاريخ 18 شعبان 967هـ/ 14 أيار 1560م، يقضي بإعادة ممتلكات جمعة بن رحال وأقاربه بعد إثبات ملكيتهم لها، وأخذ الخمس من أملاكهم باسم الميري[26]، (الضريبة القانونية).

ومن الجدير بالذكر أن سفن اللؤلؤ التابعة لجمعة بن رحال، لم تكن العامل الوحيد الذي اثر سلباً على التجارة البحرية في المنطقة، بل هناك عوامل أخرى ساعدت على ذلك، كان من أبرزها غارات البرتغاليين الذين يأتون من مراكزهم في خليج هرمز، قاطعين الطرق البحرية لرصد السفن التجارية القادمة إلى ميناء القطيف ومن ثم الاستيلاء عليها، كما أن هجمات العشائر البدوية لاسيما عند حلول وقت المحاصيل الزراعية، أدت إلى انقطاع السفن المتوجهة إلى منطقة الإحساء، مما أثر تأثيراً سلبياً على واردات الخزينة[27]. هذا مع تزامن قيام بكلبركي الإحساء مصطفى باشا (الثاني)، بحملة فاشلة على البحرين سنة 966هـ/ 1559م، وبدون أخذ أذن مسبق من الديوان الهمايوني[28]. مما أدى الى تصاعد الأحداث السياسية في ولاية الإحساء حيث أصبحت منطقة صراع عثماني برتغالي، إضافة إلى هجمات العشائر البدوية، وحركات المقاومة التي بدأت تظهر منذ العقد الأول للحكم العثماني، من قبل زعماء بني خالد بقيادة الأمير سعدون بن حميد[29]، الأمر الذي أدى إلى اضطراب الأحوال الأمنية والاجتماعية والاقتصادية في ولاية الإحساء خلال تلك الفترة.

وفي ظل سوء الأوضاع التي شهدتها ولاية الإحساء لم يكن أمام الدولة العثمانية؛ إلا توفير الأمن وجعل الطرق التجارية سالكة دون عوائق، وبطلب من البكلربكي مراد باشا، قامت الدولة العثمانية بإرسال قوات عسكرية إلى المناطق التي تشهد اضطراباً أمنياً لتأمين مرور القوافل التجارية براً وبحراً عن طريق إرسال سفن حربية من البصرة إلى الموانئ البحرية وبشكل دوري إلى أرجاء الإحساء والقطيف لتفقدها وحماية المنطقة[30]، كما جهزت تلك السفن بمختلف أنواع الأسلحة إلى جانب المقاتلين للحيلولة دون إبقاء المنطقة مجردة من السلاح، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، قامت ببناء قلعة في ميناء العقير قرب الإحساء للحيلولة دون قيام العشائر بالتمرد في المنطقة ومداهمة سفن التجار ونهبها[31].

ولما سعت الدولة العثمانية جاهدة لاسترداد الأمن وإنعاش الناحية الاقتصادية في ولاية الإحساء، نجد أن تجاوز المسؤولين العثمانيين على الرعايا مستمراً مع ازدياد معاناتهم من الظلم لاسيما من جباة الضرائب (السباهية)، فقد استخدمت الدولة العثمانية في ولاية الإحساء نظام السالیانة[32] في تحصيل الموارد المالية للخزينة. وقد التزم طائفة القول (العسكر) لواء القطيف ثلاث سنوات، كل سنة بثلاثة عشر يوك[33] أقجة، ولم يكن هذا الأسلوب مجدياً عند تعرض المنطقة إلى الجفاف والكساد الاقتصادي أو عدم الاستقرار من الناحية الأمنية، وقد سبقت الإشارة إلى أن ولاية الإحساء، ولا سيما لواء القطيف تعرض إلى غارات البرتغاليين وهجمات العشائر البدوية على التجار والمزارعين، مما أدى إلى عدم جني الرعايا أي شيء من الموارد، الأمر الذي أدى إلى عدم تمكن العمال من تحصيل الضرائب من الرعايا، ومن ثم تسليمها إلى الملتزمين الذين عجزوا بدورهم من دفع التزاماتهم لخزينة الدولة مع عدم دفع موجبات (الرواتب) للعسكر إلا شهر أو شهرين، فما كان من عمال الضرائب غير استخدام الضغط والتعسف مع الرعايا في تحصيل الضرائب قسراً، إضافة إلى معاناتهم من ضيق في الموارد المالية، ولم يكن أمام الرعايا، إلا رفع أصواتهم مستغيثين من ذلك الظلم عند بكلر بكي الإحساء (مراد باشا)، وخوفاً من تشرد الرعايا وخراب البلاد خاطب مراد باشا الديوان الهمايوني بذلك.

وقد جاء الرد من الديوان الهمايوني في حكم موجه الى بكلربكي الأحساء(مراد باشا)، بتاريخ 18 شعبان 967هـ/ 1560م، يقضي بإعادة ما قبض من الرعايا إلى أصحابها مع عدم التدخل في شؤون ممن لم يجن شيء من المحصول، مع مطالبتهم بدفع التزاماتهم المالية لخزينة الدولة في حال تمكنهم من ذلك[34].

ولم يتوقف تجاوز المسؤولين العثمانيين على الرعايا عند هذا الحد، بل وصل إلى الإنكشارية (العسكر)، الذين تجاوزوا على الرعايا وآغاواتهم (قوادهم) في الإحساء، وذلك بالتعدي على الرعايا وظلمهم وأخذهم للمواد الغذائية والملبوسات مجاناً دون مقابل على الرغم من استلام مخصصاتهم المالية بالكامل، هذا مع عدم طاعة أو تنفيذ أوامر قوادهم، ويبدو أن هذا التجاوز جاء أولاً من قبل آغا إنكشارية لواء الأحساء، الذي قام بتوزيع موجبات الإنكشارية (رواتب العسكر) في منزله بدلاً من توزيعها في ديوان الإحساء، ولعدم إتباعه القوانين أدى ذلك إلى عدم التحكم والسيطرة على أفراد الإنكشارية التابعين له، ومن ثم تعديهم على الرعايا.

أما موقف الديوان الهمايوني، فقد جاء بالرد على آغا الإنكشارية (علي)، بتاريخ 20 صفر 968هـ/ 10 تشرين الثاني 1560م، وفيه: أن التحكم بطائفة الإنكشارية مسؤولية تقع على عاتقك، فعليك ضبطهم وتنبيه كل واحد منهم بالوجه المناسب، والتأكيد عليهم أن لا يخرج أحد منهم على الرعايا بالتعدي عليهم أو يأخذ مأكولاتهم وملبوساتهم خلافاً للشرع والقانون، وفي حالة عدم طاعة أوامرك عليك إبلاغ بكلربكي الولاية (مراد باشا) ليتم تأديبه، كما يتم توزيع المخصصات المالية بمعرفة مراد باشا على من يستحقها فقط[35].

ومما تقدم يلاحظ أن الديوان الهمايوني سحب بعض صلاحيات الآغا علي، بعدم توزيع المخصصات المالية من قبله؛ بل بمعرفة بكلربكي الولاية (مراد باشا)، هذا مع معاقبة الإنكشارية بقطع المخصصات المالية إلا لمن يستحقها.

وعلى الرغم من مكافحة الدولة للفساد الإداري في ولاية الإحساء؛ إلا أن تفشي الفساد فيها وصل إلى ذروته لاسيما عندما قام البكلربكي مصطفى باشا (الثاني) بحملة فاشلة على البحرين سنة 966هـ/1599م، وبدون أذن مسبق من الديوان الهمايوني – كما أشرت سابقاً - حيث كان تجاوزاً كبيراً منه على الدولة الأمر الذي أدى إلى عزله عن منصبه، ومن ثم وفاته أثر جروح أصابته أثناء حملته الفاشلة[36].

وفي تلك المدة قامت الدولة بتعيين عثمان بك أمير لواء العيون في الإحساء باستلام منصب بكلربكي مؤقت فيها لحين وصول البكلربكي الجديد[37]، وأثناء مدة حكمه المؤقت قام بالتجاوز على الدولة والرعايا معاً، حيث قام باختلاس أموال خزينة ولاية الإحساء، وأظهر خلافاً للحقيقة أن القرى والمزارع ودار الضرب ومعمل الصبغ في الولاية بأنها بلغت حد الإفلاس ولا تدر بأي مورد مالي لخزينة الولاية (أي لا يأخذ منها ضريبة)، وقد اشترك معه كل من أمين أمناء الإحساء (حسين)، وملتزم مقاطعات الإحساء (سليمان).

أما أمير لواء القطيف سلطان علي بك، فقد امتنع عن تسديد المال الميري لخزينة الولاية، وكذلك أمين أمناء القطيف متورط معه في ذلك، كما قام سلطان علي بك بتعيين معظم قادة الجند من العجم مع إلحاق الظلم بالرعايا الفقراء دون تردد أو رحمة، هذا بالإضافة إلى تحالفه مع أمير المقاومة البدوية حميد بن سعدون ضد الدولة العثمانية. وقد كشف عن جميع ذلك البكلربكي مراد باشا وعرضه على الديوان الهمايوني.

أما موقف الديوان الهمايوني فقد أصدر حكم موجه إلى بكلربكي الاحساء (مراد باشا)، بتاريخ 20 صفر 968هـ/ 10 تشرين الثاني 1560م، يقضي بسجن جميع المذكورين مع تسديد ما تم اختلاسه من المال العام، إضافة إلى سجن أمير سنجق القطيف سلطان علي بك في حالة عدم تسديده للمال الميري أو استمرار تحالفه مع أمير المقاومة البدوية حميد بن سعدون. كما أكدت على البكلربكي مراد باشا أن يتدبر أمور

الولاية بتكثير وتوفير المال الميري والعمل على رفاهية وأمان الرعايا والبرايا، وإعمار البلاد، وأن يكون على بصيرة في نظم ونظام البلاد وبالشكل الكامل، وأن يحتاط من إلحاق الأعداء الضرر بالرعايا والنواحي والقرى[38].

ومن جميع ما تقدم يلاحظ أن البكلبركي مراد باشا، منذ أن تسلم منصبه في الولاية، كشف عن الكثير من حالات الفساد الإداري منذ عهد محمد باشا أول بكلبركي في الإحساء حتى فترة حكمه فيها، فقد تمكن من تحسين الأوضاع الأمنية والاقتصادية والاجتماعية، مع التصدي لحركات المقاومة وهجمات العشائر البدوية ببناء قلعة في العقير مع تعزيز المنطقة بالقوات والمعدات العسكرية.

هذا ومع جميع محاولات الدولة بمكافحة الفساد الإداري وإصلاح الاضطرابات الأمنية والاقتصادية والاجتماعية، نجد أن تجاوز الإداريين والمسؤولين العثمانيين بقي مستمراً على الدولة والرعايا معاً، فقد أرسل الديوان الهمايوني حكماً يتعلق بالحكم السابق، موجه إلى بكلبركي الإحساء (فرج باشا)، وبتاريخ 11 شوال 972هـ/ 12 أيار 1565م، يقضي بتقديم تفسير عن سبب إطلاق سراح أمير سنجق العيون عثمان بك من السجن رغم صدور الأمر بعدم إطلاق سراحه إلا بعد استرداد المال الذي اختلسه من مال خزينة ولاية الإحساء، وتجاوزه على أموال وتركات البكلبركي مصطفى باشا بعد وفاته في حملته على البحرين[39].

ويستدل من هذا الحكم أن الإداريين والمسؤولين العثمانيين، لم يلتزموا بالأوامر والأحكام الصادرة من الديوان الهمايون، مما يشير إلى عدم الالتزام بالأحكام الصادرة لصالح الرعايا في ولاية الإحساء، لاسيما في ظل الحكم الجائر الذي تعرضوا له من قبل البكلبركيين (حكام الولاية)، هذا مع عدم وجود معلومات تسعفنا على أن تلك الأحكام طبقت، وأن طبق البعض منها، فما هو المدى أو الكيفية التي طبقت فيها هذه الأحكام؟

وأخيراً يلاحظ أن الدولة العثمانية حاولت جاهدة بالحفاظ على جميع الولايات التابعة لإمبراطوريتها، غير أن ضعف الجهاز الإداري الذي بدأ يظهر منذ منتصف القرن 10هـ/ 16م ساعد على تجاوز الإداريين والمسؤولين العثمانيين على الدولة والرعايا معاً، لاسيما في الولايات البعيدة عن مركز الإمبراطورية.

كما أدت جميع تلك التجاوزات إلى تدهور الأوضاع الأمنية والاقتصادية والاجتماعية في ولاية الإحساء، وبالمحصلة وقع كل ذلك على عاتق الرعايا الذين عانوا بشدة من انتهاك وظلم المسؤولين العثمانيين لهم، فقد تشردوا في مختلف البلاد مع معاناة من البؤس والفقر على الرغم من ثراء المنطقة، ولم يبق أمامهم سوى رفع أصواتهم للاستغاثة من المعاناة التي عاشوا فيها في فترة الحكم العثماني، الأمر الذي أدى إلى ظهور واستمرار حركات المقاومة ضد الدولة، لاسيما مقاومة أمراء آل حميد من بني خالد منذ حميد بن سعدون، والتي استمرت حتى تم طرد العثمانيين من الإحساء في عهد الأمير براك بن غرير آل حميد سنة 1081هـ/ 1670م[40]، لينتهي بذلك الحكم العثماني الأول على الإحساء، ولكن بعد مدة من الزمن استطاع العثمانيون للمرة الثانية من السيطرة على الإحساء سنة 1288هـ/ 1871م[41]، ليبدأ فيها الحكم العثماني الثاني مع إعادة وتكرار المأساة والمعاناة التي عاشها رعايا ولاية الإحساء[42].

الخاتمة:

يمكن استعراض خاتمة الدراسة بأبرز النتائج التي توصلت إليها على النحو الآتي:

1- أن وثائق الأرشيف العثماني أبرزت معلومات قيمة ومهمة جداً عن تاريخ ولاية الإحساء، لاسيما في بداية الحكم العثماني لها، فقد أفادت في معرفة الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية

والاقتصادية في المنطقة، كما كشفت عن أسماء الإداريين والمسؤولين العثمانيين مع أبرز أعلام العرب من أمراء وتجار، إضافة إلى أنها صورت جزءاً مهم من الناحية الاجتماعية والذي تمثل بمعاناة الرعايا من الظلم والفقر والتشرد الذي تعرضوا له من قبل الإداريين والمسؤولين العثمانيين.

2- أن تجاوز الإداريين والمسؤولين العثمانيين بظلم الرعايا، قد صب في جميع أوجه الاستغلال، ومن مختلف الإداريين والمسؤولين بدءاً من البكلبركي الإداري والمسؤول الأول عن أمن وحماية الرعايا حتى أصغر مسؤول عثماني فيها.

3- أن أكثر أنواع الظلم الذي تعرض له رعايا ولاية الإحساء – حسب رأيي – كان من قبل البكلبركي محمد باشا ومصطفى باشا، من حيث اغتصاب واستغلال وبيع أراضيهم – المصدر الأساسي لاستقرارهم ورزقهم – الأمر الذي أدى إلى تشردهم من ديارهم إلى البلدان المجاورة، مع معاناتهم من البؤس والفقر رغم ثراء المنطقة.

4- أن جميع الأوامر والأحكام الصادرة من الديوان الهمايوني، وجهت إلى بكلبركي الإحساء مراد باشا، الذي كشف عن الفساد الإداري في الولاية من خلال إبلاغ الديوان الهمايوني بشكاوى الرعايا وغيرها من الأمور السياسية والإدارية في المنطقة، فقد تمكن من تسكين الاضطرابات الأمنية، والاجتماعية والاقتصادية، ومن ثم التصدي لهجمات البرتغاليين والعشائر البدوية ببناء قلعة في العقير مع تعزيز المنطقة بالقوات والمعدات العسكرية.

5- أن الدولة العثمانية سعت جاهدة بالحفاظ على الولايات التابعة لإمبراطوريتها؛ إلا أن ضعف الجهاز الإداري ساعد على تجاوز الإداريين والمسؤولين العثمانيين على الدولة والرعايا معاً، وذلك من خلال عدم الالتزام أو تطبيق الأوامر والأحكام الصادرة من الديوان الهمايوني، ومما يستدل على عدم تنفيذ أو تطبيق الأحكام الصادرة بحق الرعايا، إضافة إلى عدم توفر معلومات تفيد في أن تلك الأوامر السلطانية قد طبقت أو نُفذت.

6- إن تجاوز الإداريين والمسؤولين بالتمرد على الدولة من جهة وظلم الرعايا من جهة أخرى، ساعد على ظهور حركة المقاومة في الإحساء من قبل أمراء بني خالد، والتي بدأت بالأمير سعدون من آل حميد واستمرت حتى تم طرد العثمانيين سنة 1081هـ/ 1670م، في عهد الأمير براك بن غرير آل حميد.

المصادر والمراجع

اينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الإنحدار**، ترجمة: محمد الأرناؤوط، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2002م.

باموك، شوكت، **التاريخ المالي للدولة العثمانية**، ترجمة: عبد اللطيف الحارس، دار المدار الأسلامي، بيروت، 2005م.

الريحاني، أمين، **تاريخ نجد الحديث وملحقاته**، المطبعة العلمية، بيروت، 1928م.

صابان، سهيل، **من وثائق الإحساء في الأرشيف العثماني 1288-1331هـ/ 1871-1913م**، نادي الإحساء، الرياض، الإحساء، 2009م، ص13.

ابن الملا، أحمد بن محمد(ت1003هـ/1594م)، **المنتخب من تاريخ الجنابي**، تحقيق: رابعة شاكر، دار اليازوري، عمان، 2010م.

الوهيبي، عبد الكريم بن عبدالله، **العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية "إيالة الحسا" 954-1082هـ/1547-1671م**، مطابع الحميضري، الرياض، 2004م.

نخلة، محمد عرابي، **تاريخ الإحساء السياسي (1818-1913م)**، ذات السلاسل، الكويت، 1980م، ص6.

أوغلي، اكمل الدين احسان، **الدولة العثمانية (تاريخ وحضارة)**، مركز الابحاث للتاريخ والفنون، 2م، اسطنبول، 1999م.، م1، ص246.

بيات، فاضل، **الدولة العثمانية في المجال العربي**، مركز دراسات الوحدة، بيروت، 2007م، ص525.

النجدي، سليمان بن صالح الدخيل، **تحفة الألباء في تاريخ الإحساء**، ط2، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2002م، ص78.

جودت، أحمد، **تاريخ جودت**، ترجمة: عبد القادر الدنا، مطبعة جريدة، بيروت، 1890م، ص96-97.

الخطيب، مصطفى عبد الكريم، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.

بيات، فاضل، **البلاد العربية في الوثائق العثمانية**، مركز ارسيكا للدراسات والنشر، تركيا، 2014م.

صابان، سهيل، **أراضي الإحساء ومزارعها الميرية**، نادي الإحساء الأدبي، 2010م.

الوهيبي، **بنو خالد وعلاقتهم بنجد**، دار ثقيف، الرياض، 1989م، ص127.

المصري، حسين مجيب، **معجم الدولة العثمانية**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2004م، ص167.

قاسم، جمال زكريا، **تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م، ج1، ص315.

العيدروس، محمد حسن، **الحياة الإدارية في سنجق الإحساء العثماني (1871-1913م)**، دار المتنبي، أبو ظبي، 1992م، ص19؛

ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي:ج3، القسم الجغرافي: ج5، المكتب الثقافي لحاكم قطر، قطر، (د.ت).

Artuk,Ibrahim and Cevriye**, Islam Sikkeler Katalogu**, Milli Eğitim Baslmevi, 2 cilt ,Istanbul, 1974.

Creasy, Edward S., **History of the Ottoman Turks**, reprinted by Khayats, Beirut , 1968, p. 156 .

Niebuhr. M., **Travels through Arabia and other countries in the Eeast**, 2 vol, Librairie du liban, Beirut

(1) يضم الأرشيف العثماني مائة وخمسين مليون وثيقة. صابان، سهيل، **من وثائق الإحساء في الأرشيف العثماني 1288-1331هـ/ 1871-1913م**، نادي الإحساء، الرياض، الإحساء، 2009م، ص13.

(2) هو السلطان سليمان بن سليم الأول ابن بايزيد الثاني ابن محمد الفاتح، تولى الحكم سنة (926هـ/1520م)، وصلت الإمبراطورية العثمانية في عهده الى أوج اتساع لها، توفي وهو غازياً في سكدوار. ابن الملا، أحمد بن محمد (ت1003هـ /1594م)، **المنتخب من تاريخ الجنابي**، تحقيق: رابعة مزهر شاكر، دار اليازوري، عمان، 2010م، ص188.
Creasy, Edward S., **History of the Ottoman Turks**, reprinted by Khayats, Beirut , 1968, p. 156 .

(3) لمزيد من المعلومات، انظر: الوهيبي، عبد الكريم بن عبدالله، **العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية "إيالة الحسا" 954-1082هـ/1547-1671م**، مطابع الحميضري، الرياض، 2004م، ص 132 وما بعدها.
(4) المرجع نفسه، ص 170.
(5) العديد: بلدة قديمة تقع جنوب غرب إمارة أبو ظبي. ج.ج. لوريمر، **دليل الخليج**، المكتب الثقافي لحاكم قطر، قطر، (د.ت)، القسم الجغرافي، ج5، ص1735؛ الوهيبي، **العثمانيون**، ص175.
(6) المرجع نفسه، ص 177.
(7) نخلة، محمد عرابي، **تاريخ الإحساء السياسي (1818-1913م)**، ذات السلاسل، الكويت، 1980م، ص6.
(8) أوغلي، اكمل الدين احسان، **الدولة العثمانية (تاريخ وحضارة)**، مركز الابحاث للتاريخ والفنون، 2م، اسطنبول، 1999م.، م1، ص246.
(9) المرجع نفسه، م1، ص260.
(10) بيات، فاضل، **الدولة العثمانية في المجال العربي**، مركز دراسات الوحدة، بيروت، 2007م، ص525.
(11) الوهيبي، **العثمانيون**، ص 278-283.
(12) النجدي، سليمان بن صالح الدخيل، **تحفة الألباء في تاريخ الإحساء**، ط2، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2002م، ص78.
(13) Niebuhr. M., **Travels through Arabia and other countries in the Eeast**, Librairie du liban, Beirut, vol., 2, p. 125.
(14) لمزيد من المعلومات: انظر: الوهيبي، **العثمانيون**، ص284-312.
(15) أوغلي، **الدولة العثمانية**، م1، ص249-255.
(16) لمزيد من المعلومات، انظر: الوهيبي، **العثمانيون**، ص 214-221.
(17) وهو البكلبري الذي قام بحملة فاشلة على البحرين سنة 966هـ/ 1559م. المرجع نفسه، ص216.
(18) لمزيد من المعلومات، انظر: أوغلي، الدولة العثمانية، م1، ص251-273؛ الوهيبي، **العثمانيون**، ص385-412.
(19) أوغلي، **الدولة العثمانية**، م1، ص269.
(20) جودت، أحمد، **تاريخ جودت**، ترجمة: عبد القادر الدنا، مطبعة جريدة، بيروت، 1890م، ص96-97.
(21) أوغلي، **الدولة العثمانية**، م1، ص306-307؛ اينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الإنحدار**، ترجمة: محمد الأرناؤوط، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2002م، ص89.
(22) آقجة: عملة فضية عثمانية، استخدمت منذ عهد أورخان بن عثمان، اختلف وزنها وعيارها من مرحلة الى أخرى على مر التاريخ العثماني. باموك، شوكت، **التاريخ المالي للدولة العثمانية**، ترجمة: عبد اللطيف الحارس، دار المدار الأسلامي، بيروت، 2005م، ص99؛ الخطيب، مصطفى عبد الكريم، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ص13؛

Artuk,Ibrahim and Cevriye**, Islam Sikkeler Katalogu**, Milli Eğitim Baslmevi, 2 cilt ,Istanbul, 1974 , cilt. 2, p.453.

(23) أن الأوامر وصيغ التخاطب في الأحكام والتوجيهات الرسمية للدولة العثمانية، كانت توجه إلى صاحب المنصب دون الإشارة إلى اسمه (إلى بكلبركي الإحساء، إلى قاضي الإحساء، إلى دفتر دار البصرة)، وأحياناً تشير إلى اسم صاحب المنصب عندما تتناول قضية متعلقة بشخصه أو قضية خارج صلاحيات منصبه. الوهيبي، **العثمانيون**، ص212.

(24) انظر الحكم رقم / 1122 : بيات، فاضل، **البلاد العربية في الوثائق العثمانية**، مركز Arcicaللدراسات والنشر، تركيا، 2014م، م3، ص43-46.

(25) الميري: اسم يطلق على كل شيء يعود ملكيته للدولة أو السلطان. صابان، سهيل، **أراضي الإحساء ومزارعها الميرية**، نادي الإحساء الأدبي، 2010م، ص18.

(26) انظر الحكم رقم/ 1123: بيات، **البلاد العربية**، م3، ص46-48.

(27) انظر الحكم رقم/ 1131: المصدر نفسه، م3، ص280.

(28) لمزيد من المعلومات عن الحملة إلى البحرين. انظر: بيات، **الدولة العثمانية**، ص505.

(29) سعدون آل حميد: كان على رأس زعامة بني خالد عند دخول العثمانيين إلى الإحساء، واضطر في البداية إلى التعاون مع العثمانيين لعدم قدرة بني خالد التصدي لهم، فعين حاكم على لواء البادية، وعندما سمحت له الفرصة أعلن التمرد والثورة ضدهم واستطاع السيطرة على أجزاء عديدة في المنطقة وجعل المبرز مقراً لحكم بني خالد. الوهيبي، عبد الكريم بن عبد الله، **بنو خالد وعلاقتهم بنجد**، دار ثقيف، الرياض، 1989م، ص127.

(30) انظر الحكم رقم/ 1446: بيات، **البلاد العربية**، م3، ص189.

(31) انظر الحكم رقم/1131؛ ورقم/ 1129: المصدر نفسه، م3، ص280-283.

(32) نظام السالیانة: كلمة فارسية تعني الضريبة السنوية التي تؤديها الولاية لخزانة الدولة: وقد استخدمت الدولة العثمانية هذا النظام في ولاية الإحساء إضافة إلى الولايات العربية الأخرى: مصر، اليمن، الحبشة، البصرة، بغداد، طرابلس الغرب، تونس، الجزائر. أوغلي، **الدولة العثمانية**، ج1، ص249.

(33) يوك: مصطلح عثماني يقابل مائة ألف أقجة. بيات، البلاد العربية، ص49؛ المصري، حسين مجيب، **معجم الدولة العثمانية**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2004م، ص167.

(34) النظر الحكم رقم/ 1124: بيات، **البلاد العربية**، م3، ص48-50.

(35) انظر الحكم رقم / 1630: المرجع نفسه، م2، ص312-313.

(36) الوهيبي، **العثمانيون**، ص217.

(37) المرجع نفسه.

(38) انظر الحكم رقم/ 1633: بيات، **البلاد العربية**، م3، ص51-56.

(39) انظر الحكم رقم/ 1138: المرجع نفسه، م3، ص57-58.

(40) لمزيد من المعلومات انظر: قاسم، جمال زكريا، **تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م، ج1، ص315؛ الوهيبي، **بنو خالد**، ص182.

(41) لوريمر، **دليل الخليج**، القسم التاريخي، ج3، ص1449؛ العيدروس، محمد حسن، **الحياة الإدارية في سنجق الإحساء العثماني (1871-1913م)**، دار المتنبي، أبو ظبي، 1992م، ص19؛ الريحاني، أمين، **تاريخ نجد الحديث وملحقاته**، المطبعة العلمية، بيروت، 1928م، ص84.

(42) أشارت بعض وثائق الأرشيف العثماني إلى تجاوز الإداريين والمسؤولين العثمانيين على رعايا ولاية الإحساء أثناء الحكم العثماني الثاني. انظر: صابان، **من وثائق الإحساء**، ص70، 97، 99، 104، 108.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

نماذج من تاريخ المليشيات في الولايات المتحدة الأميركية 1969-1775

م. د. علاء عريبي غانم الموسوي
وزارة التربية – المديرية العامة لتربية محافظة البصرة
AOGMAlb@gmail.com

الملخص :

بعد ان تغول الاستعمار البريطاني في ارض امريكا الشمالية ، واندلاع حرب الاستقلال الاميركية (1776-1783) وهي حرب نشبت في القرن الثامن عشر بين بريطانيا العظمى ومستعمراتها الثلاث عشرة، المتحالفة مع فرنسا آنذاك، والتي أعلنت استقلالها لتكون نواة الولايات المتحدة الأميركية ، في أعقاب عام 1765، ظهرت الحاجة الى مجاميع لمواجهة الاستعمار البريطاني ، فكانت عن طريق مجموعات مسلحة قاتلت في سبيل نيل الحرية والتحرر والاستقلال وتأسيس الدولة.

واصبح قسم من تلك المجموعات والمليشيات نواة لقوات نظامية بعد الاستقلال ، ونظمت بقانون أي انها اصبح لها غطاء قانوني ، وتتحكم بها الدولة في جميع الولايات الاميركية ، والقسم الاخر بقية كمليشيات في بعض الولايات ولكن يحكمها الدستور الاتحادي الاميركي ، بخاصة وان الولايات المتحدة كانت حديثة التأسيس وبحاجة الى قوات منظمة .

Abstract:-

After the British colonization in the land of North America, and the outbreak of the American War of Independence (1775-1783) is an war that broke out in the eighteenth century between Great Britain and its thirteen colonies, allied with France at the time, which declared its independence to be the nucleus of the United States of America, in the wake of In 1765, the need arose for groups to confront British colonialism, and it was through armed groups that fought for the sake of achieving freedom, liberation, independence and the establishment of the state.

Some of these groups and militias became the nucleus of regular forces after independence, and they were organized by law, meaning that they had a legal cover, and the state controlled them in all American states, and the other section remained as militias in some states, but they were governed by the American Federal Constitution, especially since the United States was newly established and needed to organized forces.

المقدمة:-

تعد مدة الاستعمار البريطاني لأراضي القسم الجنوبي من قارة امريكا الشمالية مليئة بالأحداث بخاصة بعد فرض السيطرة البريطانية عليها ونوعية الحكم فيها واستغلال مواردها ، وما حرب الاستقلال الامريكية البريطانية (1776-1783) الا خير دليل على انتفاض سكان المستعمرات على الحكم البريطاني فيها ، مما ادى الى حرب استمرت سبع سنوات من اجل نيل الحرية والاستقلال وهو ما تحقق في نهاية المطاف.

وخلال الحرب المذكورة وما بعدها كانت هناك حاجة لمليشيات ومجموعات مسلحة في بعض المستعمرات ومن ثم الولايات ، لحماية الناس والدفاع عنهم سواء كان ضد الانكليز او الهنود الحمر او الحيوانات المفترسة ، لان هناك اماكن بعيدة ومن الصعب الوصول اليها، وهذه المجموعات المسلحة اما اسسها اهالي تلك المناطق او تجار او شخصيات معروفة.

جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على موضوع مهم من تاريخ الولايات المتحدة الاميركية ، الدولة الناشئة حينها والى الان الا وهو المليشيات في الولايات المتحدة الاميركية ، وتبيان ماهية تلك المليشيات والمنظمات شبه العسكرية وكيف تأسست والغاية من تأسيسها.

وكيف تعاملت مع الدولة وهل تمت اجازتها ، وما هو الغطاء القانوني لها ، وهل تم تضمينها بالدستور الاميركي عند كتابته ، ومن ثم تعديله في ما بعد.

تضمن البحث محورين ومقدمة وتعريف مصطلح المليشيا لغة واصطلاحا وخاتمة، وكان المحور الاول بعنوان: حرب الاستقلال الاميركية 1775-1783 ، أما المحور الثاني فقد جاء بعنوان: المليشيات في الولايات المتحدة الأميركية .

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادرِ المتنوعة في مادتها والمختلفة في أهميتها، لرفدها بالمعلوماتِ القيمّةِ، أبرزها: الكتب العربية والمعربة وشبكة المعلومات الدولية (الانترنيت).

نماذج من تاريخ المليشيات في الولايات المتحدة الأميركية 1775-1969

تعريف مصطلح المليشيات لغة واصطلاحاً :

معنى كلمة مليشيات لغوياً :

هي اسم ، ومليشيا جمعها: مليشيات [1].

معنى كلمة مليشيات اصطلاحا :

وتعني جماعة مكونَة مِن مواطنين مسلحِين تتقوم بتدريب عسكرية لمواجهة حَالاَتِ الطوارِئ، وَهِيَ غالِباً ما تكون فِي البلدَانِ الَّتِي لاَ تَمْلِك جَيْشاً نِظَامياً، وَتَنْتَمِي إِلَى طَائِفَة مِنَ الطّوائِفِ ، وتعني ايضا، قوة مسلحة تتكون من مواطنين. ويرجع نظام الميليشيات إلى فكرة أن واجب المواطن الدفاع عن وطنه. وهناك تبرير آخر لوجوب إنشاء ميليشيات وهو حماية البلاد من تعسف محتمل للحكومة أو لجيش محترف ، وفرق من المواطنين في بعض البلدان تدرب تدريبا عسكريا لتدعم الجيوش النظامية أو لشن حرب أهلية ، وهي جماعة مكوّنة من رجال أو نساء مسلّحين هدفها مناصرة الدولة في حال وقوع أزمة أو حرب، وعادة ما تكون هي الجيش الثاني، في حال سقوط الجيش النظامي، كما تفعل الآن أمريكا [2].

وهناك تعريف اخر شائع : مشتقّة من كلمة(militia) اللاتينية، ومعناها الأصلي بحسب معجم (Quicherat et Daveluy)اللاتيني- الفرنسي هو: "خدمة عسكرية، حملة، عملية عسكرية، حرب". وهي مشتقّة من (miles أو milites)، أي "جندي، رجل مسلح، أو رجل محارب [3].

المحور الاول : حرب الاستقلال الاميركية 1775-1783:

حاولت الحكومة البريطانية تسوية العلاقات بين التاج والمستعمرات تسوية جوهرية ؛ بخاصة في عهد الملك (جورج الثالث George III 1760-1820) في بداية سنة 1760 ، والذي حاول تقوية السلطة المركزية في بلاده ؛ وبالتالي ربط سياسة الامبراطورية كلها بالنظام في بريطانيا ، وكان حكمه دكتاتوريا فلم يأبه لآراء البرلمان والحكومة ، وتجاوز صلاحياته في سياسة واضحة نحو المستعمرات ، مقويا مركزه على حساب حريتها ؛ وكانت هناك بعض السياسات والاجراءات البريطانية في المستعمرات في امريكا الشمالية التي ادت الى اعلان الاستقلال واندلاع حرب الاستقلال ومن ابرزها:

1- قانون الضرائب : رغم ان صلح باريس سنة 1763 كان ينبئ بالاستقرار في الساحل الشمالي وشمال وجنوب المسيسبي وفي الغرب الاوسط ، لكن امورا اخرى نبات بأحوال مغايرة ، فكانت حالة التباعد بين سكان المستوطنات والوطن الام بريطانيا ، وقرارات جورج الثالث الاستبدادية ، ومن ضمنها توفير الموارد للسيطرة على الوضع في تلك الاراضي ، وخاصة بعد حرب السبع سنوات ؛ دفعت باتجاه تغيير العلاقة مع المستوطنين ، فقانون السكر الذ صدر في عام 1764 كان الهدف منه هو زيادة دخل الخزانة من الضرائب ، وبموجبه فرض ضرائب كمركية على البضائع الواردة من مناطق بريطانية ، وعدم استيراد العسل الاسود الا من مناطق تحت سيطرة الانكليز ، وفرضت ضرائب على العسل والنبيذ والحرير والبن والعديد من المنتجات ، مما ازعج الاميركيين وبذلك تجاوزت تلك الضرائب سلطات المجالس التشريعية للمستوطنات ، علاوة على فرض قانون العملة في سنة 1764 ، اذ سلب الصفة القانونية للأوراق المالية المتداولة في المستعمرات من حيث قانونيتها لسداد الديون ، وتم فرض قانون التمرد في العام نفسه وقانون مساكن المستعمرات في عام 1765 اذ قرر هذا القانون على اعداد اماكن لإيواء القوات الملكية ، وتوفير امداد تلك القوات من المستعمرات ، وفي العام نفسه فرض قانون التمغة لموازنة الانفاق البريطاني على المستعمرات ، واصاب هذا القانون رجال الصحف والاعمال والكتاب ، على أساس لصق طابع على الصحف والبطاقات والكتب والعقود مما اثار ضجة بين تلك الاوساط.

2- حفلة شاي بوسطن : وكانت هناك هدنة بين الاميركيين وحكومة لندن قد انتهت بسبب سوء تصرف لندن ؛ ذلك ان شركة الهند الشرقية في عام 1773 كانت في ازمة مالية ومنحتها الحكومة حق احتكار الشاي في المستعمرات ، ولما كان اكثر الشاي المستهلك في اميركا مهربا فقد عمدت الى تخفيض اسعاره بشكل جعل التهريب غير مربح مما شل اعمال التجار المحليين وثاروا ضد مبدا الاحتكار ، ومقاومة تدابير شركة الهند .

3- مؤتمر كيبك(Quebec): في عام 1774 اصدر البرلمان البريطاني قانون "كيبك " الذي كان اسوا الوقع على الاميركيين عامة ؛ لأنه جاء لتنظيم الاراضي التي غنمتها بريطانيا من فرنسا ، والواقعة بين المستعمرات الانكليزية ونهر المسيسبي ، وفرض الرقابة على التوسع في تلك المناطق وجعل شراء تلك الاراضي والاقامة فيها يخضع لإجازة حاصة ، والهدف من ذلك وضع تلك الاراضي تحت سيطرة حكومة لندن المباشر .

4- مؤتمر فيلادلفيا الاول والثاني: هذه الاجراءات التي مر ذكرها ، انعكست ضد ما يريده البريطانيون ، فاجتمع مندوبين من المستعمرات في 15 ايلول عام 1774 في مدينة فيلادلفيا " المؤتمر الاول" وشكلت لجان لكل مستعمرة ، مهمتها القيام بالدعاية ضد القوانين البريطانية ، والدعوة للتعاون بين

المستعمرات ، حيث اجتمع (56) مندوبا مثلوا اثنتي عشرة مستعمرة ، ووضعوا نص اعلان الحقوق والمظالم لشعب المستعمرات ، ووجهوا طلبا للملك لإلغاء الضرائب ، واعتبر هذا المؤتمر هو الكونغرس الاول ، وفي 10 ايار عام 1775 اجتمع الكونغرس الثاني في المدينة نفسها ، وبالرغم من ان اعضاءه طالبوا الملك بإعادة السلم ، الا انهم اضطروا لتبني الجيش المحارب حول بوسطن واعتبروه جيشا اميركيا يخص كل المستعمرات ، وعينوا " جورج واشنطن George Washington" لقيادته [4]. يبدو للباحث انه من هنا بدأ تأسيس المليشيات من المستعمرات وجمعها بجيش لمحاربة القوات البريطانية.

اعلان الاستقلال وتداعياته:

بدأت في عام 1775 دعوات تنادي بالاستقلال وفي شهر تموز دعا الزعيم (لي Lee) من مستعمرة فرجينا تقدم الى الكونغرس باقتراح يدعو المستعمرات لان تكون دولا حرة مستقلة ، ولاقى هذا الاقتراح تأييدا عاما وشكلت لجنة مهمتها وثيقة الاستقلال ، وفي 2 تموز اقرت الوثيقة ، واعلنت في 4 تموز 1776 وضحة للعالم ولادة امة جديدة مستقلة ودعت الاميركيين للانفصال عن العرش الانكليزي ، وعقب اعلان الاستقلال بدأت عمليات حرب الاستقلال الاميركية البريطاني للمدة من 1776-1783 ، اذ في عام 1782 بدأت سلسة مفاوضات سرية بين الاميركيين وحكومة لندن وفي 3 ايلول وقع الجميع على المعاهدة النهائية والتي سميت معاهدة باريس وعلى اثرها انتهت حرب الاستقلال [5].

- **المحور الثاني : المليشيات في الولايات المتحدة الأميركية :**

ان المادة الأولى من الفقرة الثامنة من دستور الولايات المتحدة الأميركية البند 15 بما نصه:(وضع احكام لدعوة المليشيا الى تنفيذ قوانين الاتحاد ، وقمع التمرد وصد الغزو. منح الكونغرس الرئيس صلاحية تقرير قيام حالة غزو او عصيان " تمرد" وفي تلك الحالات ، يستطيع الرئيس استدعاء الحرس الوطني) وفي البند 16(وضع احكام لتنظيم وتسليح وتدريب المليشيا ، وادارة اقسامها ، التي تكون عاملة في خدمة الولايات المتحدة ، محتفظا للولايات ، كل على حدة بحق تعيين الضباط وسلطة تدريب المليشيا وفقا للنظام الذي يضعه الكونغرس . تساعد الحكومة الفيدرالية الولايات المتحدة في الاحتفاظ بفرق مليشيا تعرف بالحرس الوطني . وقد تحكمت الولايات بفرق المليشيا كليا حتى عام 1916 . وفي تلك السنة صدر قانون الدفاع الذي ينص على تمويل الحكومة الفيدرالية للحرس الوطني وعلى تجنيده لخدمة البلاد في بعض الظروف)[6]. يبدو مما تقدم ان بعض المليشيات والمنظمات تم دمجها بقوات الحرس الوطني حين صدر قانونه وبعضها بقي في قسم من الولايات ، وتُبين هذه المواد القانونية اجازة تأسيس المليشيات، وهذا التعديل الثاني لدستور الولايات المتحدة تبين ان ميليشيا منظمة تنظيما جيدا ضرورية لأمن دولة حرة كما لا يجب انتهاك حق الناس في امتلاك الأسلحة. وهذه فقرة يدور حولها نقاش ساخن بين من يعارضون حرية امتلاك الأسلحة ومن يدعون إليها. ولقد عوضت قسم كبير من ميليشيات الدولة بحرس وطني سنة 1916. لكن برز في التسعينيات من القرن العشرين مرة ثانية اهتمام بميليشيات المواطنين وشكلت العديد من الولايات تنظيما من هذه التنظيمات. ويسيطر على بعض هذه التنظيمات وطنيون من اليمين ومؤمنون بنظريات المؤامرة حيث يرون أن الحكومة أصبحت مستبدة ولذا وجب اتخاذ إجراءات لحماية أنفسهم قبل فوات الأوان.

فهذه المليشيات موجودة تاريخياً منذ حرب الاستقلال الأمريكية(١٧٧٥-١٧٨٣) م ، وحتى وقت كتابة الدستور الأميركي تم تضمينها فيه، وكانوا يُنضمون ويقاتلون الى جانب قوات التحرير، فضلا عن أنه كانت توجد مناطق بعيدة في أراضي الولايات المتحدة ابان الحكم البريطاني وحتى في حرب الاستقلال

وبعدها لا تستطيع أن تصل إليها السلطات ، فشكلوا مليشيات لحماية أنفسهم، من كل شيء وحتى من قبائل الهنود الحمر .

ان المليشيات والمنظمات شبه مليشيات مسلحة موجودة في التاريخ الاميركي ولحد الان، وفي ولايات معينة ، يجتمعون في الغابات ويتدربون على الأسلحة والرماية والخطط العسكرية في اوقات محددة من كل عام ، ويؤدون مهام عامة ومفيدة للدولة ، وليسوا قطاع طرق ، هم يمارسون حياتهم الطبيعية، وبعضهم لديه افكار يمينية بخاصة أيام الحرب الباردة ولغاية الان ، وازداد الاهتمام بالمليشيات ابان الحرب الباردة ظناً منهم ان جيش الولايات المتحدة لربما سينهار اذا اندلعت الحرب إلخ، فهم سيقاتلون.

فموضوع المليشيات في الولايات المتحدة غير مقلق وهو اشبه بالهواية، فتجمعاتهم لربما تكون شهريا او سنوياً ، وكلها في إطار الدستور الأميركي، وتحت رعاية الدولة، وهؤلاء من اشد المدافعين عن حيازة الأسلحة وعدم تقييدها، بخاصة وتجري الان صيحات لتقييدها بسبب احداث الاعتداءات المتكررة بخاصة في المدارس.

فهذه مليشيات عند الحاجة فقط ، فأفراد هذه المليشيات يعيشون حياتهم في مهن مختلفة، ويتم استدعائهم عند الهجوم المفاجئ او في الاضطرابات وحتى في حالات الحيوانات المفترسة ، فهؤلاء مدربون ومجهزون ويؤدون المهمة، وهذا سياق المليشيات في دستور الولايات المتحدة الأمريكية، ولكل ولاية لها حق ان تشكيل مليشيات، استنادا منذ القرن الثامن عشر عندما لم يكن للولايات المتحدة جيش نظامي ، والى الان يُجيز الدستور ذلك، حتى في ظل جيش الولايات المتحدة الحالي، على الرغم من تراجع دورها ولكنها بقيت ضمن القانون والممارسة، فالمليشيات في الولايات المتحدة تحمي النظام والناس من المخاطر ، وعندما تنتهي مهام المليشيات يعودون الى حياتهم، وكان أبرز من ينظموها الملاكين الكبار والارستقراطيين ، ولذلك في الولايات المتحدة الأمريكية احترام وتبجيل للمليشيات بكل المعنى التاريخي للكلمة ، وحق امتلاك الأسلحة للمواطن ، لأنها تاريخياً مرتبطة بتأسيس الولايات المتحدة والدفاع عن نفسها ، ودفاع الناس عن أنفسهم، وقيمة متعلقة بالاستقلال الفردي وقدرة المجموعة الصغيرة في منطقة نائية ان تدافع عن نفسها، واستقلالية الاشخاص، بالمحصلة النهائية فيها إطار تاريخي فكري قانوني.

يضاف الى اسباب تشكيل مليشيات هو العنصرية المتجذرة في الولايات المتحدة الأميركية بين البيض والسمر منذ تأسيس الدولة .

ومن أشهر المنظمات والمليشيات هي: منظمة كو كلوكس كلان(Ku Klux Klan) واختصارها(KKK):

كان للصراعات الداخلية التي حدثت داخل الولايات المتحدة والعنصرية بين فئات مجتمع الولايات والعبودية واختلاف اقتصاد الشمال عن الجنوب والحماية الكمركية والانفصال بين الولايات الشمالية والجنوبية في شباط عام 1861 وتأسيس الولايات الكونفدرالية والجيش الكونفدرالي في الجنوب ، والولايات الشمالية وتأسيسها لجيش الاتحاد، و الحرب الاهلية الاميركية للمدة بين 1861-1865 ، دورا كبيرا في ظهور الكثير من المليشيات والمنظمات ، وبعد الحرب تم تأسيس منظمة كو كلوكس كلان ، من قبل ستة اشخاص في ولاية تينسي " Tennessee " وكانوا من ضباط الجيش الكونفدرالي ، في ليلة 24 كانون الاول 1865 ، وكان قد لحق بهم الدمار من جراء الحرب الاهلية ودمرت مدينتهم ، وكانوا يعانون من حالة احباط شديدة ، واسم المنظمة هو اسم يطلق على عدد من المنظمات الأخوية في الولايات المتحدة الأمريكية منها القديم ومنها من لا يزال يعمل حتى اليوم. يرجع أصل التسمية إلى كلمة كوكلوس

باليونانية "Kuklos "وتعني الدائرة ، تؤمن هذه المنظمات بالتفوق الأبيض ومعاداة السامية والعنصرية ومعاداة الكاثوليكية، كراهية المثلية . تعمد هذه المنظمات عموما لاستخدام العنف والإرهاب وممارسات تعذيبية كالحرق على الصليب لاضطهاد من يكرهونهم مثل الأمريكيين الأفارقة وغيرهم بخاصة في مدة ظهورها الاول بين 1865-1916 ، وموجودة المليشيات في ولايات عديدة ، وان نشأتها كانت في ولاية تينسي ، اذ ان هذه الولاية كان المؤيدين للكونفدرالية قد ايدو الحزب الديمقراطي وانضموا اليه ، اما مؤيدي الاتحاد ايدو الحزب الجمهوري وانضموا اليه [7] . ويتضح من هذه المنظمة شبه العسكرية انها جاءت نتيجة حقبة من الصراع السياسي والعرقي في الولايات المتحدة ، الذي مازال لحد الان ولو بنسب متفاوتة ، ومن الجدير بالذكر ان ولاية تينسي هي الان تركيبتها اغلبية ديمقراطية.

وكانت المنظمة المذكورة عبارة عن مليشيا مسلحة باسم منظمة وغير مجازة عند بداية ظهورها ، وارتكبت جرائم واغتيالات ولكن فيما بعد تم تشريع قانون لاحتوائها والسيطرة عليها سمي " قانون كو كلوكس كلان Ku Klux Klan law " من قبل الكونغرس في 20 نيسان 1871 بأغلبية واضحة [8].

وفي عام 1870 تم تأسيس مليشيا مسلحة في ولاية كارولينا الجنوبية" South Carolina "من الزنوج لحمايتهم من ممارسات منظمة كو كلوكس كلان ، بالتعاون بين الزنوج وحاكم الولاية المذكورة عن الحزب الديمقراطي " سكوت Scott " والديمقراطي العميد " كابرييل كانن Gabriel Kanin " واشترك بها ضباط بيض وزنوج ، وتم حل هذه المليشيا في عهد الرئيس الاميركي " يوليوس غرانت Julius Grant 1869-1877" [9]. ولم تذكر المصادر متى بالضبط حلت المليشيا المذكورة سوى في عهد الرئيس غرانت.

فضلاً عن ذلك ، فقد ظهرت العديد من المنظمات والجمعيات شبه مليشيات مسلحة التي سارت على نفس منوال الكوكلوكس كلان ، ولعل من أبرز تلك المنظمات " عصبة فرسان الطوق الذهبي " ، والتي كان لها دور بارز في مدة الحرب الاهلية ، والسنوات التي تلتها، إذ بلغ عدد أعضائها في مطلع سبعينيات القرن التاسع عشر، ما يقارب (15) ألف نسمة، وضمت شخصيات اجتماعية وسياسية وحكومية بارزة في الولايات الجنوبية، لاسيما ملاك العبيد الذين أنظموا إلى الحزب الديموقراطي ، وأصبح العنف في الجنوب خلال تلك المدة أمراً مألوفاً جداً، حتى أنه لم يعد يثير الاهتمام، باستثناء بعض مظاهره الكثر فظاعة ودموية، وقد ارتكبت المنظمات الارهابية ، لاسيما الكوكلوكس – كلان، فضلاً عن منظمة " صليب النار" ، أعداد هائلة من الجرائم بحق السود المدنيين العزل، فضلاً عن قيام بعض عناصر تلك المنظمات بقتل وخطف جنود الاتحاد الذين كانوا مرابطين في الجنوب، طوال سنوات الاحتلال الخمس، مما أدخلت الرعب والخوف حتى على الاوساط الحاكمة [10].

لقد كان تأسيس تلك المنظمات الارهابية، يمثل واحدةً من أبرز ردات فعل أهالي الجنوب، تجاه الحكومة الفدرالية، وتجاه العبيد، الذين كان نيلهم لحريتهم بعد الحرب الأهلية ، مجرد حبراً على ورق ، إذ لمْ يحصل الزنوج على أبسط حقوقهم المدنية، وظلوا عرضة للقتل والتنكيل من قبل تلك المنظمات العنصرية.

وفي ستينيات القرن العشرين كان التمييز العنصري والعرقي على اشده ، بخاصة في عهد ادارة الرئيس الاميركي الاسبق " ليندون جونسون Lyndon Johnson 1963-1969 "، اذ كانت الدولة تعاني من مشكلتين الاولى كانت خارجية حرب فيتنام والاخرى داخلية تمثلت بالاضطرابات العرقية ، التي بينت مدى كان السود تعساء ، مما ادى الى تأسيس منظمات واحزاب مثل حزب " الفهد الاسود عام

1966، للتجمع والتوحد والمطالبة بحقوقهم ، على الرغم من المضايقات التي تعرض لها من مكتب التحقيقات الفدرالية الذي اعتبره حزب متطرف وانهاء نشاطه السياسي عام 1971 ، فضلا عن تأسيس منظمة " الارقاء المتحدون United slaves " ومنظمة " بلاكستون رانجرز Blackstone Rangers " المسلحتين وهما منظمتان للسود ومتطرفتين ، علما ان هذه المنظمات كانت غير مجازة من الدولة عند تأسيسها وسرعان ما انتهت هذه المنظمات [11].

يمكن القول أن قضية الرق والعبودية التي عانى منها المجتمع الأميركي، لم تحل بنهاية الحرب الاهلية، ووضع تعديلات دستورية، بل بقيت لفترات طويلة عانا من مرارتها الشعب الأميركي، وعلى الرغم من خطوات بعض الرؤساء الأميركيين ، أمثال(جون كندي John Kennedy 1961-1963)، وجونسون ، إلا أنها بقيت، ولاتزال بعض مظاهرها شاخصة لحد الان.

الخاتمة:-

بعد دراسة البحث توصل الباحث الى جملة من الاستنتاجات من أهمها :

1- بينت هذه الدراسة ان جيش الولايات المتحدة الاميركية بنية على اساس المليشيات منذ حرب الاستقلال .
2- اوضحت عقود من الصراع والتمييز العنصري بين شطري الولايات المتحدة الجنوبي والشمالي.
3- اتضح من خلال البحث ان المنظمات والمليشيات غالبا ما تأسست في الولايات الجنوبية.
4- ادى قيام الجيش الكونفدرالي في الولايات الجنوبية وجيش الاتحاد في الولايات الشمالية وتصاعد التمييز العنصري والرق والعبودية والاختلاف الاقتصادي والضرائب الكمركية الى اندلاع الحرب الاهلية الاميركية بين 1861-1865.
5- كانت هناك حاجة ملحة لأنشاء مليشيات ومجاميع مسلحة بخاصة بعد اندلاع حرب الاستقلال 1776-1783 لعدم وجود قوات نظامية في ظل الاستعمار البريطاني.
6- كان تضمين فقرات في الدستور الاميركي لإضفاء الشرعية وسيطرة الدولة الاتحادية عليها.
7- كان من اسباب تشكيل المنظمات والمليشيات إفرازات نظام الحكم البريطاني.
8- كان لطبيعة المجتمعات في الشمال والجنوب دور في ظهور المليشيات .
9- الملفت ان قسم كبير من المليشيات والمنظمات مستمر الى العقود الاخيرة من القرن العشرين في الولايات المتحدة في دولة ترفع شعار الحرية والديمقراطية والتنوع الثقافي.
10- حتى القرن العشرين للميلاد مازالت هناك عنصرية في الولايات المتحدة على الرغم من التقدم الديمقراطي في المجالات كافة ، والسؤال الاهم ما الداعي من ابقاء المليشيات مشرعنة في الولايات المتحدة الاميركية فهذا يدل على ان فكر الجماعات المسلحة اي المليشيات مازال موجوداً منذ عام 1775 .

الهوامش:-

1- راجع من الانترنيت : https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%85%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%B4%D9%8A%D8%A7/

2- راجع من الانترنيت : https://www.marefa.org/%D9%85%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%B4%D9%8A%D8%A7/simplified
3- المصدر نفسه.
4- عبد العزيز سليمان نوار ، محمود محمد جمال الدين ، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين ، دار الفكر العربي ، (القاهرة ، 2005) ، ص ص 50-60.
5- المصدر نفسه ، ص ص 60-67 ؛ هاشم صالح التكريتي ، مقدمة في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية الحديث من الاكتشاف الى الاستقلال ، دار الجواهري ، (بغداد ، 2013) ، ص ص 193-316.
6- ملحق الدستور الاميركي ، المصدر نفسه ، ص344 ؛ وراجع : لاري الويتز ، نظام الحكم في الولايات المتحدة الامريكية ، ترجمة: جابر سعيد عوض ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ، (القاهرة ، 1996).
7- وللمزيد من التفاصيل حول منظمة كو كلوكس كلان ، راجع ، كريم صبح ، كو كلوكس كلان التاريخ السياسي والعرقي في الولايات المتحدة 1865-1916 دراسة وثائقية ، منشورات زين الحقوقية ، (بيروت ، 2019) ، جزأين ؛ وراجع من الانترنيت الويكيبيديا : كو كلوكس كلان#كو كلوكس كلان في التاريخ الحديث/https://ar.wikipedia.org/wiki
8- ولمزيد من التفاصيل حول قانون المنظمة راجع ، المصدر نفسه ، ص ص 145-150.
9- المصدر نفسه ، ص ص 163-171.
10-وللمزيد حول حزب الفهد الاسود ومنظمة الارقاء المتحدون ومنظمة بلاكستون رانجرز ، راجع ، كريم صبح ، مكتب التحقيقات الفدرالي والسود الامريكيون حزب الفهد الاسود انموذجا 1966-1971 ، منشورات زين الحقوقية ، (بيروت ، 2019) .
11-عبد الرزاق مطلك الفهد، الولايات المتحدة الأمريكية (1865-1933)، هيمنة – عنصرية – أستغلال، ط1، دار الجواهري ، (بغداد، 2011) ، ص24 ، ص ص 36-37.

المصادر:-

أولاً : المصادر العربية والمعربة :

1- عبد الرزاق مطلك الفهد، الولايات المتحدة الأمريكية (1865-1933)، هيمنة – عنصرية – استغلال، ط1، دار الجواهري ، (بغداد، 2011).
2- عبد العزيز سليمان نوار ، محمود محمد جمال الدين ، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين ، دار الفكر العربي ، (القاهرة ، 2005).
3- كريم صبح ، كو كلوكس كلان التاريخ السياسي والعرقي في الولايات المتحدة 1865-1916 دراسة وثائقية ، منشورات زين الحقوقية ، (بيروت ، 2019) ، جزأين.
4- كريم صبح ، مكتب التحقيقات الفدرالي والسود الامريكيون حزب الفهد الاسود انموذجا 1966-1971 ، منشورات زين الحقوقية ، (بيروت ، 2019).
5- لاري الويتز ، نظام الحكم في الولايات المتحدة الامريكية ، ترجمة: جابر سعيد عوض ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ، (القاهرة ، 1996).

6- هاشم صالح التكريتي ، مقدمة في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية الحديث من الاكتشاف الى الاستقلال ، دار الجواهري ، (بغداد ، 2013).

ثانيا: شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت):

1- : https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%85%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%B4%D9%8A%D/8%A7

2- https://www.marefa.org/%D9%85%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%B4%D9%8A%D8%A7/simplified

3- https://ar.wikipedia.org/wiki/**كو كلوكس كلان#كو كلوكس كلان في التاريخ الحديث**

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

نماذج من معالم بغداد العمرانية من خلال رحلة ابن جبير وابن بطوطة

م.م. عبد القدوس محمود شهاب
ديوان الوقف السني/دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية
Almudarss@gmail.com

Abstract

Travel books are among the important sources that contributed to the description of urban manifestations, along with other manifestations. These trips transmitted observations and surveys that depicted the historical value of the trip, and some Arab and Islamic cities preserved their urban fabric in one way or another. But some cities did not write this for them, and among these cities is the city of Baghdad, which did not preserve its glory and prosperity, as it appears from the observations of Arab travelers.

This research presents the urban landmarks of the city of Baghdad from the point of view of two of the most famous Arab travelers, Ibn Jubayr and Ibn Battuta, with an interview between the two trips, the time difference between them is more than (150) years, and that Ibn Battuta visited Baghdad after a time of destruction.

It is worth noting that Ibn Battuta quoted Ibn Jubayr a lot from his description of the city of Baghdad, so I confined myself to mentioning his observations.

المقدمة

تعد كتب الرحلات من المصادر المهمة التي أسهمت في وصف المظاهر العمرانية مع غيرها من المظاهر الأخرى ، إذ نقلت هذه الرحلات المشاهدات والمعاينات التي صورت القيمة التاريخية للرحلة ، وبعض المدن العربية والإسلامية حافظت على نسيجها العمراني بشكل أو بآخر ؛ ولكن بعض المدن لم يكتب لها هذا ، ومن هذه المدن مدينة بغداد التي لم تحافظ على مجدها وازدهارها كما يظهر من مشاهدات الرحالة العرب .

يعرض هذا البحث لمعالم مدينة بغداد العمرانية في نظر اثنين من أشهر الرحالة العرب،هما ابن جبير،وابن بطوطة، مع مقابلة بين الرحلتين التي يبلغ الفارق الزمني بينهما أكثر من (١٥٠) سنة ، وأن ابن بطوطة زار بغداد بعد زمن من تدمير التتر لها .

وما تجدر الإشارة إليه أن ابن بطوطة اقتبس عن ابن جبير كثيراً من وصفه لمدينة بغداد ، لذلك اقتصرت على ذكر مشاهداته .

واشتمل البحث على أربعة مباحث :

المبحث الأول : وصف عام لمدينة بغداد .

المبحث الثاني : المشاهد والأضرحة .

المبحث الثالث : المساجد والمدارس .

المبحث الرابع : الحمامات والأسواق والمستشفيات.

المبحث الأول

وصف عام لمدينة بغداد

أولاً - المعالم العامة لمدينة بغداد :

وصف ابن جبير بغداد وصفاً عاما حين زارها عام(٥٨٠هـ/١١٨٤م) (ابن جبير،١٩٨٤م، ص ٢٠٤)، وأنها تضم "جانبان: شرقي وغربي ودجلة بينهما، فأما الجانب الغربي فقد عمه الخراب، واستولى عليه،وكان المعمور أولاً،وعمارة الجانب الشرقي محدثة " إلا أن هذا الجانب استولى عليه الخراب أيضاً (ابن جبير،١٩٨٤م، ص 201)

ثانياً – محلات بغداد :

وصف ابن جبير محلات بغداد في الجانب الشرقي ، وذكر أنه تحتوي على " سبع عشرة محلة ، كل محلة منها مدينة مستقلة" (ابن جبير،١٩٨٤م، ص 201).

وذكر أكبر محلات بغداد بقوله : " فأكبرها القرية ، وهي التي نزلنا فيها بربض(ابن منظور، ١٩٦٨ ، ٧ /١٤٩) منها يعرف بالمربعة على شط دجلة بمقربة من الجسر"(ابن جبير،١٩٨٤م، ص 201).ومحلة المربعة محلة قديمة ذكرها ابن الفقيه ، إذ قال : إن لصاحب
بغداد قريته القائمة في المربعة (الهمداني، ١٩٩٦م، ص٢٨٢)، وتقع في رصافة بغداد .

وتليها من حيث الكبر الكرخ ، قال ابن جبير : " ثم الكرخ وهي مدينة مسورة " ، ثم " محلة باب البصرة ، وهي أيضاً مدينة ، ثم الشارع ، وهي أيضاً مدينة ، فهذه الأربع أكبر المحلات(ابن جبير،١٩٨٤م، ص 201)

ثم ذكر محلات أخرى ، منها : سوق المارستان وتقع بين الشارع ومحلة باب البصرة وهي مدينة صغيرة ، والوسيطة ، وهي بين دجلة ونهر يتفرع من الفرات، والعنابية وبها تصنع الثياب العتابية وهي حرير وقطن مختلفات الألوان، ومنها الحربية ، وهي أعلاها ، وليس وراءها إلا القرى الخارجة عن بغداد(ابن جبير،١٩٨٤م، ص 201).

وعن الحربية قال ياقوت الحموي : " إذا جاوزت جامع المنصور ، فجميع تلك المحال يقال لها الحربية ، مثل النصرية ، والشاكرية ، ودار بطيخ ، والعباسيين ، وغيرها(البغدادي، ١٩٩٥م، ص ٢٣٧).

وذكر ابن جبير أنه في " أعلى الشرقية خارج البلد محلة كبيرة بإزاء محلة الرصافة ... فيه قبر الإمام أبي حنيفة – رضي الله عنه - وبه تعرف المحلة"(ابن جبير،١٩٨٤م، ص 201)، وقصد بها محلة الأعظمية .

وذكر أن في محلة الرصافة باب الطاق المشهور على الشط(ابن جبير، ١٩٨٤م، ص 202)، وهي محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي، تعرف بطاق السماء(ياقوت الحموي، ص ٣٠٨) ، وكان طاقاً عظيماً في دارها، وكان عنده مجلس الشعراء في أيام الرشيد (ابن عبد الحق، ١٩٩٢م، ص ٨٧٦) .

ثالثاً- الجسور :

ذكر ابن جبير الجسور ، قائلاً : " والعادة أن يكون لها جسران أحدهما مما يقرب من دور الخليفة ، والآخر فوقه لكثرة الناس "(رحلة ابن جبير، ص ٢٠١).

رابعاً - أبواب بغداد :

تحدث ابن جبير عن أبواب الشرقية، قائلاً : " والشرقية أربعة أبواب ، فأولها وهو في أعلى الشط باب السلطان ، ثم باب الظفرية ، ثم يليه باب الحلبة ، ثم باب البصلية ، هذه الأبواب التي هي في السور المحيط بها من أعلى الشط إلى أسفله ، هو ينعطف عليها كنصف دائرة مستطيلة ، وداخلها في الأسواق أبواب كثيرة (رحلة ابن جبير ، ص 205) .

ولم يتحدث عن الأبواب الغربية ، وهي أبواب قائمة ذكرها الطبري (جرير، ١٩٦٧م، ص ٢٨٨)

خامساً - دار الخلافة :

دار الخلافة من المعالم الرئيسة لمدينة بغداد ، فهي لا تمثل المدينة فقط ، بل تمثل الخلافة العباسية أيضاً ، لذلك توسع ابن جبير في الحديث عنها وذكر وصف الخليفة وبعض ما يتعلق به ، وتناول في حديثه الجانب العمراني ، وأنها تقع في الجهة الشرقية، وذكر أن دور الخليفة مع آخرها، وهي تقع منها في نحو الربع أو أزيد؛ وللخليفة من تلك الديار جزء كبير قد اتخذ فيها المناظر المشرفة ، والقصور الرائقة ، والبساتين الأنيقة ، وله القصور والمناظر على دجلة وذكر أن سكنه كان قريباً من قصر الخلافة (رحلة ابن جبير، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٤).

المبحث الثاني

المشاهد والأضرحة

ذكر ابن جبير عدداً من المشاهد والأضرحة في الجانب الغربي من بغداد ، قال : " وبإحدى هذه المحلات قبر معروف الكوفي ، وهو رجل من الصالحين مشهور الذكر في الأولياء ، وفي الطريق إلى باب البصرة مشهد حفيل البنيان داخله قبر متسع السنام عليه مكتوب هذا قبر عون ومعين من أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ، وفي الجانب الغربي أيضاً قبر موسى بن جعفر ـ رضي الله عنهما ـ إلى مشاهد كثيرة ممن لم تحضرنا تسميته من الأولياء والصالحين والسلف الكريم ـ رضي الله عن جميعهم _ "(رحلة ابن جبير ، ص ٢٠٢).

وذكر في الجانب الشرقي قبر الإمام أبي حنيفة ـرضي الله عنه ـ ووصفه بأنه " مشهد حفيل البنيان ، له فية قبة بيضاه سامية في الهواء (٢رحلة ابن جبير ، ص ٢٠٢).

وزاد ابن بطوطة على ذلك قائلاً أن في هذا المشهد : " زاوية فيها الطعام اللوارد والصادر ، وليس بمدينة بغداد اليوم زاوية يطعم الطعام فيها ما عدا هذه الزاوية "(اللواتي، بلا تاريخ، ص ١٧٢.).

وذكر ابن جبير قبر الإمام أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ___(رحلة ابن جبير ، ص ٢٠٢) وزاد ابن بطوطة :" ولا قبة عليه ، ويذكر أنها بنيت على قبره مراراً فتهدمت بقدرة الله تعالى، وقبره عند أهل بغداد معظم"(رحلة ابن بطوطة ، ص ١٧٢)

وذكر ابن جبير قبر أبي بكر الشبلي (الأزدي، ١٩٩٨م، ص ٢٥٧) رحمه الله ـ ، وقبر الحسين بن منصور الحلاج (السلمي، ص ٢٣٦) ، وذكر أن في ببغداد من قبور الصالحين كثير ___ رضي الله عنهم -(رحلة ابن جبير، ص ٢٠٢) .

وزاد ابن بطوطة عليه : " وقبر سري السقطي (السلمي، ص 52)، وقبر بشر الحافي(السلمي، ص 42)، وقبر داود الطائي(الخطيب البغدادي ، ٢٠٠٢م، ص ٣١١) ، وقبر أبي قاسم الجنيد(السلمي ، ص ١٢٩) ـ رضي الله عنهم أجمعين " (رحلة ابن بطوطة ، ص ١٧٢).

وقال ابن جبير : " وبالرصافة تربة الخلفاء العباسيين ـ رحمهم الله _ "(رحلة ابن جبير ، ص ٢٠٤).

وزاد ابن بطوطة على ذلك قائلاً : " وعلى كل قبر منها اسم صاحبه: قبر المهدي وقبر الهادي وقبر الأمين وقبر المعتصم وقبر الواثق وقبر المتوكل وقبر المنتصر وقبر المستعين وقبر المعتز وقبر المهتدي وقبر المعتضد وقبر المعتضد وقبر المكتفي وقبر المقتدر وقبر القاهر وقبر الراضي وقبر المستكفي وقبر المطيع لله وقبر الطائع وقبر القائم وقبر القادر وقبر المستظهر وقبر المسترشد وقبر المقتفي وقبر المستنجد وقبر المستضيء وقبر الناصر وقبر الظاهر وقبر المستنصر وقبر المستعصم وهو أخرهم "(رحلة ابن بطوطة ، ص ١٧٢).

المبحث الثالث

المساجد والمدارس

أولاً-الجوامع والمساجد :

للجوامع أهميتها العمرانية فضلا عن أهميتها الدينية ، لذا ليس مستغرباً أن يوليها ابن جبير عنايته، ويذكر أعدادها وأوصافها في محال بغداد ، من ذلك قوله عن محلات بغداد أنها جوامع " يصلى فيها الجمعة"(رحلة ابن جبير ، ص ٢٠١).

وأبرز ابن جبير ذكر جامع المنصور في محلة باب البصرة ، ووصفه بأنه " جامع كبير ، عتيق النبيان ، حفيلة "(رحلة ابن جبير ، ص ٢٠١) .

وذكر ياقوت الحموي أن جامع المنصور هو البناء العمراني الوحيد الذي ظل قائماً بعد خراب القصور والدور ، قال : " وخربت تلك النواحي كلها ولم يبق إلا الجامع "(الحموي ، ص ٤٦) ، أي: جامع المنصور .

ثم أشار ابن جبير إلى جوامع الجهة الشرقية قائلاً : " وبها من الجوامع ثلاثة كل يجمع فيها: جامع الخليفة متصل بداره ، وهو جامع كبير ، وفيه سقايات عظيمة ، ومرافق كثيرة كاملة مرافق الوضوء والطهور ، وجامع السلطان ، وهو خارج البلد ، ويتصل به قصور تنسب للسلطان أيضاً المعروف بشاه شاه ، وكان مدبر أمر أجداد هذا الخليفة ، وكان يسكن هنالك فأبتنى الجامع أمام مسكنه ، وجامع الرصافة ، وهو على الجانب الشرقي المذكور ، وبينه وبين جامع هذا السلطان المذكور مسافة نحو الميل ... فجميع جوامع البلد ببغداد المجمع فيها أحد عشر "(رحلة ابن جبير، ص٢٠٤).

وعرج على ذكر المساجد قائلا : " وأما المساجد بالشرقية والغربية فلا يأخذها التقدير فضلاً عن الإحصاء "(رحلة ابن جبير،ص٢٠٥).

ثانياً- المدارس :

ذكر ابن جبير أن المدارس نحو الثلاثين " وهي كلها بالشرقية ، وما منها مدرسة ، إلا وهي يقصر القصر البديع عنها ، وأعظمها وأشهرها النظامية ، وهي التي أبتناها نظام الملك وجددت سنة أربع وخمسمائة [١١١٠م "(رحلة ابن جبير، ص٢٠٥) ؛ ولكنه للأسف لم يتوسع في وصف هذه المدارس التي تمثل النشاط العلمي والفكري في البلد والمدرسة النظامية أنشأها الوزير نظام الملك (ابن خلكان ١٩٩٢م، ص ١٢٨) في زمن الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٦٧ هـ/١٠٧٥م) وبدأ بعمارتها سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٦م) في جانب الرصافة من بعداد ، وانجز بنائها في ١٠ ذي الحجة من العام نفسه " (ابن الجوزي ، ص ٩١ .)، وقد اندثرت ولم يبق لها وجود.

أما ابن بطوطة ، فقد زاد على ابن جبير فذكر المدرسة المستنصرية، ولم يكتف بذكرها بل وصفها قائلاً : " وفي آخره المدرسة المستنصرية ، ونسبتها إلى أمير المؤمنين المستنصر بالله أبي جعفر بن أمير المؤمنين الظاهر بن أمير المؤمنين الناصر ، وبها المذاهب الأربعة ، لكل مذهب إيوان فيه المسجد ، وموضع التدريس ، وجلوس المدرس في قبة من خشب صغيرة على الكرسي عليه البسط، ويقعد المدرس عليه وعليه السكينة والوقار لابسا السواد معتما، وعلى يمينه ويساره معيدان يعيدان كل ما يقوله،وهكذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الاربعة،وفي داخل هذه المدرسة الحمام للطلبة ودار الوضوء "(رحلة ابن بطوطة ، ص ١٧١) .

والمدرسة المستنصرية بنيت في عهد المستنصر بالله (٦٢٣ -٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م) التي افتتحت في سنة (631هـ ١٢٣٣م) على شاطئ دجلة ببغداد(ابن كثير، ١٩٨٨م، ص ١٨٦) .

وقيل في وصفها : " وليس في الدنيا مثل هذه المدرسة، ولا بني مثلها في سالف الاعوام، فهي في العراق كجامع دمشق وقبة الصخرة بالشام"(سبط الجوزي ١٩٥١م، ص ٧٣٩).

المبحث الرابع

الحمامات والأسواق والمستشفيات

أولا - الحمامات :

عني ابن جبير بذكر الحمامات في محلات جانبي بغداد ، فذكر أعدادها قائلاً: " وفي كل واحدة منها الحمامان والثلاثة والثماني"(ابن جبير، ص ٢٠١.).

وفي موضع آخر فصل في ذكرها قائلا : " وأما حماماتها ، فلا تحصى عدة ، ذكر لنا أحد أشياخ البلد أنها بين الشرقية والغربية نحو الألفي حمام ، وأكثرها مطلبة بالقار مسطحة به ، فيخيل للناظر أنه رخام اسود صقيل ، وحمامات هذه الجهات أكثرها على هذه الصفة ، لكثرة القار عندهم ؛ لأن شأنه عجيب يجلب من عين بين البصرة والكوفة وقد أنبط الله ماء هذه العين ليتولد منه القار فهو يصر في جوانبها كالصلصال فيجرف ويجلب وقد انعقد فسبحان خالق ما يشاء لا إله سواه (ابن جبير، ص 204-205) .

أما ابن بطوطة ، فقد زاد على وصف ابن جبير بقوله : " وفي كل حمام منها خلوات كثيرة ، كل خلوة منها مفروشة بالقار ، مطلي نصف حائطها مما يلي الأرض به ، والنصف الأعلى مطلي بالجص الأبيض الناصع ، فالضدان بها مجتمعان ، متقابل حسنهما ، وفي داخل كل خلوة حوض من الرخام فيه أنبوبان ، أحدهما يجري بالماء الحار ، والآخر بالماء البارد ، فيدخل الإنسان الخلوة منها منفرداً لا يشاركه أحد ، إلا أراد ذلك ، وفي زاوية كل خلوة أيضاً حوض آخر للاغتسال ، فيه أيضاً أنبوبان بحريان بالحار والبارد ، وكل داخل يعطى ثلاث من الفوط إحداها ينزل بها عند دخوله والأخرى يتزز بها عند خروجه والأخرى ينشف بها الماء عن جسده ولم أرى هذا الإتقان كله في مدينة سوى بغداد وبعض البلاد تقاربها في ذلك"(رحلة ابن بطوطة ، ص ١٧٠) .

ثانياً- الأسواق :

وصف ابن جبير الجهة الشرقية بأنها " حفيلة الأسواق عظيمة الترتيب "(رحلة ابن جبير ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٤).

ثالثاً - المستشفيات :

ذكر ابن جبير المارستان الكان في سوق المارستان ووصفه بالشهير ، وهو على دجلة ، ووصفه بأنه " قصر كبير فيه المقاصير والبيوت ، وجميع مرافق المساكن الملوكية ، والماء يدخل إليه من دجلة (رحلة ابن جبير ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٤).

وقد وصف التطيلي قبل ابن جبير هذا المارستان بقوله : " وهو مجموعة من البنايات الواسعة يأوي إليها المعوزون من المرضى رغبة في الشفاء ... وفيها أيضاً بناية تدعى دار المارستان يأوى إليها المجانين المعلمين المغلوبون على عقولهم بتأثير حر القيظ الشديد ..." (الرابي، ٢٠٠٢م، ص ٢٩٨ – ٢٩٩) .

الخاتمة

بعد هذا العرض للمعالم العمرانية في بغداد عند الرحالتين ابن جبير وابن بطوطة ، ألخص أهم ما جاء فيه بما يأتي :

١. كان جهد ابن جبير مميزاً عكس مشاهداته العيانية على خلاف ابن بطوطة ، الذي كرر أقوال ابن جبير ، ولم يرد عليها إلا الشيء اليسر ، ومع أن الفارق الزمني بينهما أكثر من (١٥٠) سنة ، وأن بغداد شهدت غزو التتر لها ، إلا أن ابن بطوطة نقل الصورة التي ذكرها ابن جبير نفسها ، وكأن بغداد لم تتعرض للغزو والتدمير ، وأنها لم تشهد أي تغيير يذكر في هذه المدة .

٢. إن عدد محلات بغداد في الجانب الشرقي سبع عشرة محلة ، وأكبرها القرية ، ثم الكرخ ، ثم محلة باب البصرة ، ثم الشارع .

٣. في بغداد جسران .

٤.تحدث ابن جبير عن أبواب الشرقية الأربعة ، ولم يتحدث عن الأبواب الغربية .

5. وصف دار الخلافة وصفاً موجزاً .

٦.ذكر ابن جبير عدداً من المشاهد والأضرحة وزاد عليه ابن بطوطة مشاهد أخرى ، وقد أغفل كليهما مشاهد أخرى شهيرة مثل ضريح الشيخ عبد القادر الكيلاني .

٧. في الجهة الشرقية ثلاثة جوامع ، وجميع جوامع بغداد أحد عشر ، أما المساجد بالشرقية والغربية فكثيرة جدا يصعب إحصارها .

٨. ذكر ابن جبير أن المدارس نحو الثلاثين وهي كلها بالشرقية ، وأعظمها وأشهرها النظامية ، وزاد ابن بطوطة ذكر المدرسة المستنصرية.
9. عنيَ ابن جبير بذكر الحمامات في محلات جانبي بغداد ، وكثرتها وأنها لا تحصى ويستخدم القار في بنائها ، وزاد ابن بطوطة تفصيل بناء هذه الحمامات.
١٠. وصف ابن جبير المارستان ، وما يقدمه من خدمات.

المصادر

١. ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي، (ت ٧٧٩هـ/١٣٨٧م) ، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار الشرق العربي، (بيروت ،بلا تاريخ) .
٢. التطيلي ، الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي,(ت569 هـ١١٧٣م)، رحلة بنيامين التطيلي، المجمع الثقافي، (أبو ظبي ـ ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م) .
٣. ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي ، ت ٦١٤ هـ/ ١٢١٧م) ،رحلة ابن جبير ،دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
(٤) ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ،(ت٥٩٧هـ/١٢٠١م).المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،تحقيق محمد،ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،بيروت (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
5. الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ، (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م) تاريخ بغداد أو مدينة السلام . تحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي، (بيروت ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢م).
٦. ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ـ ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
7. سبط الجوزي شمس الدين أبي المظفر يوسف بن فرغلي (ت ٦٥٤هـ)، مرأة الزمان في تاريخ الأعيان، (حيدر آباد ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١م) .
٨. السلمي ، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي ، (ت٤١٤هـ/١٠٢٢م ، طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات . تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت – ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) .
9. الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت٣١٠ هـ/٩٢٢) ، تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، دار التراث ، (بيروت ـ ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م) .
١٠. ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي البغدادي ، (٧٣٩ هـ/ ١٣٣٩م) . مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار الجيل ، (بيروت_١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
١١.ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن إبراهيم المعروف الهمذاني ،ت ٢٩٠ هـ/ ٩٠٣) ، البلدان ، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب،(بيروت ـ ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
١٢. ابن كثير ، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) . البداية والنهاية، تحقيق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ـ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨ م).
١٣. ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، (ت ٧١١ هـ /١٣١١م) . لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت – ١٣٨٧هـ / ١٩٩٨م) .
١٤. ياقوت الحموي ، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي ت٦٢٦هـ ١٢٢٩م) . معجم البلدان ، دار صادر،ط٢، (بيروت ـ ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م).

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN-2536-0027

منهج الوحي في الإعلام والمناظرة

م.د أسماء محمد عباس
دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية
asmaa.ad509@gmail.com

ملخص البحث
تأتي أهمية البحث: (منهج الوحي في الإعلام والمناظرة) ببيان أهمية الوحي وأنواعه وصوره، وما لهُ أثر في قبول الايمان بالنبي (ﷺ) ومن خلال الاعلام الهادف بأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية عبر مراحل نزول الوحي، ومنهجيته في المناظرة، وانتجت الدراسة بيان معايير المنهج الإسلامي المستمدة من الوحي من الاخبار وعرض الحقائق وليس لأمة من الأمم طريقة عرض واضحة للأخبار الصحيحة مثل للأمة الإسلامية لما لها خصائص تفرد بها على سائر الاتجاهات الإعلامية الأخرى، ووضحت دور الوحي في الدفاع عن الحق ورد كيد الكفار.

Research Summary
The importance of importance The research: (The Revelation Approach in Media and Debate) by explaining the importance of revelation, its types and images, and its impact on accepting faith in the Prophet (may God bless him and grant him peace) and its methodology in the Prophet (may God bless him and grant him peace) and the methodologies aimed at performing from the Holy Qur'an and the Prophet's Sunnah through the stages of revelation , and its methodology in the debate, and produced a statement of the standards of the Islamic curriculum, the presentation of the experimental study, and the nation does not have a clear way of presenting the correct news, such as the Islamic nation, it has unique characteristics, when I know the other media, and it clarifies the role of revelation in defending the truth and repelling the plot of the infidels..

المقدمة
إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادِيَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:102).

أما بعد:
الحمد لله الذي أقام الحجة والبرهان، بإيضاح الدلالة والتبيان ببعث الوحي على محمد ﷺ ليكون انقاذاً للبشرية من الهلاك، والارشاد إلى الصراط المستقيم، وشرع الشرائع والأحكام وبين الحلال والحرام، وكان الله على كل شيء رقيباً في كتاب الله القرآن الكريم والسنة النبوية الموضحة لأحكامه، وفرض الفرائض بحكمه العدل المحكم، وأعطى كل ذي حق حقه فرضاً وتعصيباً، فصلها في ثلاث آيات بينات بأكمل تفصيل، وبينها لعباده لئلا يضلوا عن سواء السبيل رأفة بهم ورحمة وتيسيراً لهم وتقريباً، ووعد من وقف

عند حدوده بجزيل الثواب، ومن تعدى شيئاً منها بأليم العقاب، بشارة لهم ونذارة وترغيباً وترهيباً، أحمده وله الحمد في الأولى والآخرة ، وأشكره على فضله العظيم ونعمه المسبغة المتواترة ، وأسأله العلم النافع والعمل الصالح إنه كان سميعاً.

فقد وضحت في هذ البحث منهجية الوحي الرباني في إدارة ملف الإعلام والمناظرة، وما له أثر في قبول الإيمان بالنبي ﷺ من خلال الإعلام الهادف بأدلة القرآن الكريم وتطبيقات النبي ﷺ في السنة النبوية عبر مراحل نزول الوحي على الرسول ﷺ، فقد واجه النبي ﷺ العديد من العقبات والصد من الكفار، تم عرقلة الدعوة الإسلامية، فجاء الوحي نصرة له وتثبيت فؤاده ﷺ.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

1. بيان أهمية منهج الوحي في إدارة الإعلام والمناظرة
2. توضيح مراحل دعوة النبي ﷺ.
3. بيان منهجية الوحي في المناظرة .
4. توضيح منهج الوحي في أنواع الإعلام في الدين الإسلامي.

أهداف البحث:

1. التعرف منهجية البحث في الإعلام والمناظرة.
2. التعرف على مراحل دعوة النبي ﷺ .
3. بيان مراحل نزول الوحي وهيئاته.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع على الدراسات السابقة في هذا الموضوع تبين لي وجود عدد من الدراسات العلمية والبحوث الأكاديمية التي تناولت الموضوع من عدة جوانب، وكان من أبرزها ما يلي:

1. رفاعي، عاطف، (2011)، دور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا).
2. أحمد، آلاء، (2009م)، الإعلام مقوماته وضوابطه وأساليبه في القرآن. رسالة ماجستير. في الجامعة الإسلامية في غزة بفلسطين، في كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن.

منهج البحث:

أتبعت في بحثي المنهج الاستقرائي التحليلي الوصفي.

فكانت إجراءات البحث كالآتي:

1. اعتمادي-بعد الله عز وجل- في جمع المادة العلمية على كتب المتقدمين، وبعض كتب العلماء المتأخرين والمعاصرين.
2. عزوت الآيات إلى مصادرها بكتابة اسم السورة، ورقم الآية في المتن.
3. تخريج الأحاديث والآثار الواردة من مصادرها الأصلية؛ فإن كان الحديث في الصحيحين او أحدهما اكتفي بتخريجه منهما بذكر الكتاب أو الباب أول الحديث، وإن كان في غيرهما بينت درجته من كتب التخريج المعتمدة.
4. عزو نصوص العلماء وآرائهم المنقولة لكتبهم مباشرة.
5. الترجمة للأعلام غير المشهورين وإن كانت الشهرة أمر نسبي.

6. أحيل المراجع للحاشية، فأذكر اسم الكتاب، اسم المؤلف، ثم الجزء والصفحة، ون وط ورقمها أول مرة، ثم إذا تكرر ذكر الكتاب أذكر اسم الكتاب، اسم المؤلف، ثم الجزء والصفحة فقط.

خطة البحث:

الخطة تشتمل على ثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

الفصل الأول: التعريف بالوحي لغة واصطلاحاً، وفيه:

المبحث الأول: التعريف بالوحي لغة واصطلاحاً، وفيه:

المطلب الأول: التعريف بالوحي لغةً.

المطلب الثاني: التعريف بالوحي اصطلاحاً.

المطلب الثالث: الوحي في الاستعمال القرآني.

المبحث الثاني: مراتب الوحي، وفيه:

المطلب الأول: الرؤية الصادقة.

المطلب الثاني: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه.

المطلب الثالث: ما يتمثل بهيئة رجل.

المطلب الرابع: مجيء الوحي على هيئة صلصة الجرسِ

المطلب الخامس: أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها

المطلب السادس: كلام الله منه إليه بدون واسطة.

المبحث الثالث: مراحل نزول الوحي في الدعوة الإسلامية، ويتكون من:

المطلب الأول: المرحلة الأولى: السرية في الدعوة.

المطلب الثاني: المرحلة الثانية: دعوة الأقربين.

المطلب الثالث: المرحلة الثالثة: الدعوة العامة.

الفصل الثاني: معايير المنهج الإسلامي في الإعلام الإسلامي

المبحث الأول: معايير المنهج الإسلامي وخصائص الإعلام القرآني للوحي، وفيه:

المطلب الأول: معايير المنهج الإسلامي المستمد من الوحي.

المطلب الثاني: خصائص الإعلام القرآني للوحي.

المبحث الثاني: منهج الوحي في الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم من خلال الوحي.

المطلب الأول : الإعلام العقدي.

المطلب الثاني: الإعلام السياسي.

المطلب الثالث: الإعلام العسكري.

المطلب الرابع: الإعلام الاقتصادي.

المطلب الخامس: الإعلام الثقافي.

الفصل الثالث: منهج الوحي في إدارة المناظرة

المبحث الأول: التعريف بالمناظرة، وآدابها:

المطلب الأول: التعريف بالمناظرة لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: آداب المناظرة.

المبحث الثاني: منهج الوحي في إدارة المناظرة.

المطلب الأول: عدم تناقض الوحي مع العقل.

المطلب الثاني: المناظرة بالنظر والتدبر للاستدلال على أصول العقائد.

المطلب الثالث: الدفاع عن الحق، ورد كيد الكفار.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

قائمة المصادر والمراجع.

الفصل الأول: التعريف بالوحي لغة واصطلاحاً، وفيه:

المبحث الأول: التعريف بالوحي لغة واصطلاحاً، وفيه:

المطلب الأول: التعريف بالوحي لغة.

الوحي في اللغة كما قال علماء اللغة وفقهائهم، هو الكلام والاعلام في خفاء، وكذلك الإشارة والإيماء والكتابة والرسالة والالهام. وكل ما القيته الى غيرك في سرعة خاطفة حتي فهمه فهو وحي. قال الشاعر:

نظرت إليها نظرة فتحيرت ... دقائق فكري في بديع صفاتها

وأوحى إليها الوهم أني أحبها ... فأثر ذاك الوهم في وجناتها.[1]

ويمكن القول اننا نستفيد من تعريفات اهل اللغة، ان الوحي هو الاعلام والاخبار بخفاء بطرق من الطرق ووسيلة من الوسائل .

قال ابن منظور:" وحي : الوَحْيُ : الإشارة والكتابة والرِّسالة والإلْهام والكلام الخَفِيُّ "[2] قال الراغب: " أصل الوحي، الإشارة السريعة، و لتضمّن السرعة قيل: أمر وحي أي سريع. و ذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز و التعريض، و قد يكون بصوت مجرّد عن التركيب، و بإشارة ببعض الجوارح، أو بالكتابة" [3].

و قال ابن فارس: " «و، ح، ي» أصل يدلّ على إلقاء علم في إخفاء أو غيره، و الوحي: الإشارة. و الوحي: الكتاب و الرسالة. و كلّ ما ألقيته الي غيرك حتي علمه فهو وحي، كيف كان" .[4].

وأبرز الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن أحمد معنى الكلام بالرمز في صلته بالوحي، فأمر وحي: هو ما يكون بالكلام على سبيل الرمز والتّعريض .[1]

والوحي أيضا الإشارة ، قال أبو الهيثم : وحيت إلى فلان إليه وحياً، وأوحيت إليه أوحي إيحاء : إذا أشرت إليه. وربط الفراء أبو زكريا يحيى الديلمي، الإيحاء بالإيماء ، فالعرب تقول أوحى ووحى وأومي ووومى ، وأومي ووومى بمعنى واحد متشابه في الكلام، ووحى يحيى ووومى يمي، لذا فسر قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم : ١١] أنه : أشار إليهم[2] . وأيّد أبو عبيد ذلك فيما نقله عنه ابن دريد . وجعل الراغب الأصفهاني إن الإشارة السريعة هي أصل الوحي[3]. كما أنه أكّد ذلك حين جعل الإشارة مما يشتمل عليه الوحي من معان، فالوحي : الإشارة ، والكتابة ، والرسالة ، والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك[4]. والوحي والوحاة : هو الصوت، يقال: سمعت وحاه يوحي : أي صوته يتكلم قال ابن الأعرابي أبو عبد الله محمد بن زياد الكوفي: الوحي : صوت الطائر[5]. يتبين مما سبق أن علماء اللغة أتفقوا أن الوحي بمعناه اللغوي هو لكلام الخفي إلى الشخص المعني للإيحاء له، وقد جاء الوحي بمعني الإشارة والكتابة والرسالة.

المطلب الثاني: الوحي اصطلاحاً:

الوحي اصطلاحاً في الشرع عند أهل السنة والجماعة: " هو إعلامُ النبي بشيء إما بكتاب أو برسول أو بمنام أو بإلهام. وفي كلٍ مِنْ هَذِهِ خلاف لبعض المخالفين".[1] قال (وَصَدَّقهُ المؤمنون على ذلك حَقًّا) يعني

آمن به المؤمنون. قال: (وأَيْقَنُوا أنَّه كلامُ الله تعالى بالحقيقة) قوله هنا (أَيْقَنُوا أنَّه كلامُ الله تعالى بالحقيقة) استعمل لفظ (بالحقيقة) ردًّا على قول من قال إنه كلام الله تعالى مجازاً وليس حقيقة كما هو قول المعتزلة والجبرية وغيرهم. هذا من جهة استعمال لفظ الحقيقة بما اسْتُعْمِلَتْ فيه عند أهل هذه البحوث. قال(ليس بمخلوقٍ ككلام البَرِيَّةِ): يعني أنَّ الله سبحانه تكلم بكلامه وهو صفته ليس بمخلوق؛ بل هو وحي منزل ،كلام الله ? صفته، وأما المخلوق فهو كلام البرية.[2]

وقد عرّف الوحي الأستاذ الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد فقال: هو عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت. ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام: وجدان تستيقنه النفس فتنساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين يأتي. وهو أشبه بوجدان الحزن والسرور والجوع والعطش [3]. والوحي أيضاً: يقال: «إن كل الكتاب هو موحى به من الله» والوحى بهذا اللفظ والمعنى هو حلول روح الله في الكتّاب بعني الرسل المرسلين، ومن فوائد الوحي للرسل الكرام:

1 - إفادتهم بحوادث مستقبلة لم يكن يمكنهم التوصل إليها إلا بزه وبحقائق روحية.

2 – إرشاد الرسل إلى تأليف حقائق مقررة وحوادث معروفة، وتدوينها كتابة، بحيث يعصمون من الخطأ المعروف. فيقال: «تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس، وهنا لا يفقد المتكلم أو الكاتب شيئا من شخصيته فقط، وإنما يؤثر فيه الروح الإلهي بحيث يستعمل ما عنده من القوى والصفات وفق إرشاده تعالى، ولهذا نرى في كل مؤلف من الكتّاب الكرام ما امتاز به من المواهب الطبيعية ونمط التأليف، وما شابه ذلك وفى شرح هذا التعليم دقة، وقد اختلف بعض العلماء فيما أوردوه من شرح في تعريف الوحي، غير أن جميع المسيحيين يتفقون على أن الله سبحانه وتعالى قد أوحى لأولئك الكتّاب ليدونوا ما جاء على لسان الله تعالى، ويستفيد الإنسان ما يجب عليه وله من الإيمان اليقيني والعمل الخالص لله تعالى؛ لكي ينال الخلاص الأبدي ليوم القيامة[1]

المطلب الثالث: الوحي في الاستعمال القرآني:

كان للقرآن الكريم كما لا يخفى الفضل الكبير في إثراء اللغة العربية والتوسع بها إلى آفاق جديدة في الابتكار والتعبير والتصوير لمعان ومفاهيم جديدة لم تكن البيئة العربية قد شهدتها من قبل، ومادة الوحي من الألفاظ التي أشرق عليها القرآن الكريم بأبعاد جديدة وواضحة، إضافة إلى ما جلاه من معانيها التي كانت متداولة عند الناطقين بها، فكان لهذه الإشراقة أن نالت اللغة العربية بأبعاد روحية سمت بها إلى معان شريفة راقية في التعبير.

فقد استوعب القرآن الكريم جميع التصريفات اللغوية لمادة الوحي وعبّر عن أغلبها بمعانيها المتداولة ، وصبّها جميعا في قوالب جديدة ترابطت فيها المعاني المتعددة ، أو انفصلت عن بعضها بعضا ، كما ورد ذلك في آيات متعددة ستكون مدارا للبحث فيما سيأتي ، فلما كان الإلقاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل أو قذفا في الروع أو رؤيا مما خفي على غيره صلى الله عليه وسلم فقد عبّر سبحانه عن ذلك بالوحي، وهي معان لم يكن بعضها معروفا في العربية.

ويرجع ابن الأنباري سبب التسمية بالوحي فيما كان إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن الملك أسرّه عن الخلق، وخصّ به النبي المبعوث إليه [2]. ومن ثمّ أخذ لفظ الوحي يختص بالكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه[3]، وليكون شاملا لضروب متعددة عبرت عنها الآية (٥١) من سورة الشورى في قوله تعالى: ﴿ وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ﴾ [الشورى : ٥١] للإحاطة بها ، إذ تبيّن أنواع التكليم الإلهي للبشر.

المبحث الثاني: مراتب الوحي:

المطلب الأول: الرؤية الصادقة:

وكانت مبدأ وحيه ﷺ الرؤيا الصادقة، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.[1] وأن الرؤيا الصادقة جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة ووجه ذلك عند جمع: أنه - ﷺ - بقي ستة أشهر يرى الوحي مناماً ثم جاءه الملك يقظة وستة أشهر بالنسبة إلى ثلاث وعشرين سنة جزء من ست وأربعين وروى جزء من خمسة وأربعين جزءاً وروى أنها جزء من أربعين وروى أنه جزء من سبعين فلعله إشارة إلى كثرة أجزاء النبوة.[2].

قال ابن القيم عن الرؤيا الصادقة: َإن ذلك الرؤيا بحسب حال الرائي، فإن الرؤيا الصديقين من سته وأربعين، ورؤيا عموم المؤمنين الصادقة من سبعين... والرؤيا من مبدأ الوحي، وهذا يدل على صدق الرائي، وأصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثاً، وهذا عند اقتراب الزمان لا يكاد يخطي الشخص، كما قال النبي ﷺ ، وذلك لبعد العهد بالنبوة وآثارها، فيتعوض المؤمنون بالنبوة الصادقة، وأما في زمن قوة نور النبوة ففي ظهور نورها وقوته ما يغني عن الرؤيا. وظهرت الكرامات بعد عصر الصحابة، ولم تظهر على الصحابة، لاستغنائهم عنها بقوة إيمانهم، واحتياج من بعدهم إليها لضعف إيمانهم.[3]

وأن رؤيا الأنبياء وحي، فإنها معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة، ولهذا أقدم الخليل ابراهيم على ذبح ابنه اسماعيل عليه السلام بالرؤيا، أما رؤية غيرهم فتعرض على الوحي الصريح، فإن وافقته وإلا لم يعمل بِهَا[1].

وقد ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يأتي غار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، ثم يرجع فيتزود لذلك، حتى فجأه الوحي، وهو بغار حراء، فأتاه الملك، فقال له: اقرأ، فقال: لست بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، ثم قال: اقرأ، فقال: لست بقارئ، قال: مرتين أو ثلاثا، ثم قال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ - خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ - اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ - الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ - عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1 - 5] فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره»[2].

المطلب الثاني: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه:

كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»[3].

المطلب الثالث: يتمثل الوحي بهيئة رجل:

أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناًفقد كاان الوحي يتمثل للنبي بهيئة رجل من الصحابة دحية الكلبي.

المطلب الرابع: مجيء الوحي على هيئة صلصة الجرسِ:

وكان أشده عليه، فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد، وحتى إن راحلته لتبرك به إلي الأرض إذا ركبها، ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها.[1]

المطلب الخامس: أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها:

﴿ فَيُوحِي إِلَيْهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُوحِيَهُ، وَهَذَا وَقَعَ لَهُ مَرَّتَيْنِ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ ذَلِكَ ﴾، [النَّجْمِ: 7، 13] .

المطلب السادس: كَلَامُ اللَّهِ لَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ بِلَا وَاسِطَةِ مَلَكٍ:

كما كلم الله النبي موسى بن عمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى عليه السلام قطعاً بنص القرآن، وثبوتها لنبينا محمد ﷺ في حديث الأسراء المشهور.

وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة، وهي تكليم الله له كفاحاً من غير حجاب وجهاً لوجه، وهذا على مذهب من يقول: إنه ﷺ رأى ربه تبارك وتعالى، وهي مسألة خلاف بين السلف والخلف.[2]

المبحث الثالث: مراحل نزول الوحي في الدعوة الإسلامية

المطلب الأول: المرحلة الأولى: السرية في الدعوة:

في سبيل ق إنجاح الدعوة الإلهيّة اتّخذ الرسول الدعوة السرّية خطوة أُولى خطاها، ولم يكن الغرض من التركيز على السرّيّة في الدعوة الخوف على نفسه ﷺ وصيانته من كيد الأعداء، بل هذه هي الخطّة الرائجة بين الدعاة المخلصين، فلا يجهرون بالدعوة، و لا يعلنونها بادئ الأمر، بل يبدأون بعرض الدعوة سرّاً على الأفراد الذين يطمئنّون لهم مثل ما اطمئن الرسول ﷺ لأبي بكر الصديق ـ و لأجل ذلك نزل الوحي على النبي وأمره بسية الدعوة، فبدأ الرسول (صلّى الله عليه و آله و سلّم) بالدعوة السرّية إلى الاسلام فدخل تحتها عدّة من الشباب مثل: علي بن أبي طالب، فتعلّموا الفرائض و السنن والشرائع سرّاً بادئ الامر، و كانوا يذهبون إلى شعاب مكّة فيقيمون الفرائض فيها[1]. فكان النبي ﷺ يعرض دعوته على من يتفرّس فيه امارات قبول الإسلام من الصحابة، ولذلك لمّا هبط من غار حراء عرض دعوته على زوجته خديجة بنت خويلد وابن عمّه علي بن أبي طالب، وقد تمكّن الإسلام بذلك في قلوب عدّة سجّلت أسماؤهم في التاريخ مثل زيد بن حارثة، وعثمان بن مظعون، وقدامة بن مظعون، وغيرهم[2].

يقول ابن هشام في تفسير قوله : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته، من النبوّة فحدّث أي اذكرها، فادع إليها، فجعل رسول الله يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوّة سرّاً إلى من يطمئنّ إليه من أهله[3]. فجاء في كتب السيرة النبويّة ، ولنكتف ببعض ما جاء في المقام :

١ ـ روى ابن هشام عن ابن إسحاق أنّه ذكر بعض أهل العلم: أنّ رسول الله كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكّة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه ومن جميع أعمامه وسائر قومه فإذا أمسيا رجعا ومكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا... . ثم أسلم زيد بن حارثة وكان أوّل ذكرٍ أسلم وصلّى بعد علي بن أبي طالب [1].

٢ ـ روى الطبري عن جابر قال: " بعث النبي يوم الاثنين وصلّى علي يوم الثلاثاء ، وروي عن زيد بن أرقم قال : أوّل من أسلم مع رسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلّم) علي بن أبي طالب ، ويقول علي : أنا عبد الله وأخو رسوله أنا الصدّيق الأكبر " [2] .

أساليب شتى لمجابهة الدعوة اثناء نزول الوحي:

من أساليب الكفار في القضاء على الدعوة الإسلامية ، وتتلخص هذه الأساليب فيما يلي :

1- السخرية والاستهزاء والتكذيب والتحقير: كانوا ينادونه بالمجنون، لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر : 6] ، ويصمونه بالسحر والكذب، قال تعالى: ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص : 4] ،وكانوا يشيعونه ويستقبلونه بنظرات ملتهمة ناقمة، وعواطف منفعلة هائجة ، ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ

وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ [القلم : 51]، وكان إذا جلس وحوله المستضعفون من أصحابه استهزأوا بهم وأذوه وقالوا: هؤلاء جلساؤه... ﴿ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ﴾ [الأنعام : 53].[1]

2- إثارة الشبهات عليه وتكثيف الدعايات الكاذبة: فكانوا يكذبون القرآن الذي نزل على النبي بقولهم: ﴿ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ﴾ [الأنبياء : 5] يراها محمد بالليل وهو نائم ويتلوها بالنهار، ويقولون: ﴿ بَلِ افْتَرَاهُ ﴾ من عند نفسه ويقولون : { إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ } وقالوا أيضاً: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ [الفرقان : 4] أي اشترك هو وزملاؤه في اختلاقه وتأليفه. { وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } [الفرقان : 5].

3 - الحيلولة بين الناس وبين سماعهم القرآن المنزل على النبي ﷺ، ووصفه بأساطير الأولين: كان الكفار يطردون الناس ويأذونهم ويثيرون الشغب بينهم، إذا رأوا أن النبي ﷺ يتهيأ للدعوة ويدعوا لها، أو إذا رأوه يصلي ويتلو القرآن آذوه . قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: 26] حتى إن النبي ﷺ لم يتمكن من تلاوة القرآن عليهم في مجامعهم ومجالسهم إلا في أواخر السنة الخامسة من النبوة، وذلك أيضًا عن طريق المفاجأة، دون أن يشعروا بقصده قبل بداية التلاوة [2].

4. الاضطهادات: كان أبو فُكَيْهَةَ ـ واسمة أفلح ـ مولى لبني عبد الدار، فكانوا يخرجونه في نصف النهار في حر شديد، وفي رجليه قيد من حديد، فيجردونه من الثياب، ويبطحونه في الرمضاء شديدة الحرارة، ثم يضعون على ظهره صخرة حتى لا يتحرك، فكان يبقى كذلك حتى لا يعقل (يبقى مجنون)، فلم يزل يعذب بشدة كذلك حتى هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وكانوا مرة قد ربطوا رجله بحبل، ثم جروه وألقوه في الرمضاء، وخنقوه حتى ظنوا أنه قد مات، فمر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه فاشتراه وأعتقه لله[1]

المطلب الثاني: الرحلة الثانية : دعوة الأقربين

اجتازت الدعوة المحمّدية المرحلة السرّية إلى مرحلة ثانية بعد ما آمن به جماعة من قريش وغيرهم ودخل الناس في الإسلام آحاد من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكّة ، فتحدّث به القريب والنائي ، فعندئذٍ أمر سبحانه بدعوة الأقربين وأنزل الوحي لإرشاده، بقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ *وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ *فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾. (الشعراء : ٢١٤ - ٢١٦).

وقالت عائشة رضي الله عنها: لما نزلت: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} قام رسول الله -ﷺ- فقال: "يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئًا سلوني من مالي ما شئتم"[1].

وقال أبو هريرة: لما نزلت: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} جعل يدعو بطون قريش بطنًا بطنًا؛ يا بني فلان: " أنقذوا أنفسكم من النار" حتى انتهى إلى فاطمة ابنته؛ فقال: "يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار لا أملك لكم من الله شيئًا غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها"[2].

وجاء في التفسير" قوله: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214] أي: " رهطك الأدنين، وهم بنو هاشم، وبنو المطلب خاصة"[3].

المطلب الثالث: المرحلة الثالثة: الدعوة العامة

اتّسمَ الإسلام بالطابع العلمي منذ نزول أول آية على رسول الله ﷺ في غار حراء {اقْرَأْ} فهي دعوة آمرة إلى الثقافة، إلى العلم، إلى التفكير، إلى البحث المستفيض في ملكوت الله، في السماء والأرض، في الجبال،

في كل ما خلق الله تعالى من كائنات صغرت أم كبرت. دعوة ذات نظرة كلية شاملة إلى الكون، والحياة والإنسان، وما قبل الحياة وما بعدها[1].

وتتابعت بعدها الآيات المحكمات والمتشابهات، يلقيها جبريل عليه السلام على قلب محمد ﷺ، يتنزل بها من لدن حكيم خبير، من خالق السماوات والأرض، فيعيها محمد ﷺ وعياً كاملا، ويبلغها بأمانة وقوة، وإخلاص. والآيات تبين- والدعوة لم تزل في مكة لم تخرج عن نطاقها- أن الدعوة عالمية، ليست محدودة بشعب من الشعوب، ولا مكان دون مكان، ولا بزمان دون زمان، دعوة للبشر عامة، حيث أن محمداً- هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وبه تم الإسلام.

الفصل الثاني: معايير المنهج الإسلامي وخصائص الإعلام القرآني للوحي

المبحث الأول: معايير المنهج الإسلامي وخصائص الإعلام القرآني للوحي، وفيه:

المطلب الأول: معايير المنهج الإسلامي المستمد من الوحي.

1 – العرض الكامل لاستسقاء الأخبار المتكاملة، وعرض جميع الحقائق على الجميع، فليس لأمة من الأمم مثل ما للأمة الإسلامية من طريقة عرض واضحة للأخبار الصحيحة والواضحة للرسالة الربانية، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: 119]. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا - يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 70 - 71]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: 6] .

2. أنَّ المنهج الإسلامي منهج رباني لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه، لأنه شريعة الله العليم الخبير التي وضعها لعباده؛ فإذا ساروا عليها سعدوا وفازوا وأفلحوا وانتصروا، وإذا تركوها ذلوا وضعفوا وهانوا[1]..

3. بناء مجتمع إسلامي رباني يقوم على التوحيد والسنة والوحدة والفضيلة والأمن والعدل، وهذه الركائز كلها تحققت في المواطن التي تمكنت فيها الدعوة أو تأثرت بها تأثرًا كبيرًا، وذلك قا لوعد الله تعالى في قوله: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ - الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج: 40 - 41][2].

4. ترسيخ التوحيد والعقيدة ونبذ الشرك والمحدثات، ومن إقامة فرائض الدين وسننه وشعائره بإقامة الصلاة والحسبة والزكاة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وق العدل (القضاء وغيره) وإقامة الحدود.[3]

المطلب الثاني: خصائص الإعلام القرآني للوحي:

للإعلام القرآني خصائص تفرد بها عن سائر اتجاهات الإعلام الأخرى ويمتاز بأنه:

1 – رباني المصدر لا يد لأحد من البشر فيه، لأنه وحي من الله سبحانه، يحدد ملامح الفضائل المرضية عنده سبحانه، والعبادات المفروضة المقبولة بين العباد وربهم، والمعاملات الصحيحة بين الناس بعضهم البعض، يرسم للمرسلين والمصلحين ملامح الدعوة، ويبين طرق التأثير ووسائل الإقناع، موجه من رب العالمين للثقلين، وهو أعلم بمن خلق، ويقوّم سلوكياتهم، وما يُحَصِّلون به صلاح الدين والدنيا، ويوفر لهم الحياة الطيبة السعيدة.

2 - اعتماد الحقائق كمصدر وحيد، ولا شيء غيرها، وانظر إلى سيل الحقيقة القرآنية المتدفق:

- فالله تعالى هو الحق، قال سبحانه {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [الحج: 6]

- وقول ربنا كله حق: {قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ} (3)،وقال عزَّ وجلَّ {وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ} [الأحزاب:4].

- ورسالة رسولنا عليه الصلاة والسلام هي الحق: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ} [البقرة:119].

3. المصداقية: ونزوله على رسول صادق لا يتطرق إليها شك وذلك أن القرآن كلام أصدق القائلين سبحانه، فهو أتم كلام سمعته أذن البشرية، وأعدل كلمات مسطورة محفوظة حتى يرث الله الأرض ومن عليها. قال الله عزَّ وجلَّ {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [الأنعام: 115] ، بل إن رسالة النبي ﷺ كلها صادقة.[1] فإعلام القرآن لا مجال فيه لكذب أو تزوير أو ترويج لإشاعات أو افتراء ، "بل يعتمد الصدق فقط في أخباره، وكيفية صياغتها، والمقاصد المتوخاة منها، مع الصدق في الأحكام على الأمور ليتكون لدي الجمهور الرأي السديد والفهم القويم للأمور التي تحيط بهم"[1].

4. الانحياز التام لمكارم الأخلاق، والترويج لها، وإذاعتها، رجاء أن يلتزم بها جمهور المكلفين، وإن إطلالة خاطفة على بعض آيات القرآن الكريم كافية لبيان هذه الخصيصة الإعلامية قال الله سبحانه {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (199)} [الأعراف: 199]، وقال الله سبحانه {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }(آل عمران: 134) ، وقال - سبحانه وتعالى - {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} (الفرقان: 63) ، وقال عزَّ وجلَّ {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا } (الفرقان: 72).

5. التفاعلية الإيجابية مع الأحداث الواقعة، ويبدو ذلك بجلاء من نزول القرآن الكريم منجماً على ثلاث وعشرين سنة متابعاً للحوادث، مجيباً عن الأسئلة، حالّاً للمشكلات، مرشداً للحائرين، حاسماً للنزاع، حكماً فصلاً في الملمات، والوصول لواحد مما سبق أو بعضه هو غاية أماني وسائل الإعلام. ... ولم تقتصر تفاعلية الإعلام القرآني على جانب دون آخر بل شملت جميع جوانب الدين والحياة، في العقائد والعبادات والمعاملات والحدود والأحكام.

المبحث الثاني: منهج الوحي في الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم من خلال الوحي.

جاء منهج الوحي في الإعلام شامل جميع المجالات العقدية والعسكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، ويمكن بيان منهجية الوحي في مختلف الإعلام، ونذكر منها:

المطلب الأول: الإعلام العقدي ومن صوره ويتمثل بما يلي:

1. هو الإعلام بالوحي بما يتعلق بالله سبحانه تعالى، وكل ما أخبر به عن نفسه تعالى: ذاتا، وصفاتٍ، وأفعالا. والإيمان بوجود الله تعالى بدلائل الفطرة، والشرع، والحس والعقل، والإيمان بربوبيته وألوهيته بلا شريك ولا معين، والإيمان بأسمائه وصفاته، دون تحريف، أو تكييف، أو تعطيل، أو تمثيل.

2 . والإعلام بالرسل الكرام عليهم السلام، وما يتعلق من الإيمان برسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع.[1]

3. الإعلان عن الملائكة ووجودهم، والإيمان بمن علمنا اسمه منهم (كجبريل) وإسرافيل وغيرهم، ومن لم نعلم اسمه، والإيمان بما علمنا من صفاتهم، وأعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه.
4. الإيمان بالكتب المنزلة على رسله هداية رحمة للخلق؛ ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة، والإيمان بما علمنا اسمه منها، كالقرآن، الإنجيل، والتوراة، و، والزبور.
5. الإيمان باليوم الآخر وهو "يوم القيامة" الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء. وما يتعلق به الإيمان بالبعث، والإيمان بالجنة والنار، وأنهما النهاية الأبدية للخلق والإيمان بالحساب والجزاء، ، ويلحق به الإيمان بكل ما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه...[2].
6. الإيمان بالقضاء والقدر: وهو نزول الوحي بعقيدة الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلاً، والإيمان بأن الله تعالى كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، والإيمان بأن جميع الكائنات المخلوقة لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى.[3]

أهداف الإعلام العقدي في القرآن من خلال الوحي:

1. التأكيد على وحدانية الله عزَّ وجلَّ، واستحقاق الله وحده للعبادة. ويتمثل في قوله سبحانه تعالى: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾[البقرة: 163] ، وجاء في تفسير الآية قال السعدي - رحمه الله -: " يخبر تعالى - وهو أصدق القائلين - أنه {إِلَهٌ وَاحِدٌ} أي: متوحد منفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فليس له شريك في ذاته، ولا سمي له ولا كفو له، ولا مثل، ولا نظير، ولا خالق، ولا مدبر غيره[1].
2. الدفاع عن عقيدة الأمة الإسلامية ورد الشبهات، وذلك بالدليل الواضح المتين، والبيان المحدد مصدره الله تعالى.
3. بث الطمأنينة، والاعتماد على الله سبحانه تعالى، مهما وقع من أقدار الله تعالى فلا يُقْلَقُ؛ لأن ذلك كله بقدر الله، الذي له ملك السموات والأرض، ويتمثل ذلك بقول الله سبحانه وتعالى[2]: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (23) ﴾ [الحديد: 22 -23].

المطلب الثاني: الإعلام السياسي للوحي

أولاً: أهداف الإعلام السياسي للوحي في القرآن الكريم:

1. إعلان الحاكمية لله سبحانه: فقد جاء الوحي بإعلان الحاكمية لله تعالى في القرآن الكريم وأن الله تعالى هو الحكم المطلق، الذي له الخلق والأمر، لا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، قال سبحانه :{إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ}، أي وحده وليس لأحد سواه " القضاء قضاؤه، والأمر أمره، فما قضاه وحكم به لا بد أن يقع ".
2. بيان التأكيد على وحدة الأمة الإسلامية وترابطها: إن الإسلام هو الرابط الوثيق لوحدة الأمه الإسلامية، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103]، فأمر الله المسلمين أن يكونوا أمة واحدة مترابطة، متينة الروابط، قويمة الخلق، قوية العقيدة ، يتساوى أفرادها في الحقوق والواجبات، والطاعات، وتتكاتف في سبيل نصرة الشريعة، وإعلاء كلمة الله تعالى.
3. تعريف الأمة الإسلامية بأحكام الإسلام وتشريعاته في إدارة الحكم والشئون العامة.[1]

ثانياً: صور من الإعلام السياسي للوحي في القرآن الكريم:

1. اعتماد التكرار في تقرير الأسس والأركان التي يقوم عليها الحكم الإسلامي ومبادئه، وهو أسلوب قرآني مبين، يؤسس المعاني، ويؤكد المفاهيم، قال الإمام السيوطي - رحمه الله -:"وله - أي:" التكرار - فوائد: منها: التقرير، وقد قيل " الكلام إذا تكرَّر تقرَّر "[2]. وعلى هذا سار الإعلام القرآني، لتقرير القضايا الكبرى، في وجدان الأمة.
2. استخدام القصص القرآني في بيان الممارسات السياسية الصحيحة والخاطئة والقرآن فيه من القصص كثيرة ما يؤكد ذلك.

المطلب الثالث: الإعلام العسكري للوحي

ومن أهداف الإعلام العسكري للوحي في القرآن الكريم:

يمكن لنا أن نلخص هذه الأهداف في النقاط التالية

1 - تنمية روح الولاء والانتماء للأمة الإسلامية، ومن هذا قوله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 71]. قال الإمام ابن كثير رحمه الله " أي يتناصرون ويتعاضدون، كما جاء في الصحيح: (المؤمن للمؤمن كالبنان يشد بعضه بعضا. وشبك بين أصابعه)[1].
وفي الصحيح أيضا: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) .[2]

2- الإعلام بأسباب النصر على الأعداء: وذلك أن للنصر والتمكين سنناً إلهية، لا تتخلف ولا تتبدل، وأسباباً لابد من تحصيلها، والعمل بمقتضاها، حتى تنعم الأمة بالنصر على عدوها.

3- غرس القيم الصحيحة، وتقويم السلوكيات المنحرفة الباطلة: وهي قيم تحتاج إليها الأمة المجاهدة، وتخوض بها المعارك دفاعاً وهجوماً، ومن هذه القيم: الصبر، وصدق التوكل الله تعالى، والشجاعة، ومحبة الفداء، والتضحية، والإيثار، والإنفاق في سبيل الله، والثبات عند اللقاء، وقول الحق.
ومن الآيات التي تغرس هذه القيم في الأمة قوله الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [سورة آل عمران: 200].[3]

المطلب الرابع: الإعلام الاقتصادي للوحي:

أولاً: التعريف بالأعلام الاقتصادي: إن الإعلام الاقتصادي للوحي، هو الإعلام القائم على تزويد الناس بالمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة، عن مبادئ سلوك الإنسان الاقتصادي في تحصيل المنافع وإشباع حاجاته، والتعريف بالموارد المتاحة، وطرق الإنتاج، ووسائل التوزيع، والاستهلاك والتصدير، والتبادل، بما يحقق الرفاهة للأفراد والمجتمعات.[4]

ثانياً: أهداف الإعلام الاقتصادي للوحي:

1. ق العبودية لله تعالى بكمال الانقياد لقواعد الشريعة في معاملات الاقتصاد، قال تعالى: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} سورة الأنعام: 161 - 163.
2. الإسهام في نشر ثقافة الإحسان، وأن تنمية المال بالصدقة لا يتأتى ذلك للمؤمن حتى يعوّد نفسه البذل، والإحسان، والتصدق، ويداويها من الشح، قال تعالى مادحاً للكرام المنفقين: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} سورة الإنسان: 8

3. حث على السعي الدءووب، والعمل الجاد، مع ربط الرزق بالإيمان والتوكل على الله تعالى. والسعي الدءووب للكفاية، لابد أن يكون مقترنا بالتوكل واليقين على رب العالمين جل وعلا، لا أن يغتر الإنسان بكسبه، وعمله، فيطغى، أو يجحد فضله سبحانه، قال تعالى {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} سورة هود: 6

1. محاربة الجشع، والرغبة الجامحة في الربح السريع، وذلك أن الله تعالى أراد مجتمع المسلمين مجتمعَ تراحم، وتكافل، لا مجتمع أثَرَة، ولا أنانية، ومع كفالة الحرية التامة في المعاملات الاقتصادية، وإطلاقها فيما أحله الله، ومباركة أرباح المتعاملين[1] .

المطلب الخامس : الإعلام الثقافي للوحي:

أولاً: تعريف الإعلام الثقافي: هو الإعلام القائم على تزويد الناس بالمعلومات الواضحة والمحددة، والحقائق الثابتة عن الأفكار الصحيحة، والمعتقدات، والعلوم، والمعارف، والنظم، التي يمتاز بها المجتمع عن غيره من المجتمعات، بحيث تصل بالجماهير لتصور ثقافي واضح ومحدد، وتساعدهم على تكوين معرفة صحيحة وواضحة عن خصائص ومميزات أمتهم الحضارية والفكرية والثقافية[1].

ثانياً: أهداف الإعلام الثقافي في القرآن الكريم:

1. تحديد أسس بناء الشخصية الإسلامية: وهي أهم الأسس التي تقوم عليها، وتتميز بها شخصية المسلم عن غير المسلمين، وأهمها: الإيمان بالحق واخضاع العبودية لله تعالى، ويتحررفها الإنسان من جميع مخاوفه من رزقه أو أجله، على حاضره، أو مستقبله، ويسمو بقلبه عن التصورات المضللة للقضايا الكبرى. قال تعالى: {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} (سورة النحل:51). وقوله سبحانه {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (سورة الشورى: 11). وقوله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (سورة الذاريات: 56).[2]
2. إعلام الأمة الإسلامية بتراث وفكر الأمم الأخرى المؤمنة من أتباع الأنبياء والمرسلين السابقين، وما تخللته حياتهم من إبراز للمعاني السامية من الشجاعة في قول الحق والصدق به، والتضحية في سبيل الأفكار والمعاني والمبادئ. والأمثلة على هذه المعاني كثيرة منها قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)} [سورة الأنبياء: 25].
3. الدعوة إلى تزويد العقول بحقائق الدين الواضحة، وكشف الأباطيل الكاذبة وشبه الخصوم، من أجلّ المقاصد لآيات القرآن الكريم. قال الله تعالى عن القرآن: {حم (1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (سورة فصلت: 1 - 3). وقال سبحانه {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} (سورة الفرقان: 33). وقال عزَّ من قائل {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ} (سورة الأنبياء: 18). ومن تصحيح المفاهيم قوله تعالى: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} (سورة النساء: 123 - 124). ففي سبحانه أن مجرد الانتساب لأحد الرسالات الثلاث كافياً للنجاة عند الله، مهما عمل الإنسان من عمل، بل لابد من العمل الصالح الدؤوب لدخول الجنة[1].

ثالثاً: صور الإعلام الثقافي في القرآن الكريم:

1. استعمال القصص القرآني في بث القيم، والتعاليم الإسلامية: " والقصة بأسلوبها الفني، وما تستدعيه في النفس من قيم، كانت وسيلة من وسائل تطهير النفس، لتسمو إلى الرؤية، والإدراك الوجداني.

2. بيان عاقبة الشر والإفساد ما جاء في ذكر عاقبة فرعون وجنوده قال جلَّ جلاله: {وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (39) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (40) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ} (سورة القصص: 39 - 41). [2].
3. بيان الحرص على طلب العلم وتحصيله، وتحمل المشاق في سبيل تحصيله، ويظهر هذا المعنى في رحلة موسى عليه السلام إلى مَجْمَع البحرين ليتعلم من العبد الصالح الخضر قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا} (سورة يوسف: 100).

الفصل الثالث: منهج الوحي في إدارة المناظرة

المبحث الأول: التعريف بالمناظرة، وآدابها:

المطلب الأول: التعريف بالمناظرة لغة واصطلاحا:

أولاً: المناظرة لغةً: المناظرة في اللغة من مصدر ناظر مناظرةَ، وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: : هو " جدال وحوار ونقاش علميّ، وتبادل في وجهات النَّظر المختلفة يقوم فيه فريقان خصْمان بالدِّفاع عن قضيّة ما أو مهاجمتها "مناظرة أدبيَّة- يهوى المناظرات القلميَّة"[1]. وتأتي بمعنى محاورة أو جدال في الكلام، وندوة لتبادل الآراء وحل المشكلات.[2]

ثانياً: المناظرة اصطلاحا: والنظر في الاصطلاح: هو الفكر المؤدي إلى علم أو غلبة ظن، وهي المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر في الحجة والبرهان وبالدليل الواضح، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق وإبطال الباطل، فكأنها بالمعنى الاصطلاحي مشاركتهما في النظر الذي هو النظر المؤدي إلى علم أو غلبة ظن؛ ليظهر الصواب[3] .

ويتبين مما سبق أن معنى الترابط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للمناظرة في كون المناظرة يحصل فيها التدبر والتفكر والبحث، كما أن فيها معنى التقابل والترابط بين المتناظرين وبين ادلتهما وقوليهما، وفيها معنى الانتظار لكون كلٍ من المتناظرين ينتظر صاحبه حتى يتم كلامه وينتهي منه، ثم يجيب عنه ويناظره فيه، كما أن فيها معنى النظر الحسي فكل من المتناظرين غالباً ينظر في مناظره ليسمع كلامه ويستوعب مناظرته من قول وحجة[1].

ثالثاً: مشروعية المناظرة: والأصل في مشروعيتها ووجوبها قوله تعالى : { وجادلهم بالتي هي أحسن } وقوله : { ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن } وقوله : { ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا } .

رابعاً: حكم المناظرة: فأقل مراتب حكمها الجواز إن كانت على الوجه المطلوب، وقال بعضهم باستحبابها . وقيل من بعضهم إن القدر الذي يلزم لإبطال شبه خصوم الحق فرض كفاية[2].

المطلب الثاني: آداب المناظرة:

بعض الآداب التي ينبغي للمسلم أن يتأدب بها أثناء المناظرة:

1. تصحيح النية لله تعالى(الإخلاص)، فيكون القصد من المناظرة النصح وإظهار الحق، وليس للمغالبة. قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى: (ومن ذلك: أن المجادلة إنما وضعت ليستبين الصواب، وقد كان مقصود السلف المناصحة بإظهار الحق، وقد كانوا ينتقلون من دليل إلى دليل، وإذا خفي على أحدهم شيء نبهه الآخر، لأن المقصود كان إظهار الحق).
2. أن يكون الأصل فيها بالكتاب والسنة النبوية. قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين من بعدهم، إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله سبحانه:﴿ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً). [النساء : 59]. [3]

3. أن يكون عالما أو ملماً بالمسألة التي يناظر فيها ومتمكن منها.
4. إظهار روح المودة والأخوة قبل وأثناء وبعد الجدل من المناظرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (..وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية، مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين).
5. ضبط النفس وعدم الإنفعال، عن ابن عون رحمه الله أنه إذا أغضبه رجل، قال له: بارك الله فيك؛ وروي عن يوسف ابن الإمام ابن الجوزي من ضبط نفسه في أثناء المناظرة: أنه كان يناظر، ولا يحرك جارحة ! وورد عن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة: أنه كان لا يناظر أحدا إلا وهو يتبسم، حتى قال بعض الناس: هذا الشيخ يقتل خصمه بالتبسم ![1]
6. المبادرة إلى الرجوع عند ظهور الحق مع صاحبه، فالرجوع إلى الحق وترك ما سواه من خصال أهل الحق وصفاتهم.

قال رحمه الله " فالذي يلزم المسلمين في مجالسهم ومناظراتهم في أبواب الفقه والأحكام تصحيح النية بالنصيحة واستعمال الإنصاف والعدل ومراد الحق الذي قامت به السماوات والأرض فمن النصيحة أن تكون تحب صواب مناظرك ويسوؤك خطأه كما تحب الصواب من نفسك ويسوؤك الخطأ منها فإنك إن لم تكن كذلك كنت غاشا لأخيك ولجماعة المسلمين وكنت محبا أن يُخطأ في دين الله وأن يكذب عليه ولا يصيب الحق في دين الله ولا يصدق .. "[2]

7. عدم التشهير بالخصم عند غلبته في مجلس المناظرة، فبعض الناس إذا تمكن من غلبه أخيه في مناظرته له، جعل تلك المناظرة فاكهة مجالسه ومباهاته بها، فيتحدث بها مع كل جليس، وكيف أنه دحض حجج خصمه وابطلها، وتمكن من تزييف قول صاحبه. وهذا التصرف غير اخلاقي وغير مستحب، يجر إلى باب الرياء والسمعة، ويسبب في نفور الشخص عنه، ونشوء الشحناء بينهما؛ قال الإمام ابن الجوزي: " ... ومن ذلك: ترخّصهم في الغيبة بحجة الحكاية عن المناظرة، فيقول أحدهم: تكلمت مع فلان فما قال شيئا ! ويتكلم بما يوجب التشفي من غرض خصمه بتلك الحجة".[3]
8. التوقف عن المناظرة إغلاق باب عنها إذا رأيت من الطرف الآخر عناداً وتعنتاً، فربما يترتب على استمرار المناظرة الشحناء والبغضاء، فيغيب الهدف من المناظرة، وينصب الشيطان رايته وألويته. والأولى أن يلطف الكلام لصاحبه الذي يناظره، وينتقل للحديث إلى موضوع آخر لكي تخف الوطأ والكراهية، ومن ثَمّ تزول بالكلية، فإذا رأي بعد ذلك مصلحة في إعادة المناظرة فليفعل، لكن بأسلوب يكسب به ودّ واحترام أخيه، وترده عن كيد الشيطان، وإن رأى أن المصلحة في عدم فتح باب المناقشة فليفعل ذلك، مع إرشاده إلى بعض المراجع التي يعلم أنها أجادت في بيان الحق في تلك المسألة.[1]
9. أن يراعي المناظر الإيجاز والاختصار لئلا يكون مخلاً بالمعنى والفهم[2].

المبحث الثاني: منهج الوحي في إدارة المناظرة

المطلب الأول: عدم تناقض الوحي مع العقل

أنّ الوحي الرباني والمنهج الإسلامي يستحيل أن يناقض عقلًا صريحًا أو علمًا ثابتًا. فالوحي هو كلام الله سبحانه وتعالى، والعقل خلق الله، ولا يمكن أن يتناقض كلام الله مع خلقه. ولهذا قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الروم:30].

كما أنّ الله تعالى بين على عمق الانسجام بين الوحي والعقل بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجر:29]. أما إذا صادفت ما يوحي بالتناقض بين معطيات الوحي ومعطيات العقل وفروعه، فاعلم أنّه ليس تناقضًا حقيقيًّا، بل هو بسبب نقص في المعطيات[3]. إما أنّ المعطى الديني الذي اعتمدت عليه ليس صريحًا بل محتملا، أو ليس صحيحًا بل ضعيفًا (في حال أحاديث السنة)، أو مجملا وليس مفصلًا، أو مقيّدًا وليس مطلقًا. وإما أنّ المعطى العقلي الذي اعتمدت عليه ليس كاملًا في مقدماته، أو ليس صحيحًا في بعض أجزائها، أو أنّه نظرية لا ترقى إلى اليقينيّة العلميّة.. إلخ. وإنّما ينبغي أن نفهم أنّه يستحيل وجود تناقض بين صحيح المنقول من الوحي وصريح المعقول؛ لأنّ اعتقادنا أنّ الخالق إله كامل كمالا مطلقا: علما، حكمة، قدرة، رحمة، يحتّم علينا أن نعتقد أنّه يستحيل أن يتضمن وحيه ما يتناقض مع العقل البشري الذي ما خلق الوجود إلا لأجله ولخدمة الله تعالى[1].

وإذا عارض العقل للشرع لوجب تقديم الشرع، لأن العقل قد صدق الشرع، ومن ضرورة تصديقه له قبول خبره، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، ولا العلم بصدق الشرع موقوف على كل ما يخبر به العقل...، يكفي من العقل أن يعرفك صدق الرسول ومعاني كلامه ثم يخلي بينك وبينه، وقال آخر: العقل سلطان ولي الرسول ثم عزل نفسه، ولأن العقل دل على أن الرسول يجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، ولأن العقل يدل على صدق الرسول دلالة عامة مطلقة.[2]

المطلب الثاني: المناظرة بالنظر والتدبر للاستدلال على أصول العقائد:

ما يذكره تعالى في كتابه من الآيات الكونية المقرونة بالنظر والتدبر للاستدلال على أصول العقائد كتوحيده سبحانه في ألوهيته وربوبيته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وهذا النوع كثير في القرآن.

فمنه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[البقرة: 21]. وقوله تعالى: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ، لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ} إلى قوله: {لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}.

ب- ما يحاجج به الله الخصوم ويلزم أهل العناد، ولهذا صور مختلفة:

1- منها تقرير المخاطب بطريق الاستفهام عن الأمور التي يسلم بها الخصم وتسلم بها العقول حتى يعترف بما ينكره، كالاستدلال بالخلق على وجود خالق في مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ...﴾[1] [الطور: 26].

2- الاستدلال بالمبدأ على المعاد ويوم الآخر. كقوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15].

3- إبطال دعوى الخصم بإثبات نقيضها كقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾

4- إفحام الخصم وإلزامه ببيان أن مدعاه يلزمه القول بما لا يعترف به أحد، كقوله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[2][الأنعام: 100].

المطلب الثالث: الدفاع عن الحق ورد كيد الكفار:

ومن منهج الوحي في المناظرة للنبي ﷺ إن إتباع الحق ، والسعي للوصول إليه ، والحرص على الالتزام بما جاء به ؛ وهو الذي يقود الحوار إلى طريق مستقيم لا عوج فيه ولا التواء ، أو هوى الجمهور ، أو الأتْباع .. والعاقل – فضلاً عن المسلم – الصادق طالبٌ حقٍّ ، يقول الغزاليّ أبو حامد : (التعاون على طلب الحق من الدّين ، ولكن له شروط وعلامات ؛ منها أن يكون في طلب الحق كناشد ضالّة ، لا يفرق بين أن تظهر الضالّة على يده أو على يد معاونه. ويرى رفيقه معيناً لا خصماً. ويشكره إذا عرَّفه الخطأ وأظهره له)[3]. ومن مقولات الإمام الشافعي المحفوظة : (ما كلمت أحداً قطّ إلا أحببت أن يُوفّق ويُسدّد ويُعان ، وتكون عليه رعاية الله وحفظه .وما ناظرني فبالَيْتُ ! أَظَهَرَتِ الحجّةُ على لسانه أو لساني)[1] وفي ذمّ التعصب ولو كان للحق ، يقول الغزالي: (إن التعصّب من آفات علماء السوء، فإنهم يُبالغون في التعصّب للحقّ ، وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار ، فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة ، وتتوفر بواعثهم على طلب نُصرة الباطل ، ويقوى غرضهم في التمسك بما نُسبوا إليه. ولو جاؤوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة، لا في معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه، ولكن لمّا كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ، ولا يستميل الأتْباع مثلُ التعصّب واللعن والتّهم للخصوم، اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم)[2]. والمقصود من كل ذلك أن يكون الحوار بريئاً من التعصّب خالصاً لطلب الحق، خالياً من العنف والانفعال، بعيداً عن المشاحنات الأنانية والمغالطات البيانيّة ، مما يفسد القلوب ، ويهيج النفوس، ويُولد النَّفرة، ويُوغر الصدور.

الخاتمة: وتشتمل على النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

1. بيان معايير المنهج الإسلامي المستمد من الوحي العرض الكامل لاستسقاء الأخبار وعرض الحقائق على الجميع، فليس لأمة من الأمم مثل ما للأمة الإسلامية من طريقة عرض واضحة للأخبار الصحيحة والواضحة للرسالة الربانية.
2. توضيح منهج الوحي في الإعلام شامل جميع المجالات العقدية والعسكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، فهو منهج يقوم على تعاليم ربانية المصدر بأداة وبراهين من القرآن الكريم والسنة النبوية.
3. للإعلام القرآني خصائص تفرد بها عن سائر اتجاهات الإعلام الأخرى ويمتاز باعتماد الحقائق كمصدر وحيد، ولا شيء غيرها، وان الرسول محمد هو الحق فيما يقول بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، لذلك هذا اثبات لدحض شبهات الكفار.
4. بيان أن منهج الوحي في إدارة المناظرة يمتاز بعدم تناقض الوحي مع العقل وأنّ الوحي الرباني والمنهج الإسلامي يستحيل أن يناقض عقلًا صريحًا أو علمًا ثابتًا. فالوحي هو كلام الله سبحانه وتعالى، والعقل خلق الله، ولا يمكن أن يتناقض كلام الله مع خلقه.
5. توضيح ما للوحي من دور في الدفاع عن الحق ورد كيد الكفار، والسعي للوصول إليه ، والحرص على الالتزام ؛ وهو الذي يقود الحوار إلى طريق مستقيم لا عوج فيه ولا التواء ، أو هوى الجمهور، أو الأتْباع .. والعاقل – فضلاً عن المسلم – الصادق طالبٌ حقٍّ.
6. **ثانياً: التوصيات:**

1. الرجوع لكتب السنة للتوسع في دراسة آراء وتفاسير علماء السنة النبوية فيما جاء به الوحي من تبيان المنهجية الواضحة في الإعلام والمناظرة.
2. القيام بعمل بحث بعنوان " منهج الوحي في إدارة ملف الإعلام العقدي في القرآن الكريم".

3. الرجوع لكتاب محمد الأمين بن المختار الشنقيطي " آداب البحث والمناظرة للشنقيطي" مصدر مهم للاستزادة عن المناظرة.

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

1. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، ن: دار المعرفة – بيروت.

2. إسلامية لا وهابية، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ن: دار كنوز أشبيلية للنشر 1425 ه-.

3. الإعلام مقوماته وضوابطه وأساليبه في القرآن 45 - 46.رسالة ماجستير. الباحثة /آلاء أحمد - في الجامعة الإسلامية في غزة بفلسطين، في كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن 2009 م

4. الإعلام في القرآن الكريم. د محمد عبد القادر حاتم.. طبعة مؤسسة فادي برس - لندن 1985م

5. الأصول الثلاثة ، شرح العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله على، مكتبة العلم، القاهرة.

6. الأم، محمد بن إدريس الشافعي، المحقق: رفعت فوزي عبد المطلب، ن: دار الوفاء المنصورة، ط: الأولى 2001م.

7. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الهلال – بيروت طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى.

8. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، ن: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: السابعة والعشرون , 1415هـ /1994م،

9. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي : محب الدين أبي الفيض محمد مرتضى ت ١٧٩٠ م ، (١٠ / ٣٨٦)، دار صادر - بيروت.

10. تاريخ اليعقوبي، أحمد اليعقوبي، ن : دار إحياء التراث العربي- بيروت - 2001م.

11. تزيين الأسواق في أخبار العشاق ، داود الأنطاكي، ن: دار الفكر، دمشق.

12. تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (384)، إحياء التراث الإسلامي- الكويت.

13. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، ن : دار إحياء التراث العربي- بيروت - 2001م.

14. دور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، إشراف الدكتور: حاتم محمد منصور مزروعة، ن: رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)، عام النشر: 1432 هـ - 2011 م.

15. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان بن محمود بن عبد الله الآلوسي ، قدم له: علي السيد صبح المدني - رحمه الله -لناشر: مطبعة المدني، عام النشر: 1401 هـ - 1981 م..

16. السيرة النبوية، ابن هشام، المحقق : طه عبد الرءوف سعد، ن : دار الجيل – بيروت، ط: الأولى، 1411.

17. شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي والمسمى بـ ((إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل)، شرحها : الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

18. مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ، دار الجيل – بيروت، ط: الأولى، 1471.

19. لسان العرب المؤلف، ابن منظور، عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، ن : دار المعارف، البلد : القاهرة.
20. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ن: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: الأولى - 1412 هـ، .
21. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق : عبد السلام محمد هارون، ن : دار الفكر، ط : 1399هـ - 1979م.
22. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، ق محمد سيد كيلاني ، المكتبة المرتضوية - طهران (د. ت)،.
23. الوحي المحمدي، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني ، ن: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.
24. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ن: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة، 1416 هـ - 1996م،
25. الجامع المسند الصحيح، صحيح بخاري، حمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، حمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى، 1422هـ.
26. فوائد التكرار بتصرف من الإتقان، للسيوطي، عالم الكتب، ط: الأولى، 1429 هـ - 2008م.
27. النظام الاقتصادي في الإسلام. د. أحمد محمد العسال ود. فتحي أحمد عبد الكريم.
28. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي النيسابوري، ق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، ن: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1415 هـ - 1994 م،
29. القرآن والنبي، عبد الحليم محمود، ن : دار الفكر، ط : 1399هـ - 1979م.
30. البداية والنهاية، ابن كثير، المحقق: علي شيري، ن: دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى 1408، هـ - 1988م.
31. تاريخ الدعوة، جميل المصري، ن : دار الفكر، ط : 1399هـ - 1979م.
32. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، ن: عالم الكتب، ط: الأولى، 1429 هـ - 2008م.
33. معجم الغني، عالم الكتب، ط: الأولى، 1429 هـ - 2008م.
34. آداب البحث والمناظرة للشنقيطي، محمد الأمين بن المختار الشنقيطي، القاهرة، ط : السابعة.
35. المناظرة آدابها وقواعدها، أبو حازم، ن: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة).
36. معالم في طريق طلب العلم، عبد العزيز بن محمد السدحان، ن: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة).
37. تعريف الخلف بمنهج السلف، القاهرة، ط : السابعة.
38. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ط: (من 1404 - 1427 هـ)

39. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، شرح وق: رضوان جامع رضوان، ن: دار الفكر – بيروت، تاريخ الطبع: 1418 هـ.
40. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ن : مكتبة وهبة، البلد : القاهرة، ط: السابعة.
41. الوحي والإنسان، محمد السيد الجليند، ن: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة).

---

(1) تزيين الأسواق في أخبار العشاق ، داود الأنطاكي، ن: دار الفكر، دمشق، (459).

(2) لسان العرب المؤلف، ابن منظور، عبد الله علي الكبير + مُحَمَّد أحمد حسب الله + هاشم مُحَمَّد الشاذلي، ن : دار المعارف، البلد : القاهرة، (15 / 379).

(3) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ن: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط: الأولى – 1412 هـ، (515).

(4) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق : عبد السلام مُحَمَّد هارون، ن : دار الفكر، ط : 1399هـ - 1979م، (6 / 93).

(1) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد، ق مُحَمَّد سيد كيلاني ، المكتبة المرتضوية . طهران (د. ت)، (٥١٥).

(2) ينظر: تهذيب اللغة، أبو منصور مُحَمَّد بن أحمد الأزهري، ن : دار إحياء التراث العربي– بيروت – 2001م، (٥/ ٢٩٧).

(3) ينظر: المفردات، الكيلاني، (٥١٥).

(4) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (١٥/ ٢٩٧).

(5) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي : محب الدين أبي الفيض مُحَمَّد مرتضى ت ١٧٩٠ م ، (١٠/ ٣٨٦)، دار صادر . بيروت.

(1) شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر أحمد بن مُحَمَّد بن سلامة الأزدي الطحاوي والمسمى بـ ((إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل)، شرحها : الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، (6/8).

(2) المصدر السابق، (6/8).

(3) ينظر: مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ، (29، 30).

(1) ينظر: الوحي المحمدي، مُحَمَّد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني ، ن: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، (39).

(2) ينظر: المفردات، الراغب الاصفهاني، (٥١٥).

(3) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، (١٠ / ٣٨٥).

(1) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، ن: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: السابعة والعشرون , 1415هـ /1994م، (79/1).

(2) ينظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان بن محمود بن عبد الله الآلوسي ، قدم له: علي السيد صبح المدني – رحمه الله –لناشر: مطبعة المدني، عام النشر: 1401 هـ - 1981 م، (165/1).

(3) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية المحقق: مُحَمَّد المعتصم بالله البغدادي، ن: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة، 1416 هـ - 1996م، (74/1).

(1) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، المحقق: مُحَمَّد المعتصم بالله البغدادي، (75/1).

(2) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب الفتن ، الحديث رقم (3) ، (1 / 22).

(3) سنن ابن ماجة- طبع مؤسسة الرسالة [3 /275]، حديث (2144) صحيح.

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، ن: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: السابعة والعشرون, 1415هـ /1994م، (79/1).

(2) المصدر السابق، (75/1).

(1) ينظر: تاريخ اليعقوبي، أحمد اليعقوبي، (33/2). وهذه الثلّة القليلة الّتي تشرّفت باعتناق الإسلام ، هم الذين يعبّر عنهم القرآن الكريم بقوله :﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ *أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (الواقعة : ١٠ - ١١).

(2) السيرة النبوية، ابن هشام، (1/ ٢٤٧- ٢٦٢).

(3) المصدر السابق، (٢٤٣).

(1) السيرة النبويّة، ابن هشام، (243/1).

(2) المصدر السابق، (١ / ٢٤٦).

(1) ينظر: الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، (62/1).

(2) ينظر: الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، (62/1).

(1) ينظر: المصدر السابق، (64/1).

(1) أخرجه ابن جرير 19/ 118، والترمذي 5/ 316، كتاب تفسير القرآن، رقم: 3184، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(2) عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) دَعَا رَسُولُ الله -ﷺ- قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْب أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِي هَاشِيم أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا). أخرجه مسلم 1/ 192، كتاب الإيمان، رقم: 204. وأخرج نحوه البخاري، كتاب التفسير، رقم: 4771، الفتح 8/ 501. البِلال: الماء، ومعنى الحديث: سأصلها؛ شُبهت قطيعة الرحم بالحرارة، ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة. "شرح النووي على صحيح مسلم" 3/ 80.

(3) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي النيسابوري، ق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي مُحَمَّد معوض، الدكتور أحمد مُحَمَّد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، ن: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1415 هـ - 1994 م، (364/3).

(1) ينظر: القرآن والنبي، عبد الحليم محمود، (179).

(1) ينظر: نقض الموسوعة اليوسفية، أحمد بن عبد القادر تركستاني، (390/1).

(2) ينظر: إسلامية لا وهابية، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ن: دار كنوز أشبيلية للنشر 1425 هـ، (24).

(3) ينظر: المصدر السابق، (24).

(1) ينظر: إسلامية لا وهابية، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ن: دار كنوز أشبيلية للنشر 1425 هـ، (24).

(1) الإعلام مقوماته وضوابطه وأساليبه في القرآن 45 - 46.رسالة ماجستير. الباحثة /آلاء أحمد - في الجامعة الإسلامية في غزة بفلسطين، في كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن 2009 م ..

[1] ينظر: الأصول الثلاثة ، شرح العلامة مُحَمَّد بن صالح العثيمين رحمه الله على، (54- 80)، مكتبة العلم، القاهرة.

[2] ينظر: المصدر السابق، (45-81).

[3] ينظر: الأصول الثلاثة ، شرح العلامة مُحَمَّد بن صالح العثيمين رحمه الله على، (54- 81).

[1] تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (384)، إحياء التراث الإسلامي- الكويت

[2] دور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم – دراسة في التفسير الموضوعي، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، إشراف الدكتور: حاتم مُحَمَّد منصور مزروعة، ن: رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)، عام النشر: 1432 هـ - 2011 م، (111/1).

[1] ينظر: دور الإعلام الإسلامي في القرآن ، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، (140).

[2] فوائد التكرار بتصرف من الإتقان، للسيوطي، (5/ 1648 - 1649).

[1] اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وفي غيره، رقم الحديث: 481، ومسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث: (2585).

[2] اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث (6011)، ومسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث: (2586).

[3] ينظر: دور الإعلام الإسلامي في القرآن ، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، (172).

[4] ينظر: النظام الاقتصادي في الإسلام. د أحمد مُحَمَّد العسال ود فتحي أحمد عبد الكريم. (15)، بتصرف.

[1] انظر: النظام الاقتصادي في الإسلام. د أحمد مُحَمَّد العسال ود فتحي أحمد عبد الكريم. (15)، بتصرف.

[1] الإعلام في القرآن الكريم. د مُحَمَّد عبد القادر حاتم. (255 – 258). بتصرف كبير. طبعة مؤسسة فادي برس – لندن 1985م

[2] المصدر السابق، (259).

[1] ينظر: الإعلام في القرآن الكريم. د مُحَمَّد عبد القادر حاتم. (255 – 258). بتصرف كبير. طبعة مؤسسة فادي برس – لندن 1985م

[2] المصدر السابق، (259).

[1] معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، ن: عالم الكتب، ط: الأولى، 1429 هـ - 2008م، (2232/3).

[2] ينظر: معجم الغني، (474/24).

[3] ينظر: آداب البحث والمناظرة للشنقيطي، مُحَمَّد الأمين بن المختار الشنقيطي، (1).

[1] ينظر: المناظرة آدابها وقواعدها، أبو حازم، (458).

[2] آداب البحث والمناظرة للشنقيطي، مُحَمَّد الأمين بن المختار الشنقيطي، (1).

[3] ينظر: معالم في طريق طلب العلم، عبد العزيز بن مُحَمَّد السدحان، (239- 240).

[1] ينظر: معالم في طريق طلب العلم، عبد العزيز بن مُحَمَّد السدحان، (239- 240).

[2] تعريف الخلف بمنهج السلف (221). بتصرف.

[3] ينظر: معالم في طريق طلب العلم، عبد العزيز بن مُحَمَّد السدحان، (239- 240).

[1] ينظر: معالم في طريق طلب العلم، عبد العزيز بن مُحَمَّد السدحان، (244).

[2] ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ط: (من 1404 - 1427 هـ)، (78/39).

[3] ينظر: الوحي والإنسان، مُحَمَّد السيد الجليند، ن: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، (456).

[1] ينظر: الوحي والإنسان، مُحَمَّد السيد الجليند، (458).

[2] ينظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، شرح وق: رضوان جامع رضوان، ن: دار الفكر – بيروت، تاريخ الطبع: 1418 هـ، (159/1).

[1] ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ن : مكتبة وهبة، البلد : القاهرة، ط : السابعة، (299).

[2] ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، (300).

[3] ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، (654/1).

[1] الأم، الشافعي، (85/3).

[2] إحياء علوم الدين، الغزالي، (654/1).

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السابع عشر– كانون الثاني 2023 – جمادي الاخرة 1444 ISSN–2536–0027

Protection Guarantees For Underage Marriage

Lecturer.Dr Hind Fayez Ahmed Al-Hassoun
Hind_fah@yahoo.com
Ass.Lecturer . Ahmed Jabbar Makhzoumi
ahmedjabbar@hilla-unc.edu.iq

Abstract

The family is the basic cell for building society. There is no doubt that a balanced family is built on the basis of interdependence and intimacy. This can only be achieved through a sound marriage, and the latter can only be achieved with complete capacity, physical and mental maturity, and the ability to bear the responsibility and burdens resulting from both parties, this and in line with what it focuses on. International conventions determine the age of marriage and do not allow them to conclude such a contract except as an exception according to special rules, the most important of which is obtaining a judicial authorization explaining the reasons and interests of both parties, and if there are guarantees for concluding such a contract as it is considered an exceptional way from other traditional contracts and despite the identification of such A contract, but we find in reality many of these contracts in the practical applications of the courts, and this is what we will try through this research to shed light on.

Introduction

First - The Origin Of The Study:

The shortness of capacity is the opposite of its completeness and perfection, and its perfection is linked to the completeness of mental capacity, and the completeness of the aforementioned ability is linked to age, except in the exceptions of cases in which the progress of age does not keep pace with progress in the mind and prohibitions, and this complete mental strength is the basis of the ability to distinguish, specify and appreciate the actions that come from The person and its consequences and effects. When an action comes from a person with full mental powers, what accompanies that is the statement that he wants this behavior and the consequences that it entails, so then he is responsible for all of that; Because he was wise, and he wanted, so he committed himself, and he carried the effects of what he wanted.

Second - The Research Problem:

The legislator was concerned with the will of the minor in the behavior issued by him, which is the marriage contract, even though his will did not come from a fully qualified person.

Third- Research Questions:

• How did the legislator abuse the will of the minor?
• What is the availability of the pillars of the marriage contract if one of the parties is a minor?
• What is the reason for the contract if a minor is involved in the contract?
• How successful is an incomplete marriage, and what are the implications for it?

Third - Research Objectives:

• Determining the justification that led the legislator to invoke the will of an incompletely qualified person.
• Determining the reason for the marriage contract in general and its availability as a motive for the minor to marry.
• Develop legal remedies to reduce the negative effects of underage marriage.

Fourth - Research Plan:

In order to achieve the set goals, we decided to divide the research into two sections, the first of which we will discuss: the legal and social marriage of a minor.

As for the second topic: we deal with the legal and social effects of this marriage, and it is also divided into two demands, the first on legal treatment and the second on social treatment.

The First Topic: The Concept Of Protecting The Minor

The protection aspect is questionable for those appointed by the institutions and individuals with regard to taking protective measures to limit the marriage of minors.

Before delving into the issue of the protection aspect, it is necessary to understand the meaning of the term “protection”, as well as the term “minor” and to specify the reasons for this contract and the two requirements, the first definition and the second reasons.

First Condition

In this requirement, we will discuss the meaning of protection from a linguistic and legal point of view, as well as the meaning of a minor and in the following two sections.

First Branch: Introducing Protection Aspects

We will discuss the meaning of the protection aspect in language, and then explain it with law

First Language protection:

A noun of a verb that protects, it is said that he protects the hidden and hidden thing and protects, and when it is said that he protects the thing, it means preventing it from people or pushing them away from it, and it may come with the meaning of victory.

Secondly :. protection in law

Protection may be related to a civil or criminal right, but here is protection of a special kind, which is protection under a social contract and for a specific person, a minor, where it is considered at least personal protection.

Referring to the meaning of protection under the law with a comprehensive definition of "preventing persons from violating each other's rights under the provisions of legal rules"[(1)].

Section Two: Introduction To The Minor

First: the minor in language

Which means that a thing does not reach its end and extent, and it is said that it is confined, meaning imprisoned, and confined, meaning restricted

secondly: Idiomatically minor

Jurisprudence did not provide a specific definition, but they agreed on its meaning, which has not yet reached the age of puberty or has not yet reached the age of majority.

By reference to the law, it means "a person who is under the age of eighteen."[(2)].

Since the subject is related to the marriage of a minor, in addition to setting up a mechanism to protect it, it is necessary to know the meaning of marriage from the point of view of the law, as confirmed by Article (1/3). . . From Personal Status Law No. 188 of 1959, as amended by “a contract between a man and a woman whose relationship is legitimate for him and for the formation of a joint life.”

The law permitted marriage, but did not encourage the marriage of a minor, but it permitted it under certain conditions, including the consent of the guardian to this contract. Tradition and the civil mind

After the above, we will determine whether the conditions for concluding this contract have been fulfilled. Is it necessary to adhere to it? Is his conclusion convincing? This is what we will highlight in the next requirement.

The Second Requirement: The Reasons For The Marriage Of A Minor

There are many reasons that lead to the marriage of minors, some of which are due to social reasons, and some are due to economic reasons, and we will mention them in general.

As for it returning to ignorance of the parents, it leads to the minor getting married at a young age without consulting and asking, which has a negative impact on the minor and leads to harming the minor’s future. In addition to that, the minor cannot manage a family and raise children, and the issue is not limited to ignorance, not on the contrary, but from one of the reasons It is the material need, and in order to alleviate the financial responsibility, it leads to the marriage of a minor if she is a girl, on the pretext that this marriage will improve the standard of living of their daughter, for example.

There is another reason related to social custom. Some regions, especially rural areas, have what is called the social inheritance, which is the marriage of minors,

under the pretext of a custom that prevails among them, and the matter is not determined by this. The repeated wars that led to the loss of many of the minor's families, so the guardians responsible for the minor resort to marrying them off in order to disavow It is their responsibility, whether material or social, in addition to some wrong religious concepts among some that lead to the urge to marry at a young age, and this is a wrong belief(3).

The Second Topic: The Legal Framework For The Marriage Of Minors

The legal framework is determined by what it entails, not the consent of the parties to conclude any contract of free will, but such contracts are like this, and the consent of the guardian is the tyrant over the will of the minor.

This is what we will address in this topic through two demands, the first for the impact of such contracts, and the second for the proposed legal solutions to reduce them in the event of a negative impact being arranged, as follows:

The first requirement: the legal effect of a minor's marriage

There are many effects that affect the conclusion of such a contract, some of them are positive and some are negative. Therefore, we will mention this effect in the following two branches:

Section one: the positive impact of underage marriage

If we look at the issue from the positive side, we will stop at some good impact on certain sites, including them

1. Regarding the Islamic religion, he urged the marriage of young people who have the material and physical ability in addition to the psychological ability
2. For a minor girl, her marriage is determined by Islam from her puberty when she is conscious and aware, which means that there is a difference between the age of contract and the age of marital cohabitation, in addition to the desire and ability to assume responsibility.
3. Not to fall into taboos, suspicions and forbidden relationships to reduce the proportion of child beggars in society
4. To preserve the human race and the strength and entity of the state
5. To preserve lineage and offspring.
6. Stability of the soul and happiness of the human being is far from taboo
7. To reduce the spinsterhood phenomenon in society, as it has become a widespread phenomenon, whether among men or women
8. Increasing the chances of childbearing, as the older the girl, the lower her fertility rate, and consequently, her fewer chances of getting pregnant.
9. Increasing the level of understanding and harmony between children and parents as a result of reducing the age difference between them(4).

The Second Section: The Negative Impact Of The Marriage Of A Minor

1. Deprivation of learning, as it has a clear effect on the comprehensive relationship between education and early marriage, as it has to do with building a family in terms of building a person and increasing his productivity.
2. The presence of an effect in the case of early childbearing, this negative impact, as for the Spaniards, there are more than 30,000 births for girls under the age of 18 and 80,000 deaths as a result of pregnancy complications.
3. There are some psychological and social pressures as a result of deprivation of childhood life or exposure to violence and beatings
4. With regard to work, early marriage for a girl, for example, deprives her of the right to work and take any decision within the family, which leads to the destruction of personality for the girl.
5. There is a high percentage of divorce cases in the courts as a result of the lack of understanding of the young age between the spouses(5)
6. There was a psychological impact of depriving the parents of the kindness of the parents to marry the minor off at a young age, which leads to assuming responsibility at an early age at a time when the minor is in need of parental tenderness
7. The opportunity to be deprived of choosing a spouse, because the decision is not in the hands of the minor, but in the hands of the guardian or the judiciary, and in most cases it is forced marriage

After the existence of such effects that result from the conclusion of this contract for this category, it is necessary to find solutions as much as possible to limit such a contract, which we will address in the next requirement.

The Second Requirement: Legal Solutions To Underage Marriage

We try as much as possible to develop legal solutions to limit such a contract
1. Ratification of some international treaties concerned with human rights.
2. Implementation of the International Criminal Court system to protect human rights, women and children
3. Include the provisions of child protection laws that prevent their marriage
4. Establishing strict legal standards for exceptions that allow minors to set the legal age for marriage
5. Changing the inherited negative social norms and limiting their impact, and this helps to change the traditional behavior and thus achieve awareness and justice between the sexes.
6. Activating equality in gender roles by educating and educating boys who will have an important role in the lives of girls, such as a father or a brother.
7. Improving the legal frameworks and the political will to eradicate the marriage of minors, by making the organizations work with local governments to develop a program to deal with the issue of underage marriage and hold those responsible to account(6).

Conclusion

After completing the issue of protection guarantees for minors' marriage, we reached the most important results and recommendations.

First: The Results.

1. The consensual aspect of the marriage contract, the registration of the marriage contract, and the determination of the age of marriage are required.
2. Determining the conditions of marriage for the minor. Some countries, such as France, have specified the approval of the public prosecutor, in addition to the father and mother
3. Submitting an application, stating the special reasons for those who are about to marry minors, and justifying this contract.

Second: Recommendations

1. Encouraging public debate and developing collective thinking related to a group of social and cultural issues related to marriage and the prohibition of illegal relationships, with the aim of introducing the ideas involved.
2. Adopting a comprehensive strategy that aims in the advanced future to eliminate the practice of legal and undocumented child marriage, a strategy that can focus on three integrated oysters, which is to improve the legislative framework and the legal system by creating harmony in the legislative framework.
3. Adopting a family policy that takes into consideration education to bear the responsibility entrusted to parents, provide material support to poor families, and sensitize families to practices harmful to children with an educational policy that ensures awareness.

Sources

1. Amal Daqamseh, Research on Underage Marriage, 2022, published on the following website: http/lmawdoo3.com
2. Enas Jabbar: Conditions of Underage Marriage, a report I published on the website of the Supreme Judicial Council on 2019
3. Dr.Ismat Abdel Meguid, Provisions for the Care of Minors, 3rd Edition, Legal Library, 2007.
4. Makki Khaledia, Legal protection of minors within the framework of laws related to degrading, PhD thesis, Oran University, 2010.
5. Marwa Merabet, Protection of Minors' Money in Iraqi Legislation, Master's Thesis at Larbi Ben Mhidi University, Faculty of Law and Political Science, 2020.
6. Dr.Mustafa Al-Nayer Al-Manzoul, Legal Protection of Artistic Rights, research published on the following website: http/Qawaneen.blogspot.com

)[1] (Dr. Mustafa Al-Nayer Al-Manzul, Legal Protection of Artistic Rights, research published on the following website Research published on the following site http/qawaneen.blogspot.com

)[2] (Enas Jabbar, Conditions of Underage Marriage, a report I published on the website of the Supreme Judicial Council.

)[3] (Amal Daqamseh, Research on Underage Marriage, 2022, published on the following website http/lmawdoo3.com

)[4] (Makki Khaledia, Legal protection of minors within the framework of laws related to degrading, PhD thesis, Oran University, 2010, p. 44.

)[5] (Marwa Merabet, Protection of Minor's Money in Iraqi Legislation, Master's Thesis at Larbi Bin Mhidi University, Faculty of Law and Political Science, 2020, p. 50.

)[6] (Dr. Ismat Abdel Majid, Judgments for the Care of Minors, 3rd Edition, Legal Library, 2007, p. 25.

CAMBREDGE

Refereed scientific journal

Published by Cambridge Center for Research and Conference

CJSP

ISSN-2536-0027

2023

Www.camb_magazine.com